٤٧٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم





العلامة المحقق الحاج الشيخ محمد تقي التستري قدس سره

کتابخانه
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی
شماره ثبت: ۰۰۲۴۰۶
تاریخ ثبت :

المجلد الثاني



دار امیر کبیر للنشر
تهران: ۱۳۷۶



بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة (المجلد الثاني)
المصنف : الشيخ محمد تقي التستري (قدس سره)
اعداد و ترتيب : مؤسسة نهج البلاغة
الناشر : دار اميركبير للنشر
الطبعة الاولى : (١٣٧٦ هـ ش) (١٤١٨ هـ ق) (١٩٩٧ م)
المطبعة : سبهر
عدد النسخ المطبوعة : ٢٠٠٠ نسخة
كافة الحقوق محفوظة للناشر

شابک ١ - ٠٢٦٣ - ٠٠ - ٩٦٤ ISBN 964-00-0263-1

الجمهورية الاسلامية في ايران - طهران - ص. ب ٤١٩١-١١٣٦٥

٣
من الخطبة (١٩٠)

ومن خطبة له عليه السلام تسمى القاصعة، وهي تتضمّن ذمّ إبليس على استكباره، وتركه السّجود لآدم، وأنّه أوّل من أظهر العصبية وتبع الحميّة، وتحذير النّاس من سلوك طريقته:

ٱلْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَبِسَ ٱلْعِزَّ وَٱلْكِبْرِيَاءَ، وَٱخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ، وَجَعَلَهُمَا حِمىً وَحَرَماً عَلَى غَيْرِهِ، وَٱصْطَفَاهُمَا لِجَلاَلِهِ، وَجَعَلَ ٱللَّعْنَةَ عَلَى مَنْ نَازَعَهُ فِيهِمَا مِنْ عِبَادِهِ.

ثُمَّ اخْتَبَرَ بِذَلِكَ مَلاَئِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ؛ لِيَمِيزَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِين، فَقَالَ سُبْحَانَهُ ـ وَهُوَ الْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ وَ مَحْجُوبَاتِ الْغُيُوبِ ـ: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ

أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ...﴾[١] اعْتَرَضَتْهُ الْحَمِيَّةُ؛ فَافْتَخَرَ عَلَى آدَمَ بِخَلْقِهِ، وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَصْلِهِ. فَعَدُوُّ اللّهِ إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ، وَسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصَبِيَّةِ، وَنَازَعَ اللّهَ رِدَاءَ الْجَبَرِيَّةِ، وَادَّرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ، وَخَلَعَ قِنَاعَ التَّذَلُّلِ أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ اللّهُ بِتَكَبُّرِهِ، وَوَضَعَهُ بِتَرَفُّعِهِ، فَجَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا مَدْحُوراً، وَأَعَدَّ لَهُ فِي الآخِرَةِ سَعِيراً.

وَلَوْ أَرَادَ ٱللّهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ ٱلْأَبْصَارَ ضِيَاؤُهُ، وَيَبْهَرُ الْعُقُولَ رُوَاؤُهُ، وَطِيبٍ يَأْخُذُ ٱلْأَنْفَاسَ عَرْفُه لَفَعَلَ، وَلَوْ فَعَلَ، لَظَلَّتْ لَهُ ٱلْأَعْنَاقُ خَاضِعَةً، وَلَخَفَّتِ ٱلْبَلْوَى فِيهِ عَلَى المَلَائِكَةِ، وَلَكِنَّ ٱللّهَ سُبْحَانَهُ ابتلى خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَهُ تَمْيِيزاً بِالاخْتِبَارِ لَهُمْ، وَنَفْياً لِلاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ، وَإِبْعَاداً لِلْخُيَلَاءِ عَنْهُمْ

أقول: قد عرفت في المقدّمة[٢] أنّ هذه الخطبة من ثماني خطب اختلفت نسخنا مع نسخة ابن أبي الحديد في موضعها.

قول المصنف: «ومن خطبة له عليه السلام تسمّى القاصعة» هكذا في (المصرية) ولكن في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٣]: ومن خطبة له عليه السلام، ومن النّاس من يسمّي هذه الخطبة بالقاصعة.

قال ابن ميثم: نقل في سبب هذه الخطبة أنّ أهل الكوفة كانوا في آخر خلافته عليه السلام قد فسدوا، وكانوا قبائل متعدّدة، فكان الرجل يخرج من منازل قبيلته، فيمرُّ بمنازل قبيلة أُخرى فيقع بـه أدنـى مكـروه، فـيستعدي قـبيلته،

---

(١) ص: ٧١ ـ ٧٤.

(٢) مرّ في مقدّمة المؤلف.

(٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٢٤، لكن في شرح ابن ميثم ٤: ٢٣٢، نحو المصرية.

وينادي باسمها، مثلاً يا للنّخع أو يا لكندة نداء عالياً يقصد به الفتنة وإثارة الشرّ، فيتألّب عليه فتيان القبيلة التي قد مرّ بها، وينادون يا لتميم ويا لربيعة، فيضربونه فيمرّ إلى قبيلته، ويستصرخ بها وتسلّ بينهم السيوف، وتثور الفتنة، ولا يكون لها أصل في الحقيقة، ولا سبب يعرف إلّا تعرّض الفتيان بعضهم ببعض، وكثر ذلك منهم، فخرج عليه السلام إليهم على ناقة فخطبهم هذه الخطبة(١).

ثم قال: وقد ذكر الشّارحون في تسمية هذه الخطبة القاصعة وجوهاً: أحدها وهو أقربها أنّه عليه السلام كان يخطبها على ناقته، وهي تقصع بجرّتها، فجاز أن يقال: إنّ هذه الحال لما نقلت عنه في اسناد هذه الخطبة نسبت الخطبة إلى الناقة القاصعة، فقيل: خطبة القاصعة. ثم كثر استعمالها، فجعلت من صفات الخطبة نفسها؛ أو لأنّ الخطبة عرفت بهذه الصفة لملازمة قصع الناقة لانشائها، والعرب تسمّي الشيء باسم لازمه(٢).

قلت: قال الجزريّ في (نهايته) في الحديث «خطبهم على راحلته وأنّها لتقصع بجرّتها» أراد شدّة المضغ وضمّ بعض الأسنان على البعض، وقيل: قصع الجرّة: خروجها من الجوف إلى الشّدق، ومتابعة بعضها بعضاً، وإنّما تفعل النّاقة ذلك إذا كانت مطمئنة وإذا خافت شيئاً لم تخرجها، وأصله من تقصيع اليربوع، وهو: إخراجه تراب قاصعائه وهو: جحره(٣)، ويمكن أن يكون وجه التّسمية كون القاصعة من: قصع العطشان غلّته بالماء، إذا سكّنها أو من: قصع الغلام قصعاً: ضربه ببسط كفّه على رأسه.

---

(١) شرح ابن ميثم ٤: ٢٣٣.

(٢) شرح ابن ميثم ٤: ٢٣٤.

(٣) النهاية لابن الأثير ٤: ٧٢ مادة (قصع).

«وهي تتضمّن ذمّ إبليس على استكباره، وتركه السّجود لآدم عليه السلام» قال تعالى: ﴿...فسجدوا إلّا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾[١].

«وأنّه أوّل من أظهر العصبية وتبع الحمية» في (الأمالي) عن النبي صلى الله عليه وآله من كان في قلبه مثقال حبّة من خردل من عصبية، بعثه الله تعالى يوم القيامة مع أعراب الجاهلية[٢].

وفي (عقاب الأعمال) عنه صلى الله عليه وآله: من تعصّب أو تعصّب له فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه[٣].

عن الصادق عليه السلام: من تعصّب عمّمه الله بعمامة من نار[٤].

وقال تعالى: ﴿إذ جعل الّذين كفروا في قلوبهم الحميّة حميّة الجاهلية...﴾[٥].

«وتحذير الناس من سلوك طريقته» ﴿يا أيّها الّذين آمنوا لا تتّبعوا خطوات الشّيطان ومن يتّبع خطوات الشيطان فإنّه يأمر بالفحشاء والمنكر...﴾[٦].

«الحمد لله الذي لبس العزّ والكبرياء» ﴿...فإنّ العزّة لله جميعاً﴾[٧].

«واختارهما لنفسه دون خلقه» في آخر الجاثية: ﴿وله الكبرياء في السّماوات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾[٨].

---

(١) البقرة: ٣٤.

(٢) أمالي الصدوق: ٤٨٦ ح١٢ المجلس ٨٨، وعقاب الأعمال: ٢٦٤ ح٥، والكافي للكليني ٢: ٣٠٨ ح٣.

(٣) عقاب الأعمال للصدوق: ٢٦٣ ح١، والكافي للكليني ٢: ٣٠٨ ح٢ عن النبي صلى الله عليه وآله، والكافي للكليني أيضاً ٢: ٣٠٧ ح١، وعقاب الأعمال للصدوق: ٢٦٣ ح٢ عن الصادق عليه السلام.

(٤) عقاب الأعمال للصدوق: ٢٦٣ ح٣، والكافي للكليني ٢: ٣٠٨ ح٤، ولفظهما: «عصبه الله بعصابة من نار».

(٥) الفتح: ٢٦.

(٦) النور: ٢١.

(٧) النساء: ١٣٩.

(٨) الجاثية: ٣٧.

«وجعلهما حمىً» أي: محظوراً على غيره لا يقربهما أحد.

«وحرماً» أي: حراماً.

«على غيره» حتّى ملائكته وأنبيائه.

«واصطفاهما» أي: اختارهما.

«لجلاله» أي: عظمته.

«وجعل اللّعنة على من نازعه فيهما من عباده» روى الصدوق عن الباقر عليه السلام قال: العزّ رداء الله والكبرياء إزاره، فمن تناول شيئاً منه كبّه الله في جهنّم[١].

«ثمّ اختبر» أي: امتحن.

«بذلك ملائكته المقرّبين» في منزلتهم عنده.

«ليميز» بالتّخفيف والتّشديد.

«المتواضعين منهم من المستكبرين» ﴿ولقد فتنّا الّذين من قبلهم فليعلمنّ الله الّذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين﴾[٢].

«فقال سبحانه» أي: الله المنزّه عن النّقائص.

«وهو العالم بمضمرات القلوب ومحجوبات الغيوب» جملة معترضة بين (فقال) ومقوله ﴿...إنّي خالق بشراً من طين﴾[٣] لدفع توهم أنّ اختباره ليس لعدم عرفانه مثلنا في اختباراتنا لغيرنا، بل ليظهر حاله على الآخرين من نوعه

---

(١) عقاب الأعمال للصدوق: ٢٦٤ ح١، والكافي للكليني ٢: ٣٠٩ ح٣، ٤ عن الباقر عليه السلام، وصحيح مسلم ٤: ٢٠٢٣ ح١٣٦، وسنن ابن ماجه بطريقين ٢: ١٣٩٧ ح٤١٧٤ و ٤١٧٥، ومسند أحمد بأربع طرق ٢: ٣٧٦ و ٤١٤ و ٤٢٧ و ٤٤٢، والمجازات النبوية للشريف الرضي: ٤٤٠ ح٣٥٨، وجمع آخر عن النبي صلى الله عليه وآله وفي الباب عن علي والصادق والكاظم عليهم السلام.

(٢) العنكبوت: ٣.

(٣) ص: ٧١.

﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾[١] ﴿...ألم أقل لكم إنّي أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾[٢].

«﴿...إنّي خالق بشراً من طين* فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين* فسجد الملائكة كلّهم أجمعون* إلّا إبليس...﴾»[٣] باللفظ الذي ذكره عليه السلام في سورة (ص)، وأمّا في سورة الحجر فهكذا ﴿...إنّي خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون* فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين* فسجد الملائكة كلّهم أجمعون* إلّا إبليس...﴾[٤].

وفي (تفسير القمي) مسنداً: سئل أبو عبدالله عليه السلام عمّا ندب الله الخلق إليه أدخل فيه الضّلالة؟ قال: نعم والكافرون دخلوا فيه لأنّ الله تعالى أمر الملائكة بالسّجود لآدم، فدخل في أمره الملائكة وإبليس، فإنّ إبليس كان مع الملائكة في السّماء يعبد الله، وكانت الملائكة تظنّ أنّه منهم، ولم يكن منهم، فلمّا أمر الله الملائكة بالسّجود لآدم اخرج ما كان في قلب إبليس من الحسد، فعلم الملائكة عند ذلك أنّ إبليس لم يكن منهم، فقيل له: فكيف وقع الأمر على إبليس وإنّما أمر الله الملائكة بالسّجود لآدم؟ فقال: كان إبليس منهم بالولاء، ولم يكن من جنس الملائكة، وذلك أنّ الله تعالى خلق خلقاً قبل آدم، وكان إبليس فيهم حاكماً في الأرض، فعتوا وأفسدوا وسفكوا الدّماء، فبعث الله الملائكة، فقتلوهم وأسروا إبليس ورفعوه إلى السّماء، وكان مع الملائكة يعبد الله إلى أن خلق الله آدم عليه السلام[٥].

---

(١) غافر: ١٩.

(٢) البقرة: ٣٣.

(٣) ص: ٧١ ـ ٧٤.

(٤) الحجر: ٢٨ ـ ٣١.

(٥) تفسير القمي ١: ٣٥.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: أنّ الله تعالى أراد أن يخلق خلقاً بيده، وذلك بعدما مضى من الجنّ والنّسناس في الأرض سبعة آلاف سنة. وكان من شأن خلق آدم أن كشط عن أطباق السماوات وقال للملائكة: انظروا إلى الأرض من خلقي من الجنّ والنّسناس ـ فلمّا رأوا ما يعملون فيها من المعاصي وسفك الدماء والفساد في الأرض بغير الحق، عظم ذلك عليهم وغضبوا وتأسفوا على أهل الأرض ولم يملكوا غضبهم. قالوا: ربّنا إنّك أنت العزيز القادر الجبّار القاهر العظيم الشأن، وهذا خلقك الضعيف الذليل يتقلّبون في قبضتك ويعيشون برزقك ويتمتّعون بعافيتك، وهم يعصونك بمثل هذه الذّنوب العظام، لا تأسف عليهم ولا تغضب ولا تنتقم لنفسك لما تسمع منهم وترى، وقد عظم ذلك علينا وأكبرناه فيك. قال: فلمّا سمع ذلك من الملائكة قال: ﴿...إنّي جاعل في الأرض خليفة...﴾[1] يكون حجّة لي في الأرض على خلقي. فقالت الملائكة: سبحانك ﴿...أتجعل فيها من يفسد فيها...﴾[2] كما أفسد بنو الجانّ، ويسفكون الدّماء كما سفك بنو الجانّ، ويتحاسدون ويتباغضون فاجعل ذلك الخليفة منّا فإنّا لا نتحاسد ولا نتباغض، ولا نسفك الدّماء و ﴿...نسبّح بحمدك ونقدّس لك...﴾[3] قال تعالى: ﴿إنّي أعلم ما لا تعلمون﴾[4] إنّي أُريد أن أخلق خلقاً بيدي، وأجعل من ذرّيّته أنبياء ومرسلين، وعباداً صالحين أئمّة مهتدين، وأجعلهم خلفاء على خلقي في أرضي ينهونهم عن معصيتي، وينذرونهم من عذابي، ويهدونهم إلى طاعتي، ويسلكون بهم طريق سبيلي، وأجعلهم لي عليهم حجّة عليهم، وأبيد النّسناس من أرضي وأطهّرها منهم، وأنقل مردة الجن العصاة من بريتي وخلقي وخيرتي وأسكنهم في الهواء في أقطار الأرض فلا يجاورون نسل خلقي واجعل بين

(١ و ٢ و ٣ و ٤) البقرة: ٣٠.

الجن وبين خلقي حجاباً، فلا يرى نسل خلقي الجن، ولايجالسونهم، ولا يخالطونهم، فمن عصاني من نسل خلقي الّذين اصطفيتهم وأسكنهم مساكن العصاة أوردتهم مواردهم ولا أُبالي قال: فقالت الملائكة: يا ربّنا افعل ما شئت ﴿...لا علم لنا إلّا ما علّمتنا إنّك أنت العليم الحكيم﴾[1]... فقال الله تعالى (للملائكة): ﴿...إنّي خالق بشراًمن صلصال من حمأ مسنون* فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾[2].

قال: وكان ذلك من الله تعالى في آدم قبل أن يخلقه، واحتجاجاً منه عليهم... فخلق الله آدم عليه السلام، فبقي أربعين سنة مصوّراً، فكان يمرّ به إبليس اللّعين فيقول: لأمر ما خلقت. فقال العالم عليه السلام، فقال إبليس: لئن أمرني الله بالسجود لهذا لأعصينّه قال: ثمّ نفخ فيه، فلمّا بلغت الرّوح إلى دماغه عطس عطسة جنس منها فقال: الحمد لله. فقال الله تعالى: يرحمك الله. قال الصادق عليه السلام: فسبقت له من الله الرحمة. ثمّ قال تعالى للملائكة: اسجدوا لآدم. فسجدوا له فأخرج إبليس ما كان في قلبه من الحسد فأبى أن يسجد[3].

«اعترضته الحميّة» أي: الأنفة.

«فافتخر على آدم بخلقه وتعصّب عليه لأصله» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: إنّ الملائكة كانوا يحسبون أنّ إبليس منهم، وكان في علم الله أنّه ليس منهم، فاستخرج ما في نفسه بالحميّة والغضب، فقال: ﴿...خلقتني من نار وخلقته من طين﴾[4].

«فعدوّ الله إمام المتعصّبين وسلف المستكبرين» وفي (تفسير القمي): أوّل

(١) البقرة: ٣٢.

(٢) الحجر: ٢٨ ـ ٢٩.

(٣) تفسير القمي ١: ٣٦، وروى حديث علي عليه السلام أيضاً علل الشرائع للصدوق: ١٠٤ ح١.

(٤) الكافي للكليني ٢: ٣٠٨ ح٦، وتفسير العياشي ٢: ٩ ح٥، والآية (١٢) من سورة الأعراف، و(٧٦) من (ص).

من قاس إبليس واستكبر، والاستكبار هو أوّل معصية عصي الله بها[١].

«الّذي وضع أساس العصبية» عن الصادق عليه السلام من تعصّب عصبه الله بعمامة من نار[٢].

«ونازع الله رداء الجبريّة» الّذي مختص به تعالى، والجبرية الكبر والعظمة؛ في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: الكبر قد يكون في شرار الناس من كلّ جنس، والكبر رداء الله فمن نازع الله تعالى رداءه لم يزده الله تعالى إلّا سفالاً؛ إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرّ في بعض طرق المدينة، وسوداء تلقط السرقين، فقيل لها: تنحي عن طريق النبيّ صلى الله عليه وآله فقالت: إنّ الطريق لمعرض. فهمّ بها بعض القوم أن يتناولها. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: دعوها فإنّها جبّارة[٣].

وعنه عليه السلام: إذا خلق الله العبد في أصل الخلقة كافراً لم يمت حتّى يحبّب إليه الشرّ فيقرب منه، فابتلاه بالكبر والجبريّة، فقسا قلبه وساء خلقه، وغلظ وجهه وظهر فحشه، وقلّ حياؤه، وكشف الله ستره، وركب المحارم، فلم ينزع عنها، ثمّ ركب معاصي الله وأبغض طاعته، ووثب على الناس لا يشبع من الخصومات؛ فاسألوا الله العافية واطلبوها منه[٤].

وعنه عليه السلام: أدنى الإلحاد الكبر[٥].

«وادّرع» أي: جعل درعاً له.

«لباس التعزّز» فحسب نفسه عزيزاً.

---

(١) تفسير القمي ١: ٤٢ في صدر حديث، ومضمون: «أول من قاس إبليس» كثير الرواية.

(٢) الكافي للكليني ٢: ٣٠٨ ح٤، وعقاب الأعمال للصدوق: ٢٦٣ ح٣، ولفظهما «بعصابة من نار» ومرّ نقله في أوائل هذا العنوان.

(٣) الكافي للكليني ٢: ٣٠٩ ح٢.

(٤) الكافي للكليني ٢: ٣٣٠ ح٢.

(٥) الكافي للكليني ٢: ٣٠٩ ح١، ومعاني الأخبار للصدوق: ٣٩٤ ح٤٧.

«وخلع قناع التذلّل» لله تعالى عن رأسه ونسي أنّه عبد لله؛ وفي (الصحاح): القناع أوسع من المقنعة. قال عنترة:

إن تغد في دوني القناع فإنّني طبّ بأخذ الفارس المستلئم[١]

«ألا ترون كيف صغّره الله بتكبّره» ﴿قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبّر فيها فاخرج إنّك من الصاغرين﴾[٢].

«ووضعه الله» هكذا في (المصرية)، والصواب: (ووضعه) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٣] ولأنّه لا وجه لتكرار لفظ الجلالة.

«بترفعه» أي: ادعائه الرفعة.

«فجعله في الدّنيا مدحوراً» أي: مطروداً مبعداً؛ قال تعالى: ﴿...اخرج منها مذؤوماً مدحوراً...﴾[٤].

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: ما من عبد إلّا وفي رأسه حكمة، وملك يمسكها، فإذا تكبّر قال له: اتضع وضعك الله. فلا يزال أعظم الناس في نفسه وأصغر الناس في أعين الناس...[٥].

«وأعدّ له في الآخرة سعيراً» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: أنّ في جهنّم لوادياً للمتكبّرين يقال له سقر، فشكا إلى الله شدّة حرّه، وسأله أن يأذن له أن يتنفّس. فتنفّس فأحرق جهنّم[٦].

وعنه عليه السلام: إنّ المتكبّرين يجعلون في صور الذّر يتوطّأهم الناس حتّى

---

(١) صحاح اللغة ٣: ١٢٧٣ مادة (قنع).

(٢) الأعراف: ١٣.

(٣) في شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٢٥، وشرح ابن ميثم ٤: ٢٣٣ «وضعه الله» أيضاً.

(٤) الأعراف: ١٨.

(٥) الكافي للكليني ٢: ٣١٢ ح١٦، وثواب الأعمال للصدوق: ٢١١ ح١، ورواه الفتال في الروضة ٢: ٣٨٢.

(٦) الكافي للكليني ٢: ٣١٠ ح١٠، والمحاسن للبرقي: ١٢٣ ح١٣٨، وعقاب الأعمال للصدوق: ٢٦٥ ح٧.

يفرغ الله من الحساب[١].

«ولو أراد الله» هكذا في (المصرية) وفي (ابن ميثم)[٢]: «ولو أراد سبحانه»، وفي (ابن أبي الحديد والخطيّة)[٣]: «ولو أراد الله سبحانه».

«أن يخلق آدم من نور يخطف» أي: يستلب.

«الأبصار ضياؤه، ويبهر» أي: يغلب.

«العقول» بالنصب.

«رواؤه» بالضم، أي: منظره.

«وطيب يأخذ الأنفاس عرفه» بالفتح، أي: ريحه.

«لفعل» جواب (ولو أراد).

«ولو فعل لظلّت له الأعناق خاضعة» الجملة مأخوذة من قوله تعالى: ﴿إن نشأ ننزّل عليهم من السّماء آية فظلّت أعناقهم لها خاضعين﴾[٤].

«ولخفّت البلوى» أي: الابتلاء والامتحان.

«فيه على الملائكة، ولكنّ الله سبحانه ابتلى خلقه» حتّى الملائكة والأنبياء.

«ببعض ما يجهلون أصله» كما امتحن الملائكة بخلق آدم[٥]، وامتحن موسى عليه السلام بأعمال الخضر[٦].

«تمييزاً» لمؤمنهم عن كافرهم.

---

(١) الكافي للكليني ٢: ٣١١ ح١١، والمحاسن للبرقي: ١٢٣ ح١٣٧، وعقاب الأعمال للصدوق: ٢٦٥ ح٨ و ١٠، ورواه الفتال في الروضة ٢: ٣٨٢.

(٢) لفظ ابن ميثم في شرحه ٤: ٢٣٣ مثل المصرية أيضاً.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٢٦.

(٤) الشعراء: ٤.

(٥) البقرة: ٣٠ ـ ٣٤.

(٦) الكهف: ٦٠ ـ ٨٢.

«بالاختبار لهم» كما تميّز إبليس من الملائكة.

«ونفياً للاستكبار عنهم» في (تفسير القمّي): قال إبليس: يا ربّ اعفني من السجود لآدم، وأنا أعبدك عبادة لم يعبدكها ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل. قال الله تعالى: لا حاجة لي إلى عبادتك، إنّما أُريد أن أُعبد من حيث أُريد، لا من حيث تريد. فأبى أن يسجد. فقال الله تعالى: ﴿...فاخرج منها فإنّك رجيم* وإنّ عليك لعنتي إلى يوم الدين﴾[1].

«وإبعاداً للخيلاء» بالضمّ والكسر، أي: الكبر.

«عنهم».

٤
من الخطبة (١٩٠)

وَلَا تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَى ٱبْنِ أُمِّهِ مِنْ غَيْرِ مَا فَضْلٍ جَعَلَهُ ٱللّٰهُ فِيهِ سِوَى مَا أَلْحَقَتِ ٱلْعَظَمَةُ بِنَفْسِهِ مِنْ عَدَاوَةِ ٱلْحَسَدِ، وَقَدَحَتِ ٱلْحَمِيَّةُ فِي قَلْبِهِ مِنْ نَارِ ٱلْغَضَبِ، وَنَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي أَنْفِهِ مِنْ رِيحِ ٱلْكِبْرِ الَّذِي أَعْقَبَهُ ٱللّٰهُ بِهِ النَّدَامَةَ، وَأَلْزَمَهُ آثَامَ ٱلْقَاتِلِينَ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ.

أقول: نقلناه هنا، وإن كان بفصل ذمائم الصفات ألصق؛ لأنّه تضمّن حكم ابنيّ آدم فجعلناه كالتتميم للفصل.

«ولا تكونوا كالمتكبّر» والأصل: كالأخ المتكبر، والمراد قابيل.

«على ابن أُمّه» والمراد هابيل؛ قال معقل بن عيسى لأخيه أبي دلف في عتب عتبه عليه:

أخي ما لك مجبولاً على تِرتي   كأنّ أجسادنا لم تغذ من جسد

قال ابن أبي الحديد: نهاهم أن يكونوا كقابيل الّذي حسد أخاه هابيل

---

(١) تفسير القمي ١: ٤٢، والآية ٧٧ ـ ٧٨ من سورة (ص).

فقتله، وهما أخوان لأب وأمّ، وإنّما قال عليه السلام «ابن أمّه» فذكر الأمّ دون الأب، لأنّ الأخوين من الأمّ أشدّ حنواً ومحبّة والتصاقاً من الأخوين من الأب[١]، وتبعه الخوئي[٢]، وقال ابن ميثم: قال الثعلبي: إنّما أضافه إلى الأمّ دون الأب لأنّ الولد في الحقيقة من الأمّ، أي: الولد بالفعل. فإنّ النطفة في الحقيقة ليست ولداً بل جزء مادي[٣].

قلت: الصواب هنا أن يقال: نكتة تعبيره عليه السلام بابن الأمّ أنّ الأخوين من الأب قد يتكبّر أحدهما على الآخر بأمّه إذا كانت أمّه حرّة وأمّ أخيه أمة، أو أمّه شريفة وأم أخيه وضيعة، وأمّا إذا كانا من أمّ واحدة ـ والفرض وحدة أبيهما ـ فتكبّره عليه كالتكبّر على نفسه، فيكون حاله حال من قال:

أتيه على إنس البلاد وجنّها
ولو لم أجد خلقاً لتهت على نفسي

أتيه فلا أدري من التّيه من أنا
سوى ما يقول الناس فيّ وفي جنسي

فإن صدقوا أنّي من الإنس مثلهم
فما فيّ عيب غير أنّي من الإنس

وإنّما قالوا في قوله تعالى حكاية عن هارون لموسى: ﴿...يابن أمّ لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي...﴾[٤]: نكتة التعبير بابن أمّ لكونه أشد حنواً، كما أنّ النكتة في شكايته عليه السلام من قريش في قوله عليه السلام: «وسلبوني سلطان ابن

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٣١.

(٢) شرح الخوئي ٥: ٢٤٤.

(٣) شرح ابن ميثم ٤: ٢٥٨.

(٤) طه: ٩٤.

أمّي»[١] أحقيّته عليه السلام بمقامه صلى الله عليه وآله من كلّ أحد حتّى عمّه العبّاس، لأنّ الميراث يكون للأخ للأب والأمّ دون الأخ للأب فقط، وكان أبوه عليه السلام وأبو النبيّ صلى الله عليه وآله من أُمّ واحدة دون العبّاس.

وأمّا ما قاله ابن ميثم ففي غاية السقوط، فإنّ من الواضحات شرعاً وعرفاً كون الولد في الانسان مال الأب، وكون الأمّ وعاء، حتّى إنّ تعالى قال: ﴿...وعلى المولود له رزقهنّ...﴾[٢]، وإنّما في الحيوان الولد تابع للأُمّ لأنّه في الحقيقة منها، والنطفة جزء مادّي، وأيضاً لو كان ما ذكره صحيحاً للزم أن يكون: إذا ولد رجلان من امرأة واحدة وأبو أحدهما ملك الملوك، وأبو الآخر عبد العبيد، عدم صحّة تفاخر الأوّل على الثاني بأبيه، وأمّا ما قاله ابن أبي الحديد فتخليط.

«من غير ما فضل» أي: من غير فضل، و (ما) لتأكيد الكلام، مثل (ما) في ﴿فبما رحمة من الله...﴾[٣].

وفي قول الشاعر:

أعلاقة أُمّ الوليد بعدما ... أفنان رأسك كالثغام المخلس[٤]

وفي قوله:

وننصر مولانا ونعلم أنّه ... كما الناس مجروم عليه وجارم[٥]

«جعله الله فيه سوى ما ألحقت العظمة بنفسه من عداوة الحسد» بمعنى: أنّ المتكبّر على ابن أُمّه إذا كان لفضل فيه دون ابن أُمّه يقبل ويعقل، وأمّا بدونه

---

(١) نهج البلاغة للشريف الرضي ٣: ٦١، الكتاب ٣٦ ضمن كتاب علي عليه السلام إلى أخيه عقيل.

(٢) البقرة: ٢٣٣.

(٣) آل عمران: ١٥٩.

(٤) شرح شواهد المغني ٢: ٧٢٢، والشاعر: المرار الفقعسي.

(٥) شواهد المغني ١: ٥٠٠، والشاعر: عمرو بن براقة الهمداني.

سوى مجرّد الحسد فسفه، ولا سيّما إذا كان أخوه أفضل، كما في ابني آدم.

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: أُصول الكفر ثلاثة: الحرص والاستكبار والحسد. فأمّا الحرص فإنّ آدم حين نهي عن الشجرة حمله الحرص على أن أكل منها. وأمّا الاستكبار، فإبليس حيث أُمِرَ بالسجود لآدم فأبى. وأمّا الحسد فابنا آدم حيث قتل أحدهما صاحبه[١].

«وقدحت» من: قدحت النار، إذا أوقدتها.

«الحميّة في قلبه من نار الغضب» في (الخصال) عن الصادق عليه السلام: الغضب مفتاح كلّ شرّ[٢].

وعنه: قال الحواريون لعيسى: يا معلّم الخير أعلمنا أيّ الأشياء أشدّ؟ قال: أشدّ الأشياء غضب الله تعالى. قالوا: فبِمَ يتّقى غضب الله؟ قال: بأن لا تغضبوا. قالوا: وما بدء الغضب؟ قال: الكبر والتجبّر ومحقرة النّاس[٣].

«ونفخ الشيطان في أنفه من ريح الكبر» الكلام استعارة، ويمكن أن يكون حقيقة، ونظيره ما عن الصادق عليه السلام: أنّ العبد يوقظ ثلاث مرّات من اللّيل، فإن لم يقم أتاه الشيطان، فبال في أُذنه[٤].

وكيف كان، قال عليه السلام هذه الكلمة هنا عموماً، وقالها في طلحة خصوصاً،

---

(١) الكافي للكليني ٢: ٢٨٩ ح١، والخصال للصدوق: ٩٠ ح٢٨، وأماليه: ٣٤١ ح٧، المجلس ٦٥، وروى صدره الفتال في الروضة ٢: ٣٨١.

(٢) الخصال للصدوق: ٧ ح٢٢ باب الواحد، والكافي للكليني ٢: ٣٠٣ ح٣، والزهد للأهوازي: ٢٧ ح٦١، ورواه الفتال في الروضة ٢: ٣٧٩، والورام في التنبيه ١: ١٢٢، والشعيري في جامع الأخبار: ١٦٠.

(٣) الخصال للصدوق: ٦ ح١٧ باب الواحد، ورواه الفتال في الروضة ٢: ٣٧٩، والمجلسي عن كتاب الغايات في بحار الأنوار ٧٣: ٢٦٣ ح٥.

(٤) أخرجه البرقي بطريقين في المحاسن: ٨٦ ح٢٤ و ٢٥، ورواه الفتال في الروضة ٢: ٣٢١، عن الصادق عليه السلام، وأخرجه البرقي في المحاسن: ٨٦ ح٢٤، والفتال بطريقين في الروضة ٢: ٣٢١ عن الباقر عليه السلام، وفي الباب طرق كثيرة عن النبي صلى الله عليه وآله، والنقل بالمعنى.

فرووا أنّه عليه السلام وقف على طلحة يوم الجمل وهو صريع، وقال له ـ في كلام ـ: «ولكن الشيطان نفخ في أنفه»[١].

«الّذي» وصف للمتكبّر على ابن أُمّه، أي: قابيل.

«أعقبه الله به الندامة وألزمه آثام القاتلين إلى يوم القيامة» إشارة إلى قوله تعالى في قابيل وهابيل: ﴿واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحقّ إذ قرّبا قرباناً فتُقبّل من أحدهما ولم يُتقبّل من الآخر قال لأقتلنّك قال إنّما يتقبّل الله من المتّقين* لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إنّي أخاف الله ربّ العالمين* إنّي أُريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين* فطوّعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين﴾[٢].

وقلنا: إنّ المراد بابنَي آدم في الآية هابيل وقابيل، ولكن روى الطبري عن الحسن البصري قال: كان الرجلان اللّذان في القرآن وقال الله تعالى فيهما ﴿واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق...﴾[٣] من بني إسرائيل ولم يكونا ابنيَ آدم لصلبه، وإنّما كان القربان في بني إسرائيل وكان آدم أوّل من مات.

ثمّ ردّه الطبري بما روى عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: ما من نفس تقتل ظلماً إلّا كان عن ابن آدم الأول كفل منها، وذلك لأنّه أوّل من سنّ القتل[٤].

قلت: وأوضح منه في ردّه قوله تعالى بعدما مرّ ﴿فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل

---

(١) الاحتجاج للطبرسي: ١٦٣، بلفظ «لكن الشيطان دخل في منخريك فأوردك النار»، وروى المفيد في الجمل: ٢٠٩، نحوه في الزبير.

(٢) المائدة: ٢٧ ـ ٣٠.

(٣) المائدة: ٢٧.

(٤) رواه الطبري في تاريخه ١: ٩٦ ـ ٩٧، اما حديث الحسن فأخرجه أيضاً عبد بن حميد في مسنده عنه الدرّ المنثور ٢: ٢٧٣، واما الحديث النبوي فأخرجه عدّة جمع بعض طرقه السيوطي في الدرّ المنثور ٢: ٢٧٦.

هذا الغراب فأُواري سوأة أخي فأصبح من النادمين﴾[1] فلو كانا من بني اسرائيل لم يحتج القاتل إلى أن يرى غراباً، لإنّ الدفن في الأرض كان أمراً شائعاً من أوّل الدّنيا، وأمّا الخبر فحيث لم يكن قطعيّ السّند، يمكن الخصم ردّه.

ولعل الحسن توهمه من قوله تعالى بعد: ﴿من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل انّه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنّما قتل الناس جميعاً...﴾[2] إلّا أنّه كما ترى.

ونقل الطبري في سبب قتل قابيل لهابيل أقوالاً؛ منها: أنّه لم تكن التوأمة محرّمة، فقرّب قابيل وهابيل قرباناً أيّهما أحقّ بتوأمة قابيل التي كانت أحسن من توأمة هابيل، وروى في ذلك خبراً عن السّدي عن جمع؛ ومنها: أنّ السبب كان مجرّد قبول فدية هابيل دونه، وروى عن عبد الله بن عمر قال: إنّ ابني آدم اللّذين ﴿قرّبا قرباناً فتقبّل من أحدهما ولم يتقبّل من الآخر﴾[3] كان أحدهما صاحب حرث، والآخر صاحب غنم، وأنّهم أُمرا أن يقرّبا قرباناً، وأنّ صاحب الغنم قرّب أكرم غنمه وأسمنها وأحسنها طيبة بها نفسه، وأنّ صاحب الحرث قرّب شرّ حرثه الكوذر والزوان غير طيبة بها نفسه، وأنّ الله تعالى تقبّل قربان صاحب الغنم، ولم يتقبّل قربان صاحب الحرث. وروى عن ابن عبّاس قال: كان من شأنهما أنّه لم يكن مسكين يتصدّق عليه، وإنّما كان القربان يقرّبه الرجل فبينا ابنا آدم قاعدان إذ قالا: لو قرّبنا قرباناً. وكان الرجل إذا قرّب قرباناً فرضيه تعالى أرسل إليه ناراً فأكلته، وإن لم يكن رضيه الله خبت النار، فقرّبا قرباناً، وكان أحدهما راعياً والآخر حرّاثاً... فنزلت فأكلت الشاة وتركت الزرع،

(١ و ٢) المائدة: ٣١ ـ ٣٢.

(٣) المائدة: ٢٧.

وان ابن آدم قال لأخيه: أتمشي في الناس وقد علموا أنّك قرّبت قرباناً فتقبّل منك، ورُدّ عليّ قرباني، فلا والله لا ينظر الناس إليّ وإليك وأنت خير منّي، فقال: لأقتلنّك. فقال له أخوه: ما ذنبي ﴿إنّما يتقبّل الله من المتّقين﴾[1].

قلت: الصواب القول الأخير، وفي (عرائس الثعلبي) ـ بعد ذكر تزويج قابيل وهابيل من رواياتهم ـ وقال معاوية بن عمّار: سألت جعفراً الصادق أكان آدم زوّج ابنته من ابنه؟ فقال: معاذ الله! لو فعل ذلك آدم لما رغب عنه النبي صلى الله عليه وآله ولا كان دين آدم إلّا دين نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله... فلمّا أدرك قابيل أظهر الله تعالى جنّية من الجنّ يقال لها: عمالة في صورة إنسية، وخلق لها رحماً، وأوحى الله إلى آدم أن زوّجها من قابيل. فزوّجها منه، فلمّا أدرك هابيل أهبط الله إلى آدم حوراء في صورة إنسية، وخلق لها رحماً، وكان اسمها تركة، فلمّا نظر إليها هابيل ورمقها، أوحى الله إلى آدم أن زوّجها من هابيل ففعل. فقال قابيل: يا أبت ألست أكبر من أخي وأحقّ بما فعلت به منه؟ فقال: يا بني ﴿إنّ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء﴾[2]. فقال: لا ولكنّك آثرته عليّ بهواك. فقال له: إن كنت تريد أن تعلم ذلك فقرّبا قرباناً فأيّكما يقبل قربانه فهو أولى بها من صاحبه...[3]

وروى (توحيد الصدوق) عن الاصبغ عن أمير المؤمنين عليه السلام: لمّا قال على المنبر في أوّل خلافته: سلوني قبل أن تفقدوني، قام إليه الأشعث بن قيس فقال: يا أمير المؤمنين! كيف يؤخذ من المجوس الجزية ولم ينزل عليهم كتاب، ولم يبعث إليهم نبي؟ قال: بلى يا أشعث قد أنزل الله عليهم كتاباً وبعث

---

(١) تاريخ الطبري ١: ٩٢ ـ ٩٦، والآية ٢٧ من سورة المائدة.

(٢) الحديد: ٢٩.

(٣) العرائس للثعالبي: ٤٤.

إليهم رسولاً، حتّى كان لهم ملك سكر ذات ليلة فدعا بابنته إلى فراشه فارتكبها، فلمّا أصبح تسامع به قومه فاجتمعوا إلى بابه، فقالوا: أيّها الملك دنّست علينا ديننا وأهلكته فاخرج نطهّرك ونقم عليك الحدّ. فقال لهم: اجتمعوا واسمعوا كلامي فإن يكن لي مخرج ممّا ارتكبت وإلّا فشأنكم. فاجتمعوا فقال لهم: هل علمتم أنّ الله تعالى لم يخلق خلقاً أكرم عليه من أبينا آدم وأُمّنا حوّاء؟ قالوا: صدقت أيّها الملك. قال: أفليس قد زوّج بنيه من بناته، وبناته من بنيه؟ قالوا: صدقت هذا هو الدين. فتعاقدوا على ذلك، فمحا الله ما في صدورهم من العلم، ورفع عنهم الكتاب، فهم الكفرة يدخلون النار بلا حساب، والمنافقون أشدّ حالاً منهم. فقال الأشعث: والله ما سمعت بمثل هذا الجواب، والله لا عدت إلى مثلها أبداً[١].

وروى (تفسير العيّاشي) عن سليمان بن خالد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام جعلت فداك، إنّ الناس يزعمون أنّ آدم زوّج ابنته من ابنه؟ فقال: أما علمت أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: لو علمت أنّ آدم زوّج ابنته من ابنه لزوّجت زينب من القاسم، وما كنت لأرغب عن دين آدم. فقلت: إنّهم يزعمون أنّ قابيل إنّما قتل هابيل لأنّهما تغايرا على أُختهما؟ فقال: أما تستحيي أن تروي هذا على نبيّ الله آدم؟ فقلت: ففيم قتل قابيل هابيل؟ قال: في الوصية أنّ الله أوحى إلى آدم أن يدفع الوصية واسم الله الأعظم إلى هابيل، وكان قابيل أكبر منه، فغضب فقال: أنا أولى بالوصية. فأمرهما أن يقرّبا قرباناً ففعلا، فقبل الله قربان هابيل فحسده قابيل، فقتله. فقلت: فممن تناسل ولد آدم هل كانت أُنثى غير حواء، وهل كان ذكر غير آدم عليه السلام؟ فقال: لمّا أدرك قابيل أظهر الله له جنيّة وأوحى إلى آدم أن يزوّجها من قابيل، ففعل ذلك آدم ورضي بها قابيل، فلمّا أدرك

---

(١) التوحيد للصدوق: ٣٠٦ ح ١.

هابيل أظهر الله له حوراء وأوحى إلى آدم أن يزوّجها من هابيل، فقتل هابيل والحوراء حاملة، فولدت غلاماً فسمّاه آدم هبة الله، فأوحى إلى آدم أن ادفع الوصية واسم الله الأعظم، وولدت حواء غلاماً فسمّاه آدم شيثاً، فلمّا أدرك أهبط تعالى له حوراء وأوحى إلى آدم أن يزوّجها من شيث، فولدت جارية فسمّاها آدم حورة، فلمّا أدركت زوّج آدم بنت شيث من هبة الله بن هابيل، فنسل آدم منهما، فمات هبة الله، فأوحى إلى آدم أن ادفع الوصية واسم الله الأعظم إلى شيث[١].

وفي (الفقيه) روى زرارة عن الصادق عليه السلام: أنّ آدم ولد له شيث وأنّ اسمه هبة الله، وهو أوّل وصي أُوصي إليه من الآدميّين في الأرض، ثمّ ولد له بعد شيث يافث، فلمّا أدركا أراد الله تعالى أن يبلغ بالنّسل ما ترون، وأن يكون ما قد جرى به القلم من تحريم ما حرّم الله عزوجل من الأخوات على الإخوة، أنزل بعد العصر في يوم الخميس حوراء من الجنّة اسمها نزلة، فأمر الله عزّوجلّ آدم أن يزوّجها من شيث فزوّجها منه، ثمّ أنزل بعد العصر من الغد حوراء من الجنة واسمها منزلة، فأمر الله عزّوجلّ آدم أن يزوّجها من يافث فزوّجها منه فولد لشيث غلام، وولدت ليافث جارية، فأمر الله تعالى آدم ـ حين أدركا ـ أن يزوّج ابنة يافث من ابن شيث، ففعل، فولد الصفوة من النّبيين والمرسلين من نسلهما، ومعاذ الله أن يكون ذلك على ما قالوا من الإخوة والأخوات[٢].

وروى القاسم بن عروة عن بريد العجلي عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله تعالى أنزل على آدم حوراء من الجنّة فزوّجها أحد ابنيه، وتزوّج الآخر ابنة

---

(١) تفسير العياشي ١: ٣١٢ ح٨٣ والنقل بالتلخيص.

(٢) الفقيه للصدوق ٣: ٢٤٠ ح٤، وقد مرّ في آخر العنوان ١ من هذا الفصل.

الجان، فما كان في الناس من جمال كثير أو حسن خلق فهو من الحوراء، وما كان فيهم من سوء خلق فهو من ابنة الجان[١].

هذا، وروى المسعودي في (إثباته) خطبة عن أمير المؤمنين عليه السلام في محالّ نور النبي صلى الله عليه وآله، وفي تلك الخطبة: «فأيّ بشر كان مثل آدم في ما سبقت به الأخبار، وعرّفتنا كتبك في عطاياك، أسجدت له ملائكتك، وعرّفته ما حجبت عنهم من علمك إذ تناهت به قدرتك، وتمّت فيه مشيئتك، دعاك بما أكننت فيه، فأجبته إجابة القبول»...[٢]

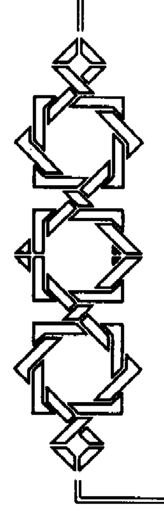
(١) الفقيه للصدوق ٣: ٢٤٠ ح٥.

(٢) إثبات الوصية للمسعودي: ١٠٦.



الفصل الخامس

في النبوّة العامّة





١
من الخطبة (١)

وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وَعَلى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللّهِ إِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا حَقَّهُ، وَاتَّخَذُوا الأَنْدَادَ مَعَهُ، وَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ، فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ، لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ، وَيُرُوهُمُ الآيَاتِ الْمُقَدَّرَةَ: مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ، وَآجَالٍ تُفْنِيهِمْ، وَأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ، وَأَحْدَاثٍ تَتَتَابَعُ عَلَيْهِمْ.

وَلَمْ يُخْلِ اللّهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّةٍ لاَزِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ، رُسُلٌ لاَ تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، وَلاَ كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ، مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ، أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُ مَنْ قَبْلَه.

«واصطفى» أي: اختار.

«سبحانه» أي: المنزّه من كلّ نقص.

«من ولده» أي: من ولد آدم.

«أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم» في (إثبات المسعودي): أوحى الله تعالى إلى آدم ـ بعد قتل قابيل لهابيل ـ: إنّي أهب لك مكانه غلاماً اجعله خليفتك، ووارث علمك. فولد له شيث وهو هبة الله، فأوحى الله إليه أن سمّه في اليوم السابع. فجرت سنة. فلمّا شبّ وكبر، أوحى الله تعالى إليه أنّي متوفّيك ورافعك إليّ يوم كذا وكذا، فأوصِ إلى خير ولدك (هبة الله) وسلّم إليه الاسم الأعظم، واجعل العلم في تابوت، وسلّمه إليه، فإنّي آليت ألّا أُخلي أرضي من عالم أجعله حجّة لي على خلقي. فجمع آدم ولده الرجال والنساء، ثمّ قال: يا ولدي إنّ الله تعالى أوحى إليّ أنّه رافعي إليه، وأمرني أن أُوصي إلى خير ولدي هبة الله، فإنّ الله قد اختاره لي ولكم من بعدي، فاسمعوا له وأطيعوا أمره، فإنّه وصيي وخليفتي. فقالوا: سمعنا وأطعنا. فأمر بتابوت فعمل، وجعل فيه العلم والأسماء والوصية، ثمّ دفعه إلى هبة الله، وقال له: انظر يا هبة الله، فإذا أنا متّ فغسّلني وكفّنّي وصلّ عليّ، وأدخلني حفرتي في تابوت تتّخذه لي، فإذا حضرت وفاتك، وأحسست بذلك من نفسك فأوصِ إلى خير ولدك، فإنّ الله لا يدع الخلق بغير حجّة عالم منّا أهل البيت، وقد جعلتك حجّة الله على خلقه، فلا تخرج من الدّنيا حتى تدع لله حجّة ووصيّاً من بعدك على خلقه، وتسلّم إليه التابوت وما فيه كما سلّمته إليك، وأعلمه أنّه سيكون نبيّ واسمه نوح.

... ومضى هبة الله واستخلف ريسان ـ وعدّ بعده قينان، ثمّ الحيلث، ثمّ غنيمشا، ثمّ إدريس ـ وقال: هو هرمس وهو أُخنوخ، بأمر الله تعالى، وجمع الله له علم الماضين، وزاده ثلاثين صحيفة.

ثمّ عدّ بعده: برداً، ثمّ اخنوخ، ثمّ متوشلخ، ثمّ لمك، ثمّ نوح، ثمّ سام، ثمّ ارفخشد، ثمّ شالح، ثمّ هود، ثمّ فالغ، ثمّ يروغ، ثمّ نوشا، ثمّ صاروغ، ثمّ تاجور، ثمّ تارخ، ثمّ إبراهيم، ثمّ إسماعيل، ثمّ إسحاق، ثمّ يعقوب، ثمّ يوسف، ثمّ ببرز بن لاوي، ثمّ أحرب، ثمّ ميتاح، ثمّ عاق، ثمّ خيام، ثمّ مادوم، ثمّ شعيب، ثمّ موسى، ثمّ يوشع بن نون، ثمّ فينحاس، ثمّ بشير، ثمّ جبرئيل، ثمّ أبلث، ثمّ أحمر، ثمّ محتان، ثمّ عوق، ثمّ طالوت، ثمّ داود، ثمّ سليمان، ثمّ آصف بن برخيا، ثمّ صفورا، ثمّ منبه، ثمّ هندوا، ثمّ أسفر، ثمّ رامن، ثمّ إسحاق، ثمّ ايم، ثمّ زكريا، ثمّ اليسابغ، ثمّ روبيل، ثمّ عيسى، ثمّ شمعون، ثمّ يحيى، ثمّ منذر بن شمعون، ثمّ دانيال، ثم مكيخال بن دانيال، ثمّ انشوا، ثمّ رشيخا، ثمّ نسطورس، ثمّ مرعيد، ثمّ بحيرا، ثمّ منذر، ثمّ سلمة، ثمّ برزة، ثمّ ابي، ثمّ دوس، ثمّ اسيد، ثمّ هوف، ثمّ يحيى، ثمّ نبيّنا خاتم الأنبياء صلّى الله عليه وعليهم أجمعين[١].

«وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم» قال تعالى: ﴿ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربّهم...﴾[٢].

«لمّا بدّل أكثر خلقه عهد الله» إظهاراً لجلاله مع كون المقام مقام الإضمار كقول السلطان: السلطان يأمرك بكذا.

«إليهم» قال الخوئي: يعني عهده المأخوذ عليهم في الذّر، كما في آية ﴿وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيّتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم...﴾[٣]، والأخبار المتواترة[٤].

---

(١) إثبات الوصية: ١٣ ـ ٧٦، والنقل بتقطيع كثير.

(٢) الجن: ٢٨.

(٣) شرح الخوئي ١: ١٨٢، والنقل بالمعنى، والآية ٧٢ من سورة الأعراف.

(٤) أخرجه عدّة كثير جمع بعض طرقه السيوطي في الدرّ المنثور ٣: ١٤١ ـ ١٤٥، والمجلسي في بحار الأنوار ٥: ٢٢٥

قلت: بل الظاهر أنّ المراد عهده المأخوذ عليهم بتوسط رسله في الظاهر، كما في آية ﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألّا تعبدوا الشيطان...﴾[١]؛ قال تعالى: ﴿ولقد ضل قبلهم أكثر الأوّلين* ولقد أرسلنا فيهم منذرين﴾[٢]، ﴿...وهمّت كلّ أُمّة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق...﴾[٣].

«فجهلوا حقّه» و ﴿ما قدروا الله حقّ قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه...﴾[٤].

«واتّخذوا الأنداد» أي: الأمثال.

«معه»، ﴿قل أإنكم لتكفرون بالّذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً...﴾[٥].

«واجتالتهم الشّياطين عن معرفته» قال الجزري: أي استخفتهم فجالوا معهم في الضّلال. يقال: جال واجتال، إذا ذهب وجاء، ومنه الجولان في الحرب، واجتال الشّيء: إذا ذهب به وساقه، والجائل الزائل عن مكانه، وروي بالحاء المهملة، أي: نقلتهم من حال إلى حال[٦].

وقال ابن أبي الحديد: اجتال فلان فلاناً، واجتاله عن كذا وعلى كذا، أي: أداره عليه، كأنّه يصرفه تارة هكذا، وتارة هكذا، يحسن له فعله، ويغريه به.

الباب ١٠ يبلغ الطرق عندي إلى النبيﷺ (٤٨) طريقاً وإلى الأئمة (٣٩) طريقاً وإلى الصحابة والتابعين (٥٧) طريقاً، وسيجيء أقوال العلماء فيها في هذا العنوان.

(١) يس: ٦٠.

(٢) الصافات: ٧١ ـ ٧٢.

(٣) غافر: ٥.

(٤) الزمر: ٦٧.

(٥) فصّلت: ٩.

(٦) هذا تلفيق كلام ابن الأثير في النهاية ١: ٣٧١ مادة (جول)، وفيه ١: ٤٦٣ مادة (حول).

وقال الراوندي: اجتالتهم: عدلت بهم، وليس بشيء[١].

قلت: بل قوله ليس بشيء، لعدم ذكره في لغة، وقول الرّاوندي صحيح، ففي (القاموس): اجتالهم: حوّلهم عن قصدهم[٢].

«واقتطعتهم» أي: قطعتهم، والتعبير بالاقتطاع للدّلالة على أنّ قطعه لهم كان موافق هواهم.

«عن عبادته» وطاعته.

«فبعث فيهم رسله» قال ابن أبي الحديد: قال الرّاوندي: بُعث يونس قبل نوح. قال: وهذا خلاف إجماع المفسّرين[٣].

قلت: لم أقف فيه على ما قاله.

«وواتر إليهم أنبياءه» قال ابن أبي الحديد: أي بعثهم، وبين كلّ نبيين عليهم السلام فترة[٤]. وقال: وهذا ممّا تغلط فيه العامّة، فتظنّه كما ظنّ الراوندي أنّ المراد به المرادفة والمتابعة[٥].

قلت: أيّ شيء أنكر من قول الرّاوندي من أنّ المراد من الجملة: المرادفة والمتابعة، وقد قال تعالى: ﴿ثمّ أرسلنا رسلنا تترى كلّما جاء أُمّة رسولها كذّبوه فأتبعنا بعضهم بعضاً...﴾[٦] وقد كان أنبياؤه تعالى لم يكن لهم انقطاع، كلّما مضى سلف منهم، قام بأمر الله تعالى خلف، كما تواتر به الخبر[٧]، وقد

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٧.

(٢) القاموس المحيط ٣: ٣٥٢ مادة (جول).

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٨.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٧.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المؤمنون: ٤٤.

(٧) الأحاديث في هذا المعنى كثيرة، جمع بعض طرقه المجلسي في بحار الأنوار ٢٣: الباب ١، و ٢٣: ٥٧ الباب ٢.

قال عليه السلام، كما يأتي بعد: «ولم يخل سبحانه خلقه من نبيّ مرسل أو كتاب منزل»[١].

وإنّ ابن أبي الحديد (صحاح) الجوهري قبلته، يتّبعه في كلّ غثّ وسمين، وقد قال: «والمواترة: المتابعة»[٢] وإنّما قال بعد «ولا تكون المواترة بين الأشياء إلّا إذا وقعت بينها فترة، وإلّا فهي مداركة ومواصلة»[٣] مع أنّ ما ذكره أخيراً لم يعلم صحته، فيكفي في صدق المواترة عدم كون بعثهم معاً، وإن كان الآخر متّصلاً بالأوّل، لعدم جواز إبقائه الأرض بغير حجّة.

قال الجزري: إنّ في الحديث: (ألّف جمعهم وأوتر بين ميرهم)، أي: لا تقطع الميرة عنهم، واجعلها تصل إليهم مرّة بعد مرّة[٤].

وإنّما حصلت بين عيسى عليه السلام، ونبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم فترة من الرّسل، لأنّه كان له أوصياء، كما لم تنقطع الحجّة بعد نبيّنا بأوصيائه صلوات الله عليهم.

هذا، وكما أنّ إثبات الصانع في مقابل الدهريين المنكرين لصانع العالم، وإثبات التوحيد في مقابل الثنويين والمشركين المقرّين بأصل الصانع دون توحيده، كذلك أصل النبوّة العامّة هنا في مقابل البراهمة القائلين بعدم جواز بعثة الله تعالى للرّسل وإثبات وجوبها في مقابل فرق من السّنّة.

أمّا الأوّلون وهم البراهمة، فقالوا: لا يخلو أمر الرّسول من حالين: إمّا أن يأتي بما يدلّ عليه العقل أو بخلافه. فإن أتى بما في العقل كان من كمل عقله غنيّاً عنه، لأن الّذي يأتيه به مستقر عنده، موجود في عقله؛ وإن أتى بخلاف ما في العقل، فالواجب ردّ ما يأتي به، لأنّ الله تعالى إنّما خلق العقول للعباد

---

(١) يأتي في تكملة هذا العنوان.

(٢) صحاح اللغة ٢: ٨٤٣ مادة (وتر).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) النهاية لابن الأثير ٥: ١٤٨ مادة (وتر).

ليستحسنوا بها ما استحسنت، ويقرّوا بما أقرّت، وينكروا ما أنكرت.

وأجاب أهل الحقّ عن شبهتهم : بأنّ الرّسول لا يأتي أبداً بما يخالف العقول، غير أنّ الأُمور في العقل على ثلاثة أقسام: واجب، وممتنع، وجائز.

فالواجب في العقل يأتي السّمع بإيجابه تأكيداً له عند من علمه، وتنبيهاً عليه عند من لم يعلمه.

والجائز يمكن في العقل حسنه تارة وقبحه أُخرى.

ومن الأُمور التي لا يصل العقل فيها إلى القطع العلمُ بأدوية الاعلال ومواضعها وطبائعها وخواصّها، ومقادير ما يحتاج إليها وأوزانها، فهذا ممّا لا سبيل للعقل فيه إلى حقيقة العلم، وليس يمكن امتحان كلّ ما في البرّ والبحر، ولا تحسن التجربة والسبر، لما فيهما من الخطر المستقبح في العقل الاقدام عليه، فعلم أنّ هذا ممّا لا غناء فيه عن طارق السّمع.

قالوا: وبعد فإنّ شكر المنعم عندنا، وعند البراهمة ممّا هو واجب في العقل، وليس في وجوبه ووجوب تعظيم مبدأ النعمة بيننا خلاف، وشكر الله وتعظيمه أوجب ما يلزمنا لعظيم أياديه لدينا، وإحسانه إلينا، ولسنا نعلم بمبلغ عقولنا أيّ نوع يريده من تعظيمه منّا وشكره، فلابد أن يرسل إلينا رسلاً يعرّفنا ما يريده منّا[١].

وأمّا الأخيرون، فقال المفيد: اتّفقت الإمامية على أنّ العقل يحتاج في علمه ونتائجه إلى السّمع، وأنّه غير منفكّ عن سمع ينبّه الغافل على كيفية الاستدلال، وأنّه لابد في أوّل التكليف، وابتدائه في العالم من رسول، ووافقهم في ذلك أصحاب الحديث، وأجمعت المعتزلة والخوارج والزيدية على خلاف

---

(١) الإشكال والجواب أوردهما بطولهما الكراجكيْ في كنز الفوائد: ١٠١، وأما قول البراهمة في النبوّة، فنقله الشهرستاني في الملل والنحل ٢: ٢٥٨، والطوسي في تمهيد الأُصول: ٣١٤، والاقتصاد: ١٥٢، وغيرهما.

ذلك، وزعموا أنّ العقول بمجردها من السمع والتوقيف، إلّا أنّ البغداديين من المعتزلة خاصّة يوجبون الرّسالة في أوّل التكليف، ويخالفون الإمامية في علّتهم لذلك، ويثبتون عللاً يصحّحها الإمامية، ويضيفونها إلى علّتهم في ما وصفناه[١].

ولكن في (شرح تجريد العلّامة): قالت الأشاعرة بعدم وجوب النبوّة[٢]، وكيف كان فقد نبّه عليه السلام على خمسة من أدلّة وجوب الرسالة:

الأوّل: «ليستأدوهم ميثاق» أي: عهد.

«فطرته» التي فطرهم عليها؛ قال تعالى: ﴿...فطرة الله التي فطر الناس عليها...﴾[٣]، وقال عزّوجلّ: ﴿وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيّتهم وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربّكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنّا كنّا عن هذا غافلين﴾[٤].

وقد اختلف في معنى أخذ الميثاق من الناس؛ فقال المرتضى: لمّا خلقهم وركّبهم تركيباً يدلّ على معرفته، ويشهد بقدرته، ووجوب عبادته، وأراهم العبر والآيات والدلائل في أنفسهم وفي غيرهم، كان بمنزلة المُشْهِد لهم على أنفسهم، وكانوا في مشاهدة ذلك ومعرفته وظهوره على الوجه الذي أراده الله تعالى وتعذّر امتناعهم منه وانفكاكهم من دلالته، بمنزلة المقرّ المعترف، وإن لم يكن هناك إشهاد ولا اعتراف على الحقيقة[٥].

وقال المفيد في (مسائله السّروية): وأمّا الحديث في إخراج الذّريّة من

---

(١) قاله المفيد في أوائل المقالات: ٥٠.

(٢) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: ٢٧٣.

(٣) الروم: ٣٠.

(٤) الأعراف: ١٧٢.

(٥) أمالي المرتضى ١: ٢٣ المجلس ٣ الجواب الثاني.

صلب آدم عليه السلام على صورة الذّرّ، فقد جاء الحديث بذلك على اختلاف ألفاظه ومعانيه، والصحيح أنّه أخرج الذرّيّة من ظهره كالذرّ، فملأ بهم الأُفق، وجعل على بعضهم نوراً لا يشوبه ظلمة، وعلى بعضهم ظلمة لا يشوبها نور، وعلى بعضهم نور وظلمة، فقال تعالى لآدم: أمّا الّذين عليهم النور بلا ظلمة، فهم أصفيائي من ولدك الّذين يطيعوني ولا يعصوني في شيء من أمري، فأُولئك سكّان الجنّة، وأمّا الذين عليهم ظلمة لا يشوبها نور، فهم الكفّار من ولدك الّذين يعصوني ولا يطيعوني في شيء من أمري، فهؤلاء حطب جهنّم، وأمّا الّذين عليهم نور وظلمة، فأُولئك الذين يطيعوني من ولدك ويعصوني، يخلطون أعمالهم السيّئة بأعمالهم الحسنة، فهؤلاء أمرهم إليّ: إن شئت عذّبتهم فبعدلي، وإن شئت عفوت عنهم بتفضّلي. قال: فأنبأه الله تعالى بما يكون من ولده، وشبّههم بالذرّ الّذي أخرجه من ظهره، وجعلهم علامة على كثرة ولده. قال: ويحتمل أن يكون ما أخرجه من ظهره أُصول أجسام ذرّيته دون أرواحهم، وإنّما فعل الله تعالى ذلك ليدلّ آدم على العاقبة منه، ويظهر له من قدرته وسلطانه من عجائب صنعه، وعلمه بالكائن قبل كونه ليزداد آدم يقيناً بربّه.

قال: وأمّا الأخبار التي جاءت بأنّ ذريّة آدم استنطقوا في الذرّ، فنطقوا فأخذ عليهم العهد فأقرّوا، فهي من أخبار التناسخية، وقد خلطوا فيها ومزجوا الحقّ بالباطل.

قال: والمعتمد من إخراج الذريّة ما ذكرنا، دون ما ينطق القول به على الدّلالة العقلية والحجج السمعية، وإنّما هو غلط لا يثبت به أثر على ما وصفناه.

قال: فإن تعلّق متعلّق بقوله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلى شهدنا ان

تقولوا يوم القيامة إنّا كنّا عن هذا غافلين﴾[١]، وظنّ بظاهر هذا القول تحقّق ما رواه أهل التناسخ والحشوية والعامة في إنطاق الذرّية وخطابهم، وأنّهم كانوا أحياء ناطقين، فالجواب عنه: أنّ هذه الآية من المجاز في اللّغة، كنظائرها ممّا هو مجاز واستعارة والمعنى فيها: أنّ الله تعالى أخذ من كلّ مكلّف يخرج من صلب آدم وظهور ذريّته العهد عليه بربوبيّته من حيث أكمل عقله، ودلّه بآثار الصنعة فيه على حدثه، وأنّ له محدثاً أحدثه لا يشبهه أحد يستحقّ العبادة منه بنعمته عليه. فلذلك هو أخذ العهد منهم، وآثار الصنعة فيهم، والإشهاد لهم على أنفسهم بأنّ الله تعالى ربّهم، وقوله تعالى: ﴿...قالوا بلى...﴾[٢] يريد أنّه لم يمتنعوا من لزوم آثار الصنعة فيهم، ودلائل حدوثهم اللازمة لهم، وحجّة العقل عليهم في إثبات صانعهم، فكأنّ سبحانه كما ألزمهم الحجّة بعقولهم على حدوثهم ووجود محدثهم، قال لهم: ﴿...ألست بربّكم...﴾[٣]. فلمّا لم يقدروا على الامتناع من لزوم دلائل الحدوث لهم، كأنّهم قائلون: ﴿...بلى شهدنا...﴾ وقوله تعالى: ﴿...أن تقولوا يوم القيامة إنّا كنّا عن هذا غافلين* أو تقولوا إنّما أشرك آباؤنا من قبل وكنّا ذرّية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون﴾[٤]. ألا ترى أنّه تعالى احتجّ عليهم بما لا يقدرون يوم القيامة إن تناولوا في إنكاره، ولا يستطيعون، وقد قال سبحانه: ﴿...والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدوابّ وكثير من الناس وكثير حقّ عليه العذاب...﴾[٥]، ولم يروا أنّ المذكور يسجد سجود البشر في الصلاة، وإنّما أراد أنّه غير ممتنع من فعل الله، فهو كالمطيع لله، وهو يعبّر عنه بالساجد.

(١ و ٢) الأعراف: ١٧٢.

(٣ و ٤) الأعراف: ١٧٢ ـ ١٧٣.

(٥) الحج: ١٨.

قال الشاعر:

بجمع تظلّ البلق في حجراتـه ترى الأكم فيه سجّداً للحوافر

يريد أنّ الحوافر تذلّ الأكم بوطيها عليها.

وقال آخر:

سجود له نوقان يرجون فضله وترك ورهط الأعجمين وكـابل

يريد أنّهم مطيعون له، وعبّر عن طاعتهم بالسّجود، وقوله تعالى: ﴿ثمّ استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين﴾[١]، وهو سبحانه لم يخاطب السماء بكلام، ولا السّماء قالت قولاً مسموعاً، وإنّما أراد أنّه عهد إلى السماء فخلقها، فلم يتعذّر عليه صنعها.

قال: ولذلك أمثال كثيرة في منظوم كلام العرب ومنثوره، وهو من الشواهد على ما ذكرناه في تأويل الآية[٢].

والثاني: «ويذكّروهم منسيّ نعمته» قال تعالى ـ حكاية عن هود في تذكير قومه بآلائه تعالى ـ: ﴿...واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلّكم تفلحون﴾[٣]، وعن صالح لقومه في ذلك: ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوّأكم في الأرض تتّخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾[٤]، وعن موسى لقومه في ذلك: ﴿...اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل

---

(١) فصّلت: ١١.

(٢) قاله المفيد في أجوبة المسائل السروية: ٢١٢، والنقل بتقطيع، وأما قوله في عدم حمل الآية على ظاهر أحاديث الذرّ فذهب إليه المفيد أيضاً في تصحيح الاعتقاد: ٣٣، والمرتضى في أماليه ١: ٢٠ المجلس ٣، والطوسي في التبيان ٥: ٣٠، والطبرسي في مجمع البيان ٤: ٤٩٧، والعلّامة الحلّي في المسائل المهنائية الثالثة: ١٤١، وغيرهم.

(٣) الأعراف: ٦٩.

(٤) الأعراف: ٧٤.

فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين﴾[١]، وقال عزّوجلّ على لسان نبيّنا عليه السلام في ذلك: ﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي الّتي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوفِ بعهدكم وإيّاي فارهبون* وآمنوا بما أنزلت مصدّقاً لما معكم ولا تكونوا أوّل كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً وإيّاي فاتّقون* ولا تلبسوا الحقّ بالباطل وتكتموا الحقّ وأنتم تعلمون﴾[٢].

والثالث: «ويحتجّوا عليهم بالتبليغ» لئلّا يعتذروا في ترك طاعته؛ قال تعالى: ﴿وإن تكذّبوا فقد كذّب أُمم من قبلكم وما على الرّسول إلّا البلاغ المبين﴾[٣].

وفي الخبر: أنّ الأحلام لم تكن في ما مضى في أوّل الخلق وإنّما حدثت. قيل: وما العلّة في ذلك؟ فقال: إنّ الله تعالى بعث رسولاً إلى أهل زمانه، فدعاهم إلى عبادة الله وطاعته، فقالوا: إن فعلنا ذلك فما لنا، فوالله ما أنت بأكثرنا مالاً، ولا بأعزّنا عشيرة. فقال: إن أطعتموني أدخلكم الله الجنّة، وإن عصيتموني أدخلكم الله النّار. فقالوا: وما الجنّة والنّار؟ فوصف لهم ذلك. فقالوا: متى نصير إلى ذلك؟ فقال: إذا متّم. فقالوا: لقد رأينا أمواتنا صاروا عِظاماً ورفاتاً.

فازدادوا له تكذيباً، وبه استخفافاً، فأحدث الله تعالى فيهم الأحلام، فأتوه فأخبروه بما رأوا وما أنكروا من ذلك، فقال: إنّ الله تعالى أراد أن يحتجّ عليكم بهذا، هكذا تكون أرواحكم إذا متّم، وإذا بليت أبدانكم تصير الأرواح إلى عقاب حتّى تبعث الأبدان[٤].

والرابع: «ويثيروا» من أثار الأرض.

---

(١) المائدة: ٢٠.

(٢) البقرة: ٤٠ ـ ٤٢.

(٣) العنكبوت: ١٨.

(٤) الكافي للكليني ٨: ٩٠ ح٥٧.

«لهم دفائن العقول» حتّى تكون.

«في مرآهم» ﴿قالت رسلهم أفي الله شكّ فاطر السماوات والأرض...﴾[١].

والخامس: «ويروهم» بالضّم من الإراءة.

«الآيات» هكذا في (المصرية)، والصواب: (آيات) كما في (ابن أبي الحديد، وابن ميثم، والخطّيّة)[٢]، ولأنّه مضاف.

«المقدرة» وفي نسخة ابن ميثم (القدرة).

«من سقف فوقهم مرفوع، ومهاد تحتهم موضوع، ومعائش تحييهم، وآجال تفنيهم» قال تعالى ـ حكاية عن نوح في دعوته قومه ـ: ﴿مالكم لا ترجون لله وقاراً* وقد خلقكم أطواراً* ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقاً* وجعل القمر فيهنّ نوراً وجعل الشمس سراجاً* والله أنبتكم من الأرض نباتاً* ثمّ يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً* والله جعل لكم الأرض بساطاً* لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً﴾[٣].

«وأوصاب» أي: أوجاع وأمراض.

«تهرمهم» أي: تجعلهم هرمين؛ قال عمرو بن معديكرب:

أشاب الرّأس أيّام طوال وهمّ ما تضمّنه الضّلوع

وقال الجاحظ: قال أبو عبيدة: قيل لشيخ مرة: ما بقي منك؟ قال: يسبقني من بين يدي، ويلحقني من خلفي، وأنسى الحديث، وأذكر القديم، وأنعس في الملأ، وأسهر في الخلأ، وإذا قمت قربت الأرض منّي، واذا قعدت تباعدت عنّي[٤].

---

(١) إبراهيم: ١٠.

(٢) في شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٧، وشرح ابن ميثم ١: ١٩٨، «الآيات» أيضاً.

(٣) نوح: ١٣ ـ ٢٠.

(٤) البيان والتبيين للجاحظ ٢: ٩٦.

«وأحداث» من الدهر.

«تتابع عليهم» دفعة بعد دفعة؛ قال أبو الطفيل:

وما شاب رأسي من سنين تتابعت عـلـيّ ولكـن شـيّبتني الوقـائع

وقال ابن المعتز:

قالت كبرت وشبت قلت لهـا هـذا غـبار وقـايع الدهـر

وقال البحتري:

ما زال صرف الدهر يونس صـفقتي حتّى رهـنت عـلى المشـيب شـبابي

وفيه أيضاً:

فهل الحادثات يـابن عـويف تاركاتي ولبس هذا البـياض

«ولم يخلّ» من (خلي).

«سبحانه» هكذا في (المصرية)، والصواب: (الله سبحانه)، كما في (ابن أبي الحديد، وابن ميثم والخطّيّة)[١].

«خلقه من نبيّ مرسل أو كتاب منزل أو حجّة لازمة» لا يمكنهم دفعها.

«أو محجّة» وهي جادة الطريق.

«قائمة» قال تعالى: ﴿...لئلّا يكون للنّاس على الله حجّة بعد الرّسل...﴾[٢].

وقال الصادق عليه السلام: الحجّة قبل الخلق، ومع الخلق، وبعد الخلق[٣].

وقال ابن بابويه في قوله تعالى: ﴿وإذ قال ربّك للملائكة إنّي جاعلٌ في الأرض خليفة...﴾[٤]: فبدأ عزّوجلّ بالخليفة قبل الخليقة، فدلّ ذلك على أنّ

---

(١) في شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٧، وشرح ابن ميثم ١: ١٩٩ «سبحانه» أيضاً.

(٢) النساء: ١٦٥.

(٣) الكافي للكليني ١: ١٧٧ ح ٤، والصفار في البصائر: ٥٠٧ ح ١، والصدوق في كمال الدين: ٤، وقد مرّ في العنوان ٢ من الفصل الرابع.

(٤) البقرة: ٣٠.

الحكمة في الخليفة أبلغ من الحكمة في الخليقة، فلذلك ابتدأ به لأنّه سبحانه حكيم، والحكيم من يبدأ بالأهم دون الأعم[١].

«رسل لا تقصّر بهم قلّة عددهم، ولا كثرة المكذّبين لهم» قال تعالى: ﴿واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكّلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثمّ لا يكن أمركم عليكم غمّة ثمّ اقضوا إليّ ولا تنظرون* فإن تولّيتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلّا على الله وأُمرت أن أكون من المسلمين* فكذّبوه فنجّيناه ومن معه...﴾[٢]، ﴿وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله... فما كان جواب قومه إلّا أن قالوا اقتلوه أو حرّقوه...﴾[٣]، وقال عزّوجلّ حكاية عنه: ﴿وتالله لاكيدنّ أصنامكم بعد أن تولّوا مدبرين* فجعلهم جذاذاً إلّا كبيراً لهم لعلّهم إليه يرجعون﴾[٤].

قال ابن أبي الحديد: قال الراوندي: وكلّ واحد من الرسل والأئمة عليهم السلام كان يقوم بالأمر ولا يردعه عن ذلك قلّة عدد أوليائه، ولا كثرة عدد أعدائه. فيقال له: هذا خلاف قولك في الأئمّة المعصومين، فإنّك تجيز عليهم التقيّة وترك القيام بالأمر إذا كثرت أعداؤهم[٥].

قلت: الأئمّة عليهم السلام كالأنبياء صلوات الله عليهم كانوا يقومون بدعوة غير الجبابرة، وأمّا الجبابرة فكانوا قد يقومون بدعوتهم، وقد يتركونهم على حسب المصلحة والقيام الّذي قال الراوندي أعمّ من الخروج بالسيف، وإلّا لخرج أكثر الأنبياء عن ذلك، وإلّا فليس في الأنبياء من يكون مصداقاً

(١) كمال الدين لابن بابويه: ٤.

(٢) يونس: ٧١ ـ ٧٣.

(٣) العنكبوت: ١٦ ـ ٢٤.

(٤) الأنبياء: ٥٧ ـ ٥٨.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٨.

لقوله عليه السلام: «لا تقصّر بهم قلّة عددهم، ولا كثرة المكذّبين لهم» مثل إمامنا الثالث أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فإنّه قام بالأمر وقال: لو لم يبق لي في الدّنيا ملجأ ما بايعت يزيد[١]. ولقد جاهد عليه السلام مع اثنين وسبعين نفراً: ثلاثين ألفاً[٢]، وقال بعد إتمام الحجّة عليهم: ألا وإنّي زاحف بهذه العصابة على قلّة العتاد، وخذلة الأصحاب[٣].

«من سابق سمّي له من» (من) للموصول.

«بعده» حتّى يأخذ ذلك النبيّ السابق من أُمّته العهد للنبيّ اللاحق؛ قال تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيّين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثمّ جاءكم رسول مصدّق لما معكم لتؤمننّ به ولتنصرنّه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾[٤]، ﴿وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إنّي رسول الله إليكم مصدّقاً لما بين يديّ من التّوراة ومبشّراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد...﴾[٥]، ﴿الّذين يتّبعون الرّسول النبيّ الأُمّي الّذي يجدونه مكتوباً عندهم في التّوراة والإنجيل...﴾[٦].

«أو غابر» أي: باق.

«عرّفه» أي: عرّفه الله.

«من قبله» أي: النبيّ الّذي كان قبله، فيجب على أُمّة النبيّ الباقي أن

---

(١) روى هذا المعنى ابن شهر آشوب في مناقبه ٤: ٨٨. وأبو مخنف في المقتل المنسوب إليه: ٨٦.

(٢) هذا من مشهورات التاريخ تدلّ عليه رواية الطبري في تاريخه ٤: ٣٥٨ سنة ٦١ وغيرها.

(٣) رواه ابن عساكر في ترجمة الحسين عليه السلام: ٢١٦ ح٢٧٣، والمسعودي في الإثبات: ١٤٢، وابن شعبة في تحف العقول: ٢٦١، والطبرسي في الاحتجاج: ٣٠٠ ضمن خطبة بفرق يسير.

(٤) آل عمران: ٨١.

(٥) الصف: ٦.

(٦) الأعراف: ١٥٧.

يؤمنوا بنبوّة النبيّ الماضي، فإنّه لا فرق بين أن ينكروا نبوّة نبيّ عصرهم أو نبوّة من كان قبله، فالكلّ من عند واحد: ﴿قل آمنّا بالله وما أُنزل علينا وما أُنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أُوتي موسى وعيسى والنّبيون من ربّهم لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾[1]، ﴿...مصدّقاً لما بين يديّ...﴾[2].

قال ابن أبي الحديد: قال الرّاوندي في تفسير قوله عليه السلام: «من سابق سمّي له من بعده أو غابر عرّفه من قبله»: كان من ألطاف الأنبياء المتقدّمين وأوصيائهم أن يعرفوا الأنبياء المتأخّرين وأوصياءهم، فعرّفهم الله تعالى ذلك. وكان لطف المتأخّرين وأوصيائهم أن يعرفوا أحوال المتقدّمين من الأنبياء والأوصياء، فعرّفهم الله تعالى ذلك، فتمّ اللطف لجميعهم.

قال ابن أبي الحديد: ولقائل أن يقول: لو كان عليه السلام قال: (أو غابر عرف من قبله) لكان هذا التفسير مطابقاً، ولكنّه عليه السلام لم يقل ذلك، وانّما قال: «عرفه من قبله» وليس هذا التفسير مطابقة لقوله (عرفه). والصحيح: أنّ المراد به من نبيّ سابق عرف من يأتي بعده من الأنبياء، أي: عرّفه الله تعالى ذلك، أو نبيّ غابر نصّ عليه من قبله وبشّر به كبشارة الأنبياء بمحمّد صلى الله عليه وآله[3].

قلت: إنّ ابن أبي الحديد توهم أنّ الفاعل في قوله عليه السلام «عرّفه من قبله» (من) مع أنّ الفاعل فيه ضمير (الله)، كما في قوله عليه السلام (سمّي) وأمّا المعنى الّذي ذكر فبلا محصّل، فأيّ معنى لما قاله من أنّ السابق إما عرف من بعده، وإمّا نصّ على من بعده؟

---

(١) آل عمران: ٨٤.

(٢) الصف: ٦.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٨.

ومن الغريب أنّ من بعده تبعه على وهمه، وأنّه لم يتعرّض أحد لدفع تعصباته على الرّاوندي، وقد عرفت ـ ممّا شرحنا ـ أنّ الفقرتين إشارة إلى الآيات التي قلنا، وأنّ المراد بالسابق والغابر أممهما، ﴿...والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾[1].

٢
من الخطبة (٨٩)

وَلَمْ يُخَلِّهِمْ بَعْدَ أَنْ قَبَضَهُ مِمَّا يُؤَكِّدُ عَلَيْهِمْ حُجَّةَ رُبُوبِيَّتِهِ، وَيَصِلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ، بَلْ تَعَاهَدَهُمْ بِالْحُجَجِ عَلَى أَلْسُنِ الْخِيَرَةِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ، وَمُتَحَمِّلِي وَدَائِعِ رِسَالاَتِهِ، قَرْناً فَقَرْناً.

«ولم يخلّهم» بالتشديد.

«بعد أن قبضه» أي: آدم.

«ممّا يؤكّد عليهم حجّة ربوبيّته» فأرسل إليهم رسولاً بعد رسول.

«ويصل بينهم وبين معرفته» ﴿...فيقولوا ربّنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتّبع آياتك ونكون من المؤمنين﴾[2].

«بل تعاهدهم بالحجج» ﴿...فللّه الحجّة البالغة...﴾[3].

«على ألسن الخيرة من أنبيائه» ﴿ثمّ أرسلنا رسلنا تترى...﴾[4].

«ومتحمّلي ودائع رسالاته قرناً فقرناً» في (إثبات المسعودي) ـ بعد سرد الأنبياء إلى لمك ـ: فلمّا مضى لمك قام نوح بأمر الله تعالى، وهو أوّل ذوي العزم من الرّسل وأظهر نبوّته، وأمره الله تعالى بإظهار الدعوة، فأقبل

---

(١) البقرة: ٢١٣.

(٢) القصص: ٤٧.

(٣) الأنعام: ١٤٩.

(٤) المؤمنون: ٤٤.

نوح عليه السلام يدعو قومه، والملك في بني راسب وأهل مملكته وعوج بن عناق، وكان دعاؤه إيّاهم في أوّل أمره سرّاً فلم يجيبوه، فلم يزل يدعوهم تسعمائة وخمسين سنة كلّما مضى منهم قرن تبعهم قرن على ملّة آبائهم، وكان الّذي آمن به العقب من ولد هبة الله، والّذين كذّبوه العقب من ولد قابيل وعوج بن عناق بني عمّهم مع كثرتهم وعظم أمرهم وسلطانهم في الأرض، وكانوا إذا دعاهم يقولون له: ﴿...أنؤمن لك واتّبعك الأرذلون﴾[1]، يعنون: العقب من ولد شيث، يعيّرونهم بالفقر والفاقة، وأنّه لا مال لهم، ولا عزّ ولا سلطان في الأرض، وكانت شريعة نوحٍ التّوحيد وخلع الأنداد، والفطرة، والصّيام، والصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ إلى أن قال في قيام سام بعده ـ فآمن به شيعة نوح، وأقام ولد قابيل، وعوج بن عناق على كفرهم وطغيانهم، وخالف حام ويافث على أخيهما سام ولم يؤمنا به، وقام بعده أرفخشد بن سام، فعند ذلك ملك آفريدون، وهو ذو القرنين، وكان من قصّته أنّ الله تعالى بعثه إلى قومه، فدعاهم إلى الله، فكذّبوه وجحدوا نبوّته، ثمّ أخذوه فضربوه على قرنه الأيمن، فأماته الله مائة عام، ثمّ أحياه فبعثه فجحدوا نبوّته، وضربوه على قرنه الأيسر... وروي أنّ الخضر بن أرفخشد بن سام بن نوح كان على مقدّمته[2]...

٣
من الخطبة (٩٢)

منها في وصف الأنبياء:

فَاسْتَوْدَعَهُمْ فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ، وَأَقَرَّهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ، تَنَاسَخَتْهُمْ

---

(١) الشعراء: ١١١.

(٢) إثبات الوصيّة: ٢٠ ـ ٢٤، والنقل بتقطيع كثير.

كَرَائِمُ ٱلْأَصْلاَبِ إِلَى مُطَهَّرَاتِ ٱلْأَرْحَامِ؛ كُلَّمَا مَضَى مِنْهُمْ سَلَفٌ، قَامَ مِنْهُمْ بِدِينِ ٱللّهِ خَلَفٌ.

قول المصنّف: «منها في وصف الأنبياء» هكذا في (المصرية)، وليس في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخوئي والخطّية)[1] إلّا كلمة «منها» فلابدّ أنّ جملة (في وصف الأنبياء) كانت حاشية خلطت بالمتن في أصل (المصرية).

قوله عليه السلام «فاستودعهم» الضمير راجع إلى الرّسل.

«في أفضل مستودع» أي: من الأصلاب.

«وأقرّهم في خير مستقرّ» أي: من الأرحام؛ قال تعالى: ﴿وهو الّذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقرّ ومستودع قد فصّلنا الآيات لقوم يفقهون﴾[2].

«تناسختهم» أي: بدّلتهم.

«كرائم الأصلاب» من صلب إلى صلب.

«إلى مطهّرات الأرحام» من رحم إلى رحم؛ روي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قرأ قوله تعالى: ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبّح له فيها بالغدوّ والآصال﴾[3] فقيل له: أيّ بيوت هذه؟ فقال: بيوت الأنبياء[4].

قال الصدوق في (اعتقاداته): اعتقادنا في آباء النبي صلى الله عليه وآله أنّهم

---

(١) كذا في شرح الخوئي ٣: ١٤٧، لكن لفظ شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٨٠، مثل المصرية أيضاً، ولفظ شرح ابن ميثم ٢: ٣٩٥، خالٍ من «منها».

(٢) الأنعام: ٩٨.

(٣) النور: ٣٦.

(٤) تفسير القمي ٢: ١٠٤، والفزات الكوفي بطريقين في تفسيره: ١٠٣، وابن مردويه عنه الدرّ المنثور ٥: ٥٠، ورواه الطبرسي في مجمع البيان ٧: ١٤٤، والمجلسي عن كنز جامع الفوائد والروضة في بحار الأنوار ٢٣: ٣٢٥ ـ ٣٢٦ ح٢، ٣.

مسلمون من آدم إلى أبيه عبد الله. ثمّ قال: وقال النبيّ ﷺ: أُخرجت من نكاح، ولم أخرج من سفاح من لدن آدم[١].

وأمّا (آزر) ففي (الإثبات): روي عن العالم عليه السلام أنّه كان جدّ إبراهيم عليه السلام لأُمّه، وكان أبو إبراهيم توفّي وهو طفل، وبقيت أُمّه، فبينا قومه يعملون الأصنام إذ أخذ إبراهيم عليه السلام خشبة وأخذ الفأس، ونجر منها صنماً لم يروا مثله قط، فقال آزر لأُمّه: إنّي لأرجو أن أُصيب خيراً كثيراً ببركة ابنك هذا. فأخذ إبراهيم الفأس فكسر الصنم، فأنكر ذلك أبوه عليه، فقال له إبراهيم عليه السلام: وما تصنعون به؟ قال: نعبده. قال إبراهيم عليه السلام: ﴿...أتعبدون ما تنحتون﴾ بأيديكم[٢].

«كلّما مضى» أي: مات.

«منهم» هكذا في (المصرية)، والكلمة زائدة لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[٣].

«سلف قام منهم بدين الله خلف» يدعو الناس إلى ربّهم وعبادته؛ وفي (الإثبات) لمّا حضرت وفاة إبراهيم عليه السلام أمره الله أن يستودع نور الله وحكمته ومواريث الأنبياء عليهم السلام إسماعيل ابنه، فدعاه وأوصى إليه وسلّم إليه جميع ما في يده فقام إسماعيل بالنبوّة والأمر مقامه، ولم يزل يدبّر أمر الله تعالى، وهو أوّل من تكلّم بالعربيّة وأبو العرب، فلمّا حضرت وفاته أوحى إليه أن يستودع الاسم ونور الله وحكمته أخاه إسحاق.

وروى أنّه شريكه في الوصيّة، وتقدمه إسماعيل بالسن ـ إلى أن قال ـ:

---

(١) الاعتقادات للصدوق: ٤٥، وأخرجه ابن سعد بثلاث طرق في الطبقات ١: ق١، ٣١ ـ ٣٢، والبيهقي في الدلائل عنه منتخب كنز العمال ٤: ٢٣٣ ومعناه روي كثيراً.

(٢) رواه المسعودي في الإثبات: ٢٩ ـ ٣٠ والنقل بتصرف والآية ٩٥ من سورة الصافات.

(٣) توجد الكلمة في شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٨٠، وشرح ابن ميثم ٢: ٣٩٥.

إنّ يوسف قال لبني إسرائيل: إنّ هؤلاء القبط سيظهرون عليكم، ويفرّج الله عنكم برجل من ولد لاوي اسمه موسى بن عمران، ولن يظهر حتّى يخرج قبله سبعون كذّاباً. وروي أنّه كان إذا ولد في بني إسرائيل ولد يسمّى عمران، ثمّ يأتي لعمران ولد فيسمّى موسى، يتعرّضون بذلك لقيام القائم موسى عليه السلام[1].

قلت: هو نظير أنّه لمّا أخبر النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام بقيام قائم آل محمّد صلى الله عليه وآله الملقّب بالمهدي، تصدّى جمع من الطالبيين لذلك، وتسمّوا بالمهدي، كالملقّب بالنفس الزّكية، وغيره.

وقال بعد ذكر شعيب: كان شعيب من ولد نابت بن إبراهيم، وكان من قصّته أنّ الله تعالى بعثه إلى قوم نبيّاً حين كبرت سنّه، فدعاهم إلى التوحيد والإقرار والطاعة، فلم يجيبوه، فغاب عنهم ما شاء الله، ثمّ عاد إليهم شابّاً، فدعاهم، فقالوا: ما صدّقناك شيخاً فكيف نصدّقك شابّاً؟

فروى أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يعيد ذكر هذا الحديث ويكرّره، ويتمثّل به كثيراً ـ إلى أن قال بعد ذكر موسى عليه السلام ثمّ يوشع ـ: وخرج يوشع وجمع أولاد بني إسرائيل الّذين ولدوا في التيه معه، وهم لا يعرفون الجبّارين ولا العمالقة ولا يمتنعون من قتالهم، وفتح بيت المقدس، وجميع مدائن الشام حتّى انتهى إلى البلقاء، فجعلوا يخرجون ويقاتلون، ولا يقتل منهم أحد. فسأل يوشع عن ذلك، فقيل له: إنّ في مدينته امرأة كاهنة تدّعي أنّها منجّمة تستقبل الشّمس بفرجها، ثمّ تحسب وتعرض عليها الخيل والرجال، ولا يخرج يومئذ إلى الحرب رجل قد حضر أجله. فصلّى يوشع عليه السلام ركعتين، ودعا ربّه أن يحبس الشمس عنهم ساعة فأجابه، وأُخّرت الشمس، فخرجت فاختلط عليها حسابها، فقالت لبالق (يعني ملكهم): انظر ما يعرض عليك يوشع، فاعطه، فإنّ

---

(١) إثبات الوصية: ٣٤ ـ ٣٩ والنقل بتقطيع كثير.

حسابي قد اختلط عليّ[1].

٤
من الخطبة (١٤٢)

ومن كلام له عليه السلام:

بَعَثَ اللهُ رُسُلَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ، وَجَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَى خَلْقِهِ؛ لِئَلَّا تَجِبَ ٱلْحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ ٱلْاعْذَارِ إِلَيْهِمْ. فَدَعَاهُمْ بِلِسَانِ الصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ ٱلْحَقِّ.

أَلاَ إِنَّ اللّهَ كَشَفَ ٱلْخَلْقَ كَشْفَةً لَا أَنَّهُ جَهِلَ مَا أَخْفَوْهُ مِنْ مَصُونِ أَسْرَارِهِمْ وَمَكْنُونِ ضَمائِرِهِمْ، وَلَكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً، فَيَكُونَ الثَّوَابُ جَزَاءً، وَٱلْعِقَابُ بَوَاءً.

قول المصنّف «ومن كلام له عليه السلام» هكذا في (المصريّة)، والصواب: (ومن خطبة له عليه السلام) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[2].

قوله عليه السلام: «بعث الله رسله» هكذا في (المصرية)، والصواب: (بعث رسله)، كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية)[3].

«بما خصّهم به من وحيه» من آدم إلى الخاتم؛ قال تعالى: ﴿إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيّين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيّوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً﴾[4].

«وجعلهم حجّة له على خلقه» ﴿ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم

---

(١) إثبات الوصية: ٤٠ ـ ٥١ والنقل بتقطيع كثير.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٠١، وشرح ابن ميثم ٣: ١٨٦.

(٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٠١، لكن يوجد لفظ «الله» في شرح ابن ميثم ٣: ١٨٦.

(٤) النساء: ١٦٣.

فجاؤهم بالبيّنات...﴾[١].

«لئلّا تجب الحجّة لهم بترك الإعذار إليهم» قال تعالى: ﴿...وإن من أُمّة إلّا خلا فيها نذير﴾[٢]، ﴿ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلّم الله موسى تكليماً* رسلاً مبشّرين ومنذرين لئلّا يكون للناس على الله حجّة بعد الرّسل...﴾[٣].

«فدعاهم» أي: الله.

«بلسان الصّدق إلى سبيل الحقّ» ﴿...وأنزل معهم الكتاب بالحقّ ليحكم بين الناس في ما اختلفوا فيه...﴾[٤]، ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبيّنات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط...﴾[٥].

«ألا إنّ الله كشف الخلق كشفة» ببعث الرّسل فيهم حتّى يظهر أمرهم للعالم.

«لا أنّه» تعالى.

«جهل ما أخفوه من مصون أسرارهم، ومكنون ضمائرهم» فعلمه ببعث رسله؛ ﴿...هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنّة في بطون أُمّهاتكم فلا تزكّوا أنفسكم هو أعلم بمن اتّقى﴾[٦].

«ولكن» بعث رسله.

«ليبلوهم» أي: يمتحنهم.

---

(١) الروم: ٤٧.

(٢) فاطر: ٢٤.

(٣) النساء: ١٦٤ ـ ١٦٥.

(٤) البقرة: ٢١٣.

(٥) الحديد: ٢٥.

(٦) النجم: ٣٢.

«أيّهم أحسن عملاً فيكون الثّواب» أي: الجزاء الحسن لمن آمن وأطاع.

«جزاء» لعمله: ﴿هل جزاء الإحسان إلّا الإحسان﴾[١].

«والعقاب» وهو ما يعقّبه العمل السّوء.

«بواء» أي: مطابقاً مساوياً لعمله؛ قالت ليلى الأخيلية في مقتل توبة:

فإن تكن القتلى بواء فإنّكم   فتى ما قتلتم آل عوف بن عامر[٢]

قال تعالى: ﴿...ليجزي الّذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الّذين أحسنوا بالحسنى﴾[٣].

٥
من الخطبة (١٨١)

ومن خطبة له عليه السلام:

اَلْحَمْدُ لِلّهِ المَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، الخَالِقِ مِنْ غَيْرِ مَنْصَبَةٍ، خَلَقَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ، وَاسْتَعْبَدَ الأرْبَابَ بِعِزَّتِهِ، وَسَادَ الْعُظَمَاءَ بِجُودِهِ، وَهُوَ الَّذِي أَسْكَنَ الدُّنْيَا خَلْقَهُ، وَبَعَثَ إِلَى الْجِنِّ وَالْإِنْسِ رُسُلَهُ، لِيَكْشِفُوا لَهُمْ عَنْ غِطَائِهَا، وَلِيُحَذِّرُوهُمْ مِنْ ضَرَّائِهَا، وَلِيَضْرِبُوا لَهُمْ أَمْثَالَهَا، وَلِيَهْجُمُوا عَلَيْهِمْ بِمُعْتَبَرٍ مِنْ تَصَرُّفِ مَصَاحِّها وَأَسْقَامِهَا، وَلِيُبَصِّرُوهُمْ عُيُوبَهَا وَحَلاَلَهَا وَحَرَامَهَا، وَمَا أَعَدَّ اللّهُ سُبْحَانَهُ لِلْمُطِيعِينَ مِنْهُمْ وَالْعُصَاةِ، مِنْ جَنَّةٍ وَنَارٍ، وَكَرَامَةٍ وَهَوَانٍ. أَحْمَدُهُ إِلَى نَفْسِهِ، كما اسْتَحْمَدَ إِلَى خَلْقِهِ وَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً، وَلِكُلِّ قَدْرٍ أَجَلاً، وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتاباً.

---

(١) الرحمن: ٦٠.

(٢) لسان العرب ١: ٣٧ مادة (بوء).

(٣) النجم: ٣١.

«الحمد لله المعروف من غير رؤية» ﴿قال فمن ربّكما يا موسى* قال ربّنا الّذي أعطى كلّ شيء خلقه ثمّ هدى﴾[١].

«الخالق من غير منصبة» أي: مشقّة وتعب؛ قال تعالى: ﴿ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستّة أيّام وما مسّنا من لغوب﴾[٢].

هذا، وفي الخطبة (٨٨): «الحمد لله المعروف من غير رؤية، والخالق من غير رويّة»[٣]، وكلّ منهما صحيح، فيخلق عزّوجلّ بدون تفكّر، كما يخلق بدون تعب، بخلاف البشر: فلا يعمل شيئاً إلّا بتفكّر ورويّة، ويحصل له التّعب والمنصبة.

«خلق الخلائق بقدرته» ﴿إنّا كلّ شيء خلقناه بقدر﴾[٤].

«واستعبد الأرباب بعزّته» ﴿إن كلّ من في السماوات والأرض إلّا آتي الرّحمن عبداً﴾[٥].

«وساد العظماء بجوده» ﴿...ويؤت كلّ ذي فضل فضله...﴾[٦].

«وهو الّذي أسكن الدّنيا خلقه» بعد هبوط آدم من الجنّة: ﴿...ولكم في الأرض مستقرّ ومتاع إلى حين﴾[٧].

«وبعث إلى الجنّ والإنس رسله» ﴿يا معشر الجنّ والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصّون عليكم آياتي وينذورنكم لقاء يومكم هذا قالوا

---

(١) طه: ٤٩ ـ ٥٠.

(٢) ق: ٣٨.

(٣) نهج البلاغة ١: ١٥٨.

(٤) القمر: ٤٩.

(٥) مريم: ٩٣.

(٦) هود: ٣.

(٧) البقرة: ٣٦.

شهدنا على أنفسنا...﴾[١].

«ليكشفوا لهم عن غطائها» أي: حجابها.

«وليحذّروهم من ضرّائها» كما حكى عزّوجلّ عن نوح عليه السلام في قوله لقومه: ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً* ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً﴾[٢]، وعن صالح عليه السلام في قوله لقومه: ﴿أتتركون في ما ههنا آمنين* في جنّات وعيون * وزروع ونخل طلعها هضيم * وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين﴾[٣].

«وليضربوا لهم أمثالهم» كقوله تعالى على لسان نبيّنا صلى الله عليه وآله: ﴿...يا أيّها الناس إنّما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدّنيا ثمّ إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون* إنّما مثل الحياة الدّنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض ممّا يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازيّنت وظنّ أهلها أنّهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغْنَ بالأمس كذلك نفصّل الآيات لقوم يتفكّرون﴾[٤]، ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدّنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرّياح...﴾[٥]، ﴿مثل الّذين اتّخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتّخذت بيتاً وإنّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾[٦]، ﴿مثلهم كمثل الّذي استوقد ناراً فلمّا أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في

---

(١) الأنعام: ١٣٠.

(٢) نوح: ١٧ ـ ١٨.

(٣) الشعراء: ١٤٦ ـ ١٤٩.

(٤) يونس: ٢٣ ـ ٢٤.

(٥) الكهف: ٤٥.

(٦) العنكبوت: ٤١.

ظلمات لا يبصرون* صمّ بكم عمي فهم لا يرجعون* أو كصيّب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصّواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين* يكاد البرق يخطف أبصارهم كلمّا أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إنّ الله على كلّ شيء قدير﴾[١]، ﴿ضرب الله مثلاً للّذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدَين من عبادنا صالحَين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين* وضرب الله مثلاً للّذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت ربِّ ابنِ لي عندك بيتاً في الجنة ونجّني من فرعون وعمله ونجّني من القوم الظالمين﴾[٢].

«وليهجموا عليهم بمعتبر من تصرّف مصاحّها وأسقامها، وليبصّروهم عيوبها وحلالها وحرامها» هكذا في (المصرية)، وقد وقع فيها تقديم وتأخير، ففي (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخوئي والخطّية)[٣]: «وليبصّروهم عيوبها، وليهجموا عليهم بمعتبر من تصرّف مصاحّها وأسقامها، وحلالها وحرامها»، فيعلم أنّ النهج كان كذلك، لكن لا يبعد وقوع تصحيف فيه، فإنّ عطف (وحلالها وحرامها) على (مصاحّها وأسقامها) ـ كما فهمه ابن أبي الحديد وابن ميثم والخوئي[٤] ـ خلاف البلاغة، ومشتمل على التكلّف.

والظاهر كون (وحلالها وحرامها) محرّف (وحياتها وحمامها) لقربهما لفظاً وخطّاً، وعليه فالمعنى في كمال المناسبة، ويكون المراد أنّ أسباب العبر، وإن كانت في الدّنيا كثيرة، إلّا أنّ أهل الدّنيا لحرصهم عليها، وحبّهم لها

---

(١) البقرة: ١٧ ـ ٢٠.

(٢) التحريم: ١٠ ـ ١١.

(٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٢١، وشرح الخوئي ٥: ١١٠، لكن لفظ شرح ابن ميثم ٣: ٣٩٦، مثل المصرية.

(٤) يظهر هذا من شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٢١، وشرح ابن ميثم ٣: ٣٩٧، وشرح الخوئي ٥: ١١٢.

غافلون عنها، كما قال عليه السلام في موضع آخر: «ما أكثر العبر وأقلّ الاعتبار»[١]، فبعث الله رسله ليبصّروهم عيوب الدّنيا، وينبّهوهم على كثرة العبر في وقائعها حتّى كأنّ العبر هاجمة عليهم.

«وما أعدّ الله» هكذا في (المصرية)، والصواب: (وما أعدّ الله سبحانه) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخوئي والخطّية)[٢]، ثمّ إن ابن أبي الحديد احتمل كونه عطفاً على (عيوبها)، وهو باطل، فكيف أمكن ذلك مع فصل (وليهجموا) بينهما، ولعلّه جعله من قبيل قول أهل نحلته في قوله تعالى: ﴿وأرجلكم﴾ بعطفه على ﴿وجوهكم﴾ مع فصل ﴿وامسحوا﴾[٣] بينهما تصحيحاً لمذهبهم السخيف مع أنّه خلاف تكلّم العقلاء. ومن الغريب أنّ الخوئي[٤] تبعه في احتماله.

«للمطيعين منهم والعصاة» منهم.

«من جنّة» للمطيعين.

«ونار» للعاصين.

«وكرامة» للأوّلين.

«وهوان» للآخرين؛ قال تعالى: ﴿...ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾[٥]، ﴿...ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً﴾[٦].

---

(١) نهج البلاغة ٤: ٧٢ الحكمة(٢٩٧).

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٢١، لكن لفظ شرح ابن ميثم ٣: ٣٩٦، مثل المصرية، ولفظ شرح الخوئي ٥: ١١٠ «وما أعدّ سبحانه».

(٣) انظر قوله تعالى: ﴿...فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين...﴾ المائدة: ٦.

(٤) شرح الخوئي ٥: ١١١.

(٥) الأحزاب: ٧١.

(٦) الأحزاب: ٣٦.

هذا، وفي (تجريد المحقق الطوسي) في فوائد بعثة الأنبياء: كمعاضدة العقل في ما يدلّ عليه، واستفادة الحكم في ما لا يدلّ، وإزالة الخوف، واستفادة الحسن والقبح، والمنافع والمضارّ، وحفظ النوع الإنساني، وتكميل أشخاصه بحسب استعداداتهم المختلفة، وتعليمهم الصنائع الخفية، والأخلاق والسياسات، والأخبار بالعقاب والثواب[١].

«**أحمده إلى نفسه كما استحمد إلى خلقه**» رجع عليه السلام إلى أوّل كلامه في حمده تعالى، وإنّما ذكر عليه السلام فوائد بعثة الرّسل لأنّها أيضاً من موجبات حمده.

«**وجعل لكلّ شيء قدراً**» أي: مقداراً معيّناً؛ قال تعالى: ﴿إنّا كلّ شيء خلقناه بقدر﴾[٢]، ﴿وأنزلنا من السماء ماءً بقدر فأسكنّاه في الأرض وإنّا على ذهاب به لقادرون﴾[٣]، ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغَوا في الأرض ولكن ينزّل بقدر ما يشاء إنّه خبير بصير﴾[٤]، ﴿وإن من شيء إلّا عندنا خزائنه وما ننزّله إلّا بقدر معلوم﴾[٥]، ﴿الله يعلم ما تحمل كلّ أُنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكلّ شيء عنده بمقدار﴾[٦].

«**ولكلّ قدر أجلاً**» ﴿...ثمّ قضى أجلاً وأجل مسمّى عنده...﴾[٧].

«**ولكلّ أجل كتاباً**» ﴿وكلّ شيء أحصيناه كتاباً﴾[٨]، ﴿وما كان لنفس أن

---

(١) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: ٢٧١.

(٢) القمر: ٤٩.

(٣) المؤمنون: ١٨.

(٤) الشورى: ٢٧.

(٥) الحجر: ٢١.

(٦) الرعد: ٨.

(٧) الأنعام: ٢.

(٨) النبأ: ٢٩.

تموت إلّا بإذن الله كتاباً مؤجّلاً...﴾[١].

٦
من الخطبة (١٩٠)

فَلَوْ رَخَّصَ ٱللّهُ فِي ٱلْكِبْرِ لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَّصَ فِيهِ لِخَاصَّةِ أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ؛ وَلكِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرَّهَ إِلَيْهِمُ ٱلتَّكَابُرَ، وَرَضِيَ لَهُمُ ٱلتَّوَاضُعَ؛ فَأَلْصَقُوا بِالْأَرْضِ خُدُودَهُمْ، وَعَفَّرُوا فِي ٱلتُّرَابِ وُجُوهَهُمْ، وَخَفَضُوا أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَكَانُوا أَقْوَاماً مُسْتَضْعَفِينَ، وَقَدِ ٱخْتَبَرَهُمُ ٱللّهُ بِالْمَخْمَصَةِ، وَٱبْتَلَاهُمْ بِالْمَجْهَدَةِ، وَٱمْتَحَنَهُمْ بِالْمَخَاوِفِ، وَمَحَّصَهُمْ بِالْمَكَارِهِ.

فَلاَ تَعْتَبِرُوا ٱلرِّضَا وَٱلسُّخْطَ بِالْمَالِ وَٱلْوَلَدِ، جَهْلاً بِمَوَاقِعِ ٱلْفِتْنَةِ، وَٱلاِخْتِبَارِ فِي مَوَاضِعِ ٱلْغِنَى وَٱلاِقْتَارِ، فَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[٢].

فَإِنَّ ٱللّهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ، بِأَوْلِيَائِهِ ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ، وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ عليهما السلام عَلَى فِرْعَوْنَ وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ ٱلصُّوفِ، وَبِأَيْدِيهِمَا ٱلْعِصِيُّ، فَشَرَطَا لَهُ ـ إِنْ أَسْلَمَ ـ بَقَاءَ مُلْكِهِ، وَدَوَامَ عِزِّهِ، فَقَالَ: أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ هذَيْنِ يَشْرُطَانِ لِي دَوَامَ ٱلْعِزِّ، وَبَقَاءَ ٱلْمُلْكِ، وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ ٱلْفَقْرِ وَالذُّلِّ! فَهَلَّا أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرٌ مِنْ ذَهَبٍ؛ إِعْظَاماً لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ، وَٱحْتِقَاراً لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ!

---

(١) آل عمران: ١٤٥.

(٢) المؤمنون: ٥٥ ـ ٥٦.

وَلَوْ أَرَادَ اللّهُ سُبْحَانَهُ بِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذِّهْبَانِ، وَمَعَادِنَ الْعِقْيَانِ، وَمَغَارِسَ الْجِنَانِ، وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طَيْرَ السَّمَاءِ، وَوُحُوشَ الْأَرْضِ، لَفَعَلَ، وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ، وَبَطَلَ الْجَزَاءُ، وَاضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ، وَلَمَا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أُجُورُ الْمُبْتَلَيْنَ، وَلَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ، وَلَا لَزِمَتِ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيَهَا، وَلكِنَّ اللّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ، وَضَعَفَةً فِي مَا تَرَى الْأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ، مَعَ قَنَاعَةٍ تَمْلَأُ الْقُلُوبَ وَالْعُيُونَ غِنىً، وَخَصَاصَةٍ تَمْلَأُ الْأَبْصَارَ والْأَسْمَاعَ أَذىً.

وَلَوْ كانَتِ الْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَا تُرَامُ، وَعِزَّةٍ لاتُضامُ، وَمُلْكٍ تَمْتَدُّ نَحْوَهُ أعناقُ الرِّجالِ، وَتُشَدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ الرِّحالِ، لَكَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ على الْخَلْقِ فِي الاعْتِبارِ، وَأَبْعَدَ لَهُمْ فِي ٱلاسْتِكْبارِ، وَلآمَنُوا عَنْ رَهْبَةٍ قاهِرَةٍ لَهُمْ، أوْ رَغْبَةٍ مائِلَةٍ بِهِمْ، فَكانَتِ النِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً، وَالحَسَناتُ مُقْتَسَمَةً؛ وَلَكِنَّ اللّهَ سُبْحانَهُ أرَادَ أنْ يَكُونَ الاتِّباعُ لِرُسُلِهِ، وَالتَّصْدِيقُ لِكُتُبِهِ، وَالخُشُوعُ لِوَجْهِهِ، وٱلاسْتِكانَةُ لِأَمْرِهِ، وَالاسْتِسْلَامُ لِطاعَتِهِ أُمُوراً لَهُ خاصَّةً، لَا يَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِها شائِبَةٌ.

«فلو رخّص الله في الكبر لأحد من عباده لرخّص فيه لخاصّة أنبيائه وأوليائه» لأن الكبر يكون عن كونه ذا كمال، ولا كمال أكمل من كمالهم، وأمّا أهل الدّنيا فناقصون من جهات، وإن كان فيهم بعض الكمالات.

«ولكنّه سبحانه كرّه إليهم التّكابر» مع مقامهم ذاك، وقربهم من مالك السماوات والأرض؛ وفي الخبر مرّت امرأة بذية بالنبيّ ﷺ فقالت له: إنّك تجلس جلسة العبيد. فقال: أيّ عبد أعبد منّي[1].

---

(١) الكافي للكليني ٦: ٢٧١ ح ٢، والأهوازي في الزهد: ١١ ح ٢٢، والبرقي في المحاسن: ٤٥٧ ح ٣٨٨، ورواه الطبرسي

«ورضي لهم التّواضع» في الخبر أنّه أتى النبي صلى الله عليه وآله ملك لم يطأ الأرض قط، ومعه مفاتيح خزائن الأرض، فقال: يا محمّد، إنّ ربّك يقرئك السّلام ويقول: إنّ هذه مفاتيح خزائن الأرض، فإن شئت فكن نبيّاً عبداً وإن شئت فكن نبيّاً ملكاً. فأشار إليه جبرئيل بالتواضع، فقال: بل أكون نبيّاً عبداً[1].

وفي (الكافي) عن عيسى عليه السلام، قال للحواريين: لي إليكم حاجة، اقضوها لي. قالوا: قضيت حاجتك يا روح الله. فقام فقبّل عيسى عليه السلام أقدامهم، فقالوا: كنّا نحن أحقّ بهذا يا روح الله. فقال: إنّ أحقّ الناس بالخدمة العالم، إنّما تواضعت هكذا لكيما تتواضعوا بعدي في الناس كتواضعي لكم. ثمّ قال عليه السلام: بالتواضع تعمر الحكمة لا بالتكبر، وكذلك في السهل ينبت الزرع لا في الجبل[2].

«فالصقوا بالأرض خدودهم» في السجود له تعالى؛ وعن الصادق عليه السلام: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: يا موسى بن عمران أتدري لِمَ اصطفيتك لوحيي وكلامي دون خلقي؟ فقال: لا علم لي يا ربّ. فقال: يا موسى إنّي اطّلعت إلى خلقي اطّلاعة، فلم أجد في خلقي أشدّ تواضعاً لي منك... وكان موسى عليه السلام إذا صلّى لم ينفتل حتّى يلصق خدّه الأيمن بالأرض والأيسر[3].

«وعفّروا» أي: مرّغوا.

«في التّراب وجوههم» وهي أشرف أعضاء جسدهم.

في مكارم الأخلاق: ١٦، والنقل بالتلخيص.

(١) الكافي للكليني ٢: ١٢٢ ح٥، ورواه الورام في التنبيه ١: ٢٠٠، والطبرسي بطريقين في مشكاة الأنوار: ٢٢٤ ـ ٢٢٥، والنقل بالمعنى.

(٢) الكافي للكليني ١: ٣٧ ح٦، وفي بعض نسخ الكافي «فغسّل أقدامهم».

(٣) أخرجه الصدوق بروايتين في علل الشرائع: ٥٦ ح١ و ٢، والكافي للكليني ٢: ١٢٣ ح٧، وأبو علي الطوسي في أماليه ١: ١٦٦ المجلس ٦، ورواه الراوندي في قصص الأنبياء عنه البحار ١٣: ٨ ح٨ والطبرسي في مشكاة الأنوار: ٢٢٧.

«وخفضوا أجنحتهم للمؤمنين» والأصل فيه قوله تعالى: ﴿واخفض جناحك لمن اتّبعك من المؤمنين﴾(١). ويعبّر في الفارسية عن خفض الجناح بقولهم: «شكسته بالي».

«وكانوا أقواماً مستضعَفين» الجملة حال عن المؤمنين، أي: مع كون المؤمنين قوماً مستضعفين خفضوا الجناح لهم، وكان شرفاء الكفّار يسمّون أُولئك المؤمنين بالأنبياء: أراذلَهم، وكانوا متأذين من تقريب الأنبياء لهم، ويطلبون منهم طردهم حتّى قال لهم نوح، كما حكى الله تعالى عنه: ﴿...وما أنا بطارد الّذين آمنوا إنّهم ملاقوا ربّهم ولكنّي أراكم قوماً تجهلون* ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم أفلا تذكّرون* ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إنّي ملك ولا أقول للّذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً الله أعلم بما في أنفسهم إنّي إذن لمن الظالمين﴾(٢)، وقال تعالى لنبيّنا عليه السلام: ﴿ولا تطرد الّذين يدعون ربّهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين* وكذلك فتنّا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشّاكرين﴾(٣).

وفي (أسباب نزول الواحدي) عن خباب بن الأُرت قال: فينا نزلت (آية ولا تطرد) كنّا ضعفاء عند النبي صلى الله عليه وآله بالغداة والعشيّ فعلّمنا القرآن والخير، وكان يخوّفنا بالجنّة والنار ـ وما ينفعنا ـ والموت والبعث، فجاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري، فقالا: إنّا من أشراف قومنا، وإنّا

---

(١) الشعراء: ٢١٥.

(٢) هود: ٢٩ ـ ٣١.

(٣) الأنعام: ٥٢ ـ ٥٣.

نكره أن يرونا معهم فاطردهم إذا جالسناك. قال: نعم. قالوا: لا نرضى حتّى نكتب بيننا كتاباً. فأتى بأديم ودواة، فنزلت هؤلاء الآيات[1].

عن عكرمة: جاء عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدي والحرث بن نوفل، في أشراف بني عبد مناف من أهل الكفر إلى أبي طالب، فقالوا: لو أنّ ابن أخيك يطرد عنه موالينا وعبيدنا وعسفاءنا كان أعظم في صدورنا، وأطوع له عندنا، وأدنى لاتّباعنا إيّاه وتصديقنا له. فأتى أبو طالب عمّ النبي ﷺ فحدّثه بالّذي كلّموه. فقال عمر بن الخطّاب: لو فعلت ذلك حتّى ننظر ما الّذي يريدون، وإلآم يصيرون من قولهم. فأنزل الله تعالى هذه الآية، فلمّا نزلت أقبل عمر بن الخطاب يعتذر من مقالته[2].

وفيه أيضاً في قوله تعالى: ﴿وإذا جاءك الّذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم...﴾[3]. قال عكرمة: نزلت في الّذين نهى الله عزّوجلّ نبيّه ﷺ عن طردهم، فكان إذا رآهم النبيّ ﷺ بدأهم بالسّلام، وقال: الحمد لله الّذي جعل في أُمّتي من أمرني أن أبدأهم بالسّلام[4].

«وقد» هكذا في (المصرية)، والصواب: (قد) بدون عاطف، كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[5].

«اختبرهم الله» أي: امتحنهم.

---

(1) أخرجه الواحدي في أسباب النزول: ١٤٥، وابن أبي شيبة وأبو يعلى وأبو نعيم في الحلية، وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عنهم الدرّ المنثور ٣: ١٣، وابن راهويه، والبزار في مسنديهما عنهما الكاف الشاف ٢: ٢٧ عن خباب.

(2) أخرجه الواحدي في أسباب النزول : ١٤٦، وابن جرير وابن المنذر عنهما الدرّ المنثور ٣: ١٣.

(3) الأنعام: ٥٤.

(4) أسباب النزول للواحدي: ١٤٧.

(5) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٣٣، لكن توجد (الواو) في شرح ابن ميثم ٤: ٢٦٥.

«بالمخمصة» أي: المجاعة؛ وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: دفن ما بين الرّكن اليماني والحجر الأسود سبعون نبيّاً، أماتهم الله جوعاً وضرّاً[١].

«وابتلاهم بالمجهدة» أي: المشقّة.

«وامتحنهم بالمخاوف» جمع المخوف؛ ﴿وقال الّذين كفروا لرسلهم لنخرجنّكم من أرضنا أو لتعودنّ في ملّتنا...﴾[٢]، ﴿وما يأتيهم من رسول إلّا كانوا به يستهزئون﴾[٣].

«ومخّصهم» أي: ابتلاهم.

«بالمكاره» جمع المكروه؛ قال تعالى: ﴿...وهمّت كلّ أُمّة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحقّ فأخذتهم فكيف كان عقاب﴾[٤].

«فلا تعتبروا الرضا والسخط» أي: لا تجعلوا معيار رضا الله وغضبه.

«بالمال والولد» فتحكموا بأنّ من كان ذا مال وولد فإلهه راضٍ عنه، ومن لم يكن فإلهه ساخط عليه.

«جهلاً» مفعول له لقوله: «فلا تعتبروا».

«بمواقع» أي: مواضع.

«الفتنة والاختبار» أي: الامتحان؛ قال تعالى: ﴿إنّما أموالكم وأولادكم فتنة...﴾[٥].

«في مواضع الغنى والاقتدار» هكذا في (المصرية)[٦]، والصواب:

---

(١) الكافي للكليني ٤: ٢١٤ ح١٠.

(٢) إبراهيم: ١٣.

(٣) الحجر: ١١.

(٤) غافر: ٥.

(٥) التغابن: ١٥.

(٦) في شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٣٣ «الاقتار»، وشرح ابن ميثم ٤: ٢٦٥ «الاقتدار».

(والاقتار) أي: الفقر.

«وقد» هكذا في (المصرية)، والصواب: (فقد) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية)[١].

«قال سبحانه: ﴿أيحسبون أنّ ما نمدّهم به من مال وبنين* نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون﴾» والآية في سورة المؤمنين، كما أنّ طول العمر، وحصول الحوائج أيضاً ليسا بدليلين على حسن صاحبهما؛ قال تعالى: ﴿ولا يحسبنّ الّذين كفروا أنّما نملي لهم خير لأنفسهم إنّما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين﴾[٢]، وقال عزّوجلّ: ﴿فلمّا نسوا ما ذُكِّروا به فتحنا عليهم أبواب كلّ شيء حتّى إذا فرحوا بما أُوتوا أخذناهم بغتةً فإذا هم مبلسون﴾[٣].

«فإنّ الله سبحانه يختبر» أي: يمتحن.

«عباده المستكبرين في أنفسهم» أي: عند أنفسهم، وإن لم يكونوا كبيرين في ميزان الإنسانية.

«بأوليائه المستضعفين في أعينهم» وإن كانوا قويّين من حيث الدّيانة؛ قال تعالى: ﴿وكذلك فتنّا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشّاكرين﴾[٤].

قال القمّي في (تفسيره): كان بالمدينة قوم فقراء مؤمنون يسمّون أصحاب الصفّة، وكان النبي صلى الله عليه وآله أمرهم أن يكونوا في صفّة يأوون إليها، وكان النبيّ صلى الله عليه وآله يتعاهدهم بنفسه، وربما حمل إليهم ما يأكلون، وكانوا يختلفون إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فيقرّبهم ويقعد معهم ويؤنسهم، وكان إذا جاء

---

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٣٣، لكن في شرح ابن ميثم ٤: ٢٦٥ «وقد» أيضاً.

(٢) آل عمران: ١٧٨.

(٣) الأنعام: ٤٤.

(٤) الأنعام: ٥٣.

الأغنياء والمترفون من أصحابه أنكروا عليه ذلك، ويقولون له: اطردهم عنك. فجاء يوماً رجل من الأنصار إلى النبي صلى الله عليه وآله، وعنده رجل من أصحاب الصفّة قد لزق بالنبيّ صلى الله عليه وآله، والنبيّ يحدّثه، فقعد الأنصاري بالبعد منهما. فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: تقدّم. فلم يفعل، فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: لعلّك خفت أن يلزق فقره بك...[١]

وفيه: أنّه كان ابن أُمّ مكتوم مؤذّن النبي صلى الله عليه وآله وكان أعمى، فجاء إليه وعنده أصحابه، وعثمان عنده، فقدّمه النبيّ صلى الله عليه وآله على عثمان، فعبس عثمان وجهه، وتولّى عنه فأنزل الله تعالى: ﴿عبس وتولّى * ان جاءه الأعمى﴾[٢].

وعن (تفسير العياشي) عن الأصبغ بن نباتة قال: بينما عليّ عليه السلام يخطب يوم الجمعة على المنبر، فجاء الأشعث بن قيس يتخطى رقاب الناس، فقال: يا أمير المؤمنين: حالت هؤلاء بيني وبين وجهك. قال: فقال علي عليه السلام: ما لي وما للضياطرة، أطرد قوماً غدواً أوّل النهار يطلبون رزق الله، وآخر النهار ذكروا الله، أفأطردهم فأكون من الظالمين[٣]؟

«ولقد دخل موسى بن عمران ومعه أخوه هارون عليهما السلام على فرعون» (في تفسير القمي) عن محمّد بن مسلم قلت لأبي جعفر عليه السلام: كان هارون أخا موسى لأبيه وأُمّه؟ قال: نعم، أما تسمع الله تعالى يقول: ﴿...يابْنَ أُمَّ لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي...﴾[٤]. فقلت: فأيّهما كان أكبر سنّاً؟ قال: هارون. قلت:

---

(١) تفسير القمي ١: ٢٠٢.

(٢) رواه القمي في تفسيره ٢: ٤٠٤، وروى نحوه المرتضى في تنزيه الأنبياء: ١١٩، والطوسي في التبيان ١٠: ٢٦٩، لكن عبارة المرتضى «رجل من الأصحاب»، والطوسي «رجل من بني أُمية»، والروايات الثلاث مجردة من السند، والآيتان (١ ـ ٢) من سورة عبس.

(٣) تفسير العياشي ١: ٣٦٠ ح٢٦، وفي الأصل «حالت الحمد بيني».

(٤) طه: ٩٤.

فكان الوحي ينزل عليهما جميعاً. قال: الوحي ينزل على موسى، وموسى يوحيه إلى هارون. فقلت له: اخبرني عن الأحكام والقضاء، والأمر والنهي، أكان ذلك إليهما؟ قال: كان موسى الّذي يناجي ربّه، وهارون يكتب العلم، ويقضي بين بني إسرائيل، ويخلفه إذا غاب من قومه للمناجاة. قلت: فأيّهما مات قبل صاحبه؟ قال: مات هارون قبل موسى عليهما السلام، وماتا جميعاً في التيه. قلت: فكان لموسى عليه السلام ولد؟ قال: لا، كان الولد لهارون، والذريّة له...[1]

وفيه أيضاً عن الصادق عليه السلام: لمّا بعث الله تعالى موسى إلى فرعون، أتى بابه فاستأذن عليه، فلم يؤذن له، فضرب بعصاه الباب، فاصطكّت الأبواب ففتحت، ثمّ دخل على فرعون، فأخبره أنّه رسول ربّ العالمين وسأله أن يرسل معه بني إسرائيل[2].

«وعليهما مدارع الصوف» في (الكافي) عن الحسين بن كثير الخزّاز: رأيت أبا عبد الله عليه السلام، وعليه قميص غليظ خشن تحت ثيابه، وفوقها جبّة صوف، وفوقها قميص غليظ، فمسستها، فقلت: جعلت فداك، إنّ الناس يكرهون لباس الصوف. فقال: كلّا، كان أبي محمّد بن علي عليه السلام يلبسها، وكان عليّ بن الحسين عليه السلام يلبسها، وكانوا يلبسون أغلظ ثيابهم إذا قاموا إلى الصلاة، ونحن نفعل ذلك[3].

«وبأيديهما العصيّ» في (غيبة النعماني) عن الصادق عليه السلام: عصا موسى عليه السلام قضيب آس من غرس الجنّة، أتاه بها جبرائيل لمّا توجّه تلقاء مدين، وهي وتابوت آدم في بحيرة طبرية، ولن يبليا، ولن يتغيّرا حتّى

---

(١) تفسير القمي ٢: ١٣٦، وفي بعض النسخ: «كان موسى الذي يناجي ربّه ويكتب العلم ويقضي بين بني إسرائيل، وهارون يخلفه إذا غاب».

(٢) تفسير القمي ٢: ١١٨.

(٣) الكافي للكليني ٦: ٤٥٠ ح ٤، وقريباً منه روى الراوندي في الدعوات عنه البحار ٤٦: ١٠٨ ح ١٠٤.

يخرجهما القائم عليه السلام إذا قام[١].

وفي (المناقب) وسأل ابن الكوا أمير المؤمنين عليه السلام عن شيء شرب وهو حيّ، وأكل وهو ميّت؟ فقال عليه السلام: ذلك عصا موسى شربت وهي في شجرتها غضّة، وأكلت لمّا التقفت حبال السحرة وعصيّهم[٢].

وفي (الخصال): عنه عليه السلام: سأله الشامي عن ستّة لم يركضوا في رحم. فقال عليه السلام: آدم وحواء وكبش إبراهيم عليه السلام، وعصا موسى عليه السلام، وناقة صالح، والخفاش الّذي عمله عيسى بن مريم عليه السلام، فطار بإذن الله[٣].

«فشرطا له إن أسلم بقاء ملكه ودوام عزّه» ﴿اذهبا إلى فرعون إنّه طغى* فقولا له قولاً ليّناً لعلّه يتذكّر أو يخشى﴾[٤].

«فقال: ألا تعجبون من هذين» قالوا الإشارة في مثله للتحقير.

«يشرطان لي دوام العزّ وبقاء الملك وهما بما ترون من حال الفقر والذلّ» ﴿ثمّ أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين* إلى فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قوماً عالين* فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون* فكذّبوهما فكانوا من المهلكين﴾[٥].

«فهلّا أُلقي عليهما أساور» في (الصحاح): السوار: سوار المرأة، والجمع: أسورة، وجمع الجمع: أساورة، وقرئ ﴿فلولا أُلقي عليه أساورة من ذهب...﴾[٦] وقد يكون جمع أساور كقوله تعالى: ﴿...يحلّون فيها من أساور

---

(١) الغيبة للنعماني: ١٥٧.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ٢: ٣٨٣.

(٣) الخصال للصدوق: ٣٢٢ ح٨.

(٤) طه: ٤٣ ـ ٤٤.

(٥) المؤمنون: ٤٥ ـ ٤٨.

(٦) الزخرف: ٥٣.

من ذهب﴾[١] وقال أبو عمرو بن العلاء: واحدها إسوار[٢].

«من ذهب إعظاماً للذهب وجمعه» وورد أنّ أوّل ما ضربت السكّة على الذهب قبّله الشّيطان، وقال: كم أضلّ بك[٣].

«واحتقاراً للصوف ولبسه» قال ابن أبي الحديد في الخبر: إنّ أوّل لباس لبسه آدم لمّا هبط إلى الأرض صوف كبش قيّضه الله له، وأمره أن يذبحه، فيأكل لحمه ويلبس صوفه، لأنّه أُهبط عرياناً من الجنّة فذبحه، وغزلت حواء صوفه، فلبس آدم منه ثوباً، وألبس حواء ثوباً آخر، فلذلك صار شعار الأولياء، وانتسبت إليه الصوفية[٤].

قلت: أمّا ما قاله من انتساب الصوفية إليه، فقد قيل بالفارسية:

نقد صوفى نه همه صافى وبيغش باشد

اى بسا خرقه كه مستوجب آتش باشد

«ولو أراد الله سبحانه بأنبيائه حيث بعثهم أن يفتح لهم كنوز الذهبان» الذهبان: جمع الذهب، ونقل الكلام «ولو أراد سبحانه...» (حجّ الكافي) في باب ابتلاء الخلق بالكعبة مع اختلاف يسير قائلاً: وروي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال في خطبة له: ولو أراد الله جلّ ثناؤه بأنبيائه...[٥]

«ومعادن العقيان» قيل: العقيان هو ذهب ينبت، ولا يحصل من الحجارة.

«ومغارس الجنان» قيل: إنّه إشارة إلى ما اقترحه الكفّار في نبيّنا صلى الله عليه وآله

---

(١) الكهف: ٣١.

(٢) صحاح اللغة ٢: ٦٩٠ مادة (سور).

(٣) أخرج هذا المعنى الصدوق في أماليه: ١٦٨ ح ١٤ المجلس ٣٦، ورواه الفتال في الروضة ٢: ٤٢٨.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٣٤.

(٥) الكافي للكليني ٤: ١٩٨ ح ٢.

بقولهم: ﴿أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنّة يأكل منها...﴾[(١)].

«وأن يحشر معهم طير السماء، ووحوش الأرض» وفي اقتراح الكفّار بدله ﴿...لولا أُنزل عليه ملك...﴾[(٢)].

«لفعل» لقدرته على كلّ شيء، لكنّه تعالى لا يفعل ما ليس بحكمة؛ ﴿ولو اتّبع الحقّ أهواءهم لفسدت السماوات والأرض...﴾[(٣)]. كما أنّ السّلاطين لا يفعلون إلّا ما تقتضيه السياسة لا ما تهواه السوقة، وقد أشار عليه السلام إلى مفاسد فتح ما ذكر لهم، وحشر ما سطر معهم بقوله:

«ولو فعل لسقط البلاء» اللام فيه للعهد الذكري، أي: بالبلاء والابتلاء المفهوم من قوله عليه السلام قبل «فإنّ الله سبحانه يختبر عباده المستكبرين...».

«وبطل الجزاء» اللام فيه للعهد الذهني، أي: الجزاء المعهود في الشرائع للمطيعين والعاصين.

«واضمحلّت الأنباء» وفي (الكافي): «واضمحل الابتلاء»[(٤)].

قال ابن أبي الحديد: الأنباء جمع نبأ، وهو الخبر، أي: لسقط الوعد والوعيد وبطلا[(٥)].

قلت: ويحتمل أن يكون الإنباء بكسر الهمزة: مصدر أنبأ، والمراد إرسال الأنبياء بكون الصّواب ما في (الكافي) بلفظ: واضمحلّ.

«ولما» بتخفيف الميم، لأنّه لام الابتداء وما النافية.

«وجب للقابلين» أي: قابلي نبوّة الأنبياء.

---

(١) الفرقان: ٨.

(٢) الأنعام: ٨.

(٣) المؤمنون: ٧١.

(٤) الكافي ٤: ١٩٨ ح ٢، وفي بعض النسخ «الأنباء».

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٣٤.

«أُجور المبتلين» بفتح اللام: جمع المبتلى، أي: الممتحنين.

«ولا استحق المؤمنون ثواب المحسنين» وفي (الكافي): ولا لحق المؤمنين ثواب المحسنين[1]. وإنّما كانوا غير مستحقين لثواب لأنّهم في إيمانهم ما فعلوا شيئاً، فالمنافقون أيضاً يؤمنون بنبيّ كذلك.

«ولا لزمت الأسماء معانيها» وفي (الكافي) هكذا: ولا لزمت الأسماء أهاليها على معنى مبين، ولذلك لو أنزل الله من السماء ﴿آية فظلّت أعناقهم لها خاضعين﴾[2]، ولو فعل لسقط البلوى عن النّاس أجمعين[3].

قال ابن ميثم: روي بنصب الأسماء، وفي نسخة الرضي رحمه الله برفع الأسماء، والمعنى: أنّه لم تكن المعاني لازمة للأسماء في من سمّي بها، مثلاً من سمّي مؤمناً لا يكون معنى الإيمان الحقّ لازماً لاسمه فيه، إذ كان إيمانه بلسانه فقط عن رغبة أو رهبة[4].

وقال ابن أبي الحديد: أي من سمّي مؤمناً ليس بمؤمن إيماناً من فعله، بل يكون ملجأً إلى الإيمان بما يشاهده من الآيات العظيمة[5].

وما ذكره ابن أبي الحديد أقرب، ويشهد له زيادة (الكافي) المتقدمة، فيكون المراد أنّه لو كان الأمر كذلك لصار الناس جميعهم في الدّنيا مؤمنين كأهل الآخرة، حيث يرون آيات الله عياناً، فلا يكون لهم مجال للإنكار، كما لا يكون لأحد مع وجود الشمس مجال لإنكار النهار.

«ولكنّ الله سبحانه جعل رسله أُولي قوّة في عزائمهم» وكون أُولي العزم

---

(١) الكافي ٤: ١٩٨ ح ٢.

(٢) الشعراء: ٤ .

(٣) الكافي ٤: ١٩٨ ح ٢.

(٤) شرح ابن ميثم ٤: ٢٧٥ ونقل بتصرف.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٣٤ والنقل بالمعنى.

من الرّسل منحصراً بخمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمّد ـ صلّى الله عليه وآله وعليهم ـ لا ينافي كلامه عليه السلام في كون كلّهم أُولى قوّة في عزائمهم، لأنّ جميعهم كانوا أُولي عزم في دعوة الناس إلى ربّهم، وأُولئك كانوا أُولي عزم خاص في ذلك، بحيث كانت أوقاتهم مستغرقة في الدعوة. قال نوح: ﴿..ربِّ إنّي دعوت قومي ليلاً ونهاراً﴾(١).

وروى (الكافي) عن الصّادق عليه السلام: أنّهم صاروا أُولي العزم لأنّ نوحاً بعث بكتاب وشريعة، وكلّ من جاء بعد نوح أخذ بكتاب نوح وشريعته ومنهاجه، حتّى جاء إبراهيم عليه السلام بالصحف وبعزيمة ترك كتاب نوح لا كفراً به، فكلّ نبيّ جاء بعد إبراهيم عليه السلام أخذ بشريعة إبراهيم ومنهاجه وبالصحف، حتّى جاء موسى عليه السلام بالتّوراة وشريعته ومنهاجه وبعزيمة ترك الصحف، وكلّ نبيّ جاء بعد موسى عليه السلام أخذ بالتوراة وشريعته ومنهاجه، حتّى جاء المسيح عليه السلام بالإنجيل وبعزيمة ترك شريعة موسى ومنهاجه، فكلّ نبيّ جاء بعد المسيح عليه السلام أخذ بشريعته ومنهاجه، حتّى جاء محمّد صلى الله عليه وآله فجاء بالقرآن وبشريعته ومنهاجه، فحلاله حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة، فهؤلاء أُولو العزم من الرّسل(٢).

وفي (تفسير القمي): معنى أُولي العزم أنّهم سبقوا الأنبياء إلى الإقرار بالله، والإقرار بكلّ نبيّ كان قبلهم وبعدهم، وعزموا على الصبر على التكذيب والأذى(٣).

وتوهم الخوئي المنافاة بين كلامه عليه السلام وكون أُولي العزم خمسة،

---

(١) نوح: ٥.

(٢) الكافي للكليني ٢: ١٧ ح ٢، والبرقي في المحاسن: ٢٦٩ ح٣٥٨ عن الصادق عليه السلام وقريباً منه أخرجه الصدوق في عيون الأخبار ٢: ٧٩ ح١٣، وعلل الشرائع: ١٢٢ ح ٢ عن الرضا عليه السلام.

(٣) تفسير القمي ٢: ٣٠٠.

فقال: قال بعض المفسّرين في قوله تعالى: ﴿فاصبر كما صبر أُولو العزم من الرّسل...﴾[١]: إنّ (من) للتبيين لا للتبعيض، وإن كلّ الرسل أُولو العزم[٢].

وهو كما ترى كخرق الإجماع، وكيف كان فيشهد لقوله عليه‌السلام من كون جميعهم أُولي قوّة في عزائمهم أنّ يوسف عليه‌السلام في السّجن كان يدعو الناس إليه تعالى، فقال لصاحبي سجنه: ﴿...أأرباب متفرّقون خير أم الله الواحد القهّار* ما تعبدون من دونه إلّا أسماءً سمّيتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان...﴾[٣]. وأنّ يعقوب عليه‌السلام حتّى في احتضاره كان يدعو إليه تعالى؛ قال سبحانه: ﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوبَ الموتُ إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون﴾[٤].

«وضعفة في ما ترى الأعين من حالاتهم» قال تعالى حكاية عن قوم شعيب له: ﴿...ما نفقه كثيراً ممّا تقول وإنّا لنراك فينا ضعيفاً...﴾[٥].

«مع قناعة تملأ القلوب والعيون غنى» أصل الغنى غنى القلب والعين، وليس غناهما إلّا بالقناعة، وأمّا الحريص فقلبه وعينه مشحونان من الفقر، وإن كان ذا ثروة ووفرة؛ قال سليمان عليه‌السلام لرسل بلقيس ملكة اليمن: ﴿...بل أنتم بهديّتكم تفرحون﴾[٦].

ولمّا قالت قريش للنبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله: دع دعوتك نغنيك ونملّكك علينا. قال لهم:

---

(١) الأحقاف: ٣٥.

(٢) شرح الخوئي ٥: ٢٦١، والظاهر أن مراده ببعض المفسرين: الطبرسي في مجمع البيان ٩: ٩٤.

(٣) يوسف: ٣٩ ـ ٤٠.

(٤) البقرة: ١٣٣.

(٥) هود: ٩١.

(٦) النمل: ٣٦.

لو كنتم تقدرون على أن تجعلوا الشّمس في يميني، والقمر في شمالي ما تركت طريقتي[١].

هذا، وفي (تفسير القمي) في غزوة الخندق: فبينا المهاجرون والأنصار يحفرون إذ عرض لهم جبل لم تعمل المعاول فيه، فبعثوا جابر بن عبد الله الأنصاري إلى النبيّ ﷺ يعلمه بذلك؛ قال جابر: فجئت إلى المسجد والنبيّ ﷺ مستلقٍ على قفاه، ورداؤه تحت رأسه، وقد شدّ على بطنه حجراً... فعلمت أنّ رسول الله ﷺ مقو -أي: جائع- لما رأيت على بطنه الحجر. فقلت: يا رسول الله ﷺ هل لك في الغداء. قال: ما عندك يا جابر؟ فقلت: عناق وصاع من شعير. فقال: تقدم وأصلح ما عندك. قال: فجئت إلى أهلي فأمرتها فطحنت الشعير، وذبحت العنز وسلختها، وأمرتها أن تختبز وتطبخ وتشوي، فلمّا فرغت من ذلك جئت إلى النبيّ ﷺ فقلت: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله قد فرغنا فاحضر مع من أحببت. فقام إلى شفير الخندق ثمّ قال: معاشر المهاجرين والأنصار، أجيبوا جابراً. قال جابر: وكان في الخندق سبعمائة رجل، فخرجوا كلّهم ثمّ لم يمرّ بأحد من المهاجرين والأنصار إلّا قال: أجيبوا جابراً. قال جابر: فتقدّمت وقلت لأهلي: والله قد أتاك النبي ﷺ بما لا قبل لك به. فقالت: أعلمته أنت بما عندنا؟ قال: نعم. قالت: هو أعلم بما أتى.

قال جابر: فدخل النبي ﷺ فنظر في القدر، ثمّ قال: اغرفي وأبقي. ثمّ نظر في التنور، ثمّ قال: اخرجي وأبقي. ثمّ دعا بصحفة فثرد فيها وغرف. فقال: يا جابر أدخل عليّ عشرة. فأدخلت عشرة. فأكلوا حتّى نهلوا، وما يرى في القصعة إلّا آثار أصابعهم... قال جابر: فقلت: يا رسول الله ﷺ كم للشاة من ذراع قال: ذراعان. فقلت: والّذي بعثك بالحقّ نبياً لقد أتيتك بثلاثة. فقال: أما لو

---

(١) نقله ابن هشام في السيرة ١: ٢٤٠، والطبري في تاريخه ٢: ٦٧، وابن شهر آشوب في المناقب ١: ٥٨.

سكّت يا جابر لأكل النّاس كلّهم من الذراع. قال جابر: فأقبلت أُدخل عشرة عشرة، فدخلوا يأكلون حتّى أكلوا كلّهم، وبقي والله لنا من ذلك الطعام ما عشنا به أيّاماً[١].

«وخصاصة» أي: فقر.

«تملأ الأبصار» برؤيتها.

«والأسماع» بسماعها.

«أذى» ورثى قلبه لهم.

«ولو كانت الأنبياء أهل قوّة لا ترام» من رام يروم، أي: طلب.

«وعزّة لا تضام» من الضّيم بمعنى: الاستذلال.

«وملك تمتدّ نحوه أعناق الرّجال» كناية عن الرغبة الشديدة، فمن اشتاق إلى شيء شديداً يمدّ عنقه نحوه ليراه كاملاً.

«وتشدّ إليه عقد الرّحال» الرحل للبعير كالسرج للدابّة، وهو أيضاً كناية عن غاية الشوق، حتّى يحمل صاحبه على الشخوص نحو المطلوب إلى مسافة بعيدة.

«لكان ذلك أهون على الخلق في الاعتبار» وفي (الكافي) «في الاختبار»[٢] وهو الأصح كما لا يخفى.

«وأبعد لهم في الاستكبار» ﴿وقالوا لولا نزّل هذا القرآن على رجلٍ من القريتين عظيم﴾[٣]. وكانوا يقولون: كيف نتّبع يتيم أبي طالب.

«ولآمنوا عن رهبة قاهرة لهم» كإيمان أبي سفيان ومعاوية، وكثير من

---

(١) تفسير القمّي ٢: ١٧٨.

(٢) الكافي ٤: ١٩٩ ح ٢.

(٣) الزخرف: ٣١.

أهل مكّة بعد فتح النبي صلى الله عليه وآله لها، فآمنوا ظاهراً ليحقنوا به دماءهم؛ وقال عليه السلام في معاوية وأصحابه: ما أسلموا، ولكن استسلموا وأسرّوا الكفر، فلمّا وجدوا أعواناً عليه أظهروه[١].

«أو رغبة مائلة بهم» روى الطبري عن هشام عن عوانة عن لبطة بن الفرزدق عن أبيه ـ وذكر لقاءه الحسين عليه السلام في الحرم لمّا أراد الكوفة خارجاً من مكّة، وسؤاله عن أشياء من نذور ومناسك ـ قال الفرزدق: ثمّ مضيت فإذا بفسطاط مضروب في الحرم، وهيئته حسنة، فأتيته فإذا هو لعبد الله بن عمرو بن العاص، فسألني، فأخبرته بلقاء الحسين بن علي عليهما السلام، فقال لي: ويلك! فهلّا اتّبعته، فوالله ليملكنّ ولا يجوز السلاح فيه، ولا في أصحابه. قال: فهممت والله أن ألحق به، ووقع في قلبي مقالته، ثمّ ذكرت الأنبياء وقتلهم، فصدّني ذلك عن اللّحاق بهم[٢].

قلت: كان عبد الله بن عمرو سمع من أخبار الملاحم شيئاً، والظاهر أنّه سمع أنّ الحسين عليه السلام وأصحابه لا يجدون ألم السّلاح، كما ورد في خبر آخر، لشدّة شوقهم، فوهم وبدّله بعدم جواز السلاح وأثره فيهم.

وروى الطبري أيضاً عن أبي مخنف، عن أبي عليّ الأنصاري، عن بكر بن مصعب المزني؛ قال: كان الحسين عليه السلام لا يمرّ أهل ماء إلّا اتّبعوه، حتّى انتهى إلى زبالة سقط إليه مقتل أخيه من الرضاعة؛ فأخرج للناس كتاباً فقرأ عليهم: «أمّا بعد فإنّه قد أتانا خبر فظيع: قتل مسلم بن عقيل، وهانئ بن عروة، وعبد الله بن بقطر، وقد خذلتنا شيعتنا. فمن أحبّ منكم الانصراف، فلينصرف ليس عليه منّا ذمام» فتفرّق الناس عنه تفرّقاً، فأخذوا يميناً وشمالاً حتّى بقي

(١) نهج البلاغة للشريف الرضي ٣: ١٦ الكتاب ١٦.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٢٩٠ سنة ٦٠.

في أصحابه الّذين جاؤوا معه من المدينة، وإنّما فعل ذلك لأنّه ظنّ أنّما اتّبعه الأعراب، لأنّهم ظنّوا أنّه يأتي بلداً قد استقامت له طاعة أهله، فكره أن يسيروا معه إلّا وهم يعلمون علامَ يقدمون، وقد علم أنّهم إذا بيّن لهم لم يصحبه إلّا من يريد مواساته والموت معه[1].

«فكانت النيّات مشتركة والحسنات مقتسمة» قال ابن أبي الحديد وابن ميثم والخوئي[2]: أي تكون النيّات حينئذ مشتركة بينه تعالى وبين ما يأملونه من الشهوات والحسنات، مقتسمة بينه تعالى، وبين تلك الشهوات، غير خالصة من هوى الأنفس.

قلت: بل المراد أنّ النيّات تصير حينئذ مشتركة بين الموحّد والملحد، والحسنات مقتسمة بين الصالح والطالح.

«ولكنّ الله سبحانه أراد أن يكون الاتّباع لرسله» الظرف لغو، وكذلك في الفقرات الأربع بعده.

«والتّصديق لكتبه» الصحف، والتّوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن.

«والخشوع لوجهه» أي: لذاته.

«والاستكانة» أي: الخضوع والمسكنة.

«لأمره» التكليفي.

«والاستسلام» أي: الانقياد.

«لطاعته أُموراً له» تعالى.

«خاصّة لا يشوبها» أي: لا يختلطها.

«من غيرها شائبة» والأُصل فيها قذر يشوب ويختلط بشيء طيب؛ قال

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٠٠ سنة ٦٠ والنقل بتقطيع.

(٢) هذا المعنى قاله ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٢٣٥، وابن ميثم في شرحه ٤: ٢٧٧، والخوئي في شرحه ٥: ٢٦١.

تعالى: ﴿...فمن كان يرجو لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربّه أحداً﴾[١].

وعن النبي صلى الله عليه وآله: أنّ الملك ليصعد بعمل العبد مبتهجاً به، فإذا صعد بحسناته يقول الله تعالى: اجعلوها في سجّين، إنّه ليس إيّاي أراد بها[٢].

وعن الصادق عليه السلام قال الله عزّوجلّ: أنا خير شريك، من أشرك معي غيري في عمله لم أقبله إلّا ما كان لي خالصاً[٣].

٧
من الخطبة (١٥٨)

وَإِنْ شِئْتُ ثَنَّيْتُ بِمُوسَى كَلِيمِ ٱللّهِ صلى الله عليه وآله إِذْ يَقُولُ: ﴿...رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ...﴾[٤]؛ وَٱللّهِ مَا سَأَلَهُ إِلَّا خُبْزاً يَأْكُلُهُ، لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ ٱلْأَرْضِ، وَلَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ ٱلْبَقْلِ تُرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِهِ، لِهُزَالِهِ وَتَشَذُّبِ لَحْمِهِ. وَإِنْ شِئْتُ ثَلَّثْتُ بِدَاوُدَ عليه السلام صَاحِبِ المَزَامِيرِ، وَقَارِيءُ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ، فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ ٱلْخُوصِ بِيَدِهِ، وَيَقُولُ لِجُلَسَائِهِ: أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا، وَيَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا. وَإِنْ شِئْتُ قُلْتُ فِي عِيسَى بنِ مَرْيَمَ عليه السلام، فَلَقَد كَانَ يَتَوَسَّدُ ٱلْحَجَرَ، وَيَلْبَسُ ٱلْخَشِنَ، وَكَانَ إِدَامُهُ ٱلْجُوعَ، وَسِرَاجُهُ بِاللَّيْلِ ٱلْقَمَرَ، وَظِلَالُهُ فِي الشِّتَاءِ مَشَارِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وَفَاكِهَتُهُ وَرَيْحَانُهُ مَا تُنْبِتُ

---

(١) الكهف: ١١٠.

(٢) الكافي للكليني ٢: ٢٩٤ ح٧، وابن الأشعث في الأشعثيات: ١٦٣.

(٣) الكافي للكليني ٢: ٢٩٥ ح٩، والأهوازي في الزهد: ٦٣، والبرقي في المحاسن: ٢٥٢، وتفسير العياشي ٢: ٣٥٣ ح٩٤، ورواه الطبرسي في مشكاة الأنوار: ١١، وابن فهد في عدّة الداعي وصاحب فقه الرضا فيه عنهما المستدرك ١: ١٠ ح٥، ٧.

(٤) القصص: ٢٤.

ٱلْأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ، وَلَا وَلَدٌ يَحْزُنُهُ، وَلَا مَالٌ يَلْفِتُهُ، وَلَا طَمَعٌ يُذِلُّهُ. دَابَّتُهُ رِجْلَاهُ، وَخَادِمُهُ يَدَاهُ.

«وإن شئت ثنّيت» أي: جعلت دليلاً ثانياً في ذمّ الدّنيا وعيبها، وكثرة مخازيها ومساويها.

«بموسى كليم الله صلى الله عليه وآله» والدّليل الأوّل: عمل الدّنيا مع نبيّنا صلى الله عليه وآله، إذ قبضت عنه أطرافها، ووطئت لغيره أكنافها، كما يأتي في فصل النبوّة الخاصّة، وكون موسى عليه السلام كليم الله ممّا نطق به القرآن؛ قال عزّوجلّ ﴿...وكلّم الله موسى تكليماً﴾[1]، وعن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: أنّ الله تعالى ناجى موسى بن عمران بمائة كلمة، وأربعة وعشرين ألف كلمة، في ثلاثة أيّام ولياليهنّ، ما طعم فيها موسى ولا شرب فيها، فلمّا انصرف إلى بني إسرائيل وسمع كلامهم مقتهم، لما كان وقع في مسامعه من حلاوة كلام الله تعالى[2].

وروى (العلل) عن الصادق عليه السلام: أوحى الله تعالى إلى موسى، أتدري لِمَ اصطفيتك لكلامي دون خلقي؟ فقال موسى: لا يا ربّ. فقال ياموسى: إنّي قلّبت عبادي ظهراً لبطن، فلم أجد فيهم أحداً أذلّ لي منك نفساً. يا موسى إنّك إذا صلّيت وضعت خدّيك على التّراب[3]. وكان موسى عليه السلام إذا صلّى لم ينفتل حتّى يلصق خدّه الأيمن بالأرض والأيسر[4].

«إذ يقول: ﴿ربّ إنّي لما أنزلت إليّ من خير فقير﴾» الآية في سورة القصص، وقبلها: ﴿ولمّا ورد ماء مدين وجد عليه أُمّة من النّاس يسقون

---

(١) النساء: ١٦٤.

(٢) الخصال للصدوق: ٦٤١ ح ٢٠ باب (الألف).

(٣) علل الشرائع للصدوق: ٥٦ ح١، والكافي للكليني ٢: ١٢٣ ح٧، وأبو علي الطوسي في أماليه ١: ١٦٦، ورواه الراوندي في قصص الأنبياء عنه البحار ١٣: ٨ ح٨، والطبرسي في مشكاة الأنوار: ٢٢٧.

(٤) علل الشرائع للصدوق: ٥٧ ح٢، في ذيل الحديث.

ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتّى يصدر الرّعاء وأبونا شيخ كبير* فسقى لهما ثمّ تولّى إلى الظلّ فقال...﴾(١).

«والله ما سأله إلّا خبزاً يأكله» في (الكافي) عن النبيّ صلى الله عليه وآله: الخبز مبارك، أرسل الله تعالى له السماء مدراراً، وله أنبت الله المرعى، وبه صلّيتم، وبه صمتم، وبه حججتم بيت ربّكم(٢).

وعنه صلى الله عليه وآله: أكرموا الخبز، فإنّه قد عمل فيه ما بين العرش إلى الأرض وما فيها كثير من خلقه(٣).

وفي (العيون) عن الرضا عليه السلام: أنّ سلمان دعا أبا ذر إلى منزله فقدّم إليه رغيفين، فأخذ أبو ذر الرغيفين فقلّبهما، فقال سلمان: يا أبا ذر لأي شيء تقلّب هذين الرّغيفين؟ قال: خفت أن لا يكونا نضيجين، فغضب سلمان من ذلك غضباً شديداً، ثمّ قال: ما أجرأك حيث تقلّب هذين الرغيفين، فوالله لقد عمل في هذا الخبز الماء الّذي تحت العرش، وعملت فيه الملائكة حتّى ألقوه إلى الرّيح، وعملت فيه الريح حتّى ألقته إلى السحاب، وعمل فيه السحاب حتّى أمطره إلى الأرض، وعمل فيه الرّعد والبرق والملائكة حتّى وضعوه مواضعه، وعملت فيه الأرض والخشب والحديد والبهائم والنار والحطب والملح، وما لا أحصيه أكثر، فكيف لك أن تقوم بهذا الشكر؟ فقال أبو ذرّ: إلى الله أتوب وأستغفر إليه ممّا أحدثت(٤).

«لأنّه كان يأكل بقلة الأرض، ولقد كانت خضرة البقل ترى» البقلة.

«من شفيف» من شفّ عليه ثوبه، إذا رقّ حتّى يُرى ما خلفه.

---

(١) القصص: ٢٣ ـ ٢٤.

(٢) الكافي للكليني ٦: ٣٠٣ ح٦، والمحاسن للبرقي: ٥٨٥ ح ٨٢.

(٣) الكافي للكليني ٦: ٣٠٢ ح ٢، والمحاسن للبرقي: ٥٨٥ ح٨١، ومكارم الأخلاق للطبرسي: ١٥٤.

(٤) عيون الأخبار للصدوق ٢: ٥٢ ح٢٠٣، وأمالي الصدوق: ٣٥٩ ح٦ المجلس (٦٨).

«صفاق» أي: الجلد الأسفل الذي تحت الجلد الذي عليه الشعر.

«بطنه لهزاله» الهزال مقابل السمين.

«وتشذّب لحمه» أي: تفرّقه.

«وإن شئت ثلّثت» أي: جعلت دليلاً ثالثاً لك في نقص الدّنيا.

«بداود عليه السلام صاحب المزامير» جمع المزمار؛ قيل: قيل له صاحب المزامير، لأنّه كان كأنّ في حلقه مزامير من حسن صوته.

«وقارئ أهل الجنّة» قال تعالى: ﴿...وآتينا داود زبوراً﴾[1]، ﴿...واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنّه أوّاب* إنّا سخّرنا الجبال معه يسبّحن بالعشيّ والإشراق* والطير محشورة كلّ له أوّاب* وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾[2]، ﴿ولقد آتينا داود منّا فضلاً يا جبال أوّبي معه والطير وألنّا له الحديد* أنِ اعملْ سابغاتٍ وقدّر في السرد...﴾[3].

«فلقد كان يعمل سفائف» أي: نسائج.

«الخوص» أي: ورق النخل.

«بيده ويقول لجلسائه أيّكم يكفيني بيعها» وروى الطبري في (ذيله) أنّه كان عطاء سلمان خمسة آلاف، وكان على ثلاثين ألفاً من الناس يحطب في عباءة يفترش نصفها، ويلبس نصفها، وكان إذا خرج عطاؤه أمضاه ويأكل من سفيف يده[4].

وروى (الاستيعاب) أنّ قوماً دخلوا على سلمان وهو أمير على المدائن، وهو يعمل الخوص، فقيل له: تعمل هذا وأنت أمير يجري عليك رزق؟ فقال: إنّي

---

(١) الإسراء: ٥٥.

(٢) ص: ١٧ ـ ٢٠.

(٣) سبأ: ١٠ ـ ١١.

(٤) منتخب ذيل المذيل للطبري: ٣٣.

أُحبّ أن آكل من عمل يدي[1].

«ويأكل قرص الشعير من ثمنها» في (الكافي) عن الرّضا عليه السلام: ما من نبيّ إلّا وقد دعا لأكل الشعير وبارك عليه، وما دخل جوفاً إلّا وأخرج كلّ داء فيه، وهو قوت الأنبياء وطعام الأبرار، أبى الله تعالى أن يجعل قوت أنبيائه إلّا شعيراً[2].

هذا، وروى الطبري في (ذيله): أنّ أصحاب الإبل وأصحاب الغنم تفاخروا عند النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال أصحاب الإبل: ما أنتم يا رعاء الشّاة، هل تجبون شيئاً أو تصيبونه؟ ما هي إلّا شويهات أحدكم يرعاها ثمّ يروحها. حتّى أصمتوهم، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: بُعث داود عليه السلام وهو راعي غنم، وبُعث موسى عليه السلام، وهو راعي غنم، وبعثت أنا وأنا أرعى غنم أهلي بأجياد. فغلبهم أصحاب الغنم[3].

«وإن شئت قلت في عيسى بن مريم عليه السلام» قال تعالى: ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إنّ الله يبشّرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدّنيا والآخرة ومن المقرّبين* ويكلّم الناس في المهد وكهلاً ومن الصّالحين* قالت ربِّ أنّى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلكِ الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنّما يقول له كن فيكون* ويعلّمه الكتاب والحكمة والتّوراة والإنجيل* ورسولاً إلى بني إسرائيل أنّي قد جئتكم بآية من ربّكم أنّي أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأُبرئ الأكمه والأبرص وأُحيي الموتى بإذن الله وأُنبئكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم إنّ في ذلك لآية

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ٢: ٥٨.

(٢) الكافي للكليني ٦: ٣٠٤ ح١، ومكارم الأخلاق للطبرسي: ١٥٤.

(٣) منتخب ذيل المذيل للطبري: ٦٥.

لكم إن كنتم مؤمنين﴾[١].

«فلقد كان» أي: عيسى.

«يتوسّد الحجر» أي: يجعله له وسادة؛ وفي الخبر: أنّ إبليس أتى عيسى عليه السلام وكان نام وجعل وسادته لبنة، فقال له عليه السلام: ما تريد منّي وليس لي شيء من علائق الدّنيا؟ فقال: ما دام هذه اللبنة تحت رأسك أرجو منك ذلك. فأخذه عيسى، ورمى به[٢].

«ويلبس الخشن» وزاد ابن أبي الحديد[٣]: «ويأكل الجشب».

«وكان إدامه الجوع، وسراجه بالليل القمر، وظلاله في الشتاء مشارق الأرض ومغاربها» ولم يكن له دار ولا بناء.

«وفاكهته وريحانه ما تنبت الأرض للبهائم» ولم يأكل لحماً ولا فواكه.

«ولم تكن له زوجة تفتنه» كما اتّفق للكثير من العبّاد والزهّاد افتتانهم بنسائهم.

«ولا ولد يحزنه» بمرضه أو خوف فقره أو موته.

«ولا مال يلفته» أي: يصرفه عن الله تعالى وذكره؛ قال تعالى: ﴿يا أيّها الّذين آمنوا لا تُلهِكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأُولئك هم الخاسرون﴾[٤].

«ولا طمع يذلّه» فقالوا: عزّ من قنع وذلّ من طمع[٥].

---

(١) آل عمران: ٤٥ ـ ٤٩.

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي ٣: ١٩١.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٥٠.

(٤) المنافقون: ٩.

(٥) هذا قد شهر عن علي عليه السلام حتى صار من الأمثال السائرة، رواه بفرق يسير الجاحظ في مائة كلمة على نقل عبد الوهاب في شرحه: ٣٨، ورواه برواية أُخرى أيضاً رشيد الدّين الوطواط في شرح مائة كلمة: ٢٤.

«دابّته رجلاه، وخادمه يداه» وفي الخبر: قام عيسى عليه السلام وقال بعد وصفه نفسه، كما وصفه عليه السلام: أصبحت وليس لي شيء، وأمسيت وليس لي شيء، وأنا أغنى ولد آدم[1].

هذا، ولبعضهم في وصف نفسه:

أتراني أراني من الدهر يوماً ... لي فيه مطية غير رجلي
كلّما كنت في جمع فقالوا ... قرّبوا للرحيل قرّبت نعلي
حيثما كنت لا أخلف رحلاً ... من رآني فقد رآني ورحلي

ولبعضهم أيضاً:

برزت من المنازل والقباب ... فلم يعسر على أحد حجابي
فمنزلي الفضاء وسقف بيتي ... سماء الله أو قطع السحاب
فأنت إذا أردت دخلت بيتي ... عليّ مسلّماً من غير باب
لأنّي لم أجد مصراع باب ... يكون من السحاب إلى التراب
ولا خفت الإباق على عبيدي ... ولا خفت الهلاك على دوابي
ولا حاسبت يوماً قهرماني ... محاسبة فأغلظ في حسابي
وفي ذا راحة وفراغ بال ... فدأب الدهر ذا أبداً ودابي

٨
من الخطبة (١٩٩)

ومن كلام له عليه السلام:

أَيُّهَا النَّاسُ! لَا تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَى لِقِلَّةِ أَهْلِهِ، فَإِنَّ النَّاسَ اجْتَمَعُوا عَلَى مَائِدَةٍ شِبَعُهَا قَصِيرٌ، وَجُوعُهَا طَوِيلٌ.

أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضَا وَالسُّخْطُ، وَإِنَّمَا عَقَرَ نَاقَةَ ثَمُودَ

(١) معاني الأخبار للصدوق: ٢٥٢ ح ٥.

رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمَّهُمُ ٱللَّهُ بِٱلْعَذَابِ لَمَّا عَمُّوهُ بِالرِّضَا. فقالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾[1] فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ خَارَتْ أَرْضُهُمْ بِالخَسْفَة خُوَارَ السِّكَّةَ المُحْمَاةِ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْخَوَّارَةِ.

أَيُّهَا النَّاسُ! مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ ٱلْوَاضِحَ وَرَدَ ٱلْمَاءَ، وَمَنْ خَالَفَ وَقَعَ فِي التِّيهِ.

أقول: رواه النعماني بإسنادين مع اختلاف يسير وزيادة ونقيصة:

الأوّل: عن ابن عقدة، عن جعفر بن عبد الله المحمدي، عن يزيد بن إسحاق الأرحبي المعروف بشعر، عن محول، عن فرات بن أحنف، عن الأصبغ بن نباتة، قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام على منبر الكوفة يقول: أيّها الناس! الايمان أنف الهدى وعيناه. أيّها الناس! لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلّة من يسلكه، إنّ الناس اجتمعوا على مائدة قليل شبعها، كثير جوعها، والله المستعان، وإنّما يجمع الناس الرّضا والغضب. أيّها الناس! إنّما عقر ناقة صالح واحد، فأصابهم الله بعذابه بالرّضا، وآية ذلك قوله عزّوجلّ ﴿فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر* فكيف كان عذابي ونُذر﴾[2]، وقال: ﴿...فعقروها فدمدم عليهم ربّهم بذنبهم فسواها* ولا يخاف عقباها﴾[3]. ألا ومن سئل عن قاتلي فزعم أنّه مؤمن فقد قتلني. أيّها الناس! من سلك الطريق ورد الماء، ومن حاد عنه وقع في التّيه[4].

والثاني: عن محمّد بن همام، عن الحسن بن محمّد بن جمهور، عن

---

(١) الشعراء: ١٥٧ .

(٢) القمر: ٢٩ ـ ٣٠.

(٣) الشمس: ١٤ ـ ١٥.

(٤) غيبة النعماني: ١٦، وأسناد الرواية الثانية: محمد بن همام ومحمد بن الحسن بن محمد بن جمهور، جميعاً عن الحسن بن محمّد بن جمهور.

أحمد بن نوح، عن ابن عليم، عن ابن رجل، عن فرات، عمّن سمع أمير المؤمنين عليه السلام، وذكر مثله، إلّا أنّه قال بدل (من يسلكه): «أهله»[١].

«أيّها الناس لا تستوحشوا في طريق الهدى» والمراد نفسه، فقد عرفت من رواية النعماني أنّ قبله (أيّها الناس! أنا أنف الهدى وعيناه).

«لقلّة أهله» وقد عرفت أنّ في أحد إسنادي النعماني (لقلّة من يسلكه) وهو الأنسب بقوله «طريق الهدى»، وقديماً كان أهل الهدى قليلاً؛ قال تعالى: ﴿...اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور﴾[٢]، وقال عزّوجلّ: ﴿...وإنّ كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلّا الّذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم...﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون* ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكّرون﴾[٤]، وقال عزّوجلّ: ﴿ولقد مكّنّاكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلاً ما تشكرون﴾[٥].

«فإنّ الناس قد اجتمعوا على مائدة شبعها قصير وجوعها طويل» علّة لعدم الاستيحاش من طريق الحقّ والهدى لقلّة أهلهما، بأنّ الناس رأوا مائدة يشبعون منها فازدحموا عليها، إلّا أنّهم لا يدرون أنّ شبعها إنّما هو قصير، ويتبعه جوع طويل إلى الأبد، ولنعم ما قال بالفارسية:

بروار خانه گردون بدر و نان مطلب

كين سيه كاسه در آخر بكشد مهمان را

وروى (الكافي) في باب قلّة عدد المؤمنين عن الكاظم عليه السلام قال: أما والله

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) سبأ: ١٣.

(٣) ص: ٢٤.

(٤) الحاقة: ٤١ ـ ٤٢.

(٥) الأعراف: ١٠.

لقد كانت الدّنيا وما فيها إلّا واحد يعبد الله، ولو كان معه غيره لأضافه تعالى إليه حيث يقول: ﴿إنّ إبراهيم كان أُمّة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين﴾[1]، فغبر بذلك ما شاء الله، ثمّ إنّ الله، آنسه بإسماعيل وإسحاق فصاروا ثلاثة، أما والله إنّ المؤمن لقليل، وإنّ أهل الكفر لكثير[2].

وعن حمران بن أعين، قلت للباقر عليه السلام: جعلت فداك ما أقلّنا، لو اجتمعنا على شاة ما أفنيناها؟ فقال: ألا أُحدّثك بأعجب من ذلك: المهاجرون والأنصار ذهبوا إلّا ـ وأشار بيده ـ ثلاثة. قال حمران: فقلت: جعلت فداك ما حال عمّار؟ قال: رحم الله عمّاراً أبا اليقظان، بايع وقتل شهيداً. فقلت في نفسي ما شيء أفضل من الشهادة. فنظر إليّ فقال: لعلّك ترى أنّه مثل الثلاثة أيهات أيهات[3].

وعن سدير الصيرفي قلت للصادق عليه السلام: والله ما يسعك القعود؟ قال: ولِمَ؟ قلت: لكثرة شيعتك، والله لو كان لأمير المؤمنين عليه السلام ما لكَ ما طمع فيه تيم وعدي. فقال: وكم عسى أن تكونوا؟ قلت: مائة ألف. قال: مائة ألف؟ قلت: بلى مائتي ألف. قال: مائتي ألف؟ قلت: بل نصف الدّنيا. فسكت عنّي، ثمّ قال: يخفّ عليك أن تبلغ معنا إلى ينبع ـ إلى أن قال ـ: حتّى صرنا إلى أرض حمراء ونظر إلى غلام يرعى جداءً. فقال: والله لو كان لي شيعة بعدد هذه الجداء ما وسعني القعود، فعددتها فإذا هي سبعة عشر[4].

«**أيّها الناس إنّما يجمع الناس**» في العمل وعدمه.

«**الرضا والسّخط**» روى (المحاسن) فقرة «أيّها الناس إنّما يجمع النّاس الرّضا والسخط» عنه عليه السلام مع زيادة: «فمن رضي أمراً فقد دخل فيه، ومن

---

(١) النحل: ١٢٠.

(٢) الكافي للكليني ٢: ٢٤٣ ح٥، وتفسير العياشي ٢: ٢٧٤ ح٨٤.

(٣) الكافي للكليني ٢: ٢٤٤ ح٦.

(٤) الكافي للكليني ٢: ٢٤٢ ح٤ والنقل بتلخيص.

سخطه فقد خرج منه»[١].

وروى (العيون) في باب أخباره المتفرّقة عن الرّضا عليه السلام: أنّ ما روي عن الصادق عليه السلام أنّ القائم إذا خرج قتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائهم صحيح. فقيل له: قال تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أُخرى...﴾[٢]. قال: إنّما يقتلهم لرضاهم بفعال آبائهم، ومن رضي شيئاً كان كمن أتاه، ولو أنّ رجلاً قتل بالمشرق، فرضي بقتله رجل بالمغرب، كان الراضي شريك القاتل[٣].

وروى العياشي في قوله تعالى: ﴿...قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبيّنات وبالّذي قلتم فلِمَ قتلتموهم إن كنتم صادقين﴾[٤]: إنّ الصادق عليه السلام قال لكوفي: ترون قتلة الحسين عليه السلام بين أظهركم. فقال: ما بقي منهم أحد. فقال عليه السلام: أنت لا ترى القاتل إلّا من ولي القتل، أولم تسمع قوله تعالى: ﴿قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبيّنات وبالّذي قلتم فلِمَ قتلتموهم إن كنتم صادقين﴾، ولم يكن النّاس الذين قال لهم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ذلك قتلوا رسولاً، وكيف ولم يكن بين النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وبين عيسى عليه السلام رسول[٥]؟!

وقد عرفت أنّ النّعماني روى العنوان مع زيادة «ومن سئل عن قاتلي فزعم أنّه مؤمن فقد قتلني»[٦] بل يمكن أن يقال: إنّ جميع العامّة شريكون في قتل أمير المؤمنين عليه السلام والحسن والحسين وباقي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، لأنّهم راضون بخلافة أبي بكر، وخلافته تسبّبت جميع ذلك.

---

(١) المحاسن للبرقي: ٢٦٢ ح٣٢٣، وليس في صدره «أيها الناس».

(٢) فاطر: ١٨.

(٣) عيون الأخبار للصدوق ١: ٢١٢ ح٥، والنقل بتصرف.

(٤ و٥) آل عمران: ١٨٣.

(٥) تفسير العياشي ١: ٢٠٩ ح١٦٥، والنقل بتصرف.

(٦) غيبة النعماني: ١٦.

ولمّا حمل معزّ الدولة الديلمي الناس في بغداد بإقامة مراسم العزاء للحسين عليه السلام أيّام عاشوراء، أقامت العامة مراسم العزاء لمصعب بن الزبير لأنّه قتل المنتقمين للحسين عليه السلام [١].

«وإنّما عقر» أي: ضرب بالسّيف قوائم.

«ناقة ثمود» وقد عرفت أنّ النعماني رواه «ناقة صالح» [٢] وهو الأصح، وإن كان هذا أيضاً صحيحاً، لأنّ الإضافة يكفي فيها أدنى ملابسة.

«رجل واحد» واسمه قيدار.

«فعمّهم الله بالعذاب لمّا عمّوه بالرّضا، فقال سبحانه ﴿فعقروها فأصبحوا نادمين﴾ [٣]» قد عرفت من رواية النعماني [٤] أنّه عليه السلام استند إلى هذه الآية وإلى آية ﴿فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر﴾ [٥]، بمعنى أنّ المباشر للعقر كان واحداً في الآية الثانية، وقد نسبه في الآية الأُولى إلى الجميع لرضاهم بفعله.

هذا، والآيات الواردة في قوم صالح عليه السلام قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بيّنة من ربّكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسّوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم * واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوّأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين * قال الملأ الّذين استكبروا من

---

(١) غيبة النعماني: ١٦.

(٢) نقل أمر معز الدولة ابن الأثير في الكامل ٨: ٥٤٩ سنة ٣٥٢، وعزاء مصعب في الكامل ٩: ١٥٥ سنة ٣٨٩.

(٣) الشعراء: ١٥٧.

(٤) الشعراء: ١٥٧ استدلت بها رواية نهج البلاغة، لكن في رواية النعماني في الغيبة: ١٦ استدلّ بآيتين من سورة القمر: ٢٩ ـ ٣٠، والشمس: ١٤ ـ ١٥.

(٥) القمر: ٢٩.

قومه للّذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أنّ صالحاً مرسل من ربّه قالوا إنّا بما أُرسل به مؤمنون* قال الّذين استكبروا إنّا بالّذي آمنتم به كافرون* فعقروا النّاقة وعتوا عن أمر ربّهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين* فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين* فتولّى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربّي ونصحت لكم ولكن لا تحبّون الناصحين﴾[١]، وفيها أيضاً نسب العقر إلى الجميع برضاهم.

وفي سورة هود: ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثمّ توبوا إليه إنّ ربّي قريب مجيب* قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوّاً قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإنّنا لفي شكّ ممّا تدعونا إليه مريب* قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بيّنة من ربّي وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله إن عصيته فما تزيدونني غير تخسير* ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكلْ في أرض الله ولا تمسّوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب* فعقروها فقال تمتّعوا في داركم ثلاثة أيّام ذلك وعد غير مكذوب* فلمّا جاء أمرنا نجّينا صالحاً والّذين آمنوا معه برحمة منّا ومِن خزيِ يومئذٍ إنّ ربّك هو القويّ العزيز* وأخذ الّذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين* كأن لم يغنوا فيها ألا إنّ ثمود كفروا ربّهم ألا بعداً لثمود﴾[٢]، وهي أيضاً كسابقتها.

وفي سورة الحجر: ﴿ولقد كذّب أصحاب الحجر المرسلين* وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين* وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين* فأخذتهم الصيحة مصبحين* فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾[٣].

---

(١) الأعراف: ٧٣ ـ ٧٩.

(٢) هود: ٦١ ـ ٦٨.

(٣) الحجر: ٨٠ ـ ٨٤.

وفي سورة الشعراء: ﴿كذّبت ثمود المرسلين* إذ قال لهم أخوهم صالح ألّا تتقون* إنّي لكم رسول أمين* فاتّقوا الله وأطيعون* وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلّا على ربّ العالمين* أتتركون في ما هاهنا آمنين* في جنّات وعيون* وزروع ونخل طلعها هضيم* وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين* فاتّقوا الله وأطيعون* ولا تطيعوا أمر المسرفين* الّذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون* قالوا إنّما أنت من المسحّرين* ما أنت إلّا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين* قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم* ولا تمسّوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم* فعقروها فأصبحوا نادمين* فأخذهم العذاب إنّ في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين﴾[١] وفيها الآية التي استشهد عليه السلام بها.

وفي سورة النمل: ﴿ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون* قال يا قوم لِمَ تستعجلون بالسّيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلّكم ترحمون* قالوا اطّيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون* وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون* قالوا تقاسموا بالله لنبيّتنّه وأهله ثمّ لنقولنّ لوليّه ما شهدنا مهلك أهله وإنّا لصادقون﴾[٢].

وفي سورة السجدة (فصلت): ﴿وأمّا ثمود فهديناهم فاستحبّوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون﴾[٣].

وفي الذاريات : ﴿وفي ثمود إذ قيل لهم تمتّعوا حتّى حين* فعتوا عن

---

(١) الشعراء: ١٤١ ـ ١٥٨.

(٢) النمل: ٤٥ ـ ٤٩.

(٣) فصّلت: ١٧.

أمر ربّهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون* فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين﴾(١).

وفي القمر: ﴿إنّا مرسلو النّاقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر* ونبّئهم أنّ الماء قسمة بينهم كلّ شرب محتضر* فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر* فكيف كان عذابي ونذر* إنّا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر﴾(٢) وقد استشهد عليه السلام بها على رواية النعماني(٣).

وفي الحاقة: ﴿فأمّا ثمود فأُهلكوا بالطاغية﴾(٤)، وفي الفجر: ﴿وثمود الّذين جابوا الصّخر بالواد﴾(٥) وفي الشمس: ﴿كذّبت ثمود بطغواها* إذ انبعث أشقاها فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها* فكذّبوه فعقروها فدمدم عليهم ربّهم بذنبهم فسوّاها* ولا يخاف عقباها﴾(٦) وقد استشهد عليه السلام بها على رواية النعماني(٧).

وفي (تفسير القمي): إنّ الله تعالى بعث صالحاً إلى ثمود وهو ابن ستّ عشرة سنة لا يجيبونه إلى خير، وكان لهم سبعون صنماً يعبدونها من دون الله، فلمّا رأى ذلك منهم قال لهم: يا قوم بعثت إليكم وأنا ابن ستّ عشرة سنة، وقد بلغت عشرين ومائة سنة، وأنا أعرض عليكم أمرين، إن شئتم فاسألوني مهما أردتم حتّى أسأل إلهي فيجيبكم، وإن شئتم سألت آلهتكم، فإن أجابتني

---

(١) الذاريات: ٤٣ ـ ٤٥.

(٢) القمر: ٢٧ ـ ٣١.

(٣) غيبة النعماني: ١٦.

(٤) الحاقّة: ٥.

(٥) الفجر: ٩.

(٦) الشمس: ١١ ـ ١٥.

(٧) غيبة النعماني: ١٦.

خرجت عنكم. فقالوا: أنصفتَ فأمهلنا. فأقبلوا يتعبّدون ثلاثة أيّام ويتمسّحون بالأصنام ويذبحون لها، وأخرجوها إلى سفح الجبل وأقبلوا يتضرّعون إليها، فلمّا كان اليوم الثالث قال لهم صالح عليه السلام: قد طال هذا الأمر. فقالوا له: سل من شئت. فدنا إلى أكبر صنم لهم، فقال: ما اسمك؟ فلم يجبه. فقال لهم: ما له لا يجيبني؟ قالوا له: تنحّ عنه. فتنحّى عنه وأقبلوا إليه ووضعوا على رؤوسهم التراب وضجّوا، وقالوا: فضحتنا ونكست رؤوسنا.

وقال صالح: قد ذهب النّهار. فقالوا: سله. فدنا منه، فكلّمه فلم يجبه، فبكوا وتضرّعوا حتّى فعلوا ذلك ثلاث مرّات، فلم يجبهم بشيء، فقالوا: إنّ هذا لا يجيبك، ولكنّا نسأل إلهك. فقال لهم: سلوا ما شئتم. فقالوا: سله أن يخرج لنا من هذا الجبل ناقة حمراء شقراء عشراء ـ أي: حاملة ـ تضرب بمنكبيها طرفي الجبلين، وتلقي فصيلها من ساعتها، وتدرّ لبنها. فقال صالح: إنّ الذي سألتموني عندي عظيم، وعند الله هيّن. فقام وصلّى ركعتين، ثم سجد وتضرّع إلى الله، فما رفع رأسه حتّى تصدّع الجبل وسمعوا له دويّاً شديداً، ففزعوا منه وكادوا أن يموتوا منه، فطلع رأس الناقة وهي تجترّ، فلمّا خرجت ألقت فصيلها ودرّت لبنها، فبهتوا وقالوا: قد علمنا يا صالح أنّ ربّك أعزّ وأقدر من آلهتنا التي نعبدها. وكان لقريتهم ماء، وهي الحجر التي ذكرها الله تعالى في كتابه، وهو قوله: ﴿ولقد كذّب أصحاب الحجر المرسلين﴾[1]. فقال لهم صالح: لهذه الناقة شرب. أي: تشرب ماءكم يوماً، وتدرّ لبنها عليكم يوماً، وهو قوله تعالى: ﴿...لها شرب ولكم شرب يوم معلوم* ولا تمسّوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم﴾[2]، فكانت تشرب ماءهم يوماً، وإذا كان من الغد وقفت وسط

---

(١) الحجر: ٨٠.

(٢) الشعراء: ١٥٥ ـ ١٥٦.

قريتهم، فلا يبقى في القرية أحد إلّا حلب منها حاجته. وكان فيهم تسعة من رؤسائهم، كما ذكر الله تعالى في سورة النمل: ﴿وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون﴾[١]، فعقروا النّاقة ورموها حتّى قتلوها وقتلوا الفصيل، فلمّا عقروا النّاقة قالوا لصالح: ﴿...ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين﴾[٢]. قال صالح: ﴿...تمتّعوا في داركم ثلاثة أيّام ذلك وعْدٌ غير مكذوب﴾[٣]. ثمّ قال لهم وعلامة هلاككم أنّه تبيضّ وجوهكم غداً، وتحمرّ بعد غد، وتسودّ اليوم الثالث، فلما كان من الغد نظروا إلى وجوههم وقد ابيضّت مثل القطن، فلمّا كان اليوم الثاني احمرّت مثل الدّم، فلمّا كان اليوم الثالث اسودّت وجوههم، فبعث الله عليهم صيحة وزلزلة فهلكوا وهو قوله: ﴿فأخذتهم الرّجفة...﴾[٤].

وقال القمّي أيضاً في سورة النمل: وكان الّذي عقر الناقة أزرق أحمر ولد زنا[٥].

وأما قوله : ﴿قالوا اطّيّرنا بك وبمن معك...) فإنّه أصابهم جوع شديد، فقالوا: من شؤمك وشؤم من معك أصابنا هذا القحط، ﴿...قال طائركم عند الله...﴾[٦] يعني خيركم وشرّكم من عند الله، ﴿...بل أنتم قوم تفتنون﴾[٧]، أي: تبتلون بالاختبار. ﴿قالوا تقاسموا بالله لنبيّتنّه وأهله...﴾[٨] فأتوا صالحاً

---

(١) النمل: ٤٨.

(٢) الأعراف: ٧٧.

(٣) هود: ٦٥.

(٤) تفسير القمي ١: ٣٣٠، والآية ٧٨ من سورة الأعراف.

(٥) تفسير القمي ٢: ١٣٢.

(٦ و٧) النمل: ٤٧.

(٨) النمل: ٤٩.

ليقتلوه، وعند صالح ملائكة يحرسونه، فلّما أتوه قاتلتهم الملائكة في دار صالح رجماً بالحجارة، فأصبحوا في داره مقتّلين، وأخذت قومه الرجفة ﴿...فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾(١).

«فما كان إلّا أن خارت أرضهم بالخسفة» أي: ضعفت ووهنت أرضهم بالخسفة الحاصلة من الرّجفة.

«خوار السّكة» أي: الحديدة التي يحرث بها.

«المحمّاة» من: أحميت الحديدة في النار.

«في الأرض الخوارة» أي: المنهمرة في نفسها، وفي (المجمع) ـ بعد ذكر عقر الناقة ـ: فلمّا رأى الفصيل ما فعل بأُمّه ولّى هارباً حتّى صعد جبلاً، ثمّ رغا رغاء تقطّع منه قلوب القوم، وأقبل صالح فخرجوا يعتذرون إليه: إنّما عقرها فلان ولا ذنب لنا. فقال صالح: انظروا هل تدركون فصيلها، فإن أدركتموه فعسى أن يرفع عنكم العذاب. فخرجوا يطلبونه في الجبل فلم يجدوه، وكانوا عقروا الناقة ليلة الأربعاء، فقال لهم صالح: تمتّعوا في داركم ـ يعني: في محلّتكم في الدّنيا ـ ثلاثة أيّام... فلمّا كان نصف الليل (بعد الثالث) أتاهم جبرائيل عليه السلام، فصرخ بهم صرخة خرقت أسماعهم، وفلقت قلوبهم، وصدعت أكبادهم، وكانوا قد تحنطوا وتكفنوا وعلموا أنّ العذاب نازل بهم، فماتوا أجمعين في طرفة عين، صغيرهم وكبيرهم، فلم يبق الله منهم ثاغية ولا راغية ولا شيئاً يتنفس إلّا أهلكه، فأصبحوا في ديارهم موتى، ثمّ أرسل إليهم مع الصيحة النّار من السّماء فأحرقتهم أجمعين(٢).

وفي (المروج): كان ملك ثمود ـ وهو ابن عابر بن إرم بن سام بن نوح ـ

(١) الأعراف: ٧٣ ـ ٧٨، وهود: ٦١ ـ ٦٧.

(٢) رواه الطبرسي في مجمع البيان ٤: ٤٤٣.

بين الشّام والحجاز إلى ساحل البحر الحبشي، وديارهم بفجّ الناقة، وبيوتهم إلى وقتنا هذا أبنية منحوتة في الجبال، ورممهم باقية، وآثارهم بادية، وذلك في طريق الحاج لمن ورد من الشام بالقرب من وادي القرى، بيوتهم منحوتة في الصخر بأبواب صغار، ومساكنهم على قدر مساكن أهل عصرنا، وهذا يدلّ على أنّ أجسادهم على قدر أجسامنا دون ما يخبر به القصّاص من بُعد أجسامهم... وليس هؤلاء كعاد إذ كانت آثارهم، ومواضع مساكنهم، وبنيانهم بأرض الشحر تدلّ على بُعد أجسامهم... بعث الله صالحاً وهو غلام حدث على فترة بينه وبين هود نحو من مائة سنة، فدعا قومه، فلم يجبه إلّا يسير. وكبر صالح ولم يزدادوا إلّا بُعداً منه، فلمّا تواتر عليهم أعذاره وانذاره، ووعده ووعيده ساموه المعجزات وإظهار العلامات، ليمنعوه من دعائهم ويعجزوه عن خطابهم، فحضر عيد لهم، وقد أظهروا أوثانهم، وكان القوم أصحاب إبل، فساموه الآية من جنس أموالهم، وطالبوه بما هو مجانس لأملاكهم، فقالوا: يا صالح إن كنت صادقاً، فأظهر لنا من هذه الصخرة ناقة، ولتكن وبراء سوداء عشراء نتوجاً حالكة، صافة اللون، ذات عرف وناصية وشعر ووبر. فاستغاث بربّه، فتحرّكت الصخرة وبدا منها حنين وأنين، ثمّ انصدعت من بعد تمخّضٍ شديد كتمخّض المرأة حين الولادة، وظهر منها ناقة على ما طلبوه من الصفة، ثمّ تلاها من الصخرة سقب لها نحوها في الوصف، فأمعنا في رعي الكلاء وطلب الماء، وأقامت الناقة يحلبون من لبنها ما يعمّ شربة ثمود كلّهم، وضايقتهم في الكلاء والماء، وكان في ثمود امرأتان ذواتا حسن وجمال، فزارهما رجلان: قدار ومصدع، والمرأتان عنيزة وصدوف، فقالت صدوف: لو كان لنا في هذا اليوم ماء لأسقيناكم خمراً، وهذا يوم الناقة وورودها، ولا سبيل لنا إلى الشرب. فقالت عنيزة: بلى والله لو أنّ لنا رجالاً

لكفونا إيّاها، وهل هي إلّا بعير من الإبل. فقال قدار: يا صدوف إن أنا كفيتك أمر الناقة، فمالي عندك؟ فقالت: نفسي، وهل حائل دونها عنك. فأجابت الأُخرى صاحبها بنحو ذلك. فقالا: ميلا علينا بالخمر. فشربا حتّى توسطا السّكر. ثمّ خرجا، فاستعونا تسعة رهط، وهم التسعة الّذين أخبر تعالى عنهم في قوله: ﴿وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون﴾[1]، فقصدوا طريق الناقة في حال صدورها، فضرب قدار عرقوبها بالسيف فعرقبها، واتبع صاحبه العرقوب الآخر، فخرّت الناقة لوجهها، ووجأ قدار لبتها فنحرها، ولاذ السقب بصخرة فلحقه بعضهم، فعقره، وورد صالح فنظر إلى ما فعلوا، فوعدهم العذاب، وكان ذلك في يوم الأربعاء، فقالوا له مستهزئين: متى يكون العذاب؟ فقال: تصبح وجوهكم يوم مونس ـ وهو الخميس ـ مصفرة، ويوم العروبة محمرّة، ويوم شيار مسودّة، ثمّ يصحبكم العذاب يوم أوّل. فهمّ التسعة بقتله، فأتوه ليلاً فمنعه الله منهم، وأمطرتهم الملائكة الحجارة، فلمّا أصبحوا نظروا إلى وجوههم كما وعدهم صفراء كأنّها الورس، وخرج صالح مع من خفّ من المؤمنين ليلة الأحد من بين ظهرانيهم، فنزل موضع مدينة الرملة من بلاد فلسطين وأتاهم العذاب يوم الأحد.

وفيهم يقول بعض من آمن بصالح:

أراكم يا رجال بني عتيد ... كأنّ وجوهكم طليت بورس
ويوم عروبة احمرّت وجوه ... مصفرة ونادوا يال مرس
ويوم شيار فاسودّت وجوه ... من الحيين قبل طلوع شمس
فلمّا كان أوّل في ضحاه ... أتتهم صيحة عمّت بتعس

---

(١) النمل: ٤٨.

وقال بعض آخر منهم:

كانت ثمود ذوي عزّ ومكرمة ... ما إن يضام لهم في الناس من جار
لا يرهبون من الأعداء حولهم ... وقع السيوف ولا نزعاً بأوتار
فأهلكوا ناقة كانت لربّهم ... قد أُنذروها وكانوا غير أبرار
نادوا قداراً ولحم السقب بينهم ... هل للعجول وهل للسقب من ثار
لم يرعيا صالحاً في عقر ناقته ... وأخفروا العهد هذياً أيّ إخفار
فصادفوا عنده من ربّه حرساً ... فشدّخوا روسهم شدخاً بأحجار[(١)]

قال ابن أبي الحديد: روى المحدّثون أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لعليّ عليه السلام: أتدري من أشقى الأوّلين؟ قال: نعم، عاقر ناقة صالح. قال: أفتدري من أشقى الآخرين؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: من يضربك على هذه حتّى تخضب هذه[(٢)].

قلت: وأجاد الميبدي حيث قال بالفارسية نظماً مضمون كلام النبيّ صلى الله عليه وآله:

اشتر حق را كشته أشقى الأوّلين ... شير حق را كشته أشقى الآخرين

وفي (البحار): قال الحسين عليه السلام يوم الطّف لمّا قتلوا رضيعه: لا يكون أهون عليك من فصيل ناقة صالح. اللّهم إن كنت حبست عنّا النصر، فاجعل ذلك لما هو خير لنا[(٣)].

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٢: ١٤ والنقل بتصرف يسير.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٧٠، وأخرجه أبو يعلى في مسنده عنه المطالب العالية ٤: ٣٢٣ ح٤٥١١، وابن عساكر بطريقين في ترجمة علي عليه السلام ٣: ٣٤٢ ح١٣٨٩، ١٣٩٢، والطبراني وابن مردويه وأبو نعيم عنهم الدرّ المنثور ٦: ٣٥٧، والحسكاني في شواهد التنزيل ٢: ٣٣٥ ح١٠٩٨، عن صهيب، وفي الباب عن الضحاك وعمّار وابن عباس وجابر بن سمرة وعبيد الله بن أنس وأبو سنان الدؤلي وعبدالله بن عمر وحجية بن عدي وأبي هريرة وسعيد بن المسيب.

(٣) أخرجه بهذا اللفظ المجلسي في بحار الأنوار ٤٥: ٤٧، لكن ما نقل المجلسي تأليف حديثين: الأول أخرجه

وقد عرفت من رواية (المروج) كمال شباهة أشقى الآخرين بأشقى الأوّلين، حيث إنّ كلّاً منهما افتتن بامرأة طلبت في مقابل نفسها قتل صالح، أي: النبي صالح، وأمير المؤمنين عليهما السلام، وكون كلّ منهما ذا معاون: الأوّل مصدع، والأخير شبيب، إلّا أنّ شبيباً وقعت ضربته في الطاق.

«أيّها الناس من سلك الطريق الواضح» والمراد: طريقه عليه السلام؛ وكون طريقه واضحاً، لكونه عليه السلام كنفس النبيّ عليه السلام بنصّ القرآن وبالوجدان والعيان.

«ورد الماء» وسلم من الهلكة.

«ومن خالف» وتبع غيره.

«وقع في التيه» أي: مفازة يُتاه فيها، حيث إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: مثل أهل بيته مثل سفينة نوح: من ركبها نجا ومن تركها غرق[1].

٩
الخطبة (١٨٠)

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اَللّٰهِ بِتَقْوَى اَللّٰهِ الَّذِي أَلْبَسَكُمُ الرِّياشَ، وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمُ المَعَاشَ، فَلَوْ أَنَّ أَحَداً يَجِدُ إِلَى الْبَقاءِ سُلَّماً، أَوْ إِلَى دَفْعِ المَوْتِ سَبِيلًا، لَكانَ ذٰلِكَ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ عليه السلام الَّذِي سُخِّرَ لَهُ مُلْكُ الْجِنِّ والإِنْسِ مَعَ النُّبُوَّةِ وَعَظِيمِ الزُّلْفَةِ، فَلَمَّا اسْتَوْفَى طُعْمَتَهُ، وَاسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ، رَمَتْها قِسِيُّ الْفَنَاءِ بِنِبالِ المَوْتِ، وَأَصْبَحَتِ الدِّيارُ مِنْهُ خالِيَةً، وَالمَسَاكِنُ

أبو الفرج في مقاتل الطالبيين : ٦٠، والثاني أخرجه المفيد في الإرشاد: ٢٤٠.

(١) هذا الحديث المعروف بحديث السفينة من الأحاديث المتواترة وطرقه كثيرة منها ما رواه صاحب صحيفة الرضا عليه السلام فيه: ٥٧ ح٧٦، والقاضي الصعدي في درر الأحاديث : ٥١، والحاكم في المستدرك عنه الجامع الصغير ٢: ١٥٥، وأبو يعلى بطريقين في مسنده عنه المطالب العالية ٤: ٧٥ ح٤٠٠٣، ٤٠٠٤، والبزار بطريقين في مسنده عنه إحياء الميت : ٢٥ ـ ٢٦ ح٢٤، ٢٥، والجويني في فرائد السمطين ٢: ٢٤٣ ح٥١٧، والصدوق بطريقين في كمال الدين: ٢٣٩، ٢٤١ ح٥٩، ٦٥.

مُعَطَّلَةً، وورِثها قَوْمٌ آخَرُونَ.

وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً: أَيْنَ الْعَمالِقَةُ وَأَبْنَاءُ الْعَمالِقَةِ. أَيْنَ الْفَرَاعِنَةُ وَأَبْنَاءُ الْفَرَاعِنَةِ. أَيْنَ أَصْحابُ مَدَائِنِ ٱلرَّسِّ ٱلَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ، وَأَطْفَؤُوا سُنَنَ ٱلْمُرْسَلِينَ، وَأَحْيَوْا سُنَنَ ٱلْجَبَّارِينَ. وَأَيْنَ الَّذِين سَارُوا بِالْجُيوش، وَهَزَمُوا الأُلُوفَ، وَعَسْكَرُوا ٱلْعَسَاكِرَ، وَمَدَّنُوا ٱلْمَدَائِنَ؟

«أُوصيكم عباد الله بتقوى الله الّذي ألبسكم الرياش» أي: ثياب التجمل؛ قال تعالى: ﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكّرون﴾[١].

«وأسبغ» أي: أكمل.

«عليكم المعاش» قال تعالى: ﴿ولقد مكّناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلاً ما تشكرون﴾[٢]، ﴿والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كلّ شيء موزون* وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين﴾[٣].

«ولو أنّ أحداً يجد إلى البقاء» في الدنيا.

«سلّماً» كناية عن الوسيلة.

«أو إلى دفع» هكذا في (المصرية)، والصواب: (أو لدفع) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية)[٤].

«الموت سبيلاً» حتّى ينجو منه؛ في (تفسير القمي) عن الصادق عليه السلام: أنّ

---

(١) الأعراف: ٢٦.

(٢) الأعراف: ١٠.

(٣) الحجر: ١٩ ـ ٢٠.

(٤) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥١٤، لكن في شرح ابن ميثم ٣: ٣٨٣، «الى دفع» أيضاً.

الله تعالى غضب على ملك من الملائكة، فقطع جناحه وألقاه في جزيرة من جزائر البحر، فبقي ما شاء الله في ذلك البحر، فلمّا بعث الله إدريس عليه السلام جاز ذلك الملك إليه، فقال : يا نبيّ الله ادعُ الله تعالى أن يرضى عنّي، ويردّ عليّ جناحي. قال: نعم. فدعا إدريس، فردّ الله عليه جناحه، ورضي عنه. قال الملك لإدريس: ألك إليّ حاجّة؟ قال: نعم، أُحبّ أن ترفعني إلى السّماء حتّى أنظر إلى ملك الموت، فإنّه لا عيش لي مع ذكره. فأخذه الملك على جناحه حتّى انتهى به إلى السماء الرابعة، فإذا ملك الموت يحرّك رأسه تعجّباً، فسلّم إدريس على ملك الموت، وقال له: ما لك تحرّك رأسك؟ قال: إنّ ربّ العزّة أمرني أن أقبض روحك بين السماء الرابعة والخامسة... ثمّ قبض روحه بين السماء الرابعة والخامسة، وهو قوله تعالى: ﴿ورفعناه مكاناً عليّا﴾[1].

«لكان ذلك سليمان بن داود» قال شاعر:

يا هارباً من جنود الموت منهزماً	عنها توقّف أين المفرّ لكا
هب عشت أكثر من نوح فحين نجا	بقدرة الله من طوفانه هلكا

وقال آخر:

لو أنّ حيّاً مدرك الفلاح	أدركه ملاعب الرماح

«الّذي سخّر له ملك الجنّ والإنس» قال تعالى: ﴿ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنّا بكلّ شيء عالمين* ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملاً دون ذلك وكنّا لهم حافظين﴾[2] ﴿ولسليمان الريح غدوّها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجنّ من يعمل بين يديه بإذن ربّه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب

---

(١) تفسير القمي ٢: ٥١، ورواه الراوندي في قصص الأنبياء عنه البحار ١١: ٢٧٧ ح٧، والآية ٥٧ من سورة مريم.

(٢) الأنبياء: ٨١ ـ ٨٢.

السّعير* يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسياتٍ اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور﴾[1]، ﴿وحشر لسليمان جنوده من الجنّ والإنس والطير فهم يوزعون* حتّى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيّها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنّكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون* فتبسّم ضاحكاً من قولها وقال ربِّ اوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾[2]، ﴿ولقد فتنّا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثمّ أناب* قال ربِّ اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنّك أنت الوهّاب* فسخّرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب* والشياطين كلّ بنّاء وغوّاص* وآخرين مقرّنين في الأصفاد* هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب* وإنّ له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾[3].

وفي (تفسير القمي) في قوله تعالى: ﴿ولقد فتنّا سليمان وألقينا على كرسيّه جسداً﴾: أنّ سليمان لمّا تزوّج باليمانية ولد منها ابن وكان يحبّه، فنزل ملك الموت على سليمان، وكان كثيراً ما ينزل عليه، فنظر إلى ابنه نظراً حديداً، ففزع سليمان من ذلك، فقال لأُمّه: إنّ ملك الموت نظر إلى ابني نظرة أظنّه قد أُمر بقبض روحه. فقال للجنّ والشياطين: هل لكم حيلة في أن تفرّوه من الموت. فقال واحد منهم: أنا أضعه تحت عين الشّمس في المشرق. فقال سليمان: إنّ ملك الموت يخرج ما بين المشرق والمغرب. فقال واحد منهم: أنا أضعه في السحاب والهواء فرفعه ووضعه في السحاب، فجاء ملك الموت

---

(١) سبأ: ١٢ ـ ١٣.

(٢) النمل: ١٧ ـ ١٩.

(٣) ص: ٣٤ ـ ٤٠.

فقبض روحه في السحاب، فوقع جسده ميّتاً على كرسيّ سليمان، فعلم أنّه قد أخطأ[1].

وروي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: ملك الأرض كلّها مؤمنان: سليمان وذو القرنين؛ وكافران: نمرود وبخت النصر[2]، ولو أن أحداً كان ناجياً من الموت لكان أبوه داود عليه السلام الّذي قال تعالى فيه: ﴿واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنّه أوّاب إنّا سخّرنا الجبال معه يسبّحن بالعشيّ والإشراق والطير محشورة كلّ له أوّاب وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾[3].

وروى (الكافي) عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: مات داود النبيّ عليه السلام يوم السبت مفجوءاً، فأظلّته الطير بأجنحتها، وكذا لو كان نجا أحد لكان موسى كليم الله[4].

وفي الخبر: ومات موسى كليم الله عليه السلام في التّيه، فصاح صائح من السماء: مات موسى، وأيّ نفس لا تموت[5].

«مع النبوّة وعظيم الزّلفة» أي: التقرّب إليه تعالى؛ قال تعالى: ﴿وورث سليمان داود وقال يا أيّها الناس علّمنا منطق الطير وأُوتينا من كلّ شيء إنّ هذا لهو الفضل المبين﴾[6]، ﴿وتفقّد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين* لأعذّبنّه عذاباً شديداً أو لأذبحنّه أو ليأتينّي بسلطان مبين* فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين* إنّي وجدت

---

(١) تفسير القمي ٢: ٢٣٥.

(٢) الخصال للصدوق: ٢٥٥ ح ١٣٠، والنقل بالمعنى.

(٣) ص: ١٧ ـ ٢٠.

(٤) هاتان قطعتان من حديث واحد الكافي للكليني ٣: ١١١ ح ٤، والأهوازي في الزهد: ٨٠ ح ٢١٥، وجملة «وكذا لو كان نجا أحد لكان موسى كليم الله» من كلام الشارح.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) النمل: ١٦.

امرأة تملكهم وأُوتيت من كلّ شيء ولها عرش عظيم* وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل فهم لا يهتدون* ألّا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون* الله لا إله إلّا هو ربّ العرش العظيم* قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين* اذهب بكتابي هذا فألقِه إليهم ثمّ تولّ عنهم فانظر ماذا يرجعون* قالت يا أيّها الملأ إنّي أُلقي إليّ كتاب كريم* إنّه من سليمان وإنّه بسم الله الرّحمن الرّحيم* ألّا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين* قالت يا أيّها الملأ افتوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتّى تشهدون* قالوا نحن أُولوا قوّة وأُولو بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين* قالت إنّ الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزّة أهلها أذلّة وكذلك يفعلون* وإنّي مرسلة إليهم بهديّة فناظرة بم يرجع المرسلون* فلمّا جاء سليمان قال أتُمدّونن بمال فما آتاني الله خير ممّا آتاكم بل أنتم بهديّتكم تفرحون* ارجع إليهم فلنأتينّهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنّهم منها أذلّة وهم صاغرون* قال يا أيّها الملأ أيّكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين* قال عفريت من الجِنّ أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإنّي عليه لقويّ أمين* قال الّذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتدّ إليك طرفك فلمّا رآه مستقرّاً عنده قال هذا من فضل ربّي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنّما يشكر لنفسه ومن كفر فإنّ ربّي غنيّ كريم* قال نكّروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الّذين لا يهتدون* فلمّا جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنّه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنّا مسلمين* وصدّها ما كانت تعبد من دون الله إنّها كانت من قوم كافرين* قيل لها ادخُلي الصرح فلمّا رأته حسبته لجّة وكشفت عن ساقيها قال إنّه صرح ممرّد من قوارير قالت ربّ إنّي ظلمت نفسي

وأسلمت مع سليمان لله ربّ العالمين﴾[١].

«فلمّا استوفى طعمته» فما دام لم يأكل الإنسان اللقمة الأخيرة، ولم يشرب الجرعة الأخيرة من رزقه من الدّنيا لا يموت.

«واستكمل مدّته» وأجله المسمّى عند ربّه؛ روى (الإكمال): أنّه عاش (٧١٢) سنة[٢].

وروي عن الصادق عليه السلام أنّ ملك الموت قال للنبيّ صلى الله عليه وآله: إنّي أقبض روح ابن آدم فيجزع أهله. فأقوم في ناحية من دارهم، فأقول: ما هذا الجزع فوالله ما تعجّلناه قبل أجله، وما كان لنا في قبضه من ذنب، فإن تحتسبوا وتصبروا تؤجروا، وإن تجزعوا تأثموا وتوزروا، واعلموا أنّ لنا فيكم عودة ثمّ عودة، فالحذر الحذر إنّه ليس في شرقها ولا في غربها أهل بيت مدر ولا وبر إلّا وأنا أتصفّحهم في كلّ يوم خمس مرّات، ولأنا أعلم بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم، ولو أردت قبض روح بعوضة ما قدرت عليها حتّى يأمرني ربّي[٣].

«رمته قسيّ» قال الجوهري: قسيّ وأقواس: جمع القوس يذكّر ويؤنّث، وأصل قسيّ قؤوس لأنّه فعول، إلّا أنّهم قدّموا اللام، وصيّروه (قسوّ) على (فلوع) ثمّ قلبوا الواو ياء وكسروا القاف، كما كسروا عين (عصيّ) فصارت (قسيّ) على (فليع)[٤].

«الفناء» والارتحال من الدّنيا.

«بنبال» قال الجوهري: النبل: السهام العربية، وهي مؤنّثة لا واحد لها

---

(١) النمل: ٢٠ ـ ٤٤.

(٢) كمال الدين (إكمال الدين) للصدوق: ٥٢٤ ح٣.

(٣) صحاح اللغة ٥: ١٨٢٢ مادة (نبل).

(٤) صحاح اللغة ٢: ٩٢٤ مادة (قوس).

من لفظها، وقد جمعوها على نبال، وأنبال[١].

«الموت» ﴿فلمّا قضينا عليه الموت ما دلّهم على موته إلّا دابّة الأرض تأكل منسأته فلمّا خرّ تبيّنت الجنّ أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين﴾[٢].

وأخذ معنى كلامه عليه السلام: «رمته قسيّ الفناء بنبال الموت» في سليمان عليه السلام ضيائي الدزفولي في الناس عموماً، فقال بالفارسية، مزيداً حال كونهم في القبور:

چه شد كز يک كماندار فنا اين لشكر بی حد

بسر دارند از لوح مزار خود سپرها را

«وأصبحت الديار منه خالية والمساكن معطّلة، وورثها قوم آخرون» شأن باقي الناس من الملوك إلى السوقة؛ روى (روضة الكافي) عن الصادق أنّ الله تعالى أوحى إلى سليمان بن داود عليه السلام: إنّ آية موتك أنّ شجرة تخرج من بيت المقدس يقال لها: الخرنوبة. قال: فنظر سليمان يوماً فإذا الشجرة الخرنوبة قد طلعت من بيت المقدس، فقال لها: ما اسمك؟ قالت: الخرنوبة. قال: فولّى سليمان مدبراً إلى محرابه. فقام فيه متّكئاً على عصاه، فقبض روحه من ساعته. قال: فجعلت الجنّ والإنس يخدمونه، ويسعون في أمره كما كانوا، وهم يظنّون أنّه حيّ لم يمت، يغدون ويروحون وهو قائم ثابت حتّى دبّت الأرضة من عصاه، فأكلت منسأته فانكسرت، وخرّ سليمان إلى الأرض...[٣]

وروى (العيون) عن الرضا عليه السلام: أنّ سليمان عليه السلام قال ذات يوم

---

(١) الكافي للكليني ٣: ١٣٦ ح ٢ و ٣، وتفسير القمي ٢: ٦، ورواه الديلمي في أعلام الدين عنه البحار ٨٢: ١٨٤ ح ٣٠.

(٢) سبأ: ١٤.

(٣) الكافي للكليني ٨: ١٤٤ ح ١١٤ كتاب الروضة، ورواه الراوندي في قصص الأنبياء عنه البحار ١٤: ١٤٠، وأخرج معناه الثعلبي في العرائس: ٣٢٧، وغيره.

لأصحابه: إنّ الله تعالى قد وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي: سخّر لي الرّيح والإنس والجنّ والطير والوحوش، وعلّمني منطق الطير، وآتاني من كلّ شيء، ومع جميع ما أُوتيت من الملك ما تمّ لي سرور يوم إلى الليل، وقد أحببت أن أدخل إلى قصري في غد فأصعد أعلاه، وأنظر إلى ممالكي، فلا تأذنوا لأحد عليّ بالدخول، لئلّا أجد عليّ ما ينغّص عليّ يومي. فقالوا: نعم. فلمّا كان من الغد أخذ عصاه بيده وصعد إلى أعلى موضع من قصره ووقف متّكئاً على عصاه ينظر إلى ممالكه سروراً بما أُوتي فرحاً بما أُعطي، إذ نظر إلى شاب حسن الوجه واللباس قد خرج عليه من بعض زوايا قصره، فلمّا أبصر به سليمان قال له: من أدخلك إلى هذا القصر وقد أردت أن أخلو فيه اليوم، فبإذن مَنْ دخلت؟ فقال الشاب: أدخلني هذا القصر ربّه، وبإذنه دخلت. فقال: ربّه أحقّ به منّي، فمن أنت؟ قال: أنا ملك الموت. قال: فيم جئت؟ قال: لأقبض روحك. فقال: امض بما أُمرت به، في هذا اليوم سروري وأبى الله أن يكون لي سرور دون لقائك[1].

وفي (تفسير القمي): لمّا أوحى الله إلى سليمان أنّك ميّت أمر الشياطين أن يتّخذوا له بيتاً من قوارير، ووضعوه في لجّة البحر، ودخله سليمان عليه السلام فاتّكأ على عصاه وكان يقرأ الزبور، والشياطين حوله ينظرون إليه لا يجسرون أن يبرحوا، فبينا هو كذلك إذ حان منه التفاتة، فإذا هو برجل معه في القبّة ففزع منه. فقال له: من أنت؟ فقال له: أنا الّذي لا أقبل الرشى، ولا أهاب الملوك. فقبضه وهو متّكئ على عصاه سنة، والجنّ يعملون له ولا يعلمون بموته، حتّى بعث الله الأرضة، فأكلت منسأته ﴿فلمّا خرّ [على وجهه] تبيّنت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين﴾[2] فكذا نزلت هذه

---

(١) عيون الأخبار للصدوق ١: ٢٠٦ ح ٢٤.

(٢) سبأ: ١٤.

الآية، وذلك لأنّ الإنس كانوا يقولون: إنّ الجن يعلمون الغيب. فلمّا سقط سليمان على وجهه، علم الإنس أن لو علم الجنّ الغيب لم يعملوا سنة لسليمان وهو ميّت ويتوهمونه حيّاً. قال: فالجنّ تشكر الأرضة بما عملت بعصا سليمان. قال: فلمّا هلك سليمان وضع إبليس السّحر، وكتبه في كتاب ثمّ طواه، وكتب على ظهره: «هذا ما وضعه آصف بن برخيا للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز الملك والعلم، من أراد كذا وكذا فليفعل كذا وكذا» ثمّ دفنه تحت السرير ثمّ استثاره لهم، فقال الكافرون: ما كان يغلبنا سليمان إلّا بهذا. وقال المؤمنون: ما هو إلّا عبد الله ونبيّه[1]. فقال جلّ ذكره: ﴿واتّبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكنّ الشياطين كفروا يعلّمون الناس السّحر...﴾[2].

هذا، وقال البحتري في سليمان بن وهب:

هذا سليمان بن وهب بعدما	طالت مساعيه النجوم سموكا
وتنصّف الدّنيا يدبّر أهلها	سبعين حولاً قد تممن دكيكا
أغرت به الأقدار بغت ملمّة	ما كان رسم حديثها مأفوكا
فكأنّما خضد الحمام بيومه	غصناً بمنخرق الرياح نهيكا

«وأنّ لكم في القرون السالفة لعبرة» قال تعالى في فرعون: ﴿فأخذه الله نكال الآخرة والأُولى * إنّ في ذلك لعبرة لمن يخشى﴾[3].

وروى (أمالي الصّدوق) عن الصادق عليه السلام قال: إنّ داود عليه السلام خرج ذات يوم يقرأ الزبور، وكان إذا قرأ الزبور لا يبقى جبل ولا حجر ولا طائر ولا سبع

(١) تفسير القمي ٢: ١٩٩، ومعناه في تفسيره ١: ٥٤.

(٢) البقرة: ١٠٢.

(٣) النازعات: ٢٥ ـ ٢٦.

إلّا جاوبه، فمازال يمرّ حتّى انتهى إلى جبل، فإذا على ذلك الجبل نبيّ عابد يقال له حزقيل، فلمّا سمع دويّ الجبال وأصوات السباع والطير علم أنّه داود عليه السلام فقال داود: يا حزقيل! أتأذن لي فأصعد إليك؟ قال: لا. فبكى داود عليه السلام. فأوحى الله إليه: يا حزقيل! لا تعيّر داود، وسلني العافية. فقام حزقيل فأخذ بيد داود عليه السلام فرفعه إليه، فقال داود: يا حزقيل! هل هممت بخطيئة قط؟ قال: لا. فقال: فهل دخلك العجب ممّا أنت فيه من عبادة الله تعالى؟ قال: لا. قال: فهل ركنت إلى الدّنيا فأحببت أن تأخذ من شهوتها ولذّتها؟ قال: بلى، ربّما عرض بقلبي. قال: فماذا تصنع إذا كان ذلك؟ قال: أدخل هذا الشعب فأعتبر بما فيه. قال: فدخل داود النبيّ عليه السلام الشعب، فإذا سرير من حديد عليه جمجمة بالية وعظام فانية، وإذا لوح من حديد فيه كتابة، فقرأها داود عليه السلام فإذا هي: أنا أروى بن أسلم ملكت ألف سنة، وبنيت ألف مدينة، وافتضضت ألف بكر، فإذا كان آخر عمري أن صار التراب فراشي، والحجارة وسادتي، والديدان والحيّات جيراني، فمن رآني فلا يغترّ بالدّنيا[1].

«**أين العمالقة وأبناء العمالقة**» قال الجوهري: العمالقة قوم من ولد عمليق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، وهم أُمم تفرّقوا في البلاد[2].

وفي (الأغاني): إنّ عمليقاً ملك طسم وجديس ابني لاوذ بن إرم بن سام بن نوح، وكان في أوّل ملكه قد تمادى في الظلم والغشم، وأنّ امرأة من جديس طلّقها زوجها، وأراد أخذ ولدها منها، فخاصمته إلى عمليق... فأمر عمليق بأن تباع هي وزوجها، وأمر بالغلام بأن ينزع منهما، ويجعل في غلمانه، فقالت:

أتينا أخا طسم ليحكم بيننا فأنفذ حكماً في هزيلة ظالماً

(١) أمالي الصدوق: ٨٨ ح٨ المجلس (٢١)، وكمال الدين: ٥٢٤ ح٦، وتفسير القمي ٢: ٢٣١.

(٢) صحاح اللغة ٤: ١٥٣٣ مادة (عملق).

لعمري لقد حكّمت لا متورّعاً ... ولا كنت في ما يبرم الحكم عالماً

فلمّا سمع عمليق قولها، أمر أن لا تزوّج بكر من جديس، فتهدى إلى زوجها، حتّى يفترعها هو قبل زوجها، فلقوا من ذلك بلاء وجهداً وذلاً، فلم يزل يفعل ذلك حتّى زوّجت الشموس ـ وهي عفيرة أُخت الأسود الّذي وقع إلى جبل طيّ، فقتله طيّ وسكنوا الجبل من بعده ـ فانطلقوا بها إليه فافترعها، فخرجت إلى قومها في دمائها شاقّة درعها من قُبل ومن دُبر والدم يسيل، وهي في أقبح منظر وهي تقول:

لا أحد أذلّ من جديسِ ... أهكذا يُفعل بالعروسِ

وقالت تحرّض قومها:

أيجمل ما يؤتى إلى فتياتكم ... وأنتم رجال فيكم عدد النمل

ولو أنّنا كنّا رجالاً وكنتم ... نساءً لكنّا لا نقرّ بذا الفعل

وإن أنتمُ لم تغضبوا بعد هذه ... فكونوا نساءً لا تعاب من الكحل

ودونكم طيب العروس فإنّما ... خلقتم لأثواب العروس وللغسل

فلمّا سمع أخوها ذلك، وكان سيّداً مطاعاً ـ قال لقومه: يا معشر جديس إنّ هؤلاء ليسوا بأعزّ منكم في داركم إلّا بما كان من ملك صاحبهم علينا، ولولا إدهاننا ما كان له فضل علينا. قالوا: نطيعك، ولكنّ القوم أكثر. قال: فإنّي أصنع للملك طعاماً ثمّ أدعوهم جميعاً، فإذا جاؤوا يرفلون في الحلل ثرنا إلى سيوفهم، وهم غارّون فأهمدناهم بها. قالوا: نفعل. ففعل ذلك فلما مدّوا أيديهم إلى الطعام أخذوا سيوفهم من تحت أقدامهم، فشدّ الأسود على عمليق فقتله، وشدّ كلّ رجل منهم على جليسه فما توهم، فلمّا فرغوا من الأشراف شدّوا على السّفلة، فلم يدعوا أحداً منهم. ثمّ إنّ بقيّة طسم لجؤوا إلى حسّان بن تبّع، فغزا جديساً فقتلها وأخرب بلادها، فهرب الأسود قاتل عمليق، فأقام بجبل

طيّ قبل نزول طيّ إيّاه.

«أين الفراعنة وأبناء الفراعنة» قال الجوهري: فرعون لقب الوليد بن مصعب ملك مصر، وكلّ عاتٍ متمرّد فرعون، والعتاة الفراعنة[1].

وقال عدي بن زيد العبادي:

أين كسرى خير الملوك أنوشر ... وان أم أين قبله سابور

لم يهبه ريب المنون فولّى ... الملك عنه فبابه مهجور

حين ولّوا كأنّهم ورق جفّ ... تذري به الصبا والدبور

وبنو الأصفر الكرام ملوك الـ ... رّوم، لم يبق منهم مذكور

وفي (المروج) ـ بعد ذكر ملوك مصر الأوّلين ـ: وكثر ولد بيصر بن حام بأرض مصر، فتشعّبوا وملّكوا النساء، فطمعت فيهم ملوك الأرض، فسار إليهم من الشام ملك من ملوك العماليق يقال له: الوليد بن دومع، فكانت له حروب بها وغلب على الملك، فانقادوا إليه واستقام له الأمر إلى أن هلك، ثمّ ملك بعده الرّيان بن الوليد العملاقي، وهو فرعون يوسف، وقد ذكر الله تعالى خبره مع يوسف وما كان من أمرهما في كتابه العزيز، ثمّ قال: ثمّ ملك بعده دارم بن الريان العملاقي، ثمّ ملك بعده كامس بن معدان العملاقي، ثمّ ملك بعده الوليد بن مصعب، وهو فرعون موسى عليه السلام وقد تنوزع فيه: فمن الناس من رأى أنّه من العماليق، ومنهم من رأى أنّه من لخم من بلاد الشام، ومنهم من رأى أنّه من الأقباط من ولد مصر بن بيصر... ولمّا غرق فرعون ومن كان معه من الجنود، وخشي من بقي بأرض مصر من الذراري والنساء والعبيد أن يغزوهم ملوك الشام والمغرب، فملّكوا عليهم امرأة ذات رأي وحزم يقال لها: دلوكة[2].

(١) صحاح اللغة ٦: ٢١٧٧ مادة (فرعن).

(٢) مروج الذهب للمسعودي ١: ٣٩٧.

والّذي اتفقت عليه التواريخ ـ مع تباين ما فيها ـ أنّ عدّة ملوك مصر من الفراعنة وغيرها اثنان وثلاثون فرعوناً، ومن ملوك بابل ممّن تملك على مصر خمسة، ومن ملوك بابل وهم العماليق الّذين طرؤوا اليها من بلاد الشام أربعة، ومن الروم سبعة، ومن اليونانيين عشرة، وذلك قبل ظهور السّيّد المسيح عليه السلام، وملكها أُناس من الفرس من قبل الأكاسرة، وكان مدّة من ملك مصر من الفراعنة والفرس والروم والعماليق واليونانيين ألف سنة وثلاثمائة سنة[١].

قال تعالى: ﴿وفرعون ذي الأوتاد* الّذين طغوا في البلاد* فأكثروا فيها الفساد* فصبّ عليهم ربّك سوط عذاب* إنّ ربّك لبالمرصاد﴾[٢]، وقال تعالى لبني إسرائيل: ﴿وإذ نجّيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبّحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربّكم عظيم﴾[٣].

«أين أصحاب مدائن الرسّ» في (الصحاح): الرسّ: اسم بئر كانت لبقيّة من ثمود[٤]. ويأتي وجه آخر في الخبر[٥]؛ قال تعالى: ﴿كذّبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرّسّ وثمود* وعاد وفرعون وإخوان لوط* وأصحاب الأيكة وقوم تبّع كلّ كذّب الرّسل فحقّ وعيد﴾[٦]، ﴿وعاداً وثمود وأصحاب الرّسّ وقروناً بين ذلك كثيراً وكلًّا ضربنا له الأمثال وكلاًّ تبّرنا تتبيراً﴾[٧].

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ١: ٤٠٦.

(٢) الفجر: ١٠ ـ ١٤.

(٣) البقرة: ٤٩.

(٤) صحاح اللغة ٢: ٩٣١ مادة (رسس).

(٥) يأتي في تكملة هذا العنوان.

(٦) ق: ١٢ ـ ١٤.

(٧) الفرقان: ٣٨ ـ ٣٩.

وروى (العيون والعلل): أنّ أصحاب الرس كانوا قوماً يعبدون شجرة صنوبر يقال لها (شاه درخت) كان يافث بن نوح غرسها على شفير عين يقال لها (روشاب) كانت استنبطت لنوح بعد الطوفان ـ وإنّما سمّوا أصحاب الرسّ لأنّهم رسّوا نبيّهم في الأرض ـ وذلك بعد سليمان، وكانت لهم اثنتا عشرة قرية على شاطئ نهر يقال له (الرسّ) من بلاد المشرق، وبهم سمّي ذلك النهر، ولم يكن يومئذ في الأرض نهر أغزر منه ولا أعذب منه، ولا قرى أكثر ولا أعمر منها؛ تسمّى إحداهنّ (أبان) والثانية (آذر) والثالثة (دي) والرابعة (بهمن) والخامسة (اسفندار) والسادسة (فروردين) والسابعة (ارديبهشت) والثامنة (خرداد) والتاسعة (مرداد) والعاشرة (تير) والحادية عشرة (مهر) والثانية عشرة (شهريور)، وكانت أعظم مدنهم (اسفندار)، وهي التي كان ينزلها ملكهم، وكان يسمّى تركوذ بن عابور بن يارش بن ساذن بن نمرود بن كنعان ـ ونمرود فرعون إبراهيم ـ وبها العين والصنوبرة، وقد غرسوا في كلّ قرية منها حبّة من طلع تلك الصنوبرة، وأجروا إليها نهراً من العين التي عنده الصنوبرة، فنبتت الحبّة وصارت شجرة عظيمة، وحرّموا ماء العين والأنهار، فلا يشربون منها ولا أنعامهم، ومن فعل ذلك قتلوه، ويقولون: هو حياة آلهتنا، فلا ينبغي لأحد أن ينقص من حياتها. ويشربون هم وأنعامهم من نهر الرّس الّذي عليه قراهم.

وقد جعلوا في كلّ شهر من السنة في كلّ قرية عيداً يجتمع إليه أهلها، فيضربون على الشجرة التي بها كلّة من حرير فيها من أنواع الصور، ثمّ يأتون بشاة وبقر، فيذبحونها قرباناً للشجرة، ويشعلون فيها النيران بالحطب، فإذا سطع دخان تلك الذبائح وقتارها في الهواء، وحال بينهم وبين النظر إلى السماء خرّوا للشجرة سجّداً يبكون ويتضرّعون إليها أن ترضى

عنهم، فكان الشيطان يجيء فيحرّك أغصانها، ويصيح من ساقها صياح الصبي: أن قد رضيت عنكم عبادي، فطيبوا نفساً، وقرّوا عيناً. فيرفعون عند ذلك رؤوسهم ويشربون الخمر، ويضربون بالمعازف، ويأخذون الدستنبد، فيكونون على ذلك يومهم وليلتهم ثمّ ينصرفون.

وإنّما سمّت العجم شهورهم (آبانماه) و (آذر ماه) وغيرهما اشتقاقاً من أسماء تلك القرى، لقول بعضهم لبعض: هذا عيد شهر كذا، وعيد شهر كذا. حتّى إذا كان عيد قريتهم اجتمع إليها صغيرهم وكبيرهم فضربوا عند الصنوبرة والعين سرادقاً من ديباج عليه من أنواع الصور، وجعلوا له إثنتي عشرة باباً كلّ باب لأهل قرية منهم، ويسجدون للصنوبرة خارجاً من السرادق، ويقرّبون لها الذبائح أضعاف ما قرّبوا للشجرة التي في قراهم، فيجيء إبليس عند ذلك، فيحرّك الصنوبرة تحريكاً شديداً، ويتكلّم من جوفها كلاماً جهورياً، ويعدهم ويمنّيهم بأكثر ممّا وعدتهم ومنّتهم الشياطين كلّها، فيرفعون رؤوسهم من السجود، وبهم من الفرح والنشاط ما لا يفيقون ولا يتكلّمون من الشرب والعزف، فيكونون على ذلك اثني عشر يوماً ولياليهم بعدد أعيادهم سائر السنة، ثمّ ينصرفون.

فلمّا طال كفرهم بالله تعالى بعث الله تعالى إليهم نبيّاً من بني إسرائيل من ولد يهودا بن يعقوب، فلبث فيهم زماناً طويلاً يدعوهم إلى عبادة الله تعالى فلا يتّبعونه، فلمّا رأى شدّة تماديهم في الغيّ والضلال، وتركهم قبول ما دعاهم إليه من الرشد، وحضر عيد قريتهم العظمى، قال: يا ربّ إنّ عبادك أبوا إلّا تكذيبي والكفر بك، وغدوا يعبدون شجرة لا تنفع ولا تضرّ، فأيبس شجرهم أجمع، وأرِهم قدرتك وسلطانك. فأصبح القوم وقد يبس شجرهم، فهالهم ذلك وصاروا فرقتين: فرقة قالت سحر آلهتكم هذا الّذي زعم أنّه

رسول ربّ السماء والأرض إليكم، ليصرف وجوهكم عن آلهتكم إلى إلهه. وفرقة قالت: بل غضبت آلهتكم حين رأت هذا الرجل يعيبها، ويدعوكم إلى عبادة غيرها، فحجبت حسنها وبهاءها لكي تغضبوا لها فتنتصروا منه. فأجمع رأيهم على قتله، فاتّخذوا أنابيب طوالاً من رصاص واسعة الأفواه، ثمّ أرسلوها في قرار العين إلى أعلى الماء واحدة فوق الأُخرى مثل البرانج، ونزحوا ما فيها من الماء، ثمّ حفروا في قرارها بئراً ضيّقة المدخل عميقة، وأرسوا فيها نبيّهم، وألقموا فاهها صخرة عظيمة، ثمّ أخرجوا الأنابيب من الماء، وقالوا: الآن نرجو أن ترضى عنّا آلهتنا إذا رأت أنّا قتلنا من كان يقع فيها ويصدّ عن عبادتها، ودفنّاه تحت كبيرها يتشفى منه، فيعود لنا نورها ونضرتها كما كان. فبقوا عامة يومهم يسمعون أنين نبيّهم وهو يقول: يا سيّدي قد ترى ضيق مكاني، وشدّة كربي، فارحم ضعف ركني، وقلّة حيلتي، وعجّل قبض روحي، ولا تؤخّر إجابة دعوتي. حتّى مات.

فقال جلّ جلاله لجبريل: أيظنّ عبادي هؤلاء الّذين غرّهم حلمي، وآمنوا مكري وعبدوا غيري، وقتلوا رسولي أن يقوموا لغضبي أو يخرجوا من سلطاني؟ كيف وأنا المنتقم ممّن عصاني ولم يخش عقابي، وإنّي حلفت بعزّتي وجلالي لأجعلنّهم عبرة للعالمين.

فلم يرعهم وهم في عيدهم ذلك إلّا بريح عاصف شديدة الحمرة، فتحيّروا وذعروا منها وتصامّ بعضهم إلى بعض، ثمّ صارت الأرض من تحتهم حجر كبريت يتوقّد، وأظلّتهم سحابة سوداء، فألقت عليهم كالقبة جمراً يلتهب، فذابت أبدانهم كما يذوب الرصاص في النار[١].

وفي (معاني الأخبار): معنى أصحاب الرسّ أنّهم نسبوا إلى نهر يقال له

---

(١) عيون الأخبار للصدوق ١: ١٦٣ ح١، وعلل الشرائع: ٤٠ ح١، والنقل بتصرف.

الرّس من بلاد المشرق، وقد قيل: إنّ الرسّ هو البئر، وأنّ أصحابه رسّوا نبيّهم بعد سليمان بن داود عليه السلام وكانوا قوماً يعبدون شجرة صنوبر يقال لها شاه درخت، كان غرسها يافث بن نوح فأنبتت لنوح بعد الطوفان؛ وكان نساؤهم يشتغلن بالنساء عن الرجال، فعذّبهم الله عزّوجلّ بريح عاصف شديدة الحمرة، وجعل الأرض من تحتهم حجر كبريت يتوقّد، وأظلّتهم سحابة سوداء مظلمة، فانكفّت عليهم كالقبة جمرة تلتهب، فذابت أبدانهم كما يذوب الرصاص في النار[١].

وفي (عقاب الأعمال) عن الصادق عليه السلام: سألته امرأة عن السحق، فقال: حدّها حدّ الزاني. فقيل: ما ذكر الله عزّوجلّ ذلك في القرآن. قال: بلى. قالت: وأين هو؟ قال: هو أصحاب الرسّ[٢].

وعن (تفسير الثعلبي): اختلف في أصحاب الرّس؛ فقال سعيد بن جبير والكلبي والخليل بن أحمد: دخل كلام بعضهم في بعض، وكلّ أخبر بطائفة من حديث أصحاب الرّسّ أنّ أصحاب الرّسّ بقيّة ثمود قوم صالح، وهم أصحاب البئر التي ذكرها الله تعالى في كتابه في قوله تعالى: ﴿...وبئر معطّلة وقصر مشيد﴾[٣]، وكانوا بفلج اليمامة نزولاً على تلك البئر، وكلّ ركيّة لم تطو بالحجارة والآجرّ فهي رسّ، وكان لهم نبيّ يقال له: حنظلة بن صفوان، وكان بأرضهم جبل يقال له: فتج مصعداً في السماء ميلاً، وكانت العنقاء تبيت به، وهي كأعظم ما يكون من الطير وفيها من كلّ لون، وسمّوها العنقاء لطول عنقها، وكانت في ذلك الجبل تنقضّ على الطير فتأكلها، فجاعت ذات يوم

---

(١) معاني الأخبار للصدوق: ٤٨.

(٢) عقاب الأعمال للصدوق: ٣١٨ ح ١٤، والفقيه ٤: ٣١ ح ٢، والكافي للكليني ٧: ٢٠٢ ح ١، والمحاسن البرقي: ١١٤ ح ١١٤، والتهذيب للطوسي ١٠: ٥٨ ح ٣.

(٣) الحج: ٤٥.

وأعوزها الطير فانقضّت على صبيّ فذهبت به، فسمّيت عنقاء مغرب لأنّها تغرب بما تأخذه، ثمّ انقضّت على جارية حين ترعرعت، فأخذتها فضمّتها إلى جناحين صغيرين لها سوى الجناحين الكبيرين، فشكوا ذلك إلى نبيّهم... فأهلكهم الله تعالى.

وقال بعض العلماء: بلغني أنّه كان رسّان؛ أمّا أحدهما فكان أهله أهل بدو وعمود وأصحاب غنم ومواشٍ، فبعث الله تعالى إليهم نبيّاً فقتلوه، ثمّ بعث إليهم رسولاً آخر، وعضده بوليّ فقتلوا الرسول، وجاهدهم الوليّ حتّى أفحمهم، وكانوا يقولون: إلهنا في البحر. وكانوا على شفيره، وكان يخرج إليهم من البحر شيطان في كلّ شهر خرجة، فيذبحون عنده ويتّخذونه عيداً، فقال لهم الوليّ: أرأيتم إن خرج إلهكم الّذي تدعونه وتعبدونه إليّ وأطاعني أتجيبونني إلى ما دعوتكم إليه؟ قالوا: بلى. فأعطوه على ذلك العهود والمواثيق، فانتظر حتّى خرج ذلك الشيطان على صورة حوت راكباً أربعة أحوات، وله عنق مستعلية على رأسه مثل التاج، فلمّا نظروا إليه خرّوا له سجّداً، فخرج الوليّ إليه وقال له: ائتني طوعاً أو كرهاً باسم الله الكريم. فنزل عند ذلك من على إخوته. فقال له الولي: ائتني راكباً عليهنّ لئلّا يكون القوم من أمرهم على شكّ. فأتى الحوت وأتت به الحيتان حتى أفضوا به إلى البريّة يجرونه ويجرهن. فلمّا رأوا ذلك سخروا به وكذّبوه ونقضوا العهود، فبعث الله إليهم ريحاً فألقتهم في البحر ومواشيهم جميعاً، وما كانوا يملكون من ذهب وفضّة وآنية. فأتى الوليّ الصالح إلى البحر وأخذ الذّهب والفضّة والأواني، فقسّمها على أصحابه بالسوية الصغير والكبير، وانقطع ذلك النسل.

وأمّا الآخر فإنّهم قوم كان لهم نهر يدعى الرسّ ينسبون إليه، وكان

فيهم أنبياء كثيرة لا يقوم فيهم نبي إلّا قتلوه، وذلك النهر بمنقطع آذربيجان، فإذا قطعته مدبراً دخلت في حدّ أرمينية، وإذا قطعته مقبلاً دخلت في حدّ آذربيجان، وكان من حولهم من أهل أرمينية يعبدون الأوثان، ومن قدّامهم من آذربيجان يعبدون النيران، وهم كانوا يعبدون الجواري العذارى، فإذا تمّت لإحداهنّ ثلاثون سنة قتلوها واستبدلوا غيرها، وكان عرض نهرهم ثلاثة فراسخ، وكان يرتفع في كلّ يوم وليلة حتّى يبلغ أنصاف الجبال التي حوله، وكان لا ينصبّ في بحر ولا برّ، فإذا خرج من حدّهم يقف ويدور ثمّ يرجع إليهم، فبعث الله تعالى إليهم ثلاثين نبيّاً في شهر واحد فقتلوهم جميعاً. فبعث الله تعالى إليهم نبيّاً وأيّده بنصره، وبعث معه وليّاً فجاهدهم...[1]

«الذين قتلوا النبيّين» قال تعالى حكاية عن اليهود: ﴿...قالوا نؤمن بما أُنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحقّ مصدّقاً لما معهم قل فلِمَ تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين﴾[2]، ﴿...أفكلّما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذّبتم وفريقاً تقتلون﴾[3].

وفي (لهوف عليّ بن طاووس): أنّه لمّا أراد الحسين عليه السلام الشخوص من مكّة إلى العراق جاء ابن عمر، فأشار عليه بصلح أهل الضلال وحذّره من القتل والقتال، فقال عليه السلام له: يا أبا عبد الرحمن! اما علمت أنّ من هوان الدّنيا على الله أنّ رأس يحيى بن زكريا أُهدي إلى بغيّ من بغايا بني إسرائيل؟ أما تعلم أنّ بني إسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس سبعين نبيّاً، ثمّ يجلسون في أسواقهم يبيعون ويشترون كأن لم يصنعوا شيئاً، فلم يعجّل

(١) عرائس المجالس للثعالبي: ١٤٩، ولا في تفسيره للقرآن المسمّى بالكشف والبيان.
(٢) البقرة: ٩١.
(٣) البقرة: ٨٧.

الله عليهم، بل امهلهم وأخذهم بعد ذلك أخذ عزيز ذي انتقام، اتق الله يا أبا عبد الرحمن ولا تدعن نصرتي[١].

«وأطفؤوا» من قولهم: اطفئ المصباح.

«سنن المرسلين» التي كانت في إراءة الناس لسبل الله كالسراج.

«وأحيوا سنن الجبّارين» الّذين لا يراعون شريعة، ويأتون بكلّ فجيعة.

هذا، وفي (المروج): أنّه كان المعتضد إذا غضب على القائد النبيل والّذي يختصّه من غلمانه، أمر أن تحفر له حفيرة بحضرته، ثمّ يدلى رأسه فيها ويطرح التراب عليه، ونصفه الأسفل ظاهر على التراب، ويداس التراب فلا يزال كذلك حتى تخرج روحه من دبره. وذكر من عذابه أنّه كان يأخذ الرجل فيكتّف ويقيّد، فيؤخذ القطن فيحشى في أُذنه وخيشومه وفمه، وتوضع المنافخ في دبره حتّى ينتفخ ويعظم جسمه، ثمّ يسدّ الدبر بشيء من القطن، ثمّ يفصد ـ وقد صار كالجمل العظيم ـ من العرقين اللّذين فوق الحاجبين، فتخرج النفس من ذلك الموضع. وربّما كان يقام الرجل في أعلى القصر مجرداً موثقاً، ويرمى بالنشاب حتّى يموت. واتخذ المطامير وجعل فيها صنوف العذاب، وجعل عليها نجاح الحرمي المتولّي لعذاب الناس[٢].

«وأين الّذين ساروا بالجيوش وهزموا الأُلوف وعسكروا العساكر» من الملوك والأُمراء؛ في (كامل الجزري): توفّي السلطان محمّد بن محمود بن محمّد بن ملكشاه السلجوقي في سنة (٥٥٤) وهو الذي حاصر بغداد طالباً السلطنة، وعاد عنها فأصابه سلّ وطال به، فمات بباب همذان، وكان مولده في ربيع الآخر سنة (٥٢٢) فلما حضره الموت أمر العساكر، فركبت وأحضر

---

(١) اللهوف لابن طاووس: ١٣.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٤: ١٤٤.

أمواله وجواهره وحظاياه ومماليكه، فنظر إلى الجميع من طيّارة تشرف على ما تحتها، فلمّا رآه بكى وقال: هذه العساكر والأموال والمماليك والسراري ما أرى يدفعون عنّي مقدار ذرّة، ولا يزيدون في أجلي لحظة. وأمر بالجميع، فرفع بعد أن فرَّق منه شيئاً كثيراً(١).

وفي (المروج) : كانت سياسة يعقوب بن الليث لمن معه من الجيوش سياسة لم يسمع بمثلها في من سلف من الملوك في الأُمم، ومن ذلك أنّه كان بأرض فارس وقد أباح الناس أن يرتعوا ثمّ حدث أمر أراد النقلة، فنادى مناديه بقطع الدواب عن الرتع، فرئي رجل من أصحابه أخرج الحشيش من فم دابته مخافة أن تلوكه بعد سماع النداء، وأقبل على الدابة مخاطباً: «دواب را از تر بريدند» يعني: أقطعوا الدواب عن الرطبة، ورئي رجل من قوّاده ذو مرتبة، والدرع الحديد على بدنه لا ثوب بينه وبين بشرته، فقيل له في ذلك، فقال: نادى منادي الأمير: البسوا السلاح. وكنت أغتسل من جنابة، فلم يسعني التشاغل بلبس الثياب عن السلاح. توفّي بجند يسابور وخلّف في بيت ماله خمسين ألف ألف درهم وثمانمائة ألف دينار(٢).

وفيه: سعي بأبي الحسن علي بن محمد الهادي عليه السلام إلى المتوكّل، وقيل له: إنّ في منزله سلاحاً وكتباً وغيرها من شيعته. فوجّه إليه ليلاً من الأتراك وغيرهم من هجم عليه في منزله غفلة ممّن في داره، فوجده في بيت وحده مغلق عليه، وعليه مدرعة من شعر، ولا بساط في البيت إلّا الرمل والحصى، وعلى رأسه ملحفة من الصوف متوجّهاً إلى ربّه يترنم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد، فأُخذ على ما وُجد عليه، وحُمل إلى المتوكّل في جوف الليل،

---

(١) الكامل لابن الأثير ١١: ٢٥٠ سنة ٥٥٤.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٤: ١١٤، بتلخيص وتقطيع.

فمثل بين يديه والمتوكل يشرب وفي يده كأس، فلمّا رآه أعظمه وأجلسه إلى جنبه، ولم يكن في منزله شيء ممّا قيل فيه، ولا حالة يتعلل عليه بها، فناوله المتوكل الكأس الّذي في يده، فقال عليه السلام: يا أمير المؤمنين ما خامر لحمي ودمي قطّ، فاعفني منه. فأعفاه وقال: أنشدني شعراً أستحسنه. فقال: إنّي لقليل الرواية للأشعار. قال: لابدّ أن تنشدني. فأنشده:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم ... غلب الرجال فما أغنتهم القلل

واستنزلوا بعد عزٍّ عن معاقلهم ... فأُودعوا حفراً يا بئس ما نزلوا

ناداهم صارخٌ من بعد ما قبروا ... أين الأسرَّة والتيجان والحُلل

أين الوجوه التي كانت منعّمة ... من دونها تُضرب الأستار والكلل

فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم ... تلك الوجوه عليها الدود يقتتل

قد طالما أكلوا دهراً وما شربوا ... فأصبحوا بعد طول الأكل قد أُكلوا

وطالما عمّروا دوراً لتحصنهم ... ففارقوا الدور والأهلين وانتقلوا

وطالما كنزوا الأموال وادّخروا ... فخلّفوها على الأعداء وارتحلوا

أضحت منازلهم قفراً معطّلة ... وساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا

قال: فأشفق كلّ من حضر على عليّ عليه السلام، وظنّ أنّ بادرة تبدر منه إليه. قال: والله لقد بكى المتوكل بكاءً طويلاً حتّى بلّت دموعه لحيته، وبكى من حضره. ثمّ أمر برفع الشراب... وردّه إلى منزله من ساعته مكرّماً[1].

«ومدّنوا المدائن» ومنها المدائن التي مدّنها كسرى.

هذا، وفي (القاموس) : المنصورة بلد بالسند إسلامية، وبلد بنواحي واسط، واسم خوارزم القديمة التي كانت شرقي جيجون، وبلد قرب القيروان ويقال لها: المنصورية أيضاً، وبلد ببلاد الديلم، وبلد بين القاهرة ودمياط.

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٤: ١١.

ومن العجب أنّ كلّاً منها بناها ملك عظيم في جلال سلطانه وعلوّ شأنه، وسمّاها المنصورة تفاؤلاً بالنصر، ولادوام، فخربت جميعها واندرست وتعفّت رسومها واندحضت[١].

وفي (المعجم): قال علقمة بن مرثد في قصر شرحبيل ملك اليمن العجيب في جميع أموره المسمّى بالقشيب:

أقفر من أهله القشيب وبان عن أهله الحبيب[٢]

وقال شاعر في قصر أبي الخصيب ـ مولى المنصور ـ أحد المنتزهات المشرف على النجف، ذي خمسين درجة، عجيب الصفة:

يا دار غيّر رسمها مرّ الشمال مع الجنوب
بين الخورنق والسّديـ ـر فبطن قصر أبي الخصيب
فالدير فالنجف الأشمّ جبال أرباب الصليب[٣]

وفيه: ومن القصور قصر بهر المجور قرب همدان كلّه حجر واحد، منقورة بيوته وخزائنه ومجالسه وغرفه وشرفه وسائر حيطانه، فإن كان مبنياً بحجارة مهندمة قد لوحك بينها حتّى صارت كأنّها حجر واحد لا يبين منها مجمع حجرين، فإنّه لعجب، وإن كان حجراً واحداً فكيف نقرت بيوته، وخزائنه وحجراته ودهاليزه وشرفاته؟ فهذا أعجب، لأنّه عظيم جدّاً كثير المجالس والخزائن والغرف، وفي مواضع منه كتابة بالفارسية تتضمّن شيئاً من أخبار ملوكهم، وفي كلّ ركن من أركانه صورة جارية عليها كتابة[٤].

وفيه: ومنها قصر شيرين قصر كسرى أبرويز الّذي قالوا: كان له

(١) القاموس المحيط ٢: ١٤٣ مادة (نصر).

(٢) معجم البلدان للحموي ٤: ٣٥٢، بتصرف يسير.

(٣) معجم البلدان للحموي ٤: ٣٥٤، ٣٥٦، ٣٥٨، بتصرف يسير.

(٤) المصدر نفسه.

أشياء لم تكن لملك قبله ولا بعده؛ فرسه شبديز، ومغنيه وعوّاده وجاريته شيرين، وقصر شيرين الّذي أحد عجائب الدّنيا، وكان سبب بنائه أنّه أمر أن يبنى له (باغ) يكون فرسخين في فرسخين، وأن يحصل فيه من كلّ صيد حتّى يتناسل جميعه، ووكلّ بذلك ألف رجل، فأقاموا في عمله وتحصيل صيوده سبع سنين حتّى فرغوا، فلمّا تمّ صاروا إلى البلهبد المغنّي، وسألوه أن يخبر الملك بذلك، فعمل صوتاً وغنّاه به وسمّاه «باغ نخجيران» أي: بستان الصيد. فطرب الملك عليه وأمر للصنّاع بمال. فلمّا سكر قال لشيرين: سليني حاجة. فقالت: صيّر هذا البستان نهرين من حجارة تجري فيهما الخمور، وتبني لي بينهما قصراً لم يبن في مملكتك مثله. فأجابها إلى ذلك[١].

وفي (المروج) : كتب ملك الصين إلى أنوشيروان: من فغفور ملك الصين صاحب قصر الدرّ والجوهر الّذي يجري في قصره نهران يسقيان العود، والكافور الّذي توجد رائحته على فرسخين، والّذي تخدمه بنات ألف ملك، والّذي في مربطه ألف فيل أبيض، إلى أخيه كسرى أنوشيروان، وأهدى إليه فرساً من درّ منضّداً، عينا الفارس والفرس من ياقوت أحمر، وقائم سيفه من زمرّد منضد بالجوهر، وثوب حرير صيني عسجدي فيه صورة الملك جالساً في أيوانه، وعليه حليته وتاجه، وعلى رأسه الخدم وبأيديهم المذابّ، والصورة منسوجة بالذهب، وأرض الثوب لا زورد في سفط من ذهب، تحمله جارية تغيب في شعرها، تتلألأ جمالاً[٢].

وفيه: وكتب إليه ملك الهند: من ملك الهند وعظيم أراكنة المشرق وصاحب قصر الذهب وأبواب الياقوت والدر، إلى أخيه ملك فارس صاحب

---

(١) معجم البلدان للحموي ٤: ٣٥٤، ٣٥٦، ٣٥٨ بتصرّف يسير.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ١: ٢٩٢.

التاج والراية كسرى أنوشروان. وأهدى إليه ألف مَنّ من عود هندي يذوب في النار كالشمع، ويختم عليه كما على الشمع فتبين فيه الكتابة، وجاماً من الياقوت الأحمر فتحته شبر مملوءاً درّاً، وعشرة أمنان كافور كالفستق وأكبر من ذلك، وجارية طولها سبعة أذرع تضرب أشفار عينيها خدّها، وكأنّ بين أجفانها لمعان البرق من بياض مقلتيها مع صفاء لونها، ودقّة تخطيطها وإتقان تشكيلها، مقرونة الحاجبين، لها ضفائر تجرّها، وفرش من جلود الحيّات ألين من الحرير وأحسن من الوشي، وكان كتابه في لحاء الشجر المعروف بالكاذي مكتوب بالذهب الأحمر[1].

وكان لأنوشروان مائدة من الذهب عظيمة عليها أنواع من الجواهر[2].

وعن عليّ بن يقطين: كنّا مع المهدي بماسبذان فقال لي يوماً: أصبحت جائعاً فأتني بأرغفة ولحم بارد. ففعلت، فأكل ثمّ دخل البهو ونام، وكنّا نحن في الرواق فانتبهنا لبكائه، فبادرنا إليه مسرعين فقال: أما رأيتم ما رأيت؟ قلنا: ما رأينا شيئاً. قال: وقف عليّ رجل، لو كان في ألف رجل ما خفي عليّ صوته ولا صورته فقال:

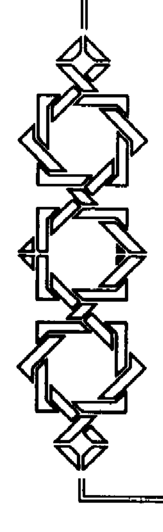
كأنّي بهذا القصر قد باد أهله ... وأوحش منه ربعه ومنازله
وصار عميد القوم من بعد بهجة ... ومُلكٍ إلى قبر عليه جنادله
فلم يبق إلّا ذكره وحديثه ... تنادي عليه معولات حلائله

قال علي: فما أتت على المهدي بعد رؤياه إلّا عشرة أيّام حتّى توفّي[3].

(١) مروج الذهب للمسعودي ١: ٢٩٣.
(٢) مروج الذهب للمسعودي ١: ٢٩٤.
(٣) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٣٢٣.

الفصل السادس

في النبوّة الخاصّة





١
من الخطبة (١)

عَلَى ذَلِكَ نَسِلَتِ ٱلْقُرُونُ، وَمَضَتِ الدُّهُورُ، وَسَلَفَتِ الآبَاءُ، وَخَلَفَتِ ٱلْأَبْنَاءُ، إِلَى أَنْ بَعَثَ ٱللّٰهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ ﷺ لإِنْجَازِ عِدَتِهِ، وَتمَامِ نُبُوَّتِهِ، مَأْخُوذاً عَلَى النَّبِيِّين مِيثَاقُهُ، مَشْهُورَةً سِمَاتُهُ، كَرِيماً مِيلَادُهُ؛ وَأَهْلُ ٱلْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتفرِّقَةٌ، وَأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ، وَطَوَائفُ مَتَشَتِّتَةٌ، بَيْنَ مُشَبِّهٍ لِلّٰهِ بِخَلْقِهِ، أَوْ مُلْحِدٍ فِي آسْمِهِ، أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِهِ؛ فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَأَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ ٱلْجَهَالَةِ.

ثُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَهُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ لِقَاءَهُ، وَرَضِيَ لَهُ مَا عِنْدَهُ، وَأَكْرَمَهُ عَنْ دَارِ الدُّنْيَا، وَرَغِبَ بِهِ عَنْ مُقارَنَةِ ٱلْبَلْوَى؛ فَقَبَضَهُ إِلَيْهِ كَرِيماً ﷺ.

«على ذلك نسلت» من باب نصر، أي: أتت بولد كثير.

«القرون» جمع القرن. وفي الصحاح: القرن ثمانون سنة، ويقال: ثلاثون سنة، والقرن من الناس أهل زمان واحد. قال الشاعر:

إذا ذهب القرن الّذي أنت فيهم وخلّفت في قرن فأنت غريب[١]

«ومضت الدهور» أي: الأزمنة.

«وسلفت الآباء» أي: مضوا.

«وخلفت الأبناء» أي: صاروا خلفهم.

«إلى أن بعث الله سبحانه محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم» هكذا في (المصرية)، والصواب: (صلى الله عليه وآله). كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية)[٢].

«لإنجاز» أي: قضاء.

«عِدَته» أي: وعده الّذي وقع على لسان أنبيائه، كما حكى تعالى عن عيسى عليه السلام ﴿...ومبشّراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد...﴾[٣]، وعن كتابه وكتاب موسى عليه السلام ﴿الّذين يتّبعون الرّسول النبيّ الأُميّ الّذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل...﴾[٤].

وقال أبو طالب عمّه صلى الله عليه وآله:

ألم تعلموا أنّا وجدنا محمّداً رسولاً كموسى خطّ في أوّل الكتب

«وتمام نبوّته» قال تعالى: ﴿...ولكن رسول الله وخاتم النّبيين...﴾[٥]، والمراد تمام نبوّة الله تعالى باعتبار الجاعلية، لا نبوّة النبيّ صلى الله عليه وآله كما قال ابن أبي الحديد[٦]، فالضمير في (نبوّته) راجع إليه تعالى مثل (عِدَته).

«مأخوذاً على النبيّين ميثاقه» قال تعالى ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيّين لَما

(١) صحاح اللغة ٦: ٢١٨٠ مادة (قرن).

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٨، وشرح ابن ميثم ١: ١٩٩.

(٣) الصف: ٦.

(٤) الأعراف: ١٥٧.

(٥) الأحزاب: ٤٠.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٨.

آتيتكم من كتاب وحكمة ثمّ جاءكم رسول مصدّق لما معكم لتؤمننّ به ولتنصرُنّه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾[١].

والمراد من أخذ الميثاق على النبيّين الايجاب عليهم بيانهم لأممهم أنّ نبيّنا صلى الله عليه وآله خاتم الأنبياء، وأنّ شريعته ناسخة لشرائعهم، فيجب عليهم رفض شرائعهم واتّباع شريعته.

«مشهورة سماته» أي: علاماته؛ قال تعالى: ﴿الّذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم...﴾[٢] وقال عزّوجلّ: ﴿الّذين يتّبعون الرّسول النبيّ الأُمّيّ الّذي يجدونه مكتوباً عندهم في التّوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحلّ لهم الطيّبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم...﴾[٣].

والآية من معجزاته القطعية الّتي يثبت بها نبوّته، فإنّه لو لم يكن يعرفونه، ولم يكن مكتوباً في كتبهم لأتوا بكتبهم إليه وإلى أصحابه، وقالوا له: أين كنت مذكوراً ومكتوباً؟ ولو كان ذلك لصار أمره باطلاً، وتفرّق الناس عنه ولاسيّما كان في أصحابه منافقون منتظرون لمثله.

وممّن عرفه بسماته ورقة بن نوفل ابن عمّ خديجة، ورغّبها في التزوّج به لذلك، وزادها في رغبتها فيه صلى الله عليه وآله أخبار مَيْسرة غلامها بما سمع من أحبار الشام فيه صلى الله عليه وآله[٤].

وممّن عرفه بسماته زيد بن عمرو بن نفيل؛ قال الجزري في (كامله):

---

(١) آل عمران: ٨١.

(٢) البقرة: ١٤٦.

(٣) الأعراف: ١٥٧.

(٤) سيرة ابن هشام ١: ١٧٥، وغيره.

قال عامر بن ربيعة: سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يقول: إنّا لننتظر نبيّاً من ولد إسماعيل ثمّ من بني عبد المطّلب، ولا أراني أدركه، وأنا أُؤمن به وأُصدّقه وأشهد أنّه نبيّ، فإن طالت بك حياة ورأيته فاقرئه منّي السلام، وسأُخبرك ما نعتُهُ حتّى لا يخفى عليك. قلت: هلمّ. قال: هو رجل ليس بالطويل ولا بالقصير، ولا بكثير الشعر ولا بقليله، ولا تفارق عينيه حمرة، وخاتم النبوّة بين كتفيه، واسمه أحمد، وهذا البلد مولده ومبعثه، ثمّ يخرجه قومه، ويكرهون ما جاء به، ويهاجر إلى يثرب، فيظهر بها أمره. فإيّاك أن تنخدع عنه، فإنّي طفت البلاد كلّها أطلب دين إبراهيم عليه السلام، فكلّ من أسأله من اليهود والنصارى والمجوس يقول: هذا الدين وراك، وينعتونه مثل ما نعتّه لك، ويقولون: لم يبق نبيّ غيره. قال عامر: فلمّا أسلمت أخبرت النبيّ صلى الله عليه وآله قول زيد وأقرأته السلام، فردّ عليه النبيّ صلى الله عليه وآله وترحّم عليه[1].

ومنهم: أُمّية بن أبي الصّلت؛ قال ابن قتيبة في (معارفه): كان أُميّة قد قرأ الكتب، ورغب عن عبادة الأوثان، وكان يخبر بأنّ نبيّاً يبعث قد أظلّ زمانه، فلمّا سمع بخروج النبيّ صلى الله عليه وآله وقصّته كفر حسداً له، ولمّا أنشد النبيّ صلى الله عليه وآله شعره قال: آمن لسانه وكفر قلبه[2].

وفيه أيضاً: كان أسعد بن كرب الحميري آمن بالنبيّ صلى الله عليه وآله قبل أن يبعث بسبعمائة سنة، وقال:

شهدت على أحمد أنّه ... رسول من الله باري النَّسَم
فلو مُدَّ عمري إلى عصره ... لكنت وزيراً له وابنَ عم
وألزم طاعته كلّ مَنْ ... على الأرض من عرب أو عجم

(١) الكامل لابن الأثير الجزري ٢: ٤٦.
(٢) المعارف لابن قتيبة: ٦٠.

وقال أبو طالب:

أمين حبيب في العباد مسوّم	بخاتم ربّ قاهر في الخواتم
يرى الناس برهاناً عليه وهيبة	وما جاهلٌ في قومه مثل عالم

ولابن ظفر النحوي اللغوي كتاب مترجم بـ(خير البُشر لخير البَشر)، ذكر فيه الارهاصات الّتي كانت بين يدي ظهور النبيّ صلى الله عليه وآله[(١)].

وفي (كنز الكراجكي) في التّوراة مكتوب: «إذا جاءت الأُمّة الأخيرة تتّبع راكب البعير يسبّحون الربّ تسبيحاً جديداً» وراكب البعير هو نبيّنا، والأُمّة الأخيرة أُمّته[(٢)].

وفيه: في السفر الخامس من التّوراة: «الربّ ظهر فتجلّى على سينين، وأشرف على جبل ساعير، وأشرف من جبل فاران» وجبل فاران جبل مكّة، وظهور الربّ ظهور أمره[(٣)].

وفيه وفي الإنجيل: «ابن البشير ذاهب، والفارقليطاآت من بعده»[(٤)] ومن

(١) المعارف لابن قتيبة: ٦٠.

(٢) كنز الفوائد للكراجكي: ٩١، وعيون الأخبار للصدوق ١: ١٣١ بفرق يسير باللفظ، والاحتجاج للطبرسي: ٤١٩ عن الرضا عليه السلام عن التّوراة.

(٣) كنز الفوائد للكراجكي: ٩١، وجاء في التّوراة الموجودة في سفر التثنية، وهو السفر الخامس، الإصحاح ٣٣ الآية ٢ ولفظه: «فقال جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران».

(٤) كنز الفوائد للكراجكي: ٩١، وعيون الأخبار للصدوق ١: ١٣٢ بفرق يسير، والاحتجاج للطبرسي: ٤٢٠ عن الرضا عليه السلام عن الإنجيل، وسيرة لابن هشام ١: ٢١٥، ولفظة (فارقليط) معربة من Âapaxantos اليونانية. وجاء هذا اللفظ في مواضع من الأصل اليوناني من العهد الجديد، ومعنى ما ذكر في متن الكتاب جاء في إنجيل يوحنا، الإصحاح ١٤ الآية ١٦ و ٢٦، والاصحاح ١٥ الآية ٢٦، والإصحاح ١٦ الآية ٧. أمّا هذه الكلمة فجاءت في الترجمات العربية القديمة (الفارقليط)، وفي الترجمات العربية الجديدة (المعزّي)، وأمّا معناه في اللغة اليونانية (المستغاث، المغيث، الشفيع، وكيل الدعاوى)، كما قاله في Greek- English Lexicon: ١٠٧٢، وغيره من كتب اللغة. والظاهر أنّ ترجمة هذه الكلمة في ترجمات الكتاب المقدّس بمرادفات (المعزّي، المسلّي، المريح) خطأ من المترجمين السابقين، كما صرّح بكونه خطأ في Brockhaus enzyklopädie ١٤: ٢٢٣، ولا يسع المقام

قول شعيا: قال له إله إسرائيل: «فإذا رأيت راكبين يسيران أضاءَت لهما الأرض أحدهما على حمار، والآخر على جمل» فراكب الحمار عيسى عليه السلام، وراكب الجمل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم[١].

ومن قول دانيال: «جاء الله بالبيان من جبل فاران، وامتلأت السّماوات والأرض من تسبيح محمّد صلى الله عليه وآله وأمّته»[٢].

«كريماً ميلاده» عن الصّادق عليه السلام: كان إبليس يخترق السّماوات السبع، فلمّا ولد عيسى عليه السلام حُجب عن ثلاث سماوات، وكان يخترق أربع سماوات، فلمّا ولد النبيّ صلى الله عليه وآله حُجب عن السبع كلّها، ورميت الشياطين بالنجوم. وقالت قريش: هذا قيام الساعة، كنّا نسمع أهل الكتب يذكرونه. وقال عمرو بن أُمّية ـ وكان من أزجر أهل الجاهلية ـ: انظروا هذه النجوم الّتي يُهتدى بها، ويعرف بها أزمان الشتاء والصيف، فإن كان رمي بها فهو هلاك كلّ شيء، وإن كانت ثبتت ورمي بغيرها فهو أمر حدث.

وأصبحت الأصنام كلّها صبيحة مولد النبيّ صلى الله عليه وآله ليس منها صنم إلّا وهو منكبٌ على وجهه، وارتجس في تلك الليلة أيوان كسرى، وسقطت منه أربع عشرة شرفة، وغاضت بحيرة ساوة، وقاض وادي السماوة، وخمدت نيران فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، ورأى الموبدان في تلك الليلة في المنام إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً، وقد قطعت دجلة وانسربت في بلادهم، وانفصم طاق ملك كسرى من وسطه، وانخرقت عليه دجلة العوراء، وانتشر

للاستقصاء.

(١) كنز الفوائد للكراجكي: ٩١، والخرائج للراوندي ١: ٦٦، وعيون الأخبار للصدوق ١: ١٣٢، والاحتجاج للطبرسي: ٤٢٠ عن الرضا عليه السلام عن كتاب شعيا.

(٢) كنز الفوائد للكراجكي: ٩١، والخرائج للراوندي ١: ٦٤ بفرق يسير عن دانيال عليه السلام، وقريباً منه في الخرائج ١: ٦٣ عن كتاب حيقوق عليه السلام.

في تلك الليلة نور من قبل الحجاز، ثمّ استطار حتّى بلغ المشرق، فلم يبق سرير لملك من ملوك الدّنيا إلّا أصبح منكوساً والملك مخرساً لا يتكلّم يومه ذلك، وانتزع علم الكهنة، وبطل سحر السحرة، ولم يبق كاهنة في العرب إلّا حجبت عن صاحبها، وعظمت قريش في العرب، وسمّوا آل الله ـ إلى أن قال ـ وقالت آمنة: إنّ ابني ـ والله ـ سقط فاتّقى الأرض بيده، ثمّ رفع رأسه إلى السماء، فنظر إليها، ثمّ خرج منّي نور أضاء له كلّ شيء، وسمعت في الضوء قائلاً يقول: «إنّك قد ولدت سيّد الناس فسمّيه محمّداً». وأُتي به عبد المطّلب لينظر إليه، وقد بلغه ما قالت أمّه، فوضعه في حجره، ثمّ قال:

الحمد لله الذي أعطاني هذا الغلام الطيب الأردان

قد ساد في المهد على الغلمان

ثمّ عوّذه بأركان الكعبة، وقال فيه أشعاراً، قال: وصاح إبليس في أبالسته فاجتمعوا إليه، فقالوا: ما الّذي أفزعك يا سيّدنا؟ فقال لهم: ويلكم! لقد أنكرت السماء والأرض منذ الليلة، لقد حدث في الأرض حدث عظيم ما حدث مثله منذ ولد عيسى بن مريم، فاخرجوا فانظروا ما هذا الحدث الّذي قد حدث. فافترقوا ثمّ اجتمعوا إليه فقالوا: ما وجدنا شيئاً. فقال إبليس: أنا لهذا الأمر. ثمّ انغمس في الدّنيا فجالها حتّى انتهى إلى الحرم، فوجده (الحرم) محفوظاً بالملائكة، فذهب ليدخل فصاحوا به، فرجع ثمّ صار مثل الصرّ ـ وهو العصفور ـ فدخل من قبل حراء، فقال له جبرائيل: وراك لعنك الله. فقال له: حرف أسألك عنه يا جبرائيل، ما هذا الحدث الّذي حدث منذ الليلة؟ فقال له: ولد محمّد ﷺ. فقال له: هل لي فيه نصيب؟ قال: لا. قال: ففي أُمّته. قال: نعم. قال: رضيت[1].

---

(١) أخرجه الصدوق في أماليه: ٢٣٥ ح١ المجلس ٤٨.

«وأهل الأرض يومئذ ملل متفرّقة» كاليهود والنصارى والمجوس.

«وأهواء منتشرة» كالثنويّة وعابدي الملائكة، وعابدي الشمس؛ قال ابن قتيبة: كان في العرب قوم يعبدون الشمس ويسمّونها الإلاهة. قال الأعشى:

فلم أذكر الرهب حتّى انفتلت قبيل الإلاهة منها قريباً[١]

وقال البلاذري: إنّ الأسبذيين قوم كانوا يعبدون الخيل بالبحرين[٢].

وقال هشام الكلبي: هم ولد عبد الله بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وقيل لهم الأسبذيون لأنّهم كانوا يعبدون فرساً[٣].

قلت: يقال للفرس بالفارسية (اسب).

وفي (نسب قريش مصعب الزبيري): كان يقال لعمرو بن حبيب الفهري المحاربي ـ جدّ جدّ ضرار بن الخطاب ـ: آكل السقب؛ لأنّه كان أغار على بني بكر، وكان لهم سقب يعبدونه من دون الله، فأخذه وأكله[٤].

والسقب: الذكر من ولد الناقة.

وفي (حلية أبي نعيم) قال أبو رجاء العطاردي: كنّا نجمع التراب في الجاهلية فنجعل وسطه حفرة، فنحلب فيها، ثمّ نسعى حولها ونقول:

لبيك لا شريك لك.

إلّا شريكاً هو لك.

تملكه وما ملك[٥].

---

(١) لم أجده في موضعه من المعارف ولا عيون الأخبار.

(٢) فتوح البلدان للبلاذري: ٨٩.

(٣) معجم البلدان للحموي ١: ١٧١.

(٤) نسب قريش للزبيري: ٤٤٧، والنقل بتصرف.

(٥) حلية الأولياء لأبي نعيم ٢: ٣٠٦.

وكنّا نعمد إلى الحجر الأبيض فنعبده زماناً ثمّ نلقيه[١].

«وطوائف» هكذا في (المصرية)، والصواب: (وطرايق) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٢].

«متشتّتة» كالدهريّة والوثنيّة؛ كان لربيعة بيت يطوفون به يسمّى ذو الكعبات، وكان لخثعم بيت كان يدعى كعبة اليمامة، وكان فيه صنم يدعى الخلصة، ولمّا هزمت بنو بغيض من غطفان صداءً من مذحج قالوا: لنتخذنّ حرماً مثل مكّة لا يهاج عائذه. فبنوا حرماً ووليه بنو مرّة بن عوف، فبلغ ذلك زهير بن جناب، فقال: والله لا أُخلّي غطفان تتّخذ حرماً. فغزاهم وظفر بهم، وأخذ فارساً منهم في حرمهم، فقتله وعطّل ذلك الحرم.

وكانت بنو حنيفة اتّخذوا في الجاهلية إلهاً من حيس فعبدوه دهراً طويلاً، ثمّ أصابهم مجاعة فأكلوه، فقال رجل من بني تميم:

أكلت ربّها حنيفة من جوع قديم بها ومن إعواز[٣]

وكان الحرث بن قيس السهمي ـ وهو أحد المستهزئين بالنبيّ صلى الله عليه وآله ـ يأخذ حجراً يعبده، فإذا رأى أحسن منه ترك الأوّل وعبد الثاني، قيل: وفيه نزل ﴿أرأيت من اتّخذ إلهه هواه...﴾[٤].

وكان أهل الجاهلية ينحرون لصخرة يعبدونها، ويلطخونها بالدم ويسمّونها سعد الصخرة، وكان إذا أصابهم داء في إبلهم وأغنامهم جاؤوا إلى تلك الصخرة وتمسّحوا بها الإبل والغنم؛ فجاء رجل بإبل له يريد أن يتمسّح لها بالصخرة، ويبارك عليها، فنفرت وتفرّقت، فقال:

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ٢: ٣٠٦.

(٢) في شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٨، وشرح ابن ميثم ١: ١٩٩ «طوائف» أيضاً.

(٣) هذه المعاني نقلها ابن هشام في السيرة ١: ٧٨، وابن قتيبة في المعارف: ٦٢١، وغيرهما.

(٤) الكامل لابن الأثير ٢: ٧١، والآية ٤٣ من سورة الفرقان.

أتيت إلى سعد ليجمع شملنا فشتّتنا سعد فما نحن من سعد
وهل سعد إلّا صخرة بتنوفة من الأرض لا تدعو لغيٍّ ولا رشد[1]

ومرّ بسعد ذاك رجل وثعلب يبول عليه، فقال:

أربّ يبول الثعلبان برأسه لقد ذلّ من بالت عليه الثعالب[2]

وفي (تاريخ اليعقوبي): كان أوّل شأن الأصنام أنّ الناس كانوا إذا مات لأحدهم الميّت الّذي يعزّ عليهم من أب أو أخ أو ولد صنعوا صنماً على صورته، وسمّوه باسمه، فلمّا أدرك الخلف الّذي بعدهم ظنّوا، وحدّثهم الشيطان: أنّه إنّما صنعت هذه لتعبد، فعبدوها، ثمّ فرّق الله دينهم، فمنهم من عبد الأصنام، ومنهم من عبد الشّمس، ومنهم من عبد القمر، ومنهم من عبد الطير، ومنهم من عبد الحجارة، ومنهم من عبد الشجر، ومنهم من عبد الماء، ومنهم من عبد الريح، وفتنهم الشيطان وأضلّهم وأطغاهم[3].

«بين مشبّه لله بخلقه» كاليهود حيث أثبتوا له ابناً وهو عزير، وكالنصارى حيث أثبتوا له ابناً وهو عيسى، وكصنف من العرب حيث أثبتوا له بنات، أي: الملائكة؛ فكانوا يعبدونها لتشفع لهم إلى الله تعالى، وهم الّذين أخبر تعالى عنهم في قوله: ﴿ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون﴾[4]، وفي قوله: ﴿وجعلوا له من عباده جزءاً...﴾[5].

«أو مشير إلى غيره» حيث جعلوا الصانع الدهر والنور والظلمة؛ ولمّا قال النبيّ ﷺ لقومه: أدعوكم إلى شهادة ألّا إله إلّا الله، وخلع الأنداد. قالوا: ندع

---

(١) السيرة لابن هشام ١: ٧٦.

(٢) نقله أبو نعيم في الدلائل، وابن أبي حاتم عنهما شرح شواهد المغني ١: ٣١٧ ـ ٣١٨ عن راشد ابن عبد ربه.

(٣) تاريخ اليعقوبي ١: ٢١.

(٤) النحل: ٥٧.

(٥) الزخرف: ١٥ وأسقط الشارح شرح فقرة «أو ملحدٍ في اسمه».

ثلاثمائة وستّين إلهاً، ونعبد إلهاً واحداً[١].

وقال ابن أبي الحديد: كان بعض العرب يقول: ﴿...ما هي إلّا حياتنا الدّنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلّا الدّهر...﴾[٢] وبعضهم أقرّ بالخالق وأنكر البعث؛ ومن قولهم في قتلى بدر:

أيخبرنا ابن كبشة أنْ سنحيى	وكيف حياة أصداء وهام
إذا ما الرأس زال بمنكبيه	فقد شبع الأنيس من الطعام
أيقتلني إذا ما كنت حيّاً	ويحييني إذا رمّت عظامي

وبعضهم أقرّ بالخالق ونوع من الإعادة، وأنكر الرّسل، وعبدوا الأصنام وزعموا أنّهم شفعاء في الآخرة، وحجّوا لها ونحروا لها الهدي وقرّبوا القربان لها، وحلّلوا وحرّموا، وهم جمهور العرب الّذين قال تعالى عنهم: ﴿وقالوا ما لهذا الرّسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق...﴾[٣]. ومنهم من يجعل الأصنام مشاركة للباري تعالى، كقولهم في تلبيتهم: «لا شريك لك إلّا شريكاً هو لك تملكه وما ملك». ومنهم من يجعلها وسائل، وهم الّذين قالوا: ﴿...ما نعبدهم إلّا ليقرّبونا إلى الله زلفى...﴾[٤]. وبعضهم يعتقد التناسخ، ومنهم أرباب الهامة الّتي قال النبيّ ﷺ عنهم: «لا عدوى ولا هامة ولا صفر»[٥].

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب ١: ٥٤.

(٢) الجاثية: ٢٤.

(٣) الفرقان: ٧.

(٤) الزمر: ٣.

(٥) هذا الحديث كثير الطرق مضطرب اللفظ أخرجه أصحاب الصحاح وغيرهم، وأقرب الألفاظ ما أخرجه مسلم في صحيحه ٤: ١٧٤٢ ح١٠١ و١٠٣، جمع طرق أصحاب الصحاح الستة إلى أنس وابن عمر وجابر وأبي هريرة وسعد بن مالك وابن عطية واستقصى اختلاف ألفاظهم ابن الأثير في جامع الأصول ٨: ٣٩٥ ح ٥٧٩٤، ٥٧٩٥، ٥٧٩٩، ٥٨٠٠، ٥٨٠٢، ٥٨٠٥.

وقال ذو الإصبع:

يا عمر إنْ لا تَدَعْ شتمي ومنقصتي   أضربْكَ حيث تقول الهامة اسقوني

وبعضهم مشبّهة ومجسّمة، ومنهم أُميّة بن أبي الصلت، فقال:

فــوق العــرش جــالس قــد   حطّ رجليه إلى كرسيه المنصوب

وكان فيهم متألّهة أصحاب الورع، كعبد الله وعبد المطلب وأبي طالب وزيد بن عمرو بن نفيل وقسّ بن ساعدة وعامر بن الظرب، وكان فيهم من يميل الى اليهودية، كجماعة من التبابعة وملوك اليمن، ومنهم نصارى كبني تغلب والعباديين رهط عدي بن زيد ونصارى نجران، ومنهم من يميل الى الصابئة ويقول بالنجوم والأنواء...[١].

«فهداهم به من الضلالة، وأنقذهم بمكانه من الجهالة» قال الشاعر:

رأيت الصّدع من كعب وكانوا   من الشنآن قد صاروا كعاباً

وفي (الاحتجاج) اجتمع عند النبيّ ﷺ يوماً خمسة أديان: (اليهود، والنصارى، والدهرية، والثنوية، ومشركو العرب) فقالت اليهود: نحن نقول: عزير ابن الله وقد جئناك يا محمّد لننظر ما تقول، فإن تبعتنا فنحن أسبق إلى الصواب منك، وإن خالفتنا خصمناك. وقالت النصارى: نحن نقول: إنّ المسيح ابن الله اتّحد به، وقد جئناك لننظر ما تقول، فإن تبعتنا فنحن أسبق منك إلى الصواب، وإن خالفتنا خصمناك. وقالت الدهرية: نحن نقول: لا بدء لها وهي دائمة، وقد جئناك لننظر في ما تقول، فإن تبعتنا فنحن أسبق منك إلى الصواب، وإن خالفتنا خاصمناك. وقال الثنوية: نحن نقول: النور والظلمة هما المدبّران، وقد جئناك لننظر في ما تقول، فإن تبعتنا فنحن أسبق إلى الصواب منك، وإن خالفتنا خصمناك. فقال النبيّ ﷺ: آمنت بالله وحده لا شريك له،

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٩، والنقل بتصرف وتلخيص.

وكفرت بكلّ معبود سواه. ثم قال لهم: إنّ الله قد بعثني كافةً للناس بشيراً ونذيراً وحجّة على العالمين، سيردّ كيد من يكيد دينه في نحره. ثم قال لليهود: أجئتموني لأقبل قولكم بغير حجّة؟ قالوا: لا. قال: فما الّذي دعاكم إلى القول بأنّ عزيراً ابن الله؟ قالوا: لأنّه أحيا لبني إسرائيل التوراة بعدما ذهبت، ولم يفعل بها هذا إلّا لأنّه ابنه. فقال النبيّ ﷺ: فكيف صار عزير ابن الله دون موسى، وهو الّذي جاء إليهم بالتوراة ورئي منه المعجزات؟ ولئن كان عزير ابن الله لما أظهر من الكرامة باحياء التوراة، فلقد كان موسى بالنبوّة أولى، ولئن كان هذا المقدار من الكرامة لعزير توجب كونه ابنه، فأضعاف هذه الكرامة لموسى توجب له منزلة أجلّ من البنوّة، ثمّ إن كنتم تريدون بالبنوّة الولادة على سبيل ما تشاهدونه في دنياكم هذه، من ولادة الأمهات الأولاد بوطء آبائهم لهنّ فقد كفرتم بالله، وشبّهتموه بخلقه، وأوجبتم فيه صفات المحدثين، ووجب عندكم أن يكون محدثاً مخلوقاً، وأنّ له خالقاً صنعه وابتدعه. قالوا: لسنا نعني هذا، فإنّ هذا كفر كما قلت، لكن نعني أنّه ابنه على معنى الكرامة وإن لم يكن هناك ولادة، كما قد يقول بعض علمائنا لمن يريد إكرامه وإبانته بالمنزلة من غيره: «يا بنيّ» و «إنّه ابني» لا على إثبات ولادة منه، لأنّه قد يقول ذلك لمن هو أجنبي منه لا نسب بينه وبينه، وكذلك لمّا فعل الله بعزير ما فعل، كان قد اتّخذه ابناً على الكرامة لا الولادة. فقال النبيّ ﷺ: فهذا ما قلته لكم، إنّه إن وجب على هذا الوجه أن يكون عزير، فإنّ هذه المنزلة لموسى أولى وإنّ الله يفضح كلّ مبطل بإقراره، ويغلب على حجّته؛ إنّ ما احتججتم به يؤديكم إلى ما هو أكثر ممّا ذكرته لكم، لأنكم قلتم: إنّ عظيماً من عظمائكم قد يقول لأجنبي لا نسب بينه وبينه: «يابنيّ» لا على طريق الولادة، فقد تجدون هذا العظيم يقول لأجنبي آخر: «هذا أخي» ولآخر «هذا شيخي

وأبي» ولآخر هذا «سيّدي» و «يا سيّدي» على سبيل الإكرام، وإنّ من زاده في الكرامة زاده في مثل هذا القول، فإذن يجوز عندكم أن يكون موسى أخاً له وشيخاً له أو أباً أو سيّداً لأنّه قد زاده في الإكرام ممّا لعزير. فبهت القوم وتحيّروا وقالوا: يا محمّد أجّلنا نتفكّر في ما قلته لنا. فقال: انظروا فيه بقلوب معتقدة للإنصاف يهدكم الله.

ثمّ أقبل على النصارى، فقال لهم: وأنتم قلتم: إنّ القديم عزّوجلّ اتّحد بالمسيح ابنه. ما الّذي أردتم بهذا القول؟ أردتم بأنّ القديم صار محدثاً بوجود هذا المحدث، أم المحدث الّذي هو عيسى صار قديماً بوجود القديم الّذي هو الله، أو معنى قولكم اتّحد به أنّه اختصّه بكرامة لم يكرم بها أحداً سواه؟ فإن أردتم أنّ القديم صار محدثاً فقد أبطلتم، لأنّ القديم محال أن ينقلب فيصير محدثاً، وإن أردتم أنّ المحدث صار قديماً فقد احلتم، لان المحدث أيضاً محال أن ينقلب فيصير قديماً، وإن أردتم في قولكم: «اتّحد به» أنّه اختصّه واصطفاه على سائر عباده، فقد أقررتم بحدوث عيسى وبحدوث المعنى الّذي اتّحد به من أجله، لأنّه إذا كان عيسى محدثاً وكان الله اتّحد به، بأن أحدث فيه معنى صار أكرم الخلق عنده، فقد صار عيسى وذاك المعنى محدثين، وهذا خلاف ما بدأتم به تقولونه.

فقالت: إنّ الله لمّا أظهر على يد عيسى من الأشياء العجيبة ما أظهر فقد اتّخذه ولداً على جهة الكرامة. فقال لهم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: فقد سمعتم ما قلته لليهود في هذا المعنى الّذي ذكرتموه ـ ثم أعاد ذلك كلّه ـ فسكتوا إلّا رجلاً واحداً منهم، فقال للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: أولستم تقولون: إنّ إبراهيم خليل الله؟ قال: قد قلنا ذلك. قال الرّجل: فإذا قلتم ذلك، فلِمَ منعتمونا أن نقول: إنّ عيسى ابن الله؟ فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّهما لا يتشابهان، لأنّ قولنا: إبراهيم خليل الله، إنّما هو مشتق من

الخُلّة أو الخَلّة؛ فأمّا الخُلّة فإنّما معناها الفقر والفاقة، فقد كان خليلاً، أي: إلى ربّه فقيراً وإليه منقطعاً، وعن غيره متعفّفاً معرضاً مستغنياً، وذلك لمّا أُريد قذفه في النار، فرمي به في المنجنيق، فبعث الله إلى جبرئيل أدرك عبدي، فجاء فلقيه في الهواء، فقال: كلّفني ما بدا لك، قد بعثني الله لنصرتك. فقال: بل حسبي الله ونعم الوكيل، إنّي لا أسأل غيره، ولا حاجة لي إليك. فسمّاه خليله، أي: فقيره ومحتاجه، والمنقطع إليه عمّن سواه؛ وإذا جُعل معنى ذلك من الخَلّة وهو أنّه قد تخلّل معانيه، ووقف على أسرار لم يقف عليها غيره، كان معناه العالم به وبأُموره، ولا يوجب ذلك تشبيه الله بخلقه، ألا ترون أنّه إذا لم ينقطع إليه لم يكن خليله، وإذا لم يعلم بأسراره لم يكن خليله، وإنّ من يلده الرّجل وإن أهانه وأقصاه لم يخرج عن أن يكون ولده، لأنّ معنى الولادة قائم؟ ثمّ إنْ وجب لأنّه قال: إبراهيم خليلي، أن تقيسوا أنتم فتقولون: إنّ عيسى ابنه، وجب أيضاً كذلك أن تقولوا لموسى أنّه ابنه، وأن يجوز أن تقولوا على هذا المعنى: إنّه شيخه وسيّده وعمّه ورئيسه وأميره كما ذكرته اليهود. فقال بعضهم لبعض: وفي الكتب المنزلة أنّ عيسى قال: «أذهب إلى أبي». فقال لهم النبيّ ﷺ: فإن كنتم بذلك الكتاب تعملون، فإنّ فيه: «أذهب إلى أبي وأبيكم»، فقولوا: إنّ جميع الّذين خاطبهم عيسى كانوا أبناء الله، كما كان عيسى ابنه من الوجه الّذي كان عيسى ابنه؛ ثمّ إنّ ما في هذا الكتاب مبطل عليكم هذا الّذي زعمتم أنّ عيسى من جهة الاختصاص كان ابناً له لأنّكم قلتم: إنّه ابنه لأنّه اختصّه بما لم يختصّ به غيره، وأنتم تزعمون أنّ الذي خصّ به عيسى لم يخصّ به هؤلاء القوم الّذين قال لهم عيسى: «أذهب إلى أبي وأبيكم»، فبطل أن يكون الاختصاص لعيسى، لأنّه قد ثبت عندكم بقول عيسى لمن لم يكن له مثل اختصاص عيسى، وأنتم إنّما حكيتم لفظة عيسى وتأوّلتموها على غير

وجهها، لأنّه إذا قال: «أبي وأبيكم» فقد أراد غير ما ذهبتم إليه، وما يدريكم لعلّه عني «أذهب إلى آدم ونوح»، وأنّ الله يرفعني إليهم ويجمعني معهم، وآدم أبي وأبوكم وكذلك نوح، بل ما أراد غير هذا. فسكت النصارى، وقالوا: ما رأينا كاليوم مجادلاً وسننظر.

ثمّ أقبل النبيّ ﷺ على الدهرية، وقال: وأنتم فما الّذي دعاكم إلى القول بأنّ الأشياء لابدء لها، وهي دائمة لم تزل ولن تزال؟ فقالوا: لأنّا لا نحكم إلّا بما نشاهد، ولم نجد للأشياء حدثاً فحكمنا بأنّها لم تزل، ولم نجد لها انقضاءً فحكمنا بأنّها لن تزال. فقال: أوجدتم لها قدماً، أم وجدتم لها بقاءً أبد الآباد؟ فإن قلتم: إنّكم وجدتم ذلك أثبتم لأنفسكم أنّكم لم تزالوا على هيئتكم وعقولكم بلا نهاية ولا تزالون كذلك، ولئن قلتم ذلك دفعتم العيان. قالوا: بل لم نشاهد لها قدماً ولا بقاء أبد. قال: فلِمَ صرتم بأن تحكموا بالقدم والبقاء دائماً لأنّكم لم تشاهدوا حدوثها وانقضاءها أولى ممّن يحكم لها بالحدوث والانقضاء، لأنّه لم يشاهد لها قدماً ولا بقاء أبد، أولستم تشاهدون الليل والنهار واحدهما بعد الآخر؟ قالوا: نعم. قال: أترونهما لم يزالا ولن يزالا؟ قالوا: نعم. قال: فيجوز عندكم اجتماع الليل والنهار؟ قالوا: لا. قال: فإذن ينقطع أحدهما عن الآخر فيسبق أحدهما، ويكون الثاني جارياً بعده. قالوا: هو كذلك. قال: قد حكمتم بحدوث ما تقدّم من ليل ونهار، ولم تشاهدوهما. ثم قال: أتقولون لما قبلكم من الليل والنهار متناهٍ أم غير متناهٍ؟ فإن قلتم: غير متناه، فقد وصل إليكم آخر لا نهاية لأوّله، وإن قلتم: إنّه متناه، فقد كان ولا شيء منهما. قالوا: نعم. قال: أقلتم: إنّ العالم قديم غير محدث وأنتم عارفون بمعنى ما أقررتم، وبمعنى ما جحدتموه؟ قالوا: نعم. قال: فهذا الّذي تشاهدونه من الأشياء بعضه إلى بعض يفتقر، لأنّه لا قوام للبعض إلّا بما يتّصل به، كما ترى البناء محتاجاً ببعض

أجزائه إلى بعض، وإلّا لم يتّسق ولم يستحكم، وكذلك سائر ما ترى، فإذا كان هذا المحتاج بعضه الى بعض لقوته وتمامه هو القديم، فأخبروني أن لو كان محدثاً كيف كان يكون، وماذا كانت تكون صفته؟ فبهتوا، وعلموا أنّهم لا يجدون للمحدث صفة يصفونه بها إلّا وهي موجودة في هذا الّذي زعموا أنّه قديم، فرجعوا وقالوا: سننظر في أمرنا.

ثمّ أقبل النبيّ ﷺ على الثنوية الّذين قالوا: إنّ النور والظلمة هما المدبّران. فقال: وأنتم، فما الّذي دعاكم إلى ما قلتموه من هذا؟

فقالوا: لأنّا وجدنا العالم صنفين: خيراً وشرّاً، ووجدنا الخير ضدّاً للشرّ، فأنكرنا أن يكون فاعل واحد يفعل الشيء وضدّه، بل لكلّ واحد منهما فاعل؛ ألا ترى أنّ الثلج محال أن يسخّن، كما أنّ النار محال أن تبرّد؟ فأثبتنا لذلك صانعين قديمين: ظلمة ونوراً.

فقال النبيّ ﷺ: أفلستم قد وجدتم سواداً وبياضاً، وحمرة وصفرة، وخضرة وزرقة، وكلّ واحد ضدّ لسائرها لاستحالة اجتماع اثنين منها في محلّ واحد، كما كان الحرّ والبرد ضدّين لا يجتمعان في محلّ؟ قالوا: نعم. قال: فهل أثبتّم بعدد كلّ لون صانعاً قديماً، ليكون فاعل كلّ ضدّ من هذه الألوان غير فاعل ضد الآخر؟ فسكتوا.

ثمّ قال: وكيف اختلط النور والظلمة، وهذا من طبعه الصعود وهذه من طبعها النزول؛ أرأيتم لو أنّ رجلاً يأخذ شرقاً يمشي إليه والآخر غرباً، أكان يجوز أن يلتقيا ماداما سائرين على وجوههما؟! قالوا: لا. قال: فوجب أن لا يختلط النور والظلمة لذهاب كلّ واحد منهما في غير جهة الإخراج، فكيف حصل هذا العالم من امتزاج ما محال أن يمتزج، بل هما جميعاً مخلوقان مدبّران؟ فقالوا: سننظر في أمرنا.

ثمّ أقبل النبيّ ﷺ على مشركي العرب، فقال: وأنتم لِمَ عبدتم الأصنام من دون الله تعالى؟ فقالوا: نتقرّب بذلك إلى الله تعالى. قال: وهي سامعة مطيعة لربّها عابدة له حتّى تتقرّبوا بتعظيمها إلى الله تعالى؟ قالوا: لا. قال: فأنتم الّذين نحتّموها بأيديكم، فلئن تعبدكم هي ـ لو كان يجوز منها العبادة ـ أحرى من أن تعبدوها، إذ لم يكن أمركم بتعظيمها من هو العارف بمصالحكم وعواقبكم، والحكيم في ما يكلّفكم.

فلمّا قال النبيّ ﷺ هذا اختلفوا، فقال بعضهم: إنّ الله قد حلّ في هياكل رجال كانوا على هذه الصورة فصوّرنا هذه الصور نعظّمها لتعظيمنا تلك الصورة التي حلّ فيها ربّنا. وقال آخرون منهم: إنّ هذه صور أقوام سلفوا كانوا مطيعين لله قبلنا فمثّلنا صورهم وعبدناها تعظيماً. وقال آخرون منهم: إنّ الله لمّا خلق آدم وأمر الملائكة بالسجود لآدم تقرّباً إلى الله، وكما أُمرتم بالسجود بزعمكم إلى جهة مكّة ففعلتم، ثمّ نصبتم في غير ذلك البلد بأيديكم محاريب سجدتم إليها وقصدتم الكعبة لا محاريبكم، وقصدكم للكعبة إلى الله لا إليها. فقال النبيّ ﷺ للّذين قالوا: إنّ الله حلّ في هياكل رجال كانوا على هذه الصور الّتي صوّرناها: فقد وصفتم ربّكم بصفة المخلوقات، أو يحلّ ربّكم في شيء حتّى يحيط به ذلك الشيء؟ فأيّ فرق بينه إذن وبين سائر ما يحلّ فيه، من لونه وطعمه ورائحته ولينه وخشونته وثقله وخفّته؟ ولِمَ صار هذا المحلول فيه محدثاً، وذلك قديماً دون أن يكون ذلك محدثاً وهذا قديماً؟ وكيف يحتاج إلى المحالّ من لم يزل قبل المحالّ، وهو عزّوجلّ لم يزل؟ وإذا وصفتموه بصفات المحدثات في الحلول، فقد لزمكم أن تصفوه بالزوال، وما وصفتموه بالزوال والحدوث فصفوه بالفناء، لأنّ ذلك أجمع من صفات الحالّ والمحلول فيه وجميع ذلك يغيّر الذات، فإن كان لم يتغيّر ذات الباري تعالى

لحلوله في شيء جاز أن لا يتغيّر بأن يتحرّك ويسكن ويسودّ ويبيضّ ويحمرّ ويصفرّ وتحلّه الصفات الّتي تتعاقب على الموصوف بها، حتّى يكون فيه جميع صفات المحدثين، ويكون محدثاً تعالى الله عن ذلك. ثمّ قال: فإذا بطل ما ظننتموه من أنّ الله يحلّ في شيء فقد فسد ما بنيتم عليه قولكم. فسكت القوم، وقالوا: سننظر.

ثمّ أقبل على الفريق الثاني، فقال: أخبرونا عنكم إذا عبدتم صور من كان يعبد الله فسجدتم لها، ووضعتم الوجوه الكريمة على التراب بالسجود لها، فما الّذي أبقيتم لربّ العالمين؟ أما علمتم أنّ من حقّ من يلزم تعظيمه وعبادته أن لا يساوي به عبده؟ أرأيتم لو أنّ ملكاً عظيماً سوّيتموه بعبيده في التعظيم والخضوع، أما يكون في ذلك وضع من الكبير كما يكون زيادة في تعظيم الصغير؟ قالوا: نعم. قال: أفلا تعلمون أنّكم من حيث تعظمون الله بتعظيم صور عباده المطيعين له تزرون على ربّ العالمين؟ فسكتوا بعد أن قالوا: سننظر.

ثمّ أقبل النبيّ ﷺ على الفريق الثالث، وقال لهم: ضربتم لنا مثلاً وشبّهتمونا بأنفسكم، ولا سواء، وذلك أنّا عباد الله مخلوقون مربوبون، نأتمر له في ما أمرنا ونزجر عمّا زجرنا، ونعبده من حيث يريده منّا، فإذا أمرنا بوجه من الوجوه أطعناه، ولم نتعدّ إلى غيره ممّا لم يأمرنا، ولم يأذن لنا، لأنّا لا ندري لعلّه إن أراد منّا الأوّل يكره منّا الثاني، وقد نهانا أن نتقدّم بين يديه، فلمّا أمرنا بالتوجّه إلى الكعبة أطعناه، ثمّ أمرنا بالتوجّه نحوها في سائر البلدان التي نكون بها فأطعناه، فلم نخرج في شيء من ذلك عن اتّباع أمره، والله تعالى حيث أمر بالسجود لآدم لم يأمر بالسجود لصورته التي هي غيره، فليس لكم أن تقيسوا ذلك عليه، لأنّكم لا تدرون لعلّه يكره ما تفعلون إذ لم يأمركم به. ثمّ

قال لهم النبيّ ﷺ: لو أذن لكم رجل في دخول داره يوماً بعينه، ألكم أن تدخلوها بعد ذلك بغير أمره، ولكم أن تدخلوا داراً أُخرى له مثلها بغير إذنه؟ قالوا: لا. قال: فإن وهب لكم رجل ثوباً من ثيابه أو عبداً من عبيده أو دابّة من دوابّه، ألكم أن تأخذوا ذلك؟ قالوا: نعم. قال: ولكم أن تأخذوا آخر مثله؟ قالوا: لا، لأنّه لم يأذن لنا في الثاني كما أذن لنا في الأوّل.

قال: فأخبروني: الله أولى بأن لا يتقدّم على ملكه بغير أمره، أو بعض المملوكين؟ قالوا: بل الله أولى بأن لا يتصرّف في ملكه بغير أمره. قال: فلِمَ عملتم هكذا؟ ومتى أمركم أن تسجدوا لهذه الصور؟ فقالوا: سننظر.

قال: فما أتت على جماعتهم ثلاثة أيّام حتّى أتوه وأسلموا، وكانوا خمسة وعشرين رجلاً من كلّ فرقة خمسة، وقالوا: ما رأينا مثل حجّتك نشهد أنّك رسوله[1].

«ثم اختار سبحانه لمحمّد ﷺ» هكذا في (المصرية)، والصواب: (ﷺ) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[2].

«لقاءه» بارتحاله؛ روى الطبري مسنداً عن أبي مويهبة مولى النبيّ ﷺ قال: بعثني النبيّ ﷺ من جوف الليل، فقال لي: يا أبا مويهبة إنّي قد أُمرت أن أستغفر لأهل البقيع فانطلق معي. فانطلقت معه، فلمّا وقف بين أظهرهم قال: السلام عليكم أهلَ المقابر، ليهن لكم ما أصبحتم فيه ممّا أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أوّلها، الآخرة شرّ من الأولى. ثمّ أقبل عليّ، فقال: يا أبا مويهبة إنّي قد أُوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثمّ الجنّة، خُيّرت بين ذلك وبين لقاء ربّي والجنّة، فاخترت لقاء ربّي والجنّة.

---

(١) تفسير العسكري: ٢٤٤، والاحتجاج للطبرسي: ٢٢، والنقل بتصرف يسير في اللفظ.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٨، وشرح ابن ميثم ١: ١٩٩.

قال: قلت: بأبي أنت وأُمّي، فخذ مفاتيح خزائن الدّنيا والخلد فيها ثمّ الجنّة. فقال: لا والله يا أبا مويهبة، لقد اخترت لقاء ربّي والجنّة. ثمّ استغفر لأهل البقيع، ثمّ انصرف، فبدئَ النبيّ صلى الله عليه وآله بوجعه الّذي قبض فيه[1].

«فقبضه إليه كريماً صلى الله عليه وآله وسلم» بعد بلاغه رسالات ربّه؛ روى الطبري عن ابن مسعود قال: نعى إلينا نبيّنا وحبيبنا صلى الله عليه وآله نفسَه قبل موته بشهر ـ إلى أن قال ـ فقلنا: متى أجلك؟ قال: قد دنا الفراق والمنقلب إلى الله، وإلى سدرة المنتهى. قلنا فمن يغسّلك يا نبيّ الله؟ قال: أهلي الأدنى فالأدنى. قلنا: ففيمَ نكفّنك يا نبيّ الله؟ قال: في ثيابي هذه إن شئتم، أو في بياض مصر، أو في حلّة يمانية ـ إلى أن قال ـ إذا غسّلتموني، وكفّنتموني، فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري، ثمّ اخرجوا عنّي ساعة، فإنّ أوّل من يصلّي عليّ جليسي وخليلي جبرئيل، ثمّ ميكائيل، ثمّ إسرافيل، ثمّ ملك الموت مع جنود كثيرة من الملائكة بأجمعها ـ إلى أن قال ـ قلنا: فمن يدخلك في قبرك يا نبيّ الله؟ قال: أهلي مع ملائكة كثيرين، يرونكم من حيث لا ترونهم[2].

٢
الخطبة (٢)

ومن خطبة له: بعد انصرافه من صفّين:

أَحْمَدُهُ اسْتِتْمَاماً لِنِعْمَتِهِ، وَاسْتِسْلَاماً لِعِزَّتِهِ، وَاسْتِعْصَاماً مِنْ مَعْصِيَتِهِ، وَأَسْتَعِينُهُ فَاقَةً إِلَى كِفَايَتِهِ، إِنَّهُ لَا يَضِلُّ مَنْ هَدَاهُ، وَلَا يَئِلُ مَنْ عَادَاهُ، وَلَا يَفْتَقِرُ مَنْ كَفَاهُ، فَإِنَّهُ أَرْجَحُ مَا وُزِنَ، وَأَفْضَلُ مَا خُزِنَ؛ وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلٰهَ إِلَّا

(١) تاريخ الطبري ٢: ٤٣٢ سنة ١١، وأسقط الشارح شرح الفقرات: «ورضي له ما عنده، وأكرمه عن دار الدنيا، ورغب به عن مقارنة البلوى».

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٤٣٥ سنة ١١.

ٱللّهُ وَحْدَهُ لَاشَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً مُمْتَحَناً إِخْلاصُها، مُعْتَقِداً مَصَاصُهَا، نَتَمَسَّكُ بِهَا أَبَدًا مَا أَبْقَانَا، ونَدَّخِرُهَا لِأَهَاوِيلِ مَا يَلْقَانَا، فَإِنَّهَا عَزِيمَةُ الْايمَانِ، وَفَاتِحَةُ الْاحْسَانِ، وَمَرْضَاةُ الرَّحْمَنِ، وَمَدْحَرَةُ ٱلشَّيْطَانِ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالدِّينِ ٱلْمَشْهُورِ، وَٱلْعَلَمِ ٱلْمَأْثُورِ، وَٱلْكِتَابِ ٱلْمَسْطُورِ، وَالنُّورِ السَّاطِعِ، وَالضِّيَاءِ اللَّامِعِ، وَٱلْأَمْرِ الصَّادِعِ، إِزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ، وَاحْتِجَاجاً بِالْبَيِّنَاتِ، وتَحْذِيراً بِالآيَاتِ، وتَخْوِيفاً بِالْمَثُلَاتِ، وَالنَّاسُ فِي فِتَنٍ انْجَذَمَ فِيهَا حَبْلُ الدِّينِ، وَتَزَعْزَعَتْ سَوَارِي ٱلْيَقِينِ، وَاخْتَلَفَ النَّجْرُ، وَتَشَتَّتَ ٱلْأَمْرُ، وضَاقَ ٱلْمُخْرَجُ، وَعَمِيَ ٱلْمَصْدَرُ؛ فَالْهُدَى خَامِلٌ، وٱلْعَمَى شَامِلٌ، عُصِيَ الرَّحْمَنُ، ونُصِرَ الشَّيْطَانُ، وخُذِلَ الْايمَانُ، فَانْهَارَتْ دَعَائِمُهُ، وتَنَكَّرَتْ مَعَالِمُهُ، ودَرَسَتْ سُبُلُهُ، وعَفَتْ شُرُكُهُ. اَطَاعُوا الشَّيْطَانَ فَسَلَكُوا مَسَالِكَهُ، وَوَرَدُوا مَنَاهِلَهُ. بِهِمْ سَارَتْ أَعْلَامُهُ، وقَامَ لِوَاؤُهُ، فِي فِتَنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا، وَوَطِئَتْهُمْ بِأَظْلَافِهَا، وقَامَتْ عَلَى سَنَابِكِهَا، فَهُمْ فِيهَا تَائِهُونَ حَائِرُونَ، جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ، فِي خَيْرِ دَارٍ وشَرِّ جِيرانٍ. نَوْمُهُمْ سُهُودٌ، وَكُحْلُهُمْ دُمُوعٌ، بِأَرْضٍ عَالِمُهَا مُلْجَمٌ، وَجَاهِلُهَا مُكَرَّمٌ.

أقول: رواها أئمّة غريب اللّغة كما يظهر من تفسير (النهاية) لغرائبها[1].

قول المصنّف: «ومن خطبة له» هكذا في (المصرية)، والصواب: (زيادة عليه السلام) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[2].

قوله عليه السلام: «أحمده استتماماً لنعمته» قال تعالى: ﴿...لئن شكرتم لأزيدنّكم...﴾[3].

---

(١) النهاية لابن الأثير ٥: ٢١ مادة (نجر).

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١: ٤٣، وشرح ابن ميثم ١: ٢٣٥.

(٣) إبراهيم: ٧.

«**واستسلاماً لعزّته**» جعله عليه‌السلام كالأوّل علّة لحمده، لأنّ من استسلم لعزّة أحد لابدّ أن يحمده ويمجّده.

«**واستعصاماً**» أي: طلباً للعصمة والحفظ.

«**من معصيته**» جعله عليه‌السلام أيضاً علّة لحمده تعالى، لأنّ من حمده عزّوجلّ يصير مورد لطفه، ومن صار مورد لطفه يعصمه.

«**وأستعينه**» ﴿إيّاك نعبد وإيّاك نستعين﴾[1].

«**فاقة**» أي: حاجة.

«**إلى كفايته**» ﴿أليس الله بكافٍ عبده...﴾[2].

قال ابن أبي الحديد: «استتماماً واستسلاماً واستعصاماً وفاقةً» من لطيف الكناية وبديعها[3].

وهو كما ترى فلا كناية في الكلام، وكان من حقّه أن يقول: من لطيف الكلام وبديعه.

«**إنّه لا يضلّ من هداه**» الظاهر كونه تعليلاً لقوله: «استسلاماً لعزّته».

«**ولا يئل**» من: وأل، أي: لا ينجو.

«**من عاداه**» والظاهر كون الكلام تعليلاً لقوله: «استعصاماً من معصيته».

«**ولا يفتقر من كفاه**» الظاهر كونه تعليلاً لقوله: «فاقة إلى كفايته»، فيكون هو وما قبله عللاً للعلل، ثمّ الظاهر سقوط فقرة بيان علّة قوله عليه‌السلام: «استتماماً لنعمته» من النسخ كأن يقال: ولا يسلب نعمة من شكره.

---

(١) الفاتحة: ٥.

(٢) الزمر: ٣٦.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٤٣.

«فإنّه» أي: حمده تعالى.

«أرجح ما وزن» ومن حمده: تكبيره، وتسبيحه، وتهليله أيضاً؛ وفي الخبر: لو أنّ السماوات وعامريهنّ عندي والأرضين السبع في كفّة و (لا إله إلّا الله) في كفّة مالت بهنّ (لا إله إلّا الله)[1].

«وأفضل ما خزن» ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق...﴾[2].

وروى الصدوق عن الصادق عليه السلام: من قال: «الحمد لله كما هو أهله» شغل كتّاب السماء. قيل: وكيف يشغل كتّاب السماء؟ قال: يقولون: اللّهمّ إنّا لا نعلم الغيب. فيقول: اكتبوها كما قالها عبدي وعليّ ثوابها[3].

«وأشهد ألّا إله إلّا الله وحده لا شريك له» هكذا في (المصرية)، وليس «وحده لا شريك له» في (ابن ميثم والخطّية)[4]، وأمّا (ابن أبي الحديد)[5] فكتبوه فيه في الحاشية، فالظاهر زيادته.

«شهادة ممتحناً إخلاصها» روى الصدوق عن الصّادق عليه السلام: من قال: «لا إله إلّا الله» مخلصاً دخل الجنّة، وإخلاصه بها أن يحجزه (لا إله إلّا الله) عمّا حرّم الله[6].

«معتقداً مصاصها» أي: خلاصها، يقال: فلان مصاص قومه، إذا كان أخلصهم نسباً.

وقد شهد له عليه السلام النبيّ صلى الله عليه وآله في كون إيمانه عليه السلام بالله تعالى (ممتحناً

---

(١) ثواب الأعمال للصدوق: ١٥ ح١، والتوحيد: ٣٠ ح٣٤، وجامع الأخبار للشعيري: ٥٠.

(٢) النحل: ٩٦.

(٣) ثواب الأعمال للصدوق: ٢٨ ح١.

(٤) في شرح ابن ميثم ١: ٢٣٥ يوجد: «وحده لا شريك له» أيضاً.

(٥) نقله ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٤٣ في متن الخطبة.

(٦) ثواب الأعمال للصدوق: ١٩، ٢٠ ح١، ٣ بطريقين، والتوحيد: ٢٧، ٢٨ ح٢٦، ٢٧، ومعاني الأخبار: ٣٧٠ ح١، ٢.

اخلاصها معتقداً مصاصها) في قوله ﷺ لعليّ عليه السلام: «الايمان مخالط لحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي»[١]. وأنبأ به عليه السلام عن نفسه في قوله: «لو كُشف الغطاء ما ازددت يقيناً»[٢].

«نتمسّك بها أبداً ما أبقانا» لكونها عروة وثقى لا انفصام لها.

«وندّخرها لأهاويل ما يلقانا» من أهوال الآخرة، وللنجاة من عذاب يوم القيامة؛ وفي خبر سلسلة الذهب عن الرضا عليه السلام قال الله عزّوجلّ: من جاء منكم بشهادة (ألّا إله إلّا الله) بالإخلاص دخل في حصني، ومن دخل في حصني أمن من عذابي[٣].

«فإنّها» أي: الشهادة عن الإخلاص.

«عزيمة الايمان» ولا رخصة لأحد في تركها؛ قال تعالى: ﴿...ليعبدوا الله مخلصين له الدين...﴾[٤].

«وفاتحة الإحسان» الواجب على العبد إلى ربّه في مقابل نعمه عزّوجلّ الّتي لا تعدّ بحكم بداهة العقول، كما نبّه عليه تعالى في قوله: ﴿هل جزاء الإحسان إلّا الإحسان﴾[٥]. وفاتحة إحسان العبد شهادته

---

(١) أخرجه الخوارزمي في المناقب: ٧٥، وابن المغازلي في المناقب: ٢٣٧ ح٢٨٥، والكراجكي في كنز الفوائد: ٢٨١ في ضمن حديث.

(٢) أخرجه الخوارزمي في المناقب : ٢٧١، ورواه ابن شهر آشوب في المناقب ٢: ٣٨، والجاحظ في مائة كلمة، شرح ابن ميثم عليه: ٥٢ ح١.

(٣) أخرجه بهذا اللفظ الصدوق في عيون الأخبار ٢: ١٣٢ ح١، والتوحيد : ٢٤ ح٢٢، ولحديث سلسلة الذهب ألفاظ أُخرى أخرجها صاحب صحيفة الرضا عليه السلام فيه: ٤٠ ح١، والصدوق في عيون الأخبار ٢: ١٣٢ ح٢، ٣، ٤، و: ١٣٦ ح٢، والتوحيد : ٢٤ ح٢١، ٢٣، ومعاني الأخبار: ٣٧٠ ح١، وثواب الأعمال: ٢١ ح١، وأبو جعفر الطوسي في أماليه ٢: ٢٠١ المجلس ٧، وأبو علي الطوسي في أماليه ١: ٢٨٦ المجلس ١٠، ورواه الفتال في الروضة ١: ٤٢، والشيرازي، عنه الجامع الصغير ٢: ٨.

(٤) البيّنة: ٥.

(٥) الرحمن: ٦٠.

الخالصة بوحدانية ربّه.

«ومرضاة الرّحمن» عن عبيدة: قال تعالى: ﴿...رضي الله عنهم ورضوا عنه...﴾[١]. وفي القدسي: طوبى لمن قال من أُمّتك: «لا إله إلّا الله وحده» مخلصاً[٢].

«ومدحرة» أي: مطردة ومبعدة.

«الشيطان» عن العبد؛ قال تعالى حكاية عن الشيطان إنّه قال: ﴿...ولأُغوينّهم أجمعين * إلّا عبادك منهم المخلصين﴾[٣].

«وأشهد أنّ محمّداً عبده» قال تعالى في عبوديّته ﷺ: ﴿سبحان الّذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الّذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنّه هو السميع البصير﴾[٤].

«ورسوله» ﴿وما محمّد إلّا رسول...﴾[٥]، ﴿...ولكن رسول الله وخاتم النبيّين...﴾[٦].

«أرسله بالدين المشهور» أي: الواضح. والأصل في المشهور كونه وصفاً للسيف؛ يقال: سيف مشهور، أي: مخرج من الغمد، ثمّ استعمل في كلّ واضح.

قال تعالى في دينه ﷺ: ﴿شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والّذي

---

(١) المائدة: ١١٩.

(٢) أخرجه الصدوق في التوحيد: ٢١ ح١١، وثواب الأعمال: ١٩ ح٢، وأخرج هذا الحديث بلفظ آخر الكليني في الكافي ٢: ٥١٧ ح١، والبرقي في المحاسن: ٣٠ ح١٧، والصدوق في التوحيد: ٢١ ح١٠، وثواب الأعمال: ١٩ ح١.

(٣) الحجر: ٣٩ ـ ٤٠.

(٤) الإسراء: ١.

(٥) آل عمران: ١٤٤.

(٦) الأحزاب: ٤٠.

أوحينا إليك وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أنْ أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه...﴾[١].

«والعلم المأثور» قرأ (العَلَم) في كلامه عليه السلام ابن أبي الحديد وابن ميثم والخوئي[٢] بفتحتين، مع أنّ الظاهر كونه بالكسر فالسكون مصدر عَلِمَ، وكون كلامه عليه السلام إشارة إلى قوله تعالى: ﴿...ايتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين﴾[٣]، قالوا في معناه: أي: ايتوا ببقية من علم يؤثَر عن الأوّلين بصحة دعواكم[٤].

«والكتاب المسطور» أي: القرآن؛ قال تعالى: ﴿والطور * وكتاب مسطور * في رقّ منشور﴾[٥].

«والنور الساطع» أي: المرتفع؛ قال تعالى: ﴿الّذين يتّبعون الرسول النبيّ الأُمّي الّذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل... فالّذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتّبعوا النور الّذي أُنزل معه أُولئك هم المفلحون﴾[٦].

«والضياء اللامع» أي: المشرق.

«والأمر الصادع» أي: الظاهر؛ قال تعالى: ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾[٧].

«إزاحة» أي: إزالة.

---

(١) الشورى: ١٣.

(٢) كذا جاء في شرح ابن أبي الحديد ١: ٤٤، وشرح ابن ميثم ١: ٢٣٥، وشرح الخوئي ١: ٢٢٦.

(٣) الاحقاف: ٤.

(٤) هذا التفسير قول كثير من المفسرين منهم الزمخشري في الكشاف ٤: ٢٩٥، والطبرسي في مجمع البيان ٩: ٨٢.

(٥) الطور: ١ ـ ٣.

(٦) الأعراف: ١٥٧.

(٧) الحجر: ٩٤.

«للشبهات» ﴿لا إكراه في الدين قد تبيّن الرشد من الغيّ...﴾[١].

«واحتجاجاً بالبيّنات» قال تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾[٢]، وقال عزّوجلّ: ﴿...فأتوا بعشر سور مثله مفتريات...﴾[٣]، وقال جلّ وعلا: ﴿...قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾[٤].

«وتحذيراً بالآيات» أي: العلامات من الله تعالى.

«وتخويفاً بالمثلات» هكذا في (المصرية)، والصواب: (للمثلات) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية)[٥]، والمثلات: العقوبات؛ في (تفسير القمّي): كان الوليد بن المغيرة شيخاً كبيراً مجرّباً من دهاة العرب، وكان من المستهزئين بالنبيّ ﷺ، وكان النبيّ يقعد في الحجرة، ويقرأ القرآن، فاجتمعت قريش إلى الوليد بن المغيرة، فقالوا: يا أبا عبد شمس ما هذا الّذي يقول محمّد؟ أشعر هو أم كهانة أم خطب؟ فقال: دعوني أسمع كلامه. فدنا من النبيّ ﷺ فقال: يا محمّد أنشدني من شعرك. قال: ما هو شعر، ولكنّه كلام الله الّذي ارتضاه لملائكته وأنبيائه. فقال: اتلُ عليّ منه شيئاً. فقرأ النبيّ ﷺ (حم السجدة) فلمّا بلغ قوله: ﴿فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾[٦]. قال فاقشعرّ الوليد وقامت كلّ شعرة في رأسه ولحيته، ومرّ إلى بيته ولم يرجع إلى قريش...[٧].

---

(١) البقرة: ٢٥٦.

(٢) الإسراء: ٨٨.

(٣) هود: ١٣.

(٤) يونس: ٣٨.

(٥) في شرح ابن أبي الحديد ١: ٤٤، وشرح ابن ميثم ١: ٢٣٥ «بالمثلات» أيضاً.

(٦) فصّلت: ١٣.

(٧) تفسير القمي ٢: ٣٩٣، وعدة أُخرى جمع بعض طرقهم السيوطي في الدر المنثور ٥: ٣٥٨ ـ ٣٥٩.

«والناس في فتن انجذم» أي: انقطع.

«فيها حبل الدين» فلا يمنعهم من ارتكاب كلّ شنيع شرع.

«وتزعزعت» أي: تزلزلت.

«سواري» أي: أساطين، جمع سارية.

«اليقين» فلم تثبت لهم عقيدة بجزاء.

«واختلف النجر» في (النهاية): النجر: الطبع والأصل[١].

«وتشتّت الأمر» بحيث يعسر اجتماعه.

«وضاق المخرج» من الشدائد.

«وعمي المصدر» فلا اهتداء لهم.

«فالهدى خامل» أي: ساقط عند الناس لا نباهة له عندهم.

«والعمى شامل» للشريف والوضيع.

«عصي الرحمن» في دينه.

«ونصر الشيطان» في مقاصده.

«وخذل الايمان» أي: صار بلا معين.

«فانهارت» أي: انخرقت.

«دعائمه» أي: أعمدته.

«وتنكّرت» أي: صارت غير معروفة.

«معالمه» أي: علائمه[٢].

«وعفت» أي: درست.

«شركه» أي: طرقه.

---

(١) النهاية لابن الأثير ٥: ٢١ مادة (نجر).

(٢) أسقط الشارح هنا شرح فقرة: «ودرست سبله».

«أطاعوا الشيطان» في ما يدعوهم إليه.

«فسلكوا مسالكه» فيتّبعون خطواته.

«ووردوا مناهله» المناهل: موارد الماء.

«بهم سارت أعلامه» أي: بسببهم وقعت ألوية الشيطان في السير حيث شاء.

«وقام لواؤه» على ساقها ولم تقع.

«في فتن» راجعة إلى أُمور دنياهم، كما أنّ الأُولى كانت راجعة إلى أُمور دينهم، فمرّ قوله فيها: «انجذم فيها حبل الدين».

«داستهم» من: داس الشيء برجله، إذا مشى عليه، وداس الطعام: دقّه بالفدان ليخرج الحبّ من السنبل.

«بأخفافها. ووطئتهم بأظلافها» قالوا: الخف للبعير، والظلف للبقرة والشاة والظبي؛ والكلام استعارة، فشبّه عليه السلام الفتن بإبل تدوس شيئاً، وببقر تطأ شيئاً.

«وقامت» تلك الفتن.

«على سنابكها» سنابك، جمع سنبك: طرف مقدّم الحافر؛ شبّه عليه السلام الفتنة بخيل قامت على سنابكها.

«فهم فيها» أي: في تلك الفتن التي كانت أوصافها ما ذكر.

«تائهون» كمن وقع في مفازة لا يهتدي فيها للطريق.

«حائرون» أي: متحيّرون لا يدرون علاجاً لدائهم.

«جاهلون مفتونون» أي: معذّبون؛ قال تعالى: ﴿يوم هم على النار يفتنون﴾[1].

---

(١) الذاريات: ١٣.

«في خير» متعلّق بقوله عليه السلام: «أرسله» أوّلاً.

«دار» أي: البلد الحرام.

«وشرّ جيران» أي: قريش، عادوه حتّى أخرجوه، ثمّ حاربوه، كما أنّهم عادوا بعده وصيّه وحاربوه.

«نومهم سهد» هكذا في (المصرية)، والصواب: (سهود) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[1]، أي: قليل، وأرق وسهر.

«وكحلهم دموع» وإنّما كان نومهم سهوداً، وكحلهم دموعاً للفتن الّتي أخلّت بنظام معاشهم من نهب القوي للضعيف وقتل القادر للعاجز؛ وقال ابن أبي الحديد: معنى كون نومهم سهوداً: أنّه لو استنامهم محمّد النوم لجادوا عليه بالسهود عوضاً عنه، ومعنى كون كحلهم دموعاً: أنّه لو استجداهم الكحل لكان كحلهم الّذي يصلونه به الدموع[2].

قلت: وما قاله كما ترى معنى بارد ركيك، والصواب: ما عرفت من كون المراد أنّ لهم في أنفسهم بدل النوم السهود، وبدل الكحل الدموع، لا بالنسبة إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، ثمّ تعبيره بمحمّد دون النبيّ غلط، لأنّ التعبير من نفسه لا نقلاً عنهم.

«بأرض عالمها ملجم» قال ابن قتيبة في (معارفه): كان جمع قبل مبعث النبيّ صلى الله عليه وآله على دين الله تعالى ـ وعدّ منهم زيد بن عمرو ابن عمّ عمر ـ قال: فأولع عمر به سفهاء مكّة فآذوه فخرج إلى الشام فقتله النصارى[3].

«وجاهلها مكرّم» كأبي جهل، فجعلوه رئيساً عليهم من صباوته،

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١: ٤٤، لكن في شرح ابن ميثم ١: ٢٣٦: «نومهم سهاد».

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٤٥.

(٣) المعارف لابن قتيبة: ٥٩، والنقل بتصرّف.

وكنّوه أبا الحكم.

وقال ابن أبي الحديد: المراد من «عالمها ملجم» مَن آمن بالنّبيّ ﷺ، ومِن «جاهلها مكرّم» من كذّب بالنبيّ ﷺ[1].

وهو كما ترى من كونه كسابقه تفسيراً ركيكاً، وإنّما المراد حالهم قبل بعثته ﷺ.

هذا، وفي (سنن أبي داود): أنّ قريشاً أهمّتهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلّم فيها؟ أي مع رسول الله ﷺ ـ.

قالوا: ومن يجترئ إلّا أسامة بن زيد حُبُّ رسول الله ﷺ؟ فكلّمه أسامة، فقال النبيّ ﷺ: يا أسامة أتشفع في حدّ من حدود الله؟ ثمّ قام، فاختطب فقال: إنّما هلك الّذين من قبلكم أنّهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدّ، وايم الله لو أنّ فاطمة بنت محمّد سرقت لقطعت يدها[2].

٣
الخطبة (٢٦)

من خطبة له عليه السلام:

إِنَّ ٱللّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ نَذِيراً لِلْعَالَمِين، وَأَمِيناً عَلَى ٱلتَّنْزِيلِ، وَأَنْتُمْ ـ مَعْشَرَ ٱلْعَرَبِ ـ عَلَى شَرِّ دِينٍ، وَفِي شَرِّ دَار، مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ، وَحَيَّاتٍ صُمٍّ، تَشْرَبُونَ ٱلْكَدِرَ، وَتَأْكُلُونَ ٱلْجَشِبَ، وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ، وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ. ٱلْأَصْنَامُ

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٤٥، والنقل بالمعنى.

(٢) سنن أبي داود ٤: ١٣٢ ح٤٣٧٣، وصحيح مسلم ٣: ١٣١٥ ح٨ ـ ١٠ بثلاث طرق، وسنن الترمذي ٤: ٣٧ ح١٤٣، وسنن النسائي ٨: ٧٢ ـ ٧٥ بعدّة طرق، وسنن ابن ماجه ٢: ٨٥١ ح٢٥٤٧، وسنن الدارمي ٢: ١٧٣، ومسند أحمد ٥: ١٦٢ عن عائشة، وفي الباب عن الصادق عليه السلام وجابر وابن عمر ومسعود بن العجماء وسعيد بن المسيب.

فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ، وَالآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ.

أقول: الأصل فيه ما رواه ابن قتيبة في (خلفائه)، والكلِيْني في (رسائله)، وإبراهيم الثقفي في (غاراته)[1]، وكون سببها سؤال الناس له بعد انقضاء أمر النهروان عن رأيه في أبي بكر وعمر وعثمان.

قال الأوّل: دخل حجر بن عدي، وعمرو بن الحمق، وعبد الله بن وهب الراسبي عليه عليه السلام، فسألوه عن الثلاثة؛ فقال: إنّي مخرج إليكم كتاباً أُنبّئكم فيه ما سألتموني عنه، فاقرأه على شيعتي، فأخرج إليهم كتاباً فيه: أمّا بعد، فإنّ الله بعث محمّداً صلى الله عليه وآله نذيراً للعالمين، وأميناً على التنزيل، وشهيداً على هذه الأُمّة، وأنتم ـ يا معشر العرب ـ على غير دين، وفي شرّ دار؛ تسفكون دماءكم وتقتلون أولادكم، وتقطعون أرحامكم، وتأكلون أموالكم بينكم بالباطل، فمنّ الله عليكم فبعث محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم إليكم...[2]

وقال الثاني: كتب أمير المؤمنين عليه السلام كتاباً بعد منصرفه من النهروان وأمر أن يُقرأ على الناس ـ إلى أن قال ـ بعث محمّداً صلى الله عليه وآله وأنتم ـ معاشر العرب ـ على شرّ حال، يغذو أحدكم كلبه، ويقتل ولده، ويغير على غيره، فيرجع وقد أُغير عليه، تأكلون العلهز والهبيد، والميتة والدم، منيخون على أحجار خشن، وأوثان مضلّة، تأكلون الطعام الجشب، وتشربون الماء الأُجن، تسافكون دماءكم، ويسبي بعضكم بعضاً[3].

وقال الثالث: خطب عليّ عليه السلام بعد فتح مصر وقتل محمّد بن أبي بكر، فقال: أمّا بعد فإنّ الله بعث محمّداً صلى الله عليه وآله نذيراً للعالمين، وأميناً على التنزيل،

---

(١) يأتي لفظ روايتهم وتخريجه في ما يأتي هذا العنوان.

(٢) أخرجه ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ١: ١٥٤، وهو كتاب تاريخ الخلفاء.

(٣) كشف المحجة لابن طاووس: ١٧٣ عن الرسائل للكليني، وأصل الكتاب من الكتب المفقودة.

وشهيداً على هذه الأُمّة، وأنتم ـ معاشر العرب ـ يومئذٍ على شرّ دين، وفي شرّ دار، منيخون على حجارة خشن، وحيّات صمّ، وشوك مبثوث في البلاد، تشربون الماء الخبيث، وتأكلون الطعام الخبيث، تسفكون دماءكم، وتقتلون أولادكم، وتقطعون أرحامكم، وتأكلون أموالكم بينكم بالباطل؛ سبلكم خائفة، والأصنام فيكم منصوبة، ولا يؤمن أكثركم بالله إلّا وأنتم مشركون، فمنّ الله عزّوجلّ عليكم بمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم، فبعثه إليكم رسولاً من أنفسكم فعلّمكم الكتاب والحكمة، والفرائض والسنن، وأمركم بصلة أرحامكم وحقن دمائكم، وصلاح ذات البين، وأن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها، وأن تُوفوا بالعهد، ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها، وأن تَعاطفوا وتَبارّوا، وتَباذلوا وتَراحموا؛ ونهاكم عن التناهب، والتظالم، والتحاسد، والتباغي، والتقاذف، وعن شرب الخمر، وبخس المكيال، ونقص الميزان، وتقدم اليكم في ما يتلى عليكم أن لا تزنوا، ولا تربوا، ولا تأكلوا أموال اليتامى ظلماً، و ﴿أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها﴾[1] ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾[2] ﴿ولا تعتدوا إنّ الله لا يحبّ المعتدين﴾[3] وكلّ خير يدني إلى الجنّة ويباعد عن النار أمركم به، وكلّ شرّ يدني إلى النار ويباعدكم عن الجنّة نهاكم عنه...[4]

«إنّ الله» هكذا في (المصرية)، وزاد (ابن أبي الحديد)[5] «تعالى»

(١) النساء: ٥٨.

(٢) البقرة: ٦٠.

(٣) البقرة: ١٩٠.

(٤) الغارات للثقفي ١: ٣٠٢، لكن اللفظ موافق لما نقل ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٣٥، شرح الخطبة ٦٦ عن كتاب الغارات، ولفظ أصل الكتاب: «هذه نسخة الكتاب من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من قرأ كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين...»، وقد مرّ بحث حول هذه الخطبة في مقدّمة المؤلف.

(٥) لا توجد في شرح ابن أبي الحديد ١: ١٢١ هذه الزيادة.

و (الخطّية) «سبحانه».

«بعث محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم»، والصواب: (صلى الله عليه وآله) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[١].

«نذيراً للعالمين» ﴿إنّا أرسلناك شاهداً ومبشّراً ونذيراً﴾[٢].

«وأميناً على التنزيل» ﴿...الله أعلم حيث يجعل رسالته...﴾[٣].

«وأنتم ـ معشر العرب ـ على شرّ دين» في الأديان الباطلة؛ قال المغيرة بن زرارة الأسدي ليزدجرد في القادسية: كان ديننا أن يقتل بعضنا بعضاً، ويغير بعضنا على بعض، وأن كان أحدنا ليدفن ابنته وهي حيّة كراهة أن تأكل من طعامه[٤].

وفي (معارف ابن قتيبة) في عنوان أديان العرب في الجاهلية: كانت النصرانية في ربيعة وغسّان وبعض قضاعة، وكانت اليهودية في حِمْيَر وبني كنانة وبني الحرث بن كعب وكِنْدة، وكانت المجوسية في تميم، ومنهم حاجب ابن زرارة، وكان تزوّج ابنته ثمّ ندم، ومنهم الأقرع بن حابس، وكانت الزندقة في قريش أخذوها من الحيرة، وكان بنو حنيفة اتّخذوا في الجاهلية إلهاً من حيس (أي: تمر يخلط بسمن وأقط، فيعجن شديداً ثمّ يندر منه نواه) فعبدوه دهراً طويلاً، ثمّ أصابتهم مجاعة، فأكلوه؛ فقال رجل من بني تميم:

أكلت حنيفة ربّها زمن التقحّم والمجاعه
لم يحذروا من ربّهم سوء العواقب والتباعه[٥]

---

(١) في شرح ابن أبي الحديد ١: ١٢١، وشرح ابن ميثم ٢: ٢٣: «وسلم» أيضاً.

(٢) الأحزاب: ٤٥.

(٣) الأنعام: ١٢٤.

(٤) تاريخ الطبري ٣: ١٨ سنة ١٤.

(٥) المعارف لابن قتيبة: ٦٢١.

وفي (السبائك): ديانات العرب كانت متباينة مختلفة، فصنف منهم قالوا بالدهر، وصنف أقرّوا بالمبدأ وأنكروا المعاد، وقالوا: ﴿...من يحيي العظام وهي رميم﴾[١]، وصنف عبدوا الأصنام، وصنف عبدوا الملائكة، وصنف عبدوا الجنّ، وصنف يميل الى اليهودية، وصنف إلى النصرانية، وصنف إلى الصابئة، ويعتقدون أنّ الكواكب فعّالة بأنفسها[٢].

وروى (سنن أبي داود): أنّ النكاح كان في الجاهلية على أربعة أنحاء؛ فكان منها: نكاح اليوم.

والثاني: كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه، ويعتزلها زوجها ولا يمسّها أبداً حتّى يتبيّن حملها من ذلك الرجل الّذي تستبضع منه، فإذا تبيّن حملها أصابها زوجها إن أحبّ، وإنّما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد، فكان هذا النكاح يسمّى نكاح الاستبضاع.

والثالث: يجتمع الرهط دون العشرة، فيدخلون على المرأة كلّهم يصيبها، فإذا حملت ووضعت ومرّ ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتّى يجتمعوا عندها، فتقول لهم: قد عرفتم الّذي كان من أمركم، وقد ولدت وهو ابنك يا فلان، فتسمّي من أحبّت منهم باسمه، فيلحق به ولدها.

والرابع: يجتمع الناس الكثير لا تمتنع ممّن جاءها، وهنّ البغايا، كنّ ينصبن على أبوابهنّ رايات يكن علماً لمن أرادهنّ دخل عليهن، فإذا حملت فوضعت، جمعوا لها ودعوا لهم القافة، ثمّ ألحقوا ولدها بالّذي يرون، فالتاطه، ودعي ابنه لا يمتنع من ذلك.

---

(١) يس: ٧٨.

(٢) سبائك الذهب للسويدي: ١٠١ ـ ١٠٢، والنقل بتلخيص.

فلمّا بعث الله محمّداً ﷺ هدم نكاح أهل الجاهلية كلّه إلّا نكاح أهل الاسلام اليوم[١].

قلت: ومن الثالث كان تكوّن عمرو بن العاص، ومن الرابع تكوّن زياد بن أبيه، لكن معاوية ألحقه بأبيه أبي سفيان عن هواه لا بطريقة الجاهلية عن حكم القافة، ولا بسنّة الاسلام بكونه للفراش عبيد.

«وفي شرّ دار» قال المغيرة ليزدجرد: وأمّا منازلنا فإنّما هي ظهر الأرض[٢].

«منيخون» أي: مقيمون، والأصل في الإناخة: إناخة الإبل على الأرض.

«بين حجارة خشن وحيّات صمّ» وفي (الصحاح): الصمّة: الذكر من الحيّات[٣].

وفي (السير): قال رجل: كنت بالبادية، فرأيت ناساً حول نار فسألت عنهم، فقالوا: صادوا حيّات فهم يشتوونها، فأتيتهم فرأيت رجلاً منهم قد أخرج حيّة من الجمر ليأكلها، فامتنعت عليه، فجعل يمدّها، فما صرفت بصري عنه حتّى صرع، فمات.

هذا، وقال ابن قتيبة: جيء إلى المتوكل بأسود من بعض البوادي، يأكل الأفاعي وهي حيّة، يتلقّاها بالنهش من جهة رؤوسها، ويأكل ابن عرس وهو حيّ، يتلقاه بالأكل من جهة الرأس[٤].

هذا، وقال ابن أبي الحديد: قوله عليه السلام: «بين حجارة خشن وحيّات صمّ» يحتمل المجاز أيضاً، وهو أحسن، يقال للأعداء: حيّات، ويقال للعدو: إنّه حجر

---

(١) سنن أبي داود ٢: ٢٨١ ح ٢٢٧٢، وغيره.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ١٨ سنة ١٤.

(٣) صحاح اللغة ٥: ١٩٢٨ مادة (صمم).

(٤) لم أجده في المعارف ولا عيون الأخبار.

خشن المسّ، إذا كان ألدّ الخصام[١].

قلت: المقام ليس بمقام مجاز، فلا جواز له فضلاً عن أحسنيته. ثمّ إطلاق الحيّة والحجر ليس مختصّاً بالعدو - كما قال - بل يطلقان على الولي أيضاً، فيطلقان على الرجل الشديد وليّاً أو عدوّاً.

«تشربون الكدر» فلم يكن عندهم صاف؛ قال الجاحظ في (بخلائه) في عنوان شرب العرب: كان للعرب شرب مجدوح، وهو إذا بلغ العطش منهم المجهود نحروا الإبل وتلقّوا دمائها بالجفان كيلا يضيع من دمائها شيء، فإذا برد الدم ضربوه بأيديهم، وجدحوه بالعيدان جدحاً، حتّى ينقطع فيعتزل ماؤه من ثفله، كما يُخلص الزبد بالمخيض والجبن بالأنفحة، فيتصافنون ذلك الماء، ويبتلعون به حتّى يخرجوا من المفازة. قال: ولهم شرب غضّ وهو عصارة الفرث إذا أصابهم العطش في المفاوز[٢].

وفي (بلدان الحموي): سلاح: ماء لبني كلاب شبكة ملحة لا يشرب منها أحد إلّا سلح[٣].

«وتأكلون الجشب» قال الجوهري: طعام جشب ومجشوب، أي: غليظ وخشن؛ ويقال: هو الّذي لا أدم معه[٤].

سئل اعرابي: ما تأكلون وما تعافون؟ قال: نأكل ما دبّ وهبّ إلّا أُمّ حبين. فقال السائل: تهنئي أُمّ حبين العافية.

وقال المغيرة الأسيدي ليزدجرد: كنّا نأكل الخنافس والجعلان

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ١٢١.

(٢) البخلاء للجاحظ: ٣٣٧، ٣٣٩، والنقل بتصرف يسير.

(٣) معجم البلدان للحموي ٣: ٢٣٣، والمشترك والمفترق: ٢٥٠.

(٤) صحاح اللغة ١: ٩٩ مادة (جشب).

والعقارب والحيّات[١].

قوله عليه السلام في رواية الكليني: «تأكلون العلهز والهبيد»[٢]؛ قال الجاحظ: العلهز: القردان ترضّ وتعجن بالدم[٣].

وقال أبو عبيدة: الهبيد: حبّ الحنظل زعموا أنّه يعالج حتّى يمكن أكله[٤].

والهبيد: كان طعام عمر في الجاهلية، فقالوا: ذكر عمر خشونة مطعمه وملبسه في صباه فقال: لقد رأيتني مرة وأُختاً لي نرعى على أبوينا ناضحاً ـ أي بعير السقي ـ قد ألبستنا أُمّنا نقبتها ـ النقبة: قطعة من ثوب قدر السراويل، يجعل لها حجزة محيطة من غير نيفق، ويشدّ كما يشدّ حجزة السراويل ـ وزوّدتنا من الهبيد ـ فنخرج بناضحنا، فإذا طلعت الشمس ألقيت النقبة إلى أُختي وخرجت أسعى عرياناً، فنرجع إلى أُمّنا وقد جعل لنا لفيتة ـ أي: ضرباً من الطبيخ كالحساء من ذلك الهبيد ـ فيا خصباه. ذكروا ذلك في غريب حديث عمر[٥].

ولابدّ أنّه عليه السلام عرّض به حيث سألوه عنه وعن أخويه.

وعدّ الجاحظ في (بخلائه) في طعام العرب غير العلهز والهبيد أطعمة أُخرى مذمومة منها: الغثّ، والدعاع، والقدّ، والعسوم، ومنقع البرم، والقصيد، والحيّات، واستشهد لها بأبيات:

كقول الشاعر:

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ١٨ سنة ١٤.

(٢) نقلاً عن رسائل الكليني، كشف المحجة: ١٧٤.

(٣) البخلاء للجاحظ: ٣٣٩.

(٤) لسان العرب لابن منظور ٣: ٤٣١ مادة (هبد)، وغيره، لكن لم أجد من نقله عن أبي عبيد.

(٥) النهاية لابن الأثير ٥: ٢٣٩ مادة (هبد)، وغيره.

لم يأكل الغث والدعاع ولم

وقول الشاعر:

ولا أقوات أهلهم العسوم

وقول الشاعر:

من المشتوين القدّ في كلّ شتوة

وقول الشاعر:

وأنتم حلول تشتوون الأفاعيا[1].

وقال أيضاً: القرامة: نحاتة القرون والأظلاف، والقرّة: الدقيق المختلط بالشعر؛ كان الرجل منهم لا يحلق رأسه إلّا وعلى رأسه قبضة من دقيق، ليكونَ صدقة على الضرائك وطهوراً له[2].

وقال الحموي: كان لقضاعة ولخم وجذام وأهل الشام صنم يقال له: الأقيصر، وكانوا يحجّون إليه ويحلقون رؤوسهم عنده، فكان كلّما حلق رجل منهم رأسه ألقى مع كلّ شعرة قرّة من دقيق -وهي قبضة- وكانت هوازن تنتابهم في ذلك الإبّان، فإن أدركه الهوازني قبل أن يلقي القرّة على الشعر، قال: أعطنيه -يعني الدقيق- فإنّي من هوازن ضارع، وإن فاته أخذ ذلك الشعر بما فيه من القمل والدقيق فخبزه وأكله. فقال معاوية الجرمي في أبيات:

ألم تــر جــرماً أنــجدت وأبــوكُمُ   مع القمل في حفر الأُقيصر شارع[3]

هذا، وفي (شعراء ابن قتيبة): قال أبو عبيدة: دخلت على رؤبة بن العجّاج وهو يجيل جرذاناً على النار، فقلت: أتأكلها؟ قال: نعم، انّها خير من دجاجكم،

---

(١) البخلاء للجاحظ: ٣٣٧ ـ ٣٤٠.

(٢) البخلاء للجاحظ: ٣٣٩.

(٣) معجم البلدان للحموي ١: ٢٣٨، والنقل بتقطيع.

إنّها تأكل البرّ والتمر[١].

«وتسفكون دماءكم» بغير الحقّ.

«وتقتطعون أرحامكم» حتّى كانوا يقتلون أولادهم خشية إملاق، ويئدون بناتهم لئلّا تصير إلى قبيلة أُخرى.

«الأصنام» قال الجزري: قيل: الصنم ما كان له جسم أو صورة، فإن لم يكن له جسم أو صورة فهو وثن[٢].

«فيكم منصوبة» لكلّ قبيلة منهم صنم، ولابن الكلبي كتاب في أصنام العرب؛ وفي (سيرة ابن هشام): اللّات بيت لثقيف يعظّمونه تعظيم الكعبة.

قال ضرار بن الخطاب الفهري:

وفرّت ثقيف إلى لاتها ... بمنقلب الخائب الخاسر[٣]

وفيه: قال ابن إسحاق: واتّخذ أهل كلّ دار في دارهم صنماً يعبدونه، فإذا أراد الرجل منهم سفراً تمسّح به حين يركب، فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجّه إلى سفره، وإذا قدم من سفره تمسّح به، فكان ذلك أوّل ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله؛ فلمّا بعث الله تعالى رسوله محمّداً صلى الله عليه وآله بالتوحيد قالت قريش: ﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً إنّ هذا لشيء عجاب﴾[٤].

وقالوا: لمّا ولّت خزاعة أمر البيت، وكان أوّل من ولي عمرو بن لحي، بعث العرب على عبادة التماثيل، وأكثر من نصب الأصنام حول الكعبة. وقالوا: كان ودّ لكلب بدومة الجندل، وسواع لهذيل بِرَهاط، ونسر لحِمْير،

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٢٣٠.

(٢) النهاية لابن الأثير ٣: ٥٦ مادة (صنم).

(٣) سيرة ابن هشام ١: ٤٢ بفرق يسير.

(٤) سيرة ابن هشام ١: ٧٨، والآية ٥ من سورة (ص).

ويغوث لهمدان، واللّات لثقيف، والعزّى لكنانة وقريش ومضر كلّها وبعض بني سليم، والسعير لعنزة، وعوص لبكر بن وائل. قال الأعشى:

حلفت بمائرات حول عوص وأنصاب تركن لدى السعير

ومناة بالمشلّل لغسّان والأوس والخزرج، وكان هبل لقريش خاصة على ظهر الكعبة، وأساف ونائلة على الصفا والمروة.

وعن (تهذيب الأزهري): الدوّار: صنم كانت العرب تنصبه يجعلون موضعاً حوله يدورون به، واسم ذلك الصنم والموضع الدوّار. ومنه قول امرئ القيس:

فعنّ لنا سرب كأنّ نعاجه عذارى دوار في ملاء مذيّل[1]

وفي (القاموس) : الضمار ككتاب: صنم عبده العبّاس بن مرداس ورهطه[2]، و رضا: صنم كان لطيّ، وبه سمّي جدّ زيد الخيل: عبد رضا[3]، وسواع: بالضم والفتح ـ وقرأ به الخليل ـ صنم عبد في زمن نوح عليه السلام، فدفنه الطوفان، فاستشاره إبليس فعبد وصار لهذيل[4].

وفي (المعجم): لمّا قتلت بنو أسد حجراً، وخرج ابنه امرؤ القيس في طلب ثأره، مرّ بتبالة وبها صنم للعرب تعظّمه يقال له: ذو الخلصة، فاستقسم عنده بقداحه، وهي ثلاثة: الآمر والناهي والمتربّص، فأجالها فخرج الناهي، فجمعها وكسرها وضرب بها وجه الصنم، وقال: مصصت بظر أمّك؛ لو قُتل أبوك ما نهيتني، وقال:

لو كنت يا ذا الخلص الموتورا مثلي وكان شيخك المقبورا

---

(١) لسان العرب لابن منظور ٤: ٢٩٧ مادة (دور).

(٢) القاموس المحيط ٢: ٧٦ مادة (ضمر).

(٣) القاموس المحيط ٤: ٣٣٥ مادة (رضا) ونص ما جاء فيه: «رضا: بيت صنم لربيعة».

(٤) القاموس المحيط ٣: ٤٣ مادة (سوع).

لم تنه عن قتل العداة زورا

ثم خرج فظفر ببني أسد، وقتل قاتل أبيه وأهل بيته، وألبسهم الدروع البيض محماةً وكحّلهم بالنار. ويقال: إنّه ما استقسم عند ذي الخلصة بعدها أحد بقدح حتّى جاء الاسلام وهدم.

وقالوا: كان لأهيب بن سماع صنم يقال له: راقب، واستعان به الحرث المصطلقي في حربه، فعقر له عقيرة ليستخيره في أمره، فسمع منه صوتاً هائلاً، فصار سبب هدايته، وله قصّة طويلة.

وفي (أُسد الغابة) كان عمرو بن الجموح الأنصاري سيّداً من سادات بني سلمة، وكان قد اتّخذ في داره صنماً من خشب يقال له: مناف، يعظّمه ويطهّره، فلمّا أسلم فتيان بني سلمة، كانوا يدخلون بالليل على صنمه فيحملونه، ويطرحونه في بعض حفر بني سلمة، وفيها عُذَر بني سلمة منكّساً على رأسه، فإذا أصبح عمرو قال: ويلكم من عدا على إلهنا هذه الليلة؟ ثمّ يغدو فيلتمسه، فإذا وجده غسله وطيّبه، ثمّ يقول: والله لو أعلم من يصنع بك هذا لأخزينّه. يفعلون به ذلك كلّ ليلة، فلمّا ألحّوا عليه جاء بسيفه فعلّقه عليه، ثمّ قال له: إن كان فيك خير فهذا السيف معك. فلمّا أمسى عدوا عليه وأخذوا السيف من عنقه، ثمّ أخذوا كلباً ميّتاً فقرنوه معه بحبل ثمّ ألقوه في بئر من آبار بني سلمة فيها عذر الناس، وغدا عمرو يبتغيه حتّى وجده مقروناً بكلب فأبصر رشده، وكلّم من أسلم من قومه، فأسلم وقال:

تالله لو كنتَ إلهاً لم تكن ... أنت وكلب وسط بئر في قَرَن[1]

وفي (حلية أبي نعيم) عن أبي رجاء العطاردي: بعث النبيّ صلى الله عليه وآله ونحن على ماء لنا، وكان لنا صنم مدوّر، فحملناه على قتب، وانتقلنا من ذلك الماء إلى

(١) معجم البلدان للحموي ٢: ٣٨٤، والنقل بتصرف يسير.

غيره، فمررنا برملة، فانسلّ الحجر فوقع في رمل فغاب فيه، فلمّا رجعنا إلى الماء فقدنا الحجر، فرجعنا في طلبه، فإذا هو في رمل قد غاب فيه فاستخرجناه. فقلت: إنّ إلهاً لم يمنع من تراب يغيب فيه لإله سوء، وإنّ العنز لتمنع حياها بذنبها. فكان ذلك أوّل إسلامي، فرجعت إلى المدينة، وقد توفي النبيّ ﷺ(١).

وقالوا: كان لسعد العشيرة صنم يقال له: فرّاض، ويقال لسادنه: ابن وقشة، وكان له رئيّ يخبره بما يكون، فأتاه فقال له: «اسمع العجب العجاب، بعث أحمد بالكتاب، بمكّة لا يجاب».

فحكى ابن وقشة ذلك لرجل من قومه، فلمّا سمع الرجل بخروج النبيّ ﷺ قام الى الصنم فحطّمه، ثمّ أتى النبيّ ﷺ فأسلم، وقال:

تبعت رسول الله إذْ جاء بالهدى ... وخلّفت فرّاضاً بأرض هوان

شددت عليه شدّة فتركته ... كأنْ لم يكن والدهر ذو حدثان

ولمّا رأيت الله أظهر دينه ... أجبت رسول الله حين دعاني

فمن مبلغ سعد العشيرة أنّني ... شريت الّذي يبقى بآخر فان(٢)

وقالوا: كان لبني عذرة صنم يقال له: حمام، وكان في بني هند بن حزام، وسادنه رجل منهم يقال له: طارق. فلمّا بُعث النبيّ ﷺ سمعوا منه صوتاً يقول:

يا بني هند بن حزام، ظهر الحقّ وأودى حمام، ودفع الشرك الإسلام، ففزعوا.

ثم سمعوا بعد أيّام صوتاً يقول: يا طارق بعث النبيّ الصادق بوحي

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ٢: ٣٠٥.

(٢) الطبقات لابن سعد ١ ق ٢: ٧٤، والنقل بتصرف.

ناطق. صدع صادع بأرض تهامه، لناصريه السلامه، ولخاذليه الندامه. هذا الوداع منّي إلى يوم القيامه. ثمّ وقع الصنم لوجهه. فأتى زمل العذري ونفر من قومه إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله وأخبروه بما سمعوا. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: ذاك كلام مؤمن من الجنّ. فأسلموا[١]، وقال زمل:

إليك رسول الله أعملت نصّها أكلّفها حزناً وفوزاً من الرمل

وقالوا: كان لجهينة صنم، فرأى سادنه في النوم من يقول: تقشّعت الظلماء، وسطع الضياء، وبعث خاتم الأنبياء. أقبل حقّ فسطع، ودُمغ باطل فانقمع. فكسر الصنم ولحق بالنبيّ صلى الله عليه وآله، وقال:

شهدت بأنّ الله حقٌّ وأنّني لآلهة الاحجار أوّل تارك

وشمّرت عن ساق الازار مهاجراً إليك أجوب الوعث بعد الدكادك

فبعثه النبيّ صلى الله عليه وآله إلى قومه، فأسلموا إلّا رجلاً منهم كذّبه، فقال له: أمرّ الله عيش الأكذب منّي ومنك، وأبكم لسانه، وأكمه إنسانه. فما مات حتّى عمي وافتقر وأبكم[٢].

وفي (الأُسد): كان لأحمر بن سواء السدوسي صنم يعبده، فألقاه في بئر ثمّ أتى النّبي صلى الله عليه وآله فبايعه[٣].

وفيه: كان اسم راشد بن حفص ظالماً، وقيل: غاوياً. فسمّاه النبيّ صلى الله عليه وآله راشداً، وكان سادن صنم بني سليم الّذي يدعى سواعاً فكسره[٤].

وفي (المناقب): أنّه لمّا فتح النبيّ صلى الله عليه وآله مكّة كان فيها ثلاثمائة وستون صنماً بعضها مشدود ببعض بالرصاص، فأنفذ أبو سفيان من ليلته مناة إلى

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب ١: ٨٧، والنقل بتصرف.

(٢) الطبقات لابن سعد ١ ق٢: ٦٨، والنقل بتصرف.

(٣) أُسد الغابة لابن الأثير ١: ٥٤.

(٤) أُسد الغابة لابن الأثير ٢: ١٤٩.

الحبشة، ومنها إلى الهند فهيّؤوا لها داراً من مغناطيس، فتعلّقت في الهواء إلى أيّام محمود بن سبكتكين، فلمّا غزاها أخذها وكسرها، ونقلها إلى اصفهان وجعلت تحت مارّة الطريق[١].

وفي (كامل الجزري) في فتح مكّة: وكان على الكعبة ثلاثمائة وستّون صنماً، وكان بيد النّبي صلى الله عليه وآله قضيب، فكان يشير به إلى الأصنام وهو يقرأ ﴿...جاء الحقّ وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً﴾[٢]، فلا يشير إلى صنم منها إلّا سقط لوجهه[٣].

وفي (تاريخ بغداد) للخطيب: عن أبي مريم قال: قال عليّ عليه السلام: انطلق بي النّبي صلى الله عليه وآله إلى الأصنام، فقال: اجلس، فجلست إلى جنب الكعبة، ثمّ صعد النبيّ صلى الله عليه وآله على منكبي، ثمّ قال: انهض بي إلى الصنم، فنهضت به، فلمّا رأى ضعفي تحته، قال: اجلس، فجلست وأنزلته عنّي، وجلس لي النبيّ صلى الله عليه وآله، ثمّ قال لي: يا علي اصعد إلى منكبي، فصعدت على منكبيه، ثمّ نهض بي النبيّ صلى الله عليه وآله، فلمّا نهض بي خُيّل لي أنّي لو شئت نلت السماء، وصعدت على الكعبة، وتنحّى النّبيّ صلى الله عليه وآله فألقيت صنمهم الأكبر صنم قريش، وكان من نحاس موتّداً بأوتاد من حديد إلى الأرض، فقال لي النبيّ صلى الله عليه وآله: عالجه، فعالجته؛ فما زلت أُعالجه والنبيّ صلى الله عليه وآله يقول: إيه إيه إيه، فلم أزل أُعالجه حتّى استمكنت منه، فقال: دقّه فدققته، وكسرته ونزلت[٤].

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب ١: ٢٠٩.

(٢) الإسراء: ٨١.

(٣) الكامل لابن الأثير الجزري ٢: ٢٥٢ سنة ٨.

(٤) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ١٣: ٣٠٢، وأحمد في مسنده ١: ٨٤، والنسائي في الخصائص: ١١٣، والخوارزمي في مناقبه: ٧١، وابن أخي تبوك في مسنده (منتخبه): ٤٢٩ ح٥، والجويني في فرائد السمطين ١: ٢٤٩ ح١٩٣، عن أبي مريم، وفي الباب عن أبي هريرة وجابر بن عبد الله، وجمع بعض طرقه الأُخرى الهيثمي في

وفي (الطبقات): لمّا أراد النبيّ صلى الله عليه وآله السير إلى الطائف بعث الطفيل بن عمرو إلى ذي الكفين صنم عمرو بن حممة الدوسي يهدمه، وأمره أن يستمدّ قومه ويوافيه بالطائف، فخرج سريعاً إلى قومه فهدم ذا الكفين، وجعل يحش النار في وجهه ويحرقه ويقول:

ياذا الكفين لست من عبّادكا ميلادنا أقدم من ميلادكا
إنّي حششت النار في فؤادكا[1]

وفيه: لمّا وفد خولان على النبيّ صلى الله عليه وآله وأسلموا قال لهم: ما فعل عمّ أنس ـ صنم لهم ـ قالوا: بشرّ وعرّ، أبدلنا الله به ما جئت به، ولو قد رجعنا إليه هدمناه، فلمّا رجعوا فلم يحلّوا عقدة حتّى هدموه[2].

وفي (انساب البلاذري) : ومن سرايا النبيّ صلى الله عليه وآله سرية خالد بن الوليد بعد فتح مكّة لهدم العزّى ببطن نخلة، وسريّة عمرو بن العاص لهدم سواع برهاط من بلاد هذيل في شهر رمضان سنة ثمان[3].

وفيه: ومن سرايا النبيّ صلى الله عليه وآله سريّة علي عليه السلام لهدم الفلس صنم طيّ، وكان مقلّداً بسيفين أهداهما إليه الحارث بن أبي شمر، وهما مخذم ورسوب، وفيهما يقول علقمة:

مظاهر سربالي حديد عليهما عقيلاً سيوف مخذم ورسوب
فأتى بهما النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم[4].

هذا وفي (الطبري): أنّ جذيمة الأبرش اتّخذ صنمين يقال لهما:

مجمع الزوائد ٦: ٢٣، وابن شهر آشوب في مناقبه ٢: ١٣٥.

(١) الطبقات لابن سعد ٢ ق١: ١٣٥.

(٢) الطبقات لابن سعد ١ ق٢: ٦١، والنقل بتلخيص.

(٣) أنساب الأشراف للبلاذري ١: ٣٨١.

(٤) أنساب الأشراف للبلاذري ١: ٥٢٢، والنقل بتصرف.

الضيزنان، ومكانهما بالحيرة معروف، وكان يستسقي بهما، ويستنصر بهما على العدو، فغزا أياداً، فبعثوا قوماً، فسقوا سدنة الصنمين الخمر وسرقوهما، فبعثوا إلى جذيمة: إنّ صنميك أصبحا فينا، زهداً فيك ورغبة فينا، فإن أوثقت لنا أن لا تغزونا رددناهما إليك...[1].

ورووا عن هشام الكلبي في قصّة أساف ونائلة: أنّ أسافاً كان رجلاً من جرهم يقال له: أساف بن يعلى، وأنّ نائلة كانت بنت زيد من جرهم، وكان يتعشّقها بأرض اليمن، فأقبلا حاجّين فدخلا الكعبة، فوجدا غفلة من الناس وخلوة في البيت، ففجر بها في البيت فمُسخا، فأصبحوا فوجدوهما مسخين فوضعا عند الكعبة ليتّعظ بهما الناس، فلمّا طال مكثهما وعُبدت الأصنام عُبدا معها. فكانوا ينحرون ويذبحون عندهما إلى أن كسرهما النبيّ ﷺ يوم الفتح في ما كسر من الأصنام...[2]

ولكن في خبر عن مسعدة أنّهما كانا شابّين صبيحين، وكان بأحدهما تأنيث، وكانا يطوفان بالبيت فصادفا من البيت خلوة، فأراد أحدهما صاحبه، ففعل؛ فمسخهما الله تعالى، فقالت قريش: لولا أنّ الله رضي أن يعبد هذان معه ما حوّلهما عن حالهما[3].

«والآثام بكم معصوبة» أي: مشدودة، يقال: عصب رأسه بعصابة. كانوا يزنون، ويشربون، ويسرقون، ويقامرون؛ قال ابن قتيبة في (شعرائه): إنّه لمّا رحل الأعشى -وهو ابن قيس قتيل الجوع- إلى النبيّ ﷺ في صلح الحديبية، فسأله أبو سفيان عن وجهه الّذي يريد، فقال: أردت محمّداً. قال: إنّه يحرم

(١) تاريخ الطبري ١: ٤٤٠، والنقل بتلخيص.

(٢) رواه عنه الحموي في معجم البلدان للحموي ١: ١٧٠.

(٣) الكافي للكليني ٤: ٥٤٦ ح٢٩.

عليكم الخمر، والزنا، والقمار. قال: أمّا الزنا فقد تركني ولم أتركه؛ وأمّا الخمر فقد قضيت منها وطراً؛ وأمّا القمار فلعلّي أُصيب منه عوضاً...[1].

وقالوا: ان عمرو بن كلثوم، وزهير بن جناب، وعامر ملاعب الأسنّة ممّن غضبوا فشربوا خمرهم صرفاً حتّى ماتوا.

وقيل لحنظلة بن الشرقي: ما أدنى آثامك ليلة الدير؟ قال: نزلت بديرانية، فأكلت عندها طفشلياً ـ أي: مرقاً ـ بلحم خنزير، وشربت من خمرها، وزنيت بها، وسرقت كأسها ومضيت.

وجعل عمرو بن لحي الخزاعي فتح باب الكعبة وغلقه إلى أبي غبشان الخزاعي، فباعه أبو غبشان من قصيّ ببعير وزقّ خمر، فقال شاعر:

إذا افتخرت خزاعة في قديم ... وجدنا فخرها شرب الخمور

وباعت كعبة الرحمن جهراً ... بزقٍّ بئس مفتخر الفخور

وقالوا: كان سبب الفجار الثاني من الفجار الأربعة أنّ فتية من قريش قعدوا إلى امرأة من بني عامر بن صعصعة بسوق عكاظ، وعليها برقع، وهي في درع فضل، فأعجبهم ما رأوا من هيئتها، فسألوها أن تسفر عن وجهها، فأبت عليهم، فأتى أحدهم من خلفها، فشدّ ذيلها بشوكة إلى ظهرها، وهي لا تدري، فلمّا قامت تقلص الدرع عن دبرها، فضحكوا وقالوا: منعتنا النظر إلى وجهها، فقد رأينا دبرها. فنادت المرأة يا آل عامر فتثاور الناس، ووقع يوم الفجار الثاني.

وقصة ذات النحيين التي يضرب بها المثل، ويقال: أشغل من ذات النحيين. معروفة: كانت امرأة من تيم الله بن ثعلبة تبيع السمن، فأتاها خوّات بن جبير الأنصاري ليبتاع منها سمناً، فلم ير عندها أحداً فطمع فيها وساومها،

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٧٩.

فحلّت نحياً، فنظر إليه، ثمّ قال: أمسكيه حتّى أنظر إلى غيره فأمسكته. وقال: حلّي نحياً آخر، ففعلت ونظر إليه، فقال: أُريد غير هذا، امسكيه شرد بعيري. ففعلت، فلمّا شغلت يديها ساورها، فلم تقدر على دفعه حتّى قضى ما أراد وهرب، فقال:

شغلت يديها إذ أردت خلاطها   بنحيين من سمن ذوي عجرات
فأخرجته ريّان ينطف رأسه   من الرامل المذموم بالمقرات

ثمّ أسلم وشهد بدراً، فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: كيف شراؤك يا خوّات؟ وتبسّم. فقال: رزق الله خيراً، وأعوذ بالله من الحور بعد الكور[1].

وفي رواية قال له النبيّ صلى الله عليه وآله: ما فعل بعيرك أشرد عليك؟ فقال: أمّا منذ عقله الإسلام فلا[2].

وخوّات هذا هو الّذي شهد حفر الخندق، وكان في ذاك الوقت لم يحلّ الإفطار في ليالي شهر رمضان بعد صلاة العشاء والنوم فنام ليلة ولم يفطر، فانتبه وقد حرم عليه الأكل، ولمّا أصبح وحفر غُشي عليه، فرقّ له النبيّ صلى الله عليه وآله، وأنزل تعالى به: ﴿...وكلوا واشربوا حتّى يتبيّن لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر...﴾[3].

ولأُلفهم واعتيادهم بالآثام سألت هذيل النبيّ صلى الله عليه وآله أن يحلّ لهم الزنا، فقال حسّان:

سالت هذيل رسول الله فاحشةً   ضلّت هذيل بما سالت ولم تصب
وسألت بنو عمرو بن عمير من ثقيف وبنو المغيرة من مخزوم

(١ و ٢) الاستيعاب لابن عبد البر ١: ٤٤٥، وأُسد الغابة لابن الأثير ٢: ١٢٥ وغيرهما.

(٣) تفسير القمي ١: ٦٦، لكن المشهور نزول هذه الآية في قيس بن صرمة الأنصاري، أخرجه عدة، جمع بعض طرقه السيوطي في الدر المنثور ١: ١٩٧، ١٩٨، والآية ١٨٧ من سورة البقرة.

النبيّ ﷺ أن يحلّ لهم الربا، فنزلت كما في (أسباب نزول الواحدي) آية: ﴿... وذروا ما بقي من الرّبا إن كنتم مؤمنين * فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله...﴾(١).

هذا، وفي (الكافي) عن الباقر عليه السلام: إنّ ناساً أتوا النبيّ ﷺ بعدما أسلموا، فقالوا: يا رسول الله أيؤخذ الرجل منّا بما كان عمل في الجاهلية بعد إسلامه؟ فقال لهم النبيّ ﷺ: من حسن إسلامه وصحّ يقين إيمانه لم يأخذه الله تعالى بما عمل في الجاهلية، ومن سخف إسلامه، ولم يصحّ يقين إيمانه أخذه الله تعالى بالأوّل والآخر(٢).

قلت: ومصداق الأوّل خوّات المتقدّم صاحب ذات النحيين، ومصداق الثاني المغيرة بن شعبة، غدر في جاهليته بجمع فقتلهم وأخذ أموالهم، وصار في إسلامه سبباً لتصدي الرجلين الأجنبيين لخلافة النبيّ ﷺ، وصار سبباً لاستلحاق معاوية زياداً به، واستخلافه ابنه السكّير القمّير، كما أنّ جمعاً أسلموا لو كانوا بقوا على شركهم كانوا أهون عذاباً، وهم الّذين عملوا مع أهل بيت نبيّهم ما عملوا ﴿...ولا يزيد الظالمين إلّا خساراً﴾(٣).

٤
الخطبة (٨٧)

ومن خطبة له عليه السلام:

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ، وَاعْتِزَامٍ مِنَ الْفِتَنِ، وَانْتِشَارٍ مِنَ الْأُمُورِ، وَتَلَظٍّ مِنَ الْحُرُوبِ، وَالدُّنْيَا كَاسِفَةُ النُّورِ،

---

(١) أسباب النزول للواحدي: ٥٨، وجمع بعض طرقه السيوطي في الدر المنثور ١: ٣٦٦، والآيتان ٢٧٨ ـ ٢٧٩ من سورة البقرة.

(٢) الكافي للكليني ٢: ٤٦١ ح١.

(٣) الإسراء: ٨٢.

ظَاهِرَةُ ٱلْغُرُورِ، عَلَى حِينِ ٱصْفِرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا، وَإِيَاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا، وَإِغْوِرَارٍ مِنْ مَائِهَا. قَدْ دَرَسَتْ مَنَارُ ٱلْهُدَى، وَظَهَرَتْ أَعْلاَمُ الرَّدَى، فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ لأَهْلِهَا، عَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِبِهَا. ثَمَرُهَا ٱلْفِتْنَةُ، وَطَعَامُهَا ٱلْجِيفَةُ، وَشِعَارُهَا ٱلْخَوْفُ، وَدِثَارُهَا السَّيْفُ.

وفي (١٥٦)

من خطبة له عليه السلام:

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الأُمَمِ، وَانْتِقَاضٍ مِنَ الْمُبْرَمِ.

أقول: رواهما (الكافي) في باب: الرّد إلى الكتاب والسنّة من (كتاب عقله) مع زيادة هكذا: «يا أيّها الناس إنّ الله تبارك وتعالى أرسل إليكم الرسول، وأنزل إليه الكتاب بالحقّ، وأنتم أُميّون عن الكتاب ومن أنزله، وعن الرسول ومن أرسله، على حين فترة من الرسل، وطول هجعة من الأمم، وانبساط من الجهل، واعتراض من الفتنة، وانتقاض من المبرم، وعميً عن الحقّ، واعتساف من الجور، وامتحاق من الدين، وتلظٍّ من الحروب. على حين اصفرار من رياض جنّات الدّنيا، ويبس من أغصانها، وانتثار من ورقها، ويأس من ثمرها، واغورار من مائها. قد درست أعلام الهدى، فظهرت أعلام الردى، فالدّنيا متجهّمة في وجوه أهلها مكفهرّة، مدبرة غير مقبلة، ثمرتها الفتنة، وطعامها الجيفة، وشعارها الخوف، ودثارها السيف. مزّقتم كلّ ممزّق، وقد أعمت عيون أهلها، وأظلمت عليها أيّامها، قد قطعوا أرحامهم، وسفكوا دماءهم، ودفنوا في التراب الموءُودة بينهم من أولادهم. يجتاز دونهم طيب العيش، ورفاهية خفوض الدنيا، لا يرجون من الله ثواباً، ولا يخافون -والله- منه عقاباً. حيّهم أعمى نجس، وميّتهم في النار مبلس. فجاءهم

بنسخة ما في الصحف الأُولى...[١].

وعن القمي روايتهما في أوّل (تفسيره)[٢].

ويناسب كلامه عليه السلام كلام سيّدة النساء صلوات الله عليها في خطبتها التي رواها أحمد بن أبي طاهر البغدادي في (بلاغات نسائه)، فروى أنّها قالت: ابتعثه الله تعالى إتماماً لأمره، وعزيمةً على إمضاء حكمه، فرأى الأُمم فرقاً في أديانها، عكفاً على نيرانها، عابدةً لأوثانها، منكرةً لله تعالى مع عرفانها، فأنار الله عزّوجلّ بمحمّد ظلمها، وفرّج عن القلوب بُهمها، وجلّى عن الأبصار غُممها...[٣].

قوله عليه السلام فيهما: «أرسله على حين فترة» في (النهاية): الفترة ما بين الرسولين من رسل الله تعالى من الزمان الّذي انقطعت فيه الرسالة، ومنه فترة ما بين عيسى ومحمّد صلى الله عليه وآله[٤].

في (أنساب البلاذري): كان كعب بن لؤي يخطب الناس في أيّام الحجّ؛ فيقول: أعظموا هذا الحرم، وتمسّكوا به فسيكون له نبأ، ويبعث منه خاتم الأنبياء، بذلك جاء موسى وعيسى. ثمّ ينشد:

على فترة يأتي نبيّ مهيمن   يخبّر أخباراً عليها خبيرها[٥]

«من الرسل» ولم يقل من الأنبياء لاتصال الأنبياء، وهم أوصياء المسيح من المسيح إليه صلى الله عليه وآله، كما مرّ في الفصل المتقدّم[٦].

---

(١) الكافي للكليني ٢: ٦٠ ح٧ في باب الردّ الى الكتاب والسنة، لكن هذا الباب في كتاب فضل العلم لا كتاب العقل والجهل.

(٢) تفسير القمي ١: ٢.

(٣) بلاغات النساء للبغدادي: ٢٩.

(٤) النهاية لابن الأثير ٣: ٤٠٨ مادة (فتر).

(٥) أنساب الأشراف للبلاذري ١: ٤١.

(٦) مرّ في الفصل الخامس في العنوان ١.

«وطول هجعة» قال الجوهري: الهجوع: النوم ليلاً[1].

«من الأُمم» وعدم تنبّههم لرشدهم.

قوله عليه السلام في الثاني: «وانتقاض من المبرم» أي: حلّ الحبلين اللذين فُتلا فجُعلا واحداً، والمراد نقض الديانات الإلهية.

قوله عليه السلام في الأوّل: «واعتزام من الفتن» قال: ابن أبي الحديد: كأنّه عليه السلام جعل الفتن معتزمة، أي: مريدة مصمّمة للشغب والهرج. ويروى: «واعتراض» ويروى: «واعترام» بالراء المهملة من العرام، وهي: الشرّة[2].

قلت: الصحيح الأخير بتصديق (الكافي)، و(تفسير القمّي) له نسخة واحدة مع أنّ (الاعتزام) بالزاي إنّما يتعدى بـ(على) وليس -بل لم يذكر- له مفعول، (والاعترام) بالراء لم يعلم استعماله مستقلاً، وإنّما يقال: صبي عارم.

«وانتشار من الأُمور» واختلالها، واغتشالها لعدم نظام لها.

«وتلظّ» أي: التهاب.

«من الحروب» الّتي كانت كالنار؛ قال ابن قتيبة في (معارفه): الأيّام المشهورة في الجاهلية يوم ذي قار: كان بين جيش أبرويز وهاني الشيباني، لما استودعه النعمان عياله ومائة درع، وهرب فظفر بنو شيبان؛ ويوم الفجار الأوّل: كاد أن يكون حرب ولم يقع؛ ويوم الفجار الثاني: كان بين كنانة وقيس عيلان؛ ويوم شويحط: كان بين اليمن ومضر. وكانت لهم في حرب بكر وتغلب ستّة أيّام مشهورة: يوم عنيزة، ويوم واردات، ويوم الحنو، ويوم القصيبات، ويوم قضة، ويوم تحلاق اللمم؛ وكانت هذه الحرب أربعين سنة؛ وحرب داحس وغبراء بين عبس وذبيان، تراهنوا فسبقت (الغبراء) فرس

---

(١) صحاح اللغة للجوهري ٣: ١٣٠٥ مادة (هجع)، ولفظ «ليلاً» في بعض النسخ.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٣٥.

عبس، فوضعت ذبيان كميناً فردّوها، فهاجت الحرب بينهما[١].

وفي (اشتقاق ابن دريد) أنّه سمّي الحارث بن مالك من بني عجل وصّافاً، لأنّ المنذر الأكبر يوم أوارة قتل بكر بن وائل قتلاً ذريعاً، وكان يذبحهم على جبل، فآلى أن يذبحهم حتّى يبلغ الدم الأرض؛ فقال له الوصّاف: أبيت اللعن، لو قتلت أهل الأرض هكذا لم يبلغ دمهم الحضيض، ولكن تأمر بصبّ الماء على الدم حتّى يبلغ الدم الأرض[٢].

وفيه: ومن رجال بني عكابة وقاء بن الأشعر، وكان الأشعر سيّداً وهو لسان الحمّرة أحد البلغاء في الجاهلية، ولد (وقاء) في حرب كانت بينهم، وجاء الإسلام فاشتغلوا به، فقال أبوه: وقانا الله به، فسمّي وقاء[٣].

وقد جمع ابن عبد ربّه في (عقده)[٤]، والجزري في (كامله)[٥] أيّام العرب وحروبها مبسوطة.

«والدنيا كاسفة النور» مظلمة.

«ظاهرة الغرور» فلم يكن لأحد على معتمد.

«على حين اصفرار من ورقها» كالأشجار وقت الخريف.

«وإياس من ثمرها» بعد حصول العيب في أصلها، حتّى يبس غصنها، وانتشر ورقها، كما مرّ في رواية (الكافي).

«واغورار» كاحمرار من (غار الماء): ذهب.

(١) المعارف لابن قتيبة : ٦٠٣ والنقل بتلخيص.

(٢) الاشتقاق لابن دريد: ٣٤٥.

(٣) الاشتقاق لابن دريد: ٣٥٤ والنقل بتصرف.

(٤) العقد الفريد لابن عبد ربه ٦: ٢.

(٥) الكامل لابن الأثير الجزري ١: ٥٠٢.

«من مائها» يقال: ماء غور، أي: غائر؛ ونقله ابن أبي الحديد[١]: «وإعوار من مائها» وجعل «واغورار من مائها» نسخة، مع أنّه لا معنى لإعوار مائها وجعله له من (فلاة عوراء) لا ماء بها غلط، لأنّه أثبت لها ماءً، مع أنّ (الكافي)[٢] و (تفسير القمي)[٣] أيضاً نقلاه: «واغورار».

«قد درست» أي: صارت مندرسة.

«منار الهدى» قد عرفت أنّ في رواية (الكافي)[٤]: «أعلام الهدى» وهو الأنسب بقوله: «قد درست».

«وظهرت» للناس.

«أعلام» أي: علائم.

«الردى» أي: الهلكة.

«فهي» أي: الدّنيا.

«متجهّمة لأهلها» أي: متلقّيتهم بالغلظة؛ وقال الخوئي: وفي نسخة «متهجّمة لأهلها»[٥].

قلت: هي تحريف، لأنّه لا يقال: تهجم لفلان بل على فلان، والنسخة إنّما تنقل في ما احتملت صحّتها.

«عابسة في وجه طالبها» فلا يحصل منها مطلوبه.

«ثمرها الفتنة» كشجرة ثمرتها مرّة.

«وطعامها الجيفة» كطعام الكلاب؛ روى الطبري في (ذيله) أنّه قيل لعبد

---

(١) نقل ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ١٣٥ روايتين: «اعورار» و «اغورار» واثبت الثاني في متن الخطبة.

(٢) الكافي للكليني ١: ٦٠ ح٧.

(٣) لفظ تفسير القمي ١: ٣ «واغوار من مائها».

(٤) الكافي للكليني ١: ٦٠ ح٧.

(٥) جعل الخوئي في شرحه ٣: ٦٤ «متهجمة» أصلاً، ثم قال: «وفي بعض النسخ متجهمة بتقديم الجيم على الهاء».

خير: هل تذكر من أمر الجهّال شيئاً؟ وكان أتى عليه مائة وعشرون سنة. قال: أذكر أنّ أُمّي طبخت لنا قدراً، فقلت: اطعمينا. فقالت: حتّى يجيء أبوكم. فجاء أبي فقال: إنّ كتاب النبيّ ﷺ قد جاءنا ينهانا عن لحوم الميتة. قال: فاذكر أنّها كانت لحم ميتة فأكفأناها(١).

وروى أبو نعيم في (حليته) عن أبي رجاء العطاردي ـ وكان أدرك الجاهلية ـ قال: بلغنا أمر النبيّ ﷺ ونحن على ماء لنا يقال له: سند؛ فانطلقنا نحو الشجرة هاربين (أو قال هرباً) بعيالنا، فبينما أنا أسوق بالقوم إذْ وجدت كراع ظبي طريّ فأخذته فأتيت المرأة، فقلت: هل عندك شعير؟ فقالت: قد كان في وعاء لنا عام أوّل شيء من شعير ما أدري بقي منه أم لا.

فأخذته فنفضته، فاستخرجت منه ملء كف من شعير، فرضخته بين حجرين، ثمّ ألقيته والكراع في برمة، ثمّ قمت الى بعير ففصدته إناء من دم ثمّ أوقدت تحته، ثمّ أخذت عوداً فلبكته به لبكاً شديداً حتّى أنضجته. ثمّ أكلنا، فقال له رجل: يا أبا رجاء كيف طعم الدم؟ قال: حلو(٢).

وقالوا: كانت بنو أسد تأكل الكلاب؛ فقال الفرزدق:

إذا أسديّ جاع يوماً ببلدة وكان سميناً كلبه فهو آكله

وقالوا: كان بنو فقعس يأكلون لحوم الناس؛ قال شاعر:

إذا ما ضفتَ ليلاً فقعسيّاً فلا تأكل له أبداً طعاما

فإنّ اللحم إنساناً فدعه وخير الزاد ما منع الحراما

وعن ابن قرفة: أضافني أعرابي، فجاءني بقدر جمّاعة ضخمة، ليس فيها شيء إلّا قطع من لحم، فإذا بضعة تتمّات في فمي، وبضعة كأنّها بضع

(١) منتخب ذيل المذيل للطبري: ٨١.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم ٢: ٣٠٥.

ساق، وبضعة كأنّها شحم رخم، فقلت: ما هذا؟ فقال: إنّي رجل صيّاد جمعت بين ذئب وظبي وضبع.

«**وشعارها الخوف ودثارها السيف**» قال الجوهري: الشعار: ما ولي الجسد من الثياب[1]، والدثار: كلّ ما كان من الثياب فوق الشعار[2].

قال تعالى: ﴿فليعبدوا ربّ هذا البيت * الّذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾[3].

٥
من الخطبة (٩٢)

حَتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةُ ٱللّهِ سُبْحَانَهُ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللّه عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ ٱلْمَعَادِنِ مَنْبِتاً، وَ أَعَزِّ ٱلْأَرُومَاتِ مَغْرِساً، مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ٱلَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءَهُ؛ وَٱنْتَخَبَ مِنْهَا أُمَنَاءَهُ. عِتْرَتُهُ خَيْرُ ٱلْعِتَرِ، وَأُسْرَتُهُ خَيْرُ ٱلْأُسَرِ، وَ شَجَرَتُهُ خَيْرُ ٱلشَّجَرِ، نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ وَبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ، لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ، وَثمَرَةٌ لَا تُنالُ، فَهُوَ إِمَامُ مَنِ ٱتَّقَى، وَبَصِيرَةُ مَنِ ٱهْتَدَى.

سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْءُهُ، وَشِهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ، وَزَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ. سِيرَتُهُ ٱلْقَصْدُ، وَسُنَّتُهُ ٱلرُّشْدُ، وَكَلاَمُهُ ٱلْفَصْلُ، وَحُكْمُهُ ٱلْعَدْلُ، عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ ٱلرُّسُلِ؛ وَهفْوَةٍ عَنِ ٱلْعَمَلِ، وَغَبَاوَةٍ عنَ ٱلْأُمَمِ.

«**حتّى أفضت كرامة الله سبحانه إلى محمّد** صلى الله عليه وآله» روى (سنن أبي داود) في باب الثوم: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أتى ببدر ـ أي: طبق فيه خضرات من البقول ـ فوجد

---

(١) صحاح اللغة للجوهري ٢: ٦٩٩ مادة (شعر).

(٢) صحاح اللغة للجوهري ٢: ٦٥٥ مادة (دثر).

(٣) قريش: ٣ ـ ٤.

لها ريحاً، فقال: قرّبوها إلى بعض أصحابه كان معه، فلمّا رآه كره أكلها، فقال له: كلّ فإنّي أُناجي من لا تناجي[١].

«فأخرجه من أفضل المعادن منبتاً» عن الكاظم عليه السلام: أنّ يهودياً من يهود الشام وأحبارهم كان قد قرأ التوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف الأنبياء وعرف دلائلهم، جاء إلى مجلس فيه أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وفيهم علي بن أبي طالب وابن عباس وابن مسعود وأبو سعيد الجهني، فقال: يا أُمّة محمّد ما تركتم لنبيّ درجة، ولا لمرسل فضيلة إلّا نحلتموها نبيّكم، فهل تجيبوني عمّا أسألكم عنه؟ فكاع القوم عنه، فقال علي بن أبي طالب: نعم، ما أعطى الله نبيّاً درجةً ولا مرسلاً فضيلةً إلّا وقد جمعها لمحمّد صلى الله عليه وآله، وزاد محمّداً على الأنبياء أضعافاً مضاعفة[٢].

«وأعزّ الأرومات» بالفتح، جمع أرومة: أصل الشجرة.

«مغرساً» من حيث النسل، أي: النسل السامي؛ وفي خطبة له عليه السلام المرويّة في (إثبات المسعودي): ثمّ أذنت في إيداعه صلى الله عليه وآله ساماً دون حام ويافث، فضربت لهما بسهم في الذلّة، وجعلت ما أخرجت من بينهما لنسل سام خولاً[٣].

وفي (معارف ابن قتيبة): العرب كلّها، والأنبياء كلّها من ولد سام[٤].

«من الشّجرة التي صدع» أي: شقّ.

«منها أنبياءَهُ» والمراد من الشجرة إبراهيم عليه السلام، فرسل جاؤوا بعده

(١) هذا حديث جابر أخرجه أبو داود في سننه ٣: ٣٦٠ ح ٣٨٢٢، وجمع ابن الأثير في جامع الأُصول ٨: ٢٧٩ ح ٥٥١٤ طرق أصحاب الصحاح واختلاف ألفاظهم، وفي الباب عن علي عليه السلام وسويد والنقل بتلخيص.

(٢) الاحتجاج للطبرسي: ٢١٠ عن موسى بن جعفر الكاظم عن أبيه عن آبائه عن الحسين بن علي عليهم السلام.

(٣) إثبات الوصيّة للمسعودي: ١٠٨.

(٤) المعارف لابن قتيبة: ٢٧، ٢٨.

كانوا من نسله.

«**وانتخب**» أي: اختار.

«**منها أُمناءَهُ**» على وحيه؛ وفسّر قوله تعالى: ﴿الّذي يراك حين تقوم * وتقلّبك في الساجدين﴾[1] في الأخبار بمعنى: حين تقوم في النبوّة، وتقلّبك في أصلاب النبيين.

«**عترته خير العتر**» كما أنّه خير البشر؛ وفي (الصحاح) : عترة الرجل: نسله ورهطه الأدنون[2].

روى أبو سعيد الخدري عن النبيّ ﷺ قال: إنّي أُوشك أن أُدعى فأُجيب، وإنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله عزّوجلّ حبل ممدود بين السماء والأرض وعترتي أهل بيتي، وأخبرني اللطيف أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض[3].

«**وأُسرته**» وهم بنو هاشم.

«**خير الأُسر**» فكانت بنو هاشم أفضل طوائف قريش.

«**وشجرته**» وهم قريش.

«**خير الشجر**» فكانت قريش أفضل طوائف العرب.

«**نبتت في حرم**» أي: عزّ ومنعة، وليس المراد مكّة كما احتمله ابن

---

(١) الشعراء: ٢١٨ ـ ٢١٩.

(٢) صحاح اللغة ٢: ٧٣٥ مادة (عتر).

(٣) هذا الحديث المعروف بحديث الثقلين من الأحاديث المتواترة، أخرجه أحمد بأربع طرق في مسنده ٣: ١٤، ١٧، ٢٦، ٥٩، وابن سعد في الطبقات ٢ ق٢: ٢، وأبو يعلى في مسنده، والباوردي عنهما إحياء الميت: ١٣، ٤٧ح٨، ٥٥، والطبراني في معجمه عنه الدر المنثور ٢: ٦٠، والثعلبي في تفسيره عنه ينابيع المودة: ٣٢، والصدوق بخمس طرق في كمال الدين: ٢٣٥ ـ ٢٤٠ ح٤٦، ٤٨، ٥٠، ٥٧، ٦١، وأبو علي الطوسي في أماليه ١: ٢٦١ المجلس ٩ وغيرهم عن أبي سعيد الخدري، وفي الباب عن علي وفاطمة والحسن عليهما السلام وابن عباس وزيد بن الأرقم وثلاثة عشر آخرين من أصحاب النبي ﷺ.

أبي الحديد[1]، فلو كانت مرادة لقال: في الحرم لا في حرم.

«وبسقت» أي: علت.

«في كرم» وشرف. روى (الكافي) عن الصادق عليه السلام: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله بينا في المسجد الحرام، وعليه ثياب له جدد فألقى المشركون عليه سلا ناقة، فملؤوا ثيابه بها؛ فدخله من ذلك ما شاء الله، فذهب إلى أبي طالب، فقال له: يا عمّ كيف ترى حسبي فيكم؟ فقال له: وما ذاك يابن أخي؟ فأخبره الخبر، فدعا أبو طالب حمزة، وأخذ السيف وقال لحمزة: خذ السلا. ثمّ توجّه إلى القوم والنبيّ صلى الله عليه وآله معه، فأتى قريشاً وهم حول الكعبة، فلمّا رأوه عرفوا الشرّ في وجهه؛ ثمّ قال لحمزة: أمرّ السلا على سبالهم، ففعل ذلك حتّى أتى على آخرهم؛ ثم التفت أبو طالب إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال: يا ابن أخي هذا حسبك فينا[2].

«لها فروع طوال» قال تعالى له: ﴿إنّا أعطيناك الكوثر * فصلِّ لربّك وانحر * إنّ شانئك هو الأبتر﴾[3].

«وثمرة لا تنال» هكذا في (المصرية) والصواب: (وثمر لا ينال) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية)[4]؛ قال ابن أبي الحديد: ليس على أن يريد به أنّ ثمرها لا ينتفع به، لأن ذلك ليس بمدح، بل يريد به أنّ ثمرها لا ينال قهراً، ولا يجنى غصباً[5].

قلت: إنّما ينال قهراً وغصباً من الإنسان لا من الشجر والثمر، والصواب أن يقال: إنّ شرف الشجر بعلوّه حتّى لا ينهب ثمره كلّ من مرّ عليه، والمراد أنّ

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٨٠.

(٢) أخرجه الكليني في الكافي ١: ٤٤٩ ح ٣٠ وجمع آخر.

(٣) الكوثر: ١ ـ ٣.

(٤) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٨٠، لكن في شرح ابن ميثم ٢: ٣٩٥ «تنال» أيضاً.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٨٠.

علوم النبيّ صلى الله عليه وآله وكمالاته ليست عاديّة متعارفة حتّى يدّعي نيابته كلّ أحد، وغرضه عليه السلام التعريض بالمتقدّمين عليه بكونهم غير أهلين لتصدي مقامه صلى الله عليه وآله، لأنّ النائب كالمنوب عنه بقضية العقول، وأين هم من النبيّ صلى الله عليه وآله، وإنّما كان أهل بيته مثله، وممّا يوضح كونهم عليهم السلام ثمرة شجرة النبيّ صلى الله عليه وآله قوله عليه السلام لمّا بلغه أنّ قريشاً احتجّوا في السقيفة لتقدّمهم على الأنصار بكونهم شجرة النبيّ صلى الله عليه وآله: «احتجّوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة»[1]. وفي زياراتهم عليهم السلام: «السلام على الشجرة النبوية، والدوحة الهاشمية المضيئة المثمرة بالنبوّة، المونعة بالإمامة»[2].

«**فهو إمام من اتّقى**» الله في عمله فليتّبعه غيره؛ روى (الطبري) أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله عدّل صفوف أصحابه يوم بدر وفي يده قدح يعدّل به القوم، فمرّ بسواد بن غزية حليف بني عدي من النجّار وهو مستنتل من الصف، فطعن النبيّ صلى الله عليه وآله في بطنه بالقدح، وقال: استويا سواد بن غزية. فقال: يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحقّ، فأقدني. فكشف النبيّ صلى الله عليه وآله عن بطنه، ثمّ قال: استقد. فاعتنقه وقبّل بطنه، فقال ما حملك على هذا يا سواد؟ فقال: يا رسول الله حضر ما ترى فلم آمن القتل، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمسّ جلدي جلدك. فدعا له النبيّ صلى الله عليه وآله بخير[3].

«**وبصيرة من اهتدى**» فليسلك مسلكه؛ روى الطبري عن أبي سفيان قال: كنّا قوماً تجّاراً، وكانت الحرب بيننا وبين محمّد قد حصرتنا حتّى نهكت أموالنا، فلمّا كانت الهدنة بيننا وبينه لم نأمن أن لا نجد أمناً فخرجت في نفر

---

(١) رواه الشريف الرضي ضمن خطبة في نهج البلاغة ١: ١١٦ الخطبة ٦٥.

(٢) رواه في صدر زيارةٍ المجلسي في البحار ١٠٢: ٢١٢.

(٣) تاريخ الطبري ٢: ١٤٨ سنة ٢.

من قريش تجّاراً إلى الشام، وكان وجه متجرنا غزّة، فقدمناها حين ظهر هرقل على من كان بأرضه من فارس، وأخرجهم منها، وانتزع له منهم صليبه الأعظم، وكانوا قد استلبوه إيّاه، فلمّا بلغ ذلك منهم وبلغه أنّ صليبه قد استنقذ له، وكانت حمص منزله، خرج منها يمشي على قدميه متشكراً لله حين ردّ عليه ما ردّ ليصلّي في بيت المقدس، تبسط له البسط، وتلقى عليها الرياحين، فلمّا انتهى إلى إيليا، وقضى فيها صلاته، ومعه بطارقته، وأشراف الروم، أصبح ذات غداة مهموماً يقلّب طرفه إلى السماء، فقال له بطارقته: قد أصبحت مهموماً. قال: أجلّ، أُريت في هذه الليلة أنّ ملك الختان ظاهر. قالوا له: ما نعلم أُمّة تختتن إلّا اليهود، وهم في سلطانك، فابعث إلى كلّ من لك عليه سلطان في بلادك، مره ليضرب أعناق كلّ من تحت يديه من يهود واسترح من هذا الهمّ، وأنّهم لفي ذلك من رأيهم يديرونه؛ إذ أتاه رسول صاحب بصرى برجل من العرب يقوده ـ وكانت الملوك تهادى الأخبار بينها ـ فقال: إنّ هذا الرجل من أهل الشام والإبل، يحدّث عن أمر حدث ببلاده عجب، فسله عنه. فلمّا انتهى به إلى هرقل قال لترجمانه: سله ما كان فسأله، فقال: خرج بين أظهرنا رجل يزعم أنّه نبيّ، وقد اتّبعه ناس وصدّقوه، وخالفه ناس، وقدكانت بينهم ملاحم في مواطن كثيرة، فتركتهم على ذلك. فلمّا أخبره الخبر، قال: جرّدوه. فجرّدوه، فإذا هو مختون. فقال هرقل: هذا والله الذي أُريت لا ما تقولون. أعطوه ثوبه. انطلق عنّا.

ثم دعا صاحب شرطته، فقال له: قلّب الشام لي ظهراً وبطناً حتّى تأتيني برجل من قوم هذا الرجل ـ يعني النبيّ ﷺ ـ قال أبو سفيان: وأنا بغزّة، إذ هجم علينا صاحب شرطته، فقال: أنتم من قوم هذا الرجل الّذي ظهر بالحجاز؟ قلنا: نعم. قال: انطلقوا إلى الملك. فانطلقنا، فلمّا انتهينا إليه، قال: أنتم من رهط

هذا الرجل؟ قلنا: نعم. قال: فأيّكم أمسّ به رحماً؟ قلت: أنا. فقال: ادنُ. فأقعدني بين يديه، وأقعد أصحابي خلفي، ثمّ قال: إنّي سأسأله، فإن كذب فردّوا عليه ـقال أبو سفيان: فوالله لو كذبت ما ردّوا عليّ، ولكنّي كنت امرأً سيّداً أتكرّم عن الكذب، وعرفت أنّ أيسر ما في ذلك إن أنا كذبته أن يحفظوا ذلك عليّ ثمّ يحدّثوا به عنّي فلم أكذبه ـ فقال: اخبرني عن هذا الرجل الذي خرج بين أظهركم يدّعي ما يدّعي. فجعلت أُصغّر أمره، وأقول: ما يهمّك من أمره، إنّ شأنه دون ما يبلغك. فجعل لا يلتفت إلى ذلك، ثمّ قال: أنبِئني عمّا أسألك عنه من شأنه. قلت: سل. قال: كيف نسبه؟ قلت: محض أوسطنا نسباً. قال: هل كان أحد من أهل بيته يقول مثل ما يقول به، فهو يتشبّه به؟ قلت: لا. قال: فهل كان له فيكم ملك فاستلبتموه إيّاه فجاء بهذا الحديث لتردّوا عليه ملكه؟ قلت: لا. قال: فأخبرني عن أتباعه منكم من هم؟ قلت: الضعفاء والمساكين والأحداث من الغلمان والنساء، وأما ذوو الأسنان والشرف من قومه، فلم يتّبعه منهم أحد. قال: فأخبرني عمّن تبعه، أيحبّه ويلزمه أم يقليه ويفارقه؟ قلت: ما تبعه رجل ففارقه. قال: فأخبرني عن الحرب بينكم وبينه. قلت: سجال يدال علينا، وندال عليه. قال: فأخبرني هل يغدر؟ فلم أجد شيئاً ممّا سألني عنه أغمزه فيه غيرها، قلت: لا، ونحن منه في هدنة، ولا نأمن غدره ـ فوالله ماالتفت إليها منّي، ثمّ كرّ عليّ الحديث ـ قال: سألتك كيف نسبه فيكم؟ فزعمت أنّه محض من أوسطكم نسباً، وكذلك يأخذ الله الأنبياء؛ وسألتك هل كان أحد من أهل بيته يقول بقوله فهو يتشبّه به، فزعمت أن لا؛ وسألتك هل كان له فيكم ملك فاستلبتموه إيّاه، فجاء بهذا الحديث يطلب به ملكه، فزعمت أن لا؛ وسألتك عن أتباعه، فزعمت أنّهم الضعفاء والمساكين والأحداث والنساء، وكذلك أتباع الأنبياء في كلّ زمان؛ وسألتك عمّن يتّبعه، أيحبّه ويلزمه أم يقليه ويفارقه، فزعمت ألّا يتّبعه

أحد فيفارقه، وكذلك حلاوة الإيمان لا تدخل قلباً فتخرج منه؛ فلئن كنت صدقتني عنه ليغلبني على ما تحت قدميّ هاتين، ولوددت أنّي عنده فأغسل قدميه؛ انطلق لشأنك. فقمت من عنده وأنا أضرب إحدى يديّ على الأُخرى، وأقول: يا عباد الله لقد أمر أمرُ ابن أبي كبشة، لقد أصبح ملوك بني الأصفر يهابونه في سلطانهم بالشام[١].

«سراج لمع ضوءه» فلم يبق معه ظلمة.

«وشهاب» في (النهاية): الشهاب: الّذي ينقضّ في الليل شبه الكوكب، وهو في الأصل الشعلة من النار[٢].

«سطع» أي: ارتفع.

«نوره» حتّى أضاء كلّ جانب.

«وزند» في (الصحاح): الزند: العود الّذي يقدح به النار، وهو الأعلى؛ والزندة: السفلى فيها ثقب، وهي الأُنثى؛ فإذا اجتمعا قيل: زندان، ثم قال: وتقول لمن أنجدك وأعانك: ورت بك زنادي[٣].

«برق لمعه» حتّى حصلت منه الاستنارة؛ في (الطبقات): أنّ علياً عليه السلام كان إذا نعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: لم يكن بالطويل الممغّط، ولا بالقصير المتردّد؛ كان ربعة من القوم ولم يكن بالجعد القطط، ولا السبط؛ كان جعداً رجلاً، ولم يكن بالمطهّم ولا المكلثم، وكان في وجهه تدوير أبيض مشرب؛ أدعج العينين، أهدب الأشفار، جليل المشاش والكتد، أجرد ذا مسربة، شثن الكفّين والقدمين، إذا مشى تقلّع كأنّما يمشي في صبب، وإذا التفت التفت معاً؛ بين كتفيه خاتم

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٢٨٩ سنة ٦، والنقل بتصرف يسير.

(٢) النهاية لابن الأثير ٢: ٥١٢ مادة (شهب).

(٣) صحاح اللغة ١: ٤٧٨ مادة (زند).

النبوّة، وهو خاتم النبيّين. أجود الناس كفّاً، وأجرأ الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة، وأوفى الناس بذمّة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة. من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبّه. يقول ناعِتُه لم أرَ قبله ولا بعده مثله[١].

«سيرته القصد» أي: الوسط، ليس بإفراط ولا تفريط؛ وفي الخبر كانت صلاة النبيّ صلى الله عليه وآله قصداً وخطبته قصداً[٢].

«وسنّته الرشد» روى (سنن أبي داود) عن عبد الله بن أبي الحمساء قال: بايعت النبيّ صلى الله عليه وآله ببيع قبل أن يبعث وبقيت له بقيّة، فوعدته أن آتيه بها في مكانه، فنسيت، ثمّ ذكرت بعد ثلاث. فجئت فإذا هو في مكانه. فقال: يا فتى! لقد شققت عليّ، أنا هاهنا منذ ثلاث أنتظرك[٣].

وكان صلى الله عليه وآله يقسم لحظاته بين جلسائه؛ قال عمّه أبو طالب فيه:

وميزان صدق لا يخيس شعيرة ووزّان صدق وزنه غير عائل

وفي (الطبقات): عن أمير المؤمنين عليه السلام كان النبيّ صلى الله عليه وآله إذا أوى إلى منزله جزّأ دخوله ثلاثة أجزاء: جزء لله، وجزء لأهله، وجزء لنفسه. ثمّ جزّأ جزأه بينه وبين الناس، فيسرد ذلك على العامة بالخاصة ولا يدّخر عنهم شيئاً.

وكان من سيرته في جزء الأمّة إيثار أهل الفضل ناديه، وقسمه على قدر

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ١ ق٢: ١٢١، وابن هشام في السيرة ٢: ٣٥، والترمذي في سننه ٥: ٥٩٩، والبيهقي في الدلائل، والكجي، وهشام بن عمّار في البعث عنهم منتخب كنز العمال ٣: ٩١، والخطيب في تاريخ بغداد ١١: ٣٠، والثقفي في الغارات ١: ١٦١.

(٢) أخرجه مسلم بطريقين في صحيحه ٢: ٥٩١ ح٤١ و ٤٢، والترمذي في سننه ٢: ٣٨١ ح٥٠٧، والنسائي في سننه ٣: ١٩١، وابن ماجة في سننه ١: ٣٥١ ح١١٠٦، والدارمي في سننه ١: ٣٦٥، وأحمد بطرق عديدة في مسنده ٣: ٩١ وغيره.

(٣) سنن أبي داود ٤: ٢٩٩ ح٤٩٩٦.

فضلهم في الدين؛ فمنهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج، فيتشاغل بهم ويشغلهم في ما أصلحهم والأُمة من مسألته عنهم؛ وإخبارهم بالّذي ينبغي لهم، ويقول: ليبلّغ الشاهد الغائب، وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغي حاجته، فإنّه مَنْ أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغها إيّاه ثبّت الله قدميه يوم القيامة. لا يذكر عنده إلّا ذلك، ولا يقبل من أحد غيره؛ يدخلون روّاداً ولا يفترقون إلّا عن ذواق ويخرجون أدلّة. ثم قال: كان ﷺ يخزن لسانه إلّا ممّا يعنيهم ويؤلّفهم ولا يفرّقهم ـ أو قال: ينفّرهم ـ ويكرم كريم كلّ قوم ويولّيه عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم، من غير أن يطوي من أحد بشره ولا خلقه، ويتفقّد أصحابه، ويسأل الناس عمّا في الناس، ويحسّن الحسن ويقوّيه، ويقبّح القبيح ويوّهنه. معتدل الأمر غير مختلف، لا يغفل مخافة أن يغفلوا، لكلّ حال عنده عتاد، لا يقصر عن الحقّ ولا يجوزه. الذين يلونه من الناس خيارهم؛ أفضلهم عنده أعمّهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مؤاساةً وموازرةً.

ثمّ قال: كان رسول الله ﷺ لا يجلس ولا يقوم إلّا عن ذكر، لا يوطّن الأماكن، وينهى عن إيطانها، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث انتهى به المجلس، ويأمر بذلك، يعطي كلّ جلسائه بنصيبه، لا يحسب جليسه أنّ أحداً أكرم عليه منه، مَنْ جالسه أو قاومه في حاجة صابره حتّى يكون هو المنصرف، ومن سأله حاجة لم يردّه إلّا بها أو بميسور من القول، قد وسع الناس منه بسطه وخلقه، فصار لهم أباً، وصاروا في الحقّ عنده سواء. مجلسه مجلس حلم وحياء، وصبر وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تؤبّن فيه الحرم، ولا تنثى فلتاته؛ متعادلين يتفاضلون فيه بالتقوى، متواضعين يوقّرون فيه الكبير ويرحمون فيه الصغير ويؤثرون ذا الحاجة ويحفظون أو يحوطون الغريب.

ثم قال: كان النبيّ ﷺ دائم البشر، سهل الخلق، ليّن الجانب، ليس بفظّ ولا غليظ، ولا صخّاب، ولا فحّاش ولا عيّاب، يتغافل عمّا لا يشتهي، ولا يدنس منه، ولا يجنب فيه، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء والإكثار، وممّا لا يعنيه؛ وترك الناس من ثلاث: كان لا يذمّ أحداً ولا يعيّره، ولا يطلب عورته، ولا يتكلّم إلّا في ما رجا ثوابه. إذا تكلّم أطرق جلساؤه كأنّما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلّموا، ولا يتنازعون عنده، من تكلّم انصتوا له حتّى يفرغ، حديثهم عنده حديث أوّليتهم، يضحك ممّا يضحكون منه، ويتعجّب ممّا يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته -إلى أن قال-:

كان سكوت النبيّ ﷺ على أربع: على الحلم والحذر والتقرير والتفكّر؛ فأمّا تقريره ففي تسوية النظر والاستماع من الناس، وأمّا تذكّره أو تفكّره ففي ما يبقى ويفنى، وجمع الحلم والصبر، وكان لا يُغضبه شيء ولا يستنفره؛ وجمع له الحذر في أربع: أخذه بالحسنى ليُقتدى به، وتركه القبيح ليُتناهى عنه، واجتهاده الرأي في ما أصلح أُمّته، والقيام في ما جمع لهم الدّنيا والآخرة[1].

«وكلامه الفصل» قال ﷺ: أوتيت جوامع الكلم[2]. وليس بعد كلام الله تعالى كلامٌ فوق كلامه، وقد جمعَ جمعٌ من العامة والخاصة كلمَهُ ﷺ كالزجاجي صاحب المبرد، ونفطويه النحوي، وجعفر بن حمدان الموصلي، والمصنّف في كتابه (المجازات النبويّة).

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ١ ق٢: ١٢٩، والصدوق بثلاث طرق في معاني الأخبار: ٧٩ ح١ وبطريق واحد في عيون الأخبار ١: ٢٤٦، وقال الصدوق في ذيل الحديث في العيون: «وقد رويت هذه الصفة عن مشائخ بأسانيد مختلفة أخرجتها في كتاب النبوّة». وهذا الكتاب مفقود.

(٢) هذا جزء من حديث أبي هريرة، أخرجه بهذا اللفظ مسلم بطريقين في صحيحه ١: ٣٧٢ ح٧، ٨، وجمع ابن الأثير في جامع الأُصول ٩: ٣٩٣ ح٦٣٢٠ طرق أصحاب الصحاح واختلاف ألفاظهم.

وعن الجاحظ: يجب أن يكون الإنسان سخياً لا يبلغ التبذير، وشجاعاً لا يبلغ الهوَج، محترساً لا يبلغ الجبن، ماضياً لا يبلغ القحة، قوّالاً لا يبلغ الهذر، صموتاً لا يبلغ العيّ، حليماً لا يبلغ الذلّ، منتصراً لا يبلغ الظلم، وقوراً لا يبلغ البَلادة، نافذاً لا يبلغ الطيش. ثمّ وجدنا النبيّ صلى الله عليه وآله قد جمع ذلك كلّه في كلمة واحدة، وهي قوله: «خير الأمور أوسطها» فعلمنا أنّه أُوتي جوامع الكلم،وعلم فصل الخطاب؛ ومن عجيب كلماته قوله صلى الله عليه وآله: «خمس من أتى الله بهنّ أو بواحدة منهنّ أُوجبت له الجنّة: من سقى هامّة صادية، أو أطعم كبداً هافية، أو أكسى جلداً عارية، أو حمل قدماً حافية، أو أعتق رقبة عانية».

وروى (الكافي) أنّ أعرابياً قدم بإبل له، فقال للنبيّ صلى الله عليه وآله: يا رسول الله بع لي إبلي هذه. فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: لست ببيّاع في الأسواق. قال: فأشِرْ عليَّ. فقال له: بع هذا الجمل بكذا، وبع هذه الناقة بكذا، حتّى وصف له كلّ بعير منها. فخرج الأعرابي إلى السوق فباعها، ثم جاء إليه، فقال: والّذي بعثك بالحقّ مازادت درهماً ولا نقصت درهماً ممّا قلت لي...[1].

وفي (سنن أبي داود) عنه صلى الله عليه وآله قال: «لا طلاق، ولا عتاق في غلاق»[2].

قلت: وهو دليل على بطلان مذهبهم في الحلف بالعتاق والطلاق.

وفيه أيضاً: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا دخل على عائشة ورأى عندها رجلاً، فتغيّر وجهه، فقالت: إنّه أخي من الرضاعة. قال: انظرن من اخوانكنّ، فإنّما الرضاعة من المجاعة[3].

---

(١) الكافي للكليني ٥: ٣١٧ ح٥٤.

(٢) سنن أبي داود ٢: ٢٥٨ ح٢١٩٣، وسنن ابن ماجه ١: ٦٥٩ ح٢٠٤٦، والمستدرك للحاكم عنه الجامع الصغير ٢: ٢٠٣ وغيرهم.

(٣) سنن أبي داود ٢: ٢٢٢ ح٢٠٥٨، ومسلم بطريقين في صحيحه ٢: ١٠٧٨، ١٠٧٩ ح٣٢، ٣٣، والنسائي في سننه ٦: ١٠٢، وابن ماجه في سننه ١: ٦٢٦ ح١٩٤٥، وأحمد بثلاث طرق في مسنده ٦: ٩٤، ١٧٤، ١١٤ والنقل

وفي (السيرة): عن أبي عياش قال: قال لي النبيّ صلى الله عليه وآله في غزوة ذي قرد: «لو أعطيت هذا الفرس رجلاً هو أفرس منك، فقلت: أنا أفرس الناس. فوالله ما جرى بي خمسين ذراعاً حتّى طرحني، فعجبت أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: لو أعطيته أفرس منك، وأنا أقول: أنا أفرس الناس[١].

وفيه أيضاً: وأقبل النبيّ صلى الله عليه وآله في المسلمين، فإذا مسجّى ببردة أبي قتادة، فاسترجع الناسُ وقالوا: قتل أبو قتادة. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: ليس بأبي قتادة، ولكنّه قتيل لأبي قتادة، وضع عليه برده لتعرفوا أنّه برده[٢].

وفيه أيضاً ـ بعد ذكر إغارة عيينية على لقاح النبيّ صلى الله عليه وآله وفيها رجل من غفار، فقتلوا الرجل، واحتملوا المرأة في اللقاح ـ قال: وأقبلت امرأة الغفاري على ناقة من إبل النبيّ صلى الله عليه وآله وقالت: نذرت لله أن أنحرها إن نجّاني الله عليها. فتبسّم النبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ قال: بئس ماجزيتها أن حملك الله عليها ونجّاك بها ثمّ تنحرينها، إنّه لا نذر في معصية الله، ولا في ما لا تملكين، إنّما هي ناقة من إبلي؛ فارجعي إلى أهلك على بركة الله[٣].

«وحكمه العدل» أعطى النبيّ صلى الله عليه وآله ليهود خيبر أرضها ونخلها بالمناصفة، فلمّا أدركت الثمرة بعث عبد الله بن رواحة، فقوّم عليهم وخرص، فقال لهم: إمّا أن تأخذوه وتعطوني نصف التمر، وإمّا آخذه وأُعطيكم نصف التمر. فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض[٤].

وروى (الكافي) أنّ رجلاً من الأنصار ورجلاً من ثقيف أتيا النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال الثقفي: يا رسول الله حاجتي. فقال صلى الله عليه وآله: سبقك أخوك الأنصاري. فقال: يا

بتصرف في اللفظ.

(١ و ٢) سيرة ابن هشام ٣: ١٧٦ والنقل بتصرف في اللفظ.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ١٧٨ والنقل بتصرف.

(٤) أخرجه أحمد بطريقين في مسنده ٢: ٢٤، و ٣: ٣٦٧ وغيره.

رسول الله إنّي على ظهر سفر، وإنّي عجلان. وقال الأنصاري: إنّي قد أذنت له...[١].

وفي خبر من صار رئيس الخوارج أنّه قال للنبيّ صلى الله عليه وآله في غنائم خيبر: ما عدلت فغضب النبيّ صلى الله عليه وآله وقال له: ويلك إذا لم يكن العدل عندي، فعند من يكون؟ فأراد المسلمون قتله، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: دعوه فإنّه سيكون له أتباع يمرقون من الدّين...[٢].

وعن أبي جعفر عليه السلام: أنّ سمرة بن جندب كان له عذق في حائط لرجل من الأنصار، وكان منزل الأنصاري بباب البستان، وكان يمرّ به إلى نخلته ولا يستأذن، فشكاه الأنصاري إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، فأرسل إليه وقال له: إذا أردت الدخول فاستأذن. فأبى، فساومه حتّى بلغ به من الثمن ما شاء الله، فأبى أن يبيع، فقال: لك بها عذق في الجنّة. فأبى، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله للأنصاري: اذهب فاقلعها وارمِ بها إليه، فإنّه لا ضرر ولا ضرار[٣].

وروى (سنن أبي داود) أنّ جمعاً من الصحابة كانوا مع النبيّ صلى الله عليه وآله فنام رجل منهم، فانطلق بعضهم إلى حبل معه فأخذه، ففزع، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: لا يحلّ لمسلم أن يروّع مسلماً[٤].

«على حين فترة» هكذا في (المصرية)، والصواب: (أرسله على حين

---

(١) الكافي للكليني ٤: ٢٦١ ح٣٧، والشهيد في الأربعين: ١٠ ح١٥، وأخرجه برواية أُخرى الكافي للكليني ٣: ٧١ ح٧، والفقيه للصدوق ٢: ١٣٠ ح١.

(٢) أخرجه مسلم بثلاث روايات في صحيحه ٢: ٧٤٠ ح١٤٢، و: ٧٤٤ ح١٤٨، وفي لفظ الحديث اضطراب، جمع ابن الأثير في جامع الأُصول ١٠: ٤٣٦ ح٧٥٣١ طرق أصحاب الصحاح واختلاف ألفاظهم، واسم الرجل ذو الخويصرة.

(٣) هذا تلخيص حديث أخرجه الكليني بطريقين في الكافي ٥: ٢٩٢، ٢٩٤ ح٢، ٨، والفقيه للصدوق ٣: ١٤٧ ح١٨، والتهذيب للطوسي ٨: ١٤٦ ح٣٦، وبفرق الفقيه للصدوق ٣: ٥٩ ح٩، وأما فقرة «لا ضرر ولا ضرار» فمشهورة كثيرة الرواية.

(٤) سنن أبي داود ٤: ٣٠١ ح٥٠٠٤.

فترة) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[1].

«من الرسل» وانقطاع لهم.

«وهفوة» أي: زلّة.

«عن العمل» فلم يكن منهم عمل رأساً أو عمل صالح.

«وغباوة عن الأمم» في رشدهم وصلاحهم، كما قال شاعر:

كـــما بــعث الله الـنـبيّ مــحمّداً   على فترة والناس مثل البهائم

٦
الخطبة (٩٣)

ومن خطبة له عليه السلام:

بَعَثَهُ وَٱلنَّاسُ ضُلَّالٌ فِي حَيْرَةٍ، وَخَابِطُونَ فِـي فِـتْنَةٍ، قَـدِ ٱسْـتَهْوَتْهُمُ ٱلْأَهْوَاءِ وَٱسْتَزَلَّتْهُمُ ٱلْكِبْرِيَاءُ، وَٱسْتَخَفَّتْهُمُ ٱلْجَاهِلِيَّةُ ٱلْجَهْلاَءُ. حَـيَارَى فِي زَلْزَالٍ مِنَ ٱلْأَمْرِ، وَبَلاَءٍ مِنَ ٱلْـجَهْلِ، فَـبَالَغَ عليه السلام فِـي ٱلنَّـصِيحَةِ، وَمَضَى عَلَى ٱلطَّرِيقَ، وَدَعَا إِلَى ٱلْحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ.

«بعثه والناس ضلّال في حيرة» كان الناس وقت بعثته صلى الله عليه وآله بين طبيعي، وثـنوي، ووثـني، وبـراهـمة، ويـهودي، ونـصرانـي، ومـجوسي، وصـابي، ونظائرهم.

«خابطون» قال الجوهري: خبط البعير الأرض بيده خبطاً: ضربها، ومنه قيل: خبط عشواء، وهي الناقة الّتي في بـصرها ضـعف، تـخبط إذا مشت لا تتوقى شيئاً[2].

وقال ابن أبي الحديد: «حاطبون في فتنة» جمع حاطب، وهو الّذي يجمع

---

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٨٠، لكن في شرح ابن ميثم ٢: ٣٩٥ مثل المصرية.

(٢) صحاح اللغة للجوهري ٣: ١١٢١ مادة (خبط).

الحطب، ويقال لمن يجمع بين الصواب والخطأ أو يتكلم بالغثّ والسمين: حاطب ليل، لأنّه لا يبصر ما يجمع في حبله، ويروى: «خابطون»[1].

قلت: الصحيح : (وخابطون)، وإنّما يصحّ الأوّل لو كان بلفظ وحاطبو ليل. فإنّ حاطب ليل: يستعمل في ما ذكر لا الحاطب مجرّداً. فإنّه لا يحمل إلّا على معناه الظاهري من جمع الحطب.

«في فتنة» أي: مايوجب امتحان الخلق. والأصل فيها فتن الصائغ الذهب بإدخاله النار لينظر ما جودته.

«قد استهوتهم» أي: استهامتهم.

«الأهواء» كما قال تعالى: ﴿...أرأيت من اتّخذ إلهه هواه...﴾[2].

«واستزلّتهم» عن الثبات.

«الكبرياء» أي: التكبّر، كما حصلت لإبليس.

«واستخفّتهم» أي: عدّتهم خفيفين.

«الجاهلية الجهلاء» أي: الغاية في الجهالة.

«حيارى» أي: متحيرين.

«في زلزال من الأمر» فلا يدرون رشدهم وصلاحهم.

«وبلاء من الجهل» والجهل بلاء فوق كلّ بليّة؛ فكانوا يقتلون أولادهم خشية إملاق وفقر، ولا يعلمون أنّ الله يرزقهم كما خلقهم، ويئدون بناتهم لئلّا يصلن إلى غير عشيرتهم مع كونه أشنع عمل، وينسؤون الشهور الحرم، ويخترعون البدع من السائبة، والوصيلة، والحام، والبحيرة، وغيرها بالنسبة إلى أحشامهم وأغنامهم.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٨٢.

(٢) الفرقان: ٤٣.

«فبالغ صلى الله عليه وآله في النصيحة» قال السروي: روي أنّه لمّا نزل قوله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾[1] صعد النبيّ صلى الله عليه وآله ذات يوم الصفا، فقال: يا صباحاه. فاجتمعت إليه قريش. فقالوا: مالك؟ قال: أرأيتكم أن أخبرتكم أنّ العدوّ مصبحكم أو ممسيكم ما كنتم تصدّقونني؟ قالوا: بلى. قال: فإنّي نذير لكم من يدَيْ عذاب شديد. فقال أبو لهب: تبّاً لك، ألهذا دعوتنا؟ فنزلت سورة (تبّت).

ثم روى عن قتادة أنّه صلى الله عليه وآله خطب، ثمّ قال: أيّها الناس إنّ الرائد لا يكذب أهله، ولو كنت كاذباً لما كذبتكم، والله الّذي لا إله إلّا هو إنّي رسول الله إليكم حقّاً خاصّة وإلى الناس عامّة، والله لتموتون كما تنامون، ولتبعثون كما تستيقظون، ولتحاسبون كما تعملون، ولتجزون بالإحسان إحساناً، وبالسوء سوءاً، وإنّها الجنّة أبداً، والنار أبداً، وأنّكم أوّل من أنذرتم...[2].

«ومضى على الطريق»: طريق الحقّ ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتّبعني﴾[3].

«ودعا إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة» كما أمره ربّه بقوله: ﴿ادعُ إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظه الحسنة وجادلهم بالّتي هي أحسن...﴾[4].

وكان صلى الله عليه وآله يحاجّ كلّ فرقة بلسانهم، ويلزمهم بما يتمّ الحجّة عليهم. قال شاعر:

الله قــــد أيّــــد بـــالوحي	مـــحمّداً ذا الأمـــر والنـــهي
يأمر بالعدل وينهى عن الـ	ـفحشاء والمـنكر والبـغي

---

(١) الشعراء: ٢١٤.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ١: ٤٦، ويأتي تخريجه مفصلاً في العنوان ١٥ من هذا الفصل.

(٣) يوسف: ١٠٨.

(٤) النحل: ١٢٥.

٧
من الخطبة (٩٤)

منها في ذكر الرسول:

مُسْتَقَرُّهُ خَيْرُ مُسْتَقَرٍّ، وَمَنْبِتُهُ أَشْرَفُ مَنْبِتٍ. فِي مَعَادِنِ ٱلْكَرَامَةِ، وَمَمَاهِدِ ٱلسَّلاَمَةِ؛ قَدْ صُرِفَتْ نَحْوَهُ أَفْئِدَةُ ٱلأَبْرَارِ، وَثُنِيَتْ إِلَيْهِ أَزِمَّةُ ٱلأَبْصَارِ. دَفَنَ بِهِ ٱلضَّغَائِنَ وَأَطْفَأَ بِهِ ٱلثَّوَائِرَ. أَلَّفَ بِهِ إِخْوَاناً، وَفَرَّقَ بِهِ أَقْرَاناً. أَعَزَّ بِهِ ٱلذِّلَّةَ، وَأَذَلَّ بِهِ ٱلْعِزَّةَ. كَلاَمُهُ بَيَانٌ، وَصَمْتُهُ لِسَانٌ.

«مستقرّه خير مستقرّ» الظاهر أنّ مراده عليه السلام بمستقرّه المدينة، وقد سمّاها النبيّ صلى الله عليه وآله الطيّبة، ووصفها بأنّها تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد[1]. كما في الخبر.

«ومنبته أشرف منبت» والظاهر أنّ مراده عليه السلام بمنبته صلى الله عليه وآله مكّة، وقد قال تعالى: ﴿إنّ أوّل بيت وضع للناس للّذي ببكّة مباركاً وهدى للعالمين * فيه آيات بيّنات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً...﴾[2].

وفي خطبة له عليه السلام على رواية (إثبات المسعودي) في محالّ نوره صلى الله عليه وآله: «وأيّ ساحة من الأرض سلكت به لم يظهر بها قدسه، حتّى الكعبة التي جعلت منها مخرجه، غرست أساسها بياقوتة من جنّات عدن، وأمرت الملكين المطهّرين: جبرئيل وميكائيل، فتوسّطا بها أرضك، وسميّتها بيتك، واتّخذتها

---

(١) صحيح مسلم ٢: ١٠٠٦ ح ٤٩٠ عن زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «... انّها طيبة، وانها تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضّة». لكن صدر الحديث وذيله روي مستقلاً أيضاً: أخرج الصدر الطبراني في معجمه الكبير، وعنه الجامع الصغير ١: ٦٨ من حديث جابر بن سمرة، وأخرج الذيل بلفظ: «كما ينفي الكير خبث الحديد». أخرجه أصحاب الصحاح، وجمع طرقهم وألفاظهم ابن الأثير في جامع الأصول ١٠: ١٩٩ ـ ٢٠١ ح ٦٩١٧، ٦٩٢٠، ٦٩٢١، ٦٩٢٢.

(٢) آل عمران: ٩٦ ـ ٩٧.

معبداً لنبيّك...»[١].

«في معادن الكرامة» الظاهر رجوعه الى (مستقرّه) على اللفّ والنشر المرتّب؛ قال الحميري:

فاحتلّ دار كرامة في معشر آووه في سعة المحلّ الأرحب

«ومماهد» جمع ممهد: اسم مكان.

«السلامة» الظاهر رجوع (مماهد السلامة) إلى (منبته)؛ قال تعالى: ﴿...ومن دخله كان آمناً...﴾[٢].

وقال ابن أبي الحديد: مماهد: جمع مهاد، وهو ازدواج بقرينة (معادن) كقولهم: الغدايا والعشايا. ويعني بـ(السلامة): البراءة من العيوب، أي: في نسب طاهر[٣].

وهو كما ترى، ووجه ما قاله أنّه لم ير (ممهد) في (الصحاح). فقال: مماهد: جمع مهاد، مع أنّه لا يلزم أن يذكر (الصحاح) جميع الاشتقاقات، مع أنّه لا معنى للازدواج بما قاله، كما أنّ وجه قوله: «يعني بالسلامة البراءة من العيوب» أنّه حمل المستقرّ، والمنبت في كلامه عليه السلام على الأرحام والأصلاب، وهو أيضاً كما ترى.

«قد صرفت نحوه أفئدة الأبرار» فصاروا مصدّقيه وملازميه؛ وفي (الطبري): وفد الأسود بن ربيعة على النبيّ صلى الله عليه وآله وقال: جئت لأقترب إلى الله تعالى بصحبتك. فسمّاه صلى الله عليه وآله المقترب[٤].

وقال: أبو طالب فيه:

---

(١) الإثبات للمسعودي: ١٠٤.

(٢) آل عمران: ٩٧.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٨٢، والنقل بالمعنى.

(٤) تاريخ الطبري ٣: ١٨٢ سنة ١٧.

وإنّ عـليه فـي العـباد مـحبّة ولا حيف في من خصّه الله بـالحبِّ

وقال أيضاً:

لعمري لقد كلّفت وجداً بأحـمد وأحببته حبّ الحبيب المواصل

وجدت بـنفسي دونـه فـحميته ودافعت عنه بالذرى والكواهـل

قال بعضهم: إذا تفكّرت في أشعار أبي طالب فـي مـدائـح النـبيّ ﷺ ـ وأنّها أشعار ذاك الشيخ المبجّل في ابن أخيه، وهو شابّ مستجير به معتصم بظلّه من قريش، قد ربّاه في حجره غلاماً، وعلى عاتقه طفلاً، وبين يديه شابّاً؛ يأكل من زاده، ويأوي إلى داره ـ علمت موضع خاصّية النبوّة وسـرّها، وأنّ أمره كان عظيماً، وأنّ الله تعالى أوقع له في القلوب والأنفس مـنزلة رفـيعة، ومكاناً جليلاً.

«وثنيت» أي: رفعت، من ﴿ثاني عطفه...﴾[1].

«إليه أزمّة الأبصار» فلا تخفض إلى غـيره؛ كـان الجـلف البـدوي يـرى وجهه، فيقول: والله ما هذا وجه كذّاب[2]. وكان عظيماً مهيباً في النفوس حتّى ارتاعت منه رسل كسرى، مع أنّه كان بالتواضع موصوفاً[3].

وقال عروة بن مسعود الثقفي لقريش: والله لقد وفـدت عـلى كسـرى وقيصر والنجاشي، والله ما رأيت ملكاً قطّ يعظّمه أصحابه ما يعظّم أصحاب محمّد محمّداً: يقتتلون على وضوئه، ويتبادرون لأمره، ويخفضون أصواتهم عنده، وما يحدّون النظر إليه تعظيماً. ولمّا دخل أبو سفيان عام الفتح عليه، ورأى أيدي المسلمين تحت شعره يستشفون بالقطرات من وضوئه، قال: تالله

(1) الحج: 9.

(2) المناقب لابن شهر آشوب 1: 123.

(3) المناقب لابن شهر آشوب 1: 126.

إن رأيت كاليوم كسرى وقيصر[١].

وفي (الاستيعاب): دخل النبيّ صلى الله عليه وآله على كبشة الأنصارية، فشرب من فم قربة معلّقة، فقطعت فمها فرفعته. (أي: تبرّكاً به)[٢].

وفي (الأغاني): أنّ زيد بن الدثنة لمّا أسره المشركون، فاجتمع رهط من قريش ليقتلوه وفيهم أبو سفيان، قال له: أتحبّ أن تكون في أهلك، ويكون محمّد عندنا مكانك، فنضرب عنقه؟ فقال: والله ما أُحبّ أنّ محمّداً تصيبه شوكة في مكانه الّذي فيه، وأنا في أهلي. فتعجّب أبو سفيان[٣].

«دفن به الضغائن» كان بين الأوس والخزرج ضغائن من حروب كانت بينهما، وقتلى كثيرة منهما، فأماتها الله به صلى الله عليه وآله.

«وأطفأ به الثوائر» هكذا في (المصرية)، والصواب: (النوائر) جمع النار، كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية)[٤]، ولأنّ الإطفاء إنّما ينسب إلى النار لا إلى الثار؛ قال تعالى: ﴿...ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لستَ مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدّنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمنّ الله عليكم...﴾[٥].

«ألّف به إخواناً» قال تعالى: ﴿...لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألّفت بين قلوبهم ولكنّ الله ألّف بينهم إنّه عزيز حكيم﴾[٦]، ﴿...واذكروا نعمة الله

---

(١) المغازي للواقدي ٢: ٨١٦، وفتوح البلدان للبلاذري: ٥١.

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر ٤: ٣٩٥.

(٣) لم أجده في الأغاني، لكن رواه أُسد الغابة لابن الأثير ٢: ٢٣٠.

(٤) أورد ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ١٨٢، وابن ميثم في شرحه ٢: ٤٠١ في متن الخطبة «الثوائر»، لكن أورده ابن ميثم عند شرح اللغات بلفظ «النوائر».

(٥) النساء: ٩٤.

(٦) الأنفال: ٦٣.

عليكم إذ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها...﴾[١]، ﴿إنّما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم...﴾[٢].

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: المؤمنون إخوة تتكافأ دماؤهم؛ يسعى بذمّتهم أدناهم، وهم يدٌ على من سواهم[٣].

«وفرّق به أقراناً» بواسطة مخالفتهم في الدين، فكم ابن وأخ ترك أباه وأخاه به، وكم امرأة تركت زوجها به.

وقالوا: أتى الوليد بن المغيرة قريشاً، فقال لهم: إنّ الناس غداً يجتمعون بالموسم، وقد فشا أمر هذا الرجل، فيسألونكم فما تقولون لهم؟ فقال أبو جهل: أنا أقول: إنّه مجنون. وقال أبو لهب: أنا أقول: إنّه شاعر. وقال عقبة بن أبي معيط: أنا أقول: إنّه كاهن. فقال الوليد: وأنا أقول: إنّه ساحر يفرّق بين الرجل والمرأة وبين الرجل وأخيه وأبيه[٤].

«أعزّ به الذلّة» فكم من أذلّاء صاروا أعزّاء بالإيمان به.

«وأذلّ به العزّة» وكم من جبابرة أعزّاء صاروا أذلّاء بالكفر به.

«كلامه بيان» قال تعالى فيه: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحيٌ يوحى﴾[٥]، ولكنّ الثاني قال ـ لمّا قال صلى الله عليه وآله في مرض وفاته: «ايتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم ما لا تضلّون بعدي» ـ: إنّ الرجل ليهجر،

---

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) الحجرات: ١٠.

(٣) سنن ابن ماجه ٢: ٨٩٥ ح٢٦٨٣، ٢٦٨٥ بثلاث طرق، والمعجم الأوسط للطبراني، وعنه مجمع الزوائد ٦: ٢٨٣، وبين الألفاظ فرق يسير.

(٤) الكامل لابن الأثير ٢: ٧١، وغيره.

(٥) النجم: ٣ ـ ٤.

حسبنا كتاب الله[١].

وروى (أُسد الغابة) عن ابن أبي حدرد الأسلمي، قال: كان ليهودي عليه أربعة دراهم، فاستعدى عليه فقال: يا محمّد إنّ لي على هذا أربعة دراهم، وقد غلبني عليها. فقال: أعطه حقّه. قال: والّذي بعثك بالحقّ ما أقدر عليها. قال: أعطه حقّه. قال: والّذي نفسي بيده ما أقدر عليها، قد أخبرته إنّك تبعثنا إلى خيبر، فأرجو أن تغنمنا شيئاً، فأرجع فأقضيه. قال: فاعطه حقّه. قال: وكان النبيّ ﷺ إذا قال ثلاثاً لا يراجع، فخرج بابن أبي حدرد إلى السوق، وعلى رأسه عصابة، وهو متّزر ببردة، فنزع العمامة من رأسه، فاتّزر بها، ونزع البردة، فقال: اشترِ منّي هذه البردة. فباعها منه بأربعة دراهم...[٢].

وفي (الطبقات) جاء مجوسي إلى رسول الله ﷺ قد أعفى شاربه، وأحفى لحيته، فقال: من أمرك بهذا؟ قال ربّي. قال: لكن ربّي أمرني أن أحفي شاربي، وأعفي لحيتي[٣].

«وصمته لسان» حيث إنّ تقريره ﷺ أيضاً حجّة كقوله وفعله؛ وفي (الطبري) أنّ النبيّ ﷺ عهد إلى أمرائه في فتح مكّة أن لا يقتلوا أحداً إلّا من قاتلهم، إلّا أنّه قد عهد في نفر سمّاهم أمر بقتلهم، منهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح، لأنّه أسلم فارتدّ، ففرّ إلى عثمان، وكان أخاه من الرضاعة، فغيّبه حتّى أتى به النبيّ ﷺ فاستأمنه له، فذكر أنّ النبيّ ﷺ صمت طويلاً، ثمّ قال: نعم. فلمّا انصرف به عثمان، قال النبيّ ﷺ لمن حوله من أصحابه: أما والله لقد صمتُّ ليقوم إليه بعضكم، فيضرب عنقه. فقال رجل من الأنصار: فهلّا أومأت.

---

(١) هذا الحديث كثير الطرق مختلف اللفظ؛ أقرب الألفاظ ما في صحيح مسلم ٣: ١٢٥٩ ح٢١، ومسند أحمد ١: ٣٥٥، وطبقات ابن سعد ٢ ق٢: ٣٧ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(٢) أُسد الغابة لابن الأثير ٣: ١٤٢.

(٣) الطبقات لابن سعد ١ ق٢: ١٤٧.

قال: إنّ النبيّ لا يقتل بالإشارة[١].

هذا، ويناسب كلامه عليه السلام في وصفه صلى الله عليه وآله كلام أبي الفضل الهمداني في بعض (أعيان دهره): له من الصدور ما ليس للفؤاد، ومن القلوب ما ليس للأولاد، فكأنّما اشتق من جميع الأكباد، وولد بجميع البلاد، سواء الحاضر فيه والباد، وكلّ أفعاله غرّة في ناصية الأيّام، وزهرة في جنح الظلام.

وذكر أعرابي رجلاً، فقال: والله لكأنّ القلوب والألسن رُيِّضت له؛ فما تعقد إلّا على ودّه، ولا تنطق إلّا بحمده.

٨
من الخطبة (١٠٣)

ومن خطبة له عليه السلام:

حَتَّى بَعَثَ ٱللَّهُ مُحَمَّداً شَهِيداً وَبَشِيراً وَنَذِيراً، خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ طِفْلاً، وَأَنْجَبُهَا كَهْلاً، أَطْهَرُ المُطَهَّرِينَ شِيمَةً، وَأَمْطَرُ ٱلْمُسْتَمْطِرِينَ دِيمةً.

«حتّى بعث الله محمّداً شهيداً وبشيراً ونذيراً» عن (تفسير الواحدي) عن الحسن عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وشاهد ومشهود﴾[٢] الشاهد: النبيّ صلى الله عليه وآله، والمشهود يوم القيامة. قال تعالى: ﴿يا أيّها النبيّ إنّا أرسلناك شاهداً ومبشّراً ونذيراً﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿...ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود﴾[٤].

«خير البريّة طفلاً» في (المناقب) عن ابن عبّاس: أنّه كان النبيّ صلى الله عليه وآله يقرب إلى الصبيان يصحبهم، فيختلسون ويكفّ، ويصبح الصبيان غمصاً ورمصاً،

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٣٣٥ سنة ٨، والنقل بتلخيص.

(٢) البروج: ٣.

(٣) الأحزاب: ٤٥.

(٤) الوسيط للواحدي، وهو كتاب تفسير القرآن، وعنه كشف الغمة ٢: ١٦٩، والآية ١٠٣ من سورة هود.

ويصبح صقيلاً دهنياً(١).

وعن عكرمة: كان يوضع فراش لعبد المطّلب في ظلّ الكعبة، ولا يجلس عليه أحد إلّا هو إجلالاً له، وكان بنوه يجلسون حوله حتّى يخرج، فكان النبيّ صلى الله عليه وآله يجلس عليه، فيأخذه أعمامه ليؤخّروه، فقال لهم عبد المطلب: دعوا ابني، فوالله إنّ له لشأناً عظيماً(٢).

وفيه: قال أبو طالب لأخيه: يا عبّاس أُخبرك عن محمّد، إنّي ضممته فلم أُفارقه ساعة من ليل أو نهار، فلم أأتمن أحداً حتّى نوّمته في فراشي، فأمرته أن يخلع ثيابه وينام معي، فرأيت في وجهه الكراهية، فقال: يا عمّاه اصرف بوجهك عنّي حتّى أخلع ثيابي، وأدخل فراشي. فقلت له: ولِمَ ذاك؟ فقال: لا ينبغي لأحد أن ينظر إلى جسدي. فتعجبت من قوله وصرفت بصري عنه حتّى دخل فراشه، فإذا دخلت أنا الفراش إذا بينه وبيني ثوب، والله ما أدخلته في فراشي فأمسه فاذا هو ألين ثوب، ثمّ شممته كأنّه غُمس في مسك(٣).

وفيه أيضاً عن أبي طالب: لم أرَ منه كذبة قط، ولا جاهلية قطّ، ولا رأيته يضحك في غير موضع الضحك، ولا يدخل مع الصبيان في لعب، ولا التفتَ إليهم، وكان الوحدة أحبّ إليه والتواضع(٤).

وقال المسعودي: قال عبد الله أبوه فيه:

الحمد لله الّذي أعطاني ... هذا الغلام الطيّب الأردان
قد ساد في المهد على الغلمان ... أُعيذه بالبيت ذي الأركان(٥)

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب ١: ٣٤.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ١: ٣٥.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ١: ٣٦.

(٤) المناقب لابن شهر آشوب ١: ٣٧.

(٥) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٢٧٤، لكن نسب البيتين إلى أبي عبد الله.

وقال أبو طالب عمّه فيه:

ولقد عهدتك صادقاً في القول لا تتزيّد

مازلت تنطق بالصوا ب وأنت طفل أمرد

«وأنجبها كهلاً» قال الجوهري: الكهل من الرجال الذي جاوز الثلاثين[1]، ولمّا بنت قريش الكعبة، وتنازعوا في رفع الحجر ووضعه في محلّه، وحكّموا النبيّ صلى الله عليه وآله فحكم بينهم بما ارتضوه، قال قائل متعجّباً من انقياد شيوخ قريش لشابّ ـ وكان يومئذٍ ابن خمس وثلاثين ـ: أما واللات والعزّى ليفوقنّهم سبقاً، وليقسمنّ بينهم حظوظاً وجدوداً، وليكوننّ له بعد هذا اليوم شأن ونبأ عظيم[2].

وقال بعضهم: ولولا خاصّيّة النبوّة وسرّها لما كان مثل أبي طالب ـ وهو شيخ قريش وذو سنّها وذو شرفها ـ يمدحه وهو شابّ قد ربّي في حجره، وهو يتيمه ومكفوله وجارٍ مجرى أولاده بمثل قوله:

وتلقوا ربيع الأبطحين محمّدا

ومثل قوله:

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه

فإنّ مثل هذا الأسلوب من الشعر لا يمدح به التابع والذنابى من الناس، وإنّما هو من مديح الملوك والعظماء.

«أطهر المطهّرين شيمة» أي: خلقاً وطبيعة؛ قالوا: كان صلى الله عليه وآله يكرم أهل الفضل في أخلاقهم، ويتألّف أهل الشرف بالبرّ لهم؛ يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على غيرهم إلّا بما أمر الله، ولا يجفو على أحد. يقبل معذرة المعتذر

(١) صحاح اللغة للجوهري ٥: ١٨١٣ مادة (كهل).

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٢٧٣، والطبقات لابن سعد ١ ق١: ٩٤.

إليه، وكان أكثر الناس تبسّماً ما لم ينزّل عليه قرآن، ولا يرتفع على عبيده وإمائه في مأكل ولا في ملبس، وما شتم أحداً بشتمة، ولا لعن امرأة ولا خادماً بلعنة، ولا يأتيه حرّ ولا عبد أو أمة إلّا قام معه في حاجته[١].

«وأمطر» هكذا في (المصرية)، والصواب: (وأجود) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية)[٢].

«المستمطرين» بلفظ اسم المفعول.

«ديمة» في (الصحاح) الديمة: المطر الّذي ليس فيه رعد ولا برق، وأقلّه ثلث النهار أو ثلث الليل، وأكثر ما بلغ من العدة. والجمع: ديم. قال لبيد:

باتت وأسبل واكف من ديمة ... يروي الخمائل دائماً تسجامها

ثمّ يشبّه به غيره. وفي الحديث: «كان عمله ديمة»[٣].

قالوا: كان صلى الله عليه وآله أسخى الناس لا يثبت عنده دينار ولا درهم، فإن فضل ولم يجد من يعطيه ويجنّه الليل لم يأوِ إلى منزله حتّى يتبرّأ منه إلى من يحتاج إليه، ولا يُسئل شيئاً إلّا أعطاه، ثمّ يعود إلى قوت عامه فيؤثر منه حتّى ربّما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأته شيء، وكان لا يجلس إليه أحد وهو يصلّي إلّا خفّف صلاته، وأقبل عليه، وقال: ألك حاجة؟ وكان يُكرم من يدخل عليه حتّى ربما بسط ثوبه، ويؤثر الداخل بالوسادة الّتي تحته[٤].

وقال أبو طالب فيه:

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل

---

(١) مناقب ابن شهر آشوب ١: ١٤٦، والنقل بتقطيع.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٠٠، لكن في شرح ابن ميثم ٣: ٢٣ «أمطر» أيضاً.

(٣) صحاح اللغة للجوهري ٥: ١٩٢٤ مادة (ديم)، والحديث أخرجه مسلم في صحيحه ١: ٥٤١ ح٢١٧، وغيره عن عائشة.

(٤) المناقب لابن شهر آشوب ١: ١٤٥، والنقل بتقطيع.

يطيف به الهلّاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل

٩

من الخطبة (٣٣)

إِنَّ ٱللّهَ بَعَثَ مُحَمَّداً ﷺ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ ٱلْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتاباً وَلَا يَدَّعِي نُبُوَّةً، فَسَاقَ ٱلنَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُم مَحَلَّتَهُمْ، وَبَلَّغَهُمْ مَنْجَاتَهُمْ، فَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ، وَٱطْمَأَنَّتْ صَفَاتُهُمْ.

من الخطبة (١٠٢)

ومن خطبة له عليه السلام (وقد تقدم مختارها بخلاف هذه الرواية):
أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ ٱللّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّداً ﷺ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ ٱلْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً، وَلَا يَدَّعِي نُبُوَّةً وَلَا وَحْياً، فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مَنْ عَصَاهُ. يَسُوقُهُمْ إِلَى مَنْجَاتِهِمْ؛ وَيُبَادِرُ بِهِمُ ٱلسَّاعَةَ أَنْ تَنْزِلَ بِهِمْ. يَحْسِرُ ٱلْحَسِيرُ، وَيَقِفُ ٱلْكَسِيرُ، فَيُقِيمُ عَلَيْهِ حتّى يُلْحِقَهُ غَايَتَهُ إِلَّا هالكاً لا خَيْرَ فيهِ. حتى أَراهُمْ مَنْجَاتَهُمْ، وَبَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ، فَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ، وَٱسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ.

قوله عليه السلام في الأوّل: «إنّ الله» هكذا في (المصرية) وزاد (ابن أبي الحديد والخطية)[١] «سبحانه» كما في الثاني بالاتّفاق.

«فإنّ الله سبحانه» قوله عليه السلام فيهما.

«بعث محمداً ﷺ وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً» قال تعالى: ﴿هو الّذي بعث في الأُمّيين رسولاً منهم...﴾[٢].

وفي (معارف ابن قتيبة) قال الأصمعي: ذكروا أنّ قريشاً سُئلوا من

---

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١: ١٧٦، ولكن لفظ ابن ميثم ٢: ٧٢ مثل المصرية.

(٢) الجمعة: ٢.

أين لكم الكتاب؟

قالوا: من أهل الحيرة. وقيل لأهل الحيرة: من أين لكم الكتاب؟ قالوا: من الأنبار.

وروى: أنّ بشر بن عبد الله العبادي علّم أبا سفيان بن أُمية، وأبا قيس بن عبد مناف بن زهرة الكتاب، فعلّما أهل مكّة.

وروى عن سهل: أنّ أوّل من كتب بالعربيّة مرامر بن مرة من أهل الأنبار، ومن الأنبار انتشرت في الناس.

وقال وهب: أوّل من خطّ بالقلم إدريس عليه السلام[1].

«ولا يدّعي نبوّة» وزاد في الثاني «ولا وحياً».

وإنّما كان أُمية بن أبي الصلت لرغبته عن عبادة الأوثان وقراءَتِه كتب السلف، يخبر أنّ نبيّاً يبعث قد أظلّ زمانه، فلمّا سمع بخروج النبيّ صلى الله عليه وآله كفر حسداً له، وكان يطمع أن يكونه[2].

ولشياع خبر بعثته وقرب ظهوره، سمّى قوم أبناءهم محمّداً رجاءَ أن يكونوه لما سمعوا أنّ اسم النبيّ الآتي محمّد، والمسمّون هم: محمّد بن مسلمة، ومحمّد بن أحيحة، ومحمّد بن برء البكري، ومحمّد بن سفيان بن مجاشع، ومحمّد بن حمران الجعفي، ومحمّد بن خزاعة السلمي[3]. وقد وقع نظير ذلك قبله صلى الله عليه وآله لموسى عليه السلام وبعده صلى الله عليه وآله للمهدي عليه السلام.

وروى الطبري عن الزهري: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لمّا كان يعرض نفسه على القبائل في المواسم، عرض نفسه على بني عامر، فاشترطوا أن يكون الأمر

---

(١) المعارف لابن قتيبة: ٥٥٢ ـ ٥٥٣، والنقل بتقديم وتأخير.

(٢) التهذيب للنووي ١ ق ١: ١٢٦، وغيره.

(٣) فتح ابن سعد في الطبقات ١ ق ١: ١١١ باباً بهذا العنوان، وذكر فيه من سمّي في الجاهلية بمحمّد.

لهم بعده، فقال النبيّ ﷺ: الأمر إلى الله. فأعرضوا عنه، ورجعوا إلى شيخ كبير لهم، فأخبروه خبره ونسبه، فوضع يده على رأسه، ثمّ قال: يا بني عامر هل من تلافٍ؟ والّذي نفسي بيده، ما تقوّلها إسماعيليّ قطّ، وإنّها لحقّ، وأين كان رأيكم عنه؟[١]

وادّعى النبوّة كذباً بعد بعثته ﷺ جمع: مسيلمة من حنيفة، وسجاح الّتي تزوّجها مسيلمة من بني يربوع، وأسود بن كعب من عنس، وطلحة بن خويلد من أسد بن خزيمة لكنّه رجع إلى الاسلام بعد، وأمّا خالد بن سنان العبسي الّذي قالوا: أتت ابنته إلى النبيّ ﷺ فسمعته يقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾[٢] فقالت: كان أبي يقول هذا. فغير محقّق، وإن قالوا: إنّ النبيّ ﷺ قال: «ذلك نبيّ أضاعه قومه»[٣].

هذا، وفي الخبر: أنّ خمسة من الأنبياء كانوا سريانيين وهم: آدم وشيث وإدريس ونوح وإبراهيم، وخمسة منهم عبرانيين: إسحاق ويعقوب وموسى وداود وعيسى، وخمسة منهم من العرب: هود وصالح وإسماعيل وشعيب ومحمّد عليه وعلى آله وعليهم السلام[٤].

قوله عليه السلام في الأوّل: «فساق الناس حتّى بوّأهم» أي: مكّنهم.

«محلّتهم» التي ينبغي لهم أن يحلّوها، وهي الإسلام، ذاك الدين الحنيف.

قوله عليه السلام في الثاني: «فقاتل بمن أطاعه» وهم أهل المدينة.

«من عصاه» وهم أهل مكّة واليهود وغيرهم؛ وفي (المناقب): لما كان بعد

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٨٤، والنقل بالمعنى.

(٢) الإخلاص: ١.

(٣) مروج الذهب للمسعودي ١: ٨١، ٨٢، وأمّا حديث: «ذلك نبي أضاعه قومه» فرواه ابن سعد في الطبقات ١ ق ٢: ٤٢، والمسعودي في مروج الذهب ٢: ٢١٤، والصدوق في كمال الدين: ٦٥٩، وغيرهم.

(٤) الاختصاص للمفيد: ٢٦٤.

سبعة أشهر من الهجرة نزل جبرئيل عليه السلام بقوله: ﴿أُذن للذين يقاتلون...﴾[1]، وقلّد في عنقه سيفاً، وفي رواية: لم يكن له غمد، فقال له: حارب بهذا قومك حتّى يقولوا: لا إله إلّا الله.

وعن أهل السير: أنّ جميع ما غزا النبيّ صلى الله عليه وآله بنفسه ستّ وعشرون غزوة على هذا النسق: البواط، العشيرة، بدر الأُولى، بدر الكبرى، السويق، ذو امرة، أُحد، نجران، بنو سليم، الأسد، بنو النضير، ذات الرقاع، بدر الآخرة، دومة الجندل، الخندق، بنو قريظة، بنو لحيان، ذو قرد، بنو المصطلق، الحديبية، خيبر، الفتح، حنين، الطائف، تبوك، ويلحق بها بنو قينقاع. قاتل في تسع وهي: بدر الكبرى وأُحد والخندق وبني قريظة وبني المصطلق وبني لحيان وخيبر والفتح وحنين والطائف.

وأمّا سراياه صلى الله عليه وآله فستّ وثلاثون: أوّلها سريّة حمزة لقي أبا جهل بسيف البحر في ثلاثين من المهاجرين، وفي ذي القعدة بعث سعد بن أبي وقّاص في طلب عِير، ثمّ عبيدة بن الحارث بعد سبعة أشهر في ستين من المهاجرين نحو الجحفة إلى أبي سفيان...[2].

قوله عليه السلام في الأوّل: «وبلّغهم منْجاتهم» وفي الثاني: «يسوقهم إلى منْجاتهم» أي: محلّ نجاتهم؛ قال تعالى: ﴿...عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾[3].

«ويبادر بهم الساعة» أي: القيامة.

---

(١) الحج: ٣٩.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ١: ١٨٦، ونقل عدد غزواته وسراياه صلى الله عليه وآله الواقدي في المغازي ١: ٧، وابن هشام في السيرة ٤: ١٨٩، وابن سعد في الطبقات ٢ ق١: ١، والطبري في تاريخه ٢: ٤٠٤، ٤٠٥ سنة ١٠، والمسعودي في مروج الذهب ٢: ٢٨٠، ٢٨٢ وغيرهم، واختلف في تعدادها وترتيبها اختلافاً يسيراً.

(٣) التوبة: ١٢٨.

«أن تنزل بهم» ولم يستعدّوا لها؛ وفي (ارشاد المفيد) لمّا عاد النبيّ ﷺ من تبوك إلى المدينة قدم إليه عمرو بن معد يكرب، فقال له النبيّ ﷺ: أسلمْ يا عمرو يؤمنْك الله من الفزع الأكبر. قال: يا محمّد وما الفزع الأكبر فإنّي لا أفزع؟ فقال: يا عمرو إنّه ليس كما تظنّ وتحسب، إنّ الناس يُصاح بهم صيحة واحدة، فلا يبقى ميّت إلّا نُشر، ولا حيّ إلّا مات، إلّا ما شاء الله، ثمّ يُصاح بهم صيحة أُخرى، فيُنشر من مات، ويصفّون جميعاً، وينشقّ السماء، وتهدّ الأرض، وتخرّ الجبال هدّاً، وترمي النار بمثل الجبال شرراً، فلا يبقى ذو روح إلّا انخلع قلبه وذكر ذنبه وشُغل بنفسه، إلّا ما شاء الله. فأين أنت ياعمرو من هذا؟ قال: ألا إنّي أسمع أمراً عظيماً. فآمن بالله ورسوله، وآمن معه من قومه ناس ورجعوا إلى قومهم[1].

«يحسر الحسير» أي: يعجز العاجز؛ قال الجوهري: حسر البعير: أعيا، فهو حسير[2].

«ويقف الكسير» أي: من كسر رجله.

«فيقيم عليه» أي: على كلّ من الحسير والكسير، ويحسن في مثله توحيد الضمير لرجوع الحسير والكسير إلى معنى واحد، وهو من لم يقدر على السير المتعارف.

«حتّى يلحقه غايته» ومقصده، والضميران أيضاً كالضمير في (عليه)، والمراد أنّه لمّا لم يكن كلّ الناس صاحب معرفة قويّة يسلم حين يدعوه، بل كثير منهم كانوا آبين أوّلاً، يداريهم ويدعوهم مرّة بعد مرّة، حتّى يعرفوا الحقّ بالتأمّل ويهتدوا.

---

(١) الارشاد للمفيد: ٨٤.

(٢) صحاح اللغة للجوهري ٢: ٦٢٩ مادة (حسر).

«إلّا هالكاً لا يخر فيه...» ولا تفيده الدّعوة، كالّذين قال تعالى فيهم: ﴿ولو أنّنا نزّلنا إليهم الملائكة وكلّمهم الموتى وحشرنا عليهم كلّ شيء قُبُلاً ما كانوا ليؤمنوا...﴾[١].

ومنهم المستهزئون به صلى الله عليه وآله الّذين قال تعالى فيهم: ﴿إنّا كفيناك المستهزئين﴾[٢]. وهم الوليد بن المغيرة، والأسود بن عبد يغوث، وأبو زمعة، والعاص بن وائل، والحرث بن قيس، وعقبة بن أبي معيط، والأسود بن الحرث، وأبو أحيحة، والنضر بن الحرث، والحكم بن العاص، وعتبة، وشيبة، وطعيمة بن عدي، والحرث بن عامر، وأبو البحتري، وأبو جهل، وأبو لهب، ونظراؤهم؛ فدلّهم النبيّ صلى الله عليه وآله على سبيل نجاتهم، فأبوا إلّا سلوك طريق الهلكة، وكانوا قد هدّدوه بالقتل، فأهلكهم الله، بعضهم بالقتل في غزوة بدر، وبعضهم بأسقام وأوجاع.

قالوا: مرّ الأسود بن عبد يغوث على النبيّ صلى الله عليه وآله فأومأ صلى الله عليه وآله إلى بطنه، فاستسقى ومات حبناً.

ومرّ عليه أبو زمعة، فأشار صلى الله عليه وآله إلى عينه، فعمي، وكان يضرب رأسه على الجدار حتّى هلك.

ومرّ عليه الوليد بن المغيرة، فأومأ صلى الله عليه وآله إلى جرح اندمل في بطن رجله من نبل، فتعلّقت به شوكة فننٍ فخُدشت ساقه، ولم يزل مريضاً حتّى مات.

وخرج العاص بن وائل من بيته، فلحقته السموم، فلما انصرف إلى داره لم يعرفوه، فباعدوه فمات غمّاً، وفي خبر فقتلوه، وفي آخر وطأ على شبرقة فدخلت في أخمص رجله، فقال: لُدغت، فلم يزل يحكّها حتّى مات.

---

(١) الأنعام: ١١١.

(٢) الحجر: ٩٥.

ومرّ عليه ﷺ الحرث فأومأ ﷺ إلى رأسه فتقيّأ قيحاً، وفي خبر لدغته حيّة، وفي آخر تدهده عليه حجر من جبل فتقطّع.

وأكل الأسود بن الحاثر حوتاً فأصابه عطش، فلم يزل يشرب الماء حتّى انشقّ بطنه.

ورمى الله أبا لهب بالعدسة، فتركه ابناه ثلاثاً لا يدفنانه، وكانوا يتّقون العدسة، فقذفوا عليه الحجارة حتّى واروه[1].

وعن النبيّ ﷺ مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقيّة فثبت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير؛ وكان منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا؛ وكان منها قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً[2].

وفي (الأغاني): نظر النبيّ ﷺ إلى زهير بن أبي سلمى، وله مائة سنة، فقال: اللّهم أعذني من شيطانه. فما لاك بيتاً حتّى مات[3].

قوله عليه السلام في الأول وكذا الثاني: «فاستقامت قناتهم» أي: رمحهم، واستقامة القناة كناية عن تمكّنهم، كقوله عليه السلام في الثاني.

«فاستدارت رحاهم» فإنّه كناية عن نفوذ أمرهم.

١٠
من الخطبة (١٠٦)

منها في ذكر النبيّ ﷺ:

ٱخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ ٱلْأَنْبِيَاءِ، وَمِشْكَاةِ ٱلضِّيَاءِ، وَذُؤَابَةِ ٱلْعَلْيَاءِ، وَسُرَّةِ

---

(١) هذا تلخيص كلام ابن شهر آشوب في مناقبه ١: ٧٣ ـ ٧٥، وأخرجه أيضاً أبو نعيم بطرق في الدلائل عنه الدر المنثور ٤: ١٠٧، وابن هشام في السيرة ٢: ٤٠، ورواه ابن الأثير في الكامل ٢: ٧٠.

(٢) صحيح مسلم ٤: ١٧٨٧ ح ١٥، وغيره، وبين الألفاظ اختلاف يسير.

(٣) الأغاني لأبي الفرج ١٠: ٢٩١.

ٱلْبَطْحَاءِ، وَمَصَابِيحِ ٱلظُّلْمَةِ، وَيَنَابِيعِ ٱلْحِكْمَةِ.

«اختاره من شجرة الأنبياء» روى (طبقات كاتب الواقدي) عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وتقلّبك في الساجدين﴾[١] قال: من نبيّ إلى نبيّ ومن نبيّ إلى نبيّ حتّى أخرجك نبيّاً[٢].

«ومشكاة الضياء» عن الفرّاء المشكاة: الكوّة التي ليست بنافذة.

«وذؤابة العلياء» تستعار الذؤابة كالمشكاة للنقاوة؛ قال حسّان في بئر معونة:

بني أمّ البنين ألم يرعكم وأنتم من ذوائب أهل نجد[٣]

قال الشاعر في كونه صلى الله عليه وآله وسلم من شجرة الأنبياء، ومشكاة الضياء:

ورث الشرف جامعاً عن جامع وشهد له نداء الصوامع

هو من مضر في سويداء قلبها ومن هاشم في سواد طرفها

وعن ابن عبّاس عن النبيّ صلى الله عليه وآله: أنّ الله تعالى قسّم الخلق قسمين، فجعلني في خيرهما قسماً، فذلك قوله وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال[٤]؛ فأنا من أصحاب اليمين، وأنا خير أصحاب اليمين، ثمّ جعل القسمين أثلاثاً فجعلني في خيرها ثلثاً، فذلك قوله: ﴿فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون﴾[٥]، فأنا من السابقين، وأنا خير السابقين، ثمّ جعل الأثلاث قبائل، فجعلني في خيرها قبيلة، وذلك قوله: ﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله

(١) الشعراء: ٢١٩.

(٢) الطبقات لابن سعد ١ ق١: ٥.

(٣) السيرة لابن هشام ٣: ١٠٦.

(٤) جاء ذكر أصحاب اليمين في الواقعة: ٢٧، ٣٨، ٩٠، ٩١، والمدثّر: ٣٩، وذكر أصحاب الشمال في الواقعة: ٤١.

(٥) الواقعة: ٨ ـ ١٠.

أتقاكم﴾[١]، وأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله تعالى ولا فخر، ثمّ جعل القبائل بيوتاً، فجعلني في خيرها بيتاً، فذلك قوله: ﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا﴾[٢]. فأنا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب[٣].

«وسرّة البطحاء» قال المسعودي: إنّ قريشاً: قريش الظواهر، وقريش الأباطح؛ والظواهر : بنو محارب، والحارث بن فهر، وبنو الادرم بن غالب بن فهر، وبنو هصيص بن عامر بن لؤي. والبطائح: بنو عبد مناف، وبنو عبد الدار، وبنو عبد العزّى، وزهرة، ومخزوم، وتيم، وجمح، وسهم، وعدي، وقصي؛ والفخر للبطاح.

قال ذكوان مولى عبد الدار للضحاك الفهري:

تطاولت للضحاك حتّى رددته ... إلى نسب في قومه متقاصر

فلو شاهدتني من قريش عصابة ... قريش البطاح لا قريش الظواهر

وقال أبو طالب في النبيّ صلّى الله عليه وآله:

من القوم مفضالٌ أبيٌّ على العِدى ... تمكّن في الفرعين من آل هاشم

وكان قصيّ أبو عبد مناف هو الأصل في قريش البطاح، وسمّي مجمّعاً، لأنّه جمع قومه من الشعاب والأودية والجبال إلى مكّة، فلمّا تركهم بمكّة ملّكوه عليهم، فكان أوّل ولد كعب بن لؤيّ أصاب ملكاً أطاعه به قومه، وكان إليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء، فحاز شرف قريش كلّه، وقسّم مكّة أرباعاً بين قومه فبنوا المساكن، وتيمّنت قريش بأمره، فما ينكح

---

(١) الحجرات: ١٣.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

(٣) أخرجه الحكيم الترمذي والطبراني وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي في الدلائل عنهم الدر المنثور ٥: ١٩٩، والحسكاني في شواهد التنزيل ٢: ٢٩ ح٦٦٩ عن ابن عباس.

رجل ولا امرأة إلّا في داره، وكان أمره في قومه كالدين المتّبع في حياته وبعد موته.

وأمّا قول قريش للنبيّ ﷺ : ابن أبي كبشة. ففي (أنساب قريش مصعب الزبيري): أنّ قريشاً كانت تنسب النبيّ ﷺ إلى أبي كبشة، وحر بن غالب الخزاعي جدّ وهب أبي آمنة أُمّ النبيّ ﷺ لأُمّه ولم يعيّروا النبيّ ﷺ في نسبته إليه من تقصير كان فيه، فكان سيّد قومه، وإنّما كان أبو كبشة أوّل من عبد الشعرى لأنّها تقطع السماء عرضاً بخلاف الشمس والقمر وباقي الكواكب، والعرب تظنّ أنّ أحداً لا يعمل شيئاً إلّا بعرق ينزعه، فلمّا خالف النبيّ ﷺ دين قريش قالت قريش: نزعه أبو كبشة[1].

هذا، وقالوا: يكون موضعان آخران مسمّيان بالبطحاء غير بطحاء مكّة: أحدهما: بطحاء الجزيرة، وثانيهما: بطحاء ذي قار.

وقالوا: رأى قرشي رجلاً له هيئة رثّة فسأل عنه، فقالوا: من تغلب. فوقف عليه وهو يطوف بالبيت، فقال له: أرى رجلين قلّما وطئتا البطحاء. فقال الرجل: البطحاوات ثلاث: بطحاء الجزيرة وهي لي دونك، وبطحاء ذي قار، وأنا أحقّ بها منك، وهذه البطحاء، و ﴿سواء العاكف فيه والباد﴾[2].

هذا، وفي (سيرة ابن هشام) عن الزهري: لمّا وفد الأشعث بن قيس على النبيّ ﷺ قال: يا رسول الله نحن بنو آكل المرار ـ كان من ولده من قبل النساء ـ وأنت ابن آكل المرار. قال: فتبسّم النبيّ ﷺ وقال: ناسبوا بهذا النسب العبّاس بن عبد المطلب وربيعة بن الحارث ـ وكان العبّاس وربيعة رجلين تاجرين، وكانا إذا شاعا في بعض العرب فسُئلا ممّن هما قالا: نحن بنو

---

(١) نسب قريش للزبيري: ٢٦١ والنقل بالمعنى.

(٢) معجم البلدان للحموي ١: ٤٤٦، والمشترك والمفترق: ٥٩، والآية ٢٥ من سورة الحجّ.

آكل المرار يتعزّزان بذلك، وذلك أنّ كندة كانوا ملوكاً ـ ثمّ قال لهم: لا، بل نحن النضر بن كنانة؛ لا نقفو أُمّنا، ولا ننتفي من أبينا[١].

«ومصابيح الظلمة» أي: اختاره منها.

«وينابيع الحكمة» أي: الأنبياء والحكماء الّذين كانوا آباءه صلّى الله عليه وآله وسلّم.

١١
من الخطبة (١٤٩)

ومن خطبة له عليه السلام:

وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى مَدَاحِرِ الشَّيْطَانِ وَمَزَاجِرِهِ، وَالاِعْتِصَامِ مِنْ حَبَائِلِهِ وَمَخَاتِلِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَنَجِيبُهُ وَصَفْوَتُهُ، لَا يُوازَى فَضْلُهُ، وَلَا يُجْبَرُ فَقْدُهُ، أَضَاءَتْ بِهِ الْبِلَادُ بَعْدَ الضَّلَالَةِ الْمُظْلِمَةِ، وَالْجَهَالَةِ الْغَالِبَةِ، وَالْجَفْوَةِ الْجَافِيَةِ، وَالنَّاسُ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيمَ، وَيَسْتَذِلُّونَ الْحَكِيمَ، يَحْيَوْنَ عَلَى فَتْرَةٍ، وَيَمُوتُونَ عَلَى كَفْرَةٍ.

«واستعينه على مداحر» أي: ما يوجب الطرد والإبعاد؛ قال تعالى: ﴿...اخرج منها مذؤوماً مدحوراً...﴾[٢].

«الشيطان ومزاجره» أي: ما يوجب منعه؛ ومداحر الشيطان ومزاجره: العبادات والطاعات، من الصلاة والصيام وباقي القربات.

قال الصادق عليه السلام: إنّ العبد إذا سجد فأطال السجود نادى إبليس يا ويلاه أطاع وعصيت، وسجد وأبيت[٣].

وقال النبيّ لأصحابه: ألا أُخبركم بشيء إن أنتم فعلتموه تباعد

---

(١) سيرة ابن هشام ٤: ١٧٢ وغيره.

(٢) الأعراف: ١٨.

(٣) الكافي للكليني ٣: ٢٦٤ ح٢، والمحاسن للبرقي ١٨ ح٥٠، والفقيه للصدوق ١: ١٣٦ ح١٧، وثواب الأعمال: ٥٦ ح١ عن الصادق عليه السلام، ودعائم الإسلام للقاضي النعمان ١: ١٣٦ عن علي عليه السلام، والمقنع للصدوق: ٤٥ بلا عزو.

الشيطان منكم كما تباعد المشرق من المغرب؟ قالوا: بلى. قال: الصوم يسوّد وجهه، والصدقة تكسر ظهره، والحبّ في الله والموازرة على العمل الصالح يقطع دابره، والاستغفار يقطع وتينه...[١].

وعن الصادق عليه السلام: لا يزال إبليس فرحاً ما اهتجر المسلمان، فإذا التقيا اصطكّت ركبتاه، وتخلّعت أوصاله، ونادى يا ويله ما لقي من الثبور[٢].

وعنهم عليهم السلام: ليس شيء أنكأ لإبليس وجنوده من زيارة الإخوان في الله بعضهم لبعض، وإنّ المؤمنين يلتقيان فيذكران الله ثمّ يذكران فضلنا أهل البيت، فلا يبقى على وجه إبليس مضغة لحم إلّا تخدّد، حتّى أنّ روحه لتستغيث من شدّة ما يجد من الألم، فتحسّ ملائكة السماء وخزّان الجنان، فيلعنونه حتّى لا يبقى ملك مقرّب إلّا لعنه، فيقع خاسئاً حسيراً مدحوراً[٣].

«والاعتصام» عطف على (مداحر) أي: الاحتفاظ.

«من حبائله» جمع الحبالة، أي: الّتي يصيد بها الصائد.

«ومخاتله» أي: مخادعه، وحبائله ومخاتله: الخمر والميسر والنساء وزخارف الدّنيا؛ قال تعالى: ﴿يا أيّها الّذين آمنوا إنّما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلّكم تفلحون * إنّما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدّكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون﴾[٤].

وعنهم عليهم السلام: الفتن ثلاث: حبّ النساء، وهو سيف الشيطان؛ وشرب

---

(١) الكافي للكليني ٤: ٦٢ ح٢، والفقيه للصدوق ٢: ٤٥ ح٤، وأماليه: ٥٩ ح١ المجلس ١٥، وفي فضائل رمضان عنه الوسائل ٧: ٢٩٦ ح٣٥، والتهذيب للطوسي ٤: ١٩١ ح٦، والأشعثيات لابن الأشعث: ٥٨.

(٢) الكافي للكليني ٢: ٣٤٦ ح٧.

(٣) الكافي للكليني ٢: ١٨٨ ح٧ عن الكاظم عليه السلام.

(٤) المائدة: ٩٠ ـ ٩١.

الخمر، وهو فخّ الشيطان؛ وحبّ الدينار والدرهم، وهو سهم الشيطان[١].

وعنهم عليهم السلام: إنّ إبليس ظهر ليحيى بن زكريا عليه السلام وإذا عليه معاليق من كلّ شيء، فقال له يحيى: ما هذه المعاليق يا إبليس؟ فقال: هذه الشهوات التي أصبتها من ابن آدم. قال: فهل لي منها شيء؟ قال: ربّما شبعت فثقّلتك عن الصلاة والذكر. قال يحيى: لله عليّ أن لا أملأ بطني من طعام أبداً...[٢].

«وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله» قدّمت العبودية، لأنّه لولاها لما حصلت الرسالة.

«ونجيبه وصفوته» ﴿...الله أعلم حيث يجعل رسالته...﴾[٣].

«لا يوازى» أي: لا يحاذى، وأصل الواو الهمز: من الإزاء، وقول الجوهري: «آزيته: إذا حاذيته، ولا تقل وازيته»[٤] خطأ، حيث إنّ غيره أجازه، ويشهد له كلامه عليه السلام.

«فضله» من أحد؛ قال أبو طالب ـ لمّا خطب للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم خديجة ـ: ثمّ ابن أخي هذا محمّد بن عبد الله لا يوازن برجل من قريش إلّا رجح به، ولا يقاس بأحد منهم إلّا عظم عنه، ولا عِدْل له في الخلق.

وقالوا: ـ لمّا تلجلج ورقة عمّ خديجة في الجواب في قبال أبي طالب مع كونه من القسّيسين، وقالت خديجة نفسها: قد زوّجتك نفسي والمهر عليّ في مالي، وقال بعض قريش: واعجباه المهر على النساء للرجال! ـ غضب أبو طالب غضباً شديداً وقام على قدميه ـ وكان ممّن تهابه الرجال وتكره غضبه ـ

---

(١) الخصال للصدوق: ١١٣ ح٩١ باب الثلاثة، عن علي عليه السلام.

(٢) المحاسن للبرقي: ٤٣٩ ح٢٩٧ عن الصادق عليه السلام، وجاءت القصة في ضمن حديث طويل أخرجه الترمذي في غور الأمور عنه البحار ٦٣: ٢٢٦ ح٧١، وأمالي أبي علي الطوسي ١: ٣٤٨ المجلس ١٢.

(٣) الأنعام: ١٢٤.

(٤) صحاح اللغة للجوهري ٦: ٢٢٦٨ مادة (أزي).

وقال: إذا كان الرجال مثل ابن أخي هذا طُلبوا بأغلى الأثمان وأعظم المهر، وإذا كانوا أمثالكم لا يزوّجون إلّا بالمهر الغالي[١].

وقال كعب بن نمط في النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم:

وما حملت من ناقة فوق رحلها أبرَّ وأوفى ذمّةً من محمّد
ولا وضعت أُنثى لأحمد مشبهاً من الناس في التقوى ولا في التعبّد

وقال مالك بن عوف:

ما إن رأيت ولا سمعت بواحد في الناس كلّهمُ شبيه محمّد

«ولا يجبر فقده» قال الباقر عليه السلام: إن أصبت بمصيبة في نفسك أو في مالك أو في ولدك، فاذكر مصابك بالنبيّ صلى الله عليه وآله، فإنّ الخلائق لم يصابوا بمثله قط[٢].

«أضاءت به البلاد بعد الضلالة المظلمة» الغاشية لها من الجاهلية؛ قال العبّاس بن مرداس فيه:

سننتَ لنا فيه الهدى بعد جورنا عن الحقّ لمّا أصبح الحقّ مظلماً
ونوّرتَ بالبرهان أمراً مدمّماً وأطفأت بالقرآن جمراً تضرّما

«والجهالة الغالبة» على جميع الفرق؛ في (سنن أبي داود) عن ابن عبّاس: كان النضير من اليهود أشرف من قريظتهم، فكان إذا قتل رجل من قريظة رجلاً من النضير قُتل به، وإذا قتل رجل من النضير رجلاً من قريظة فودي بمائة وسق من تمر، فلمّا بُعث النبيّ صلى الله عليه وآله قتل نضيريٌّ قريظيّاً، فقالوا: ادفعوه إلينا نقتله. فقالوا: بيننا وبينكم محمّد. فأتوه، فنزلت: ﴿... وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط...﴾[٣] أي: النفس بالنفس، ثمّ نزلت: ﴿أفحكم الجاهلية يبغون

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب ١: ٤٢.

(٢) الكافي للكليني ٣: ٢٢٠ ح ٢، وفي الباب أحاديث أُخرى جمع بعض طرقها الشيخ الحرّ في وسائل الشيعة ٢: ٩١١ الباب ٧٩، والمحدث النوري في مستدرك الوسائل ١: ١٤٢ الباب ٦٧.

(٣) المائدة: ٤٢.

ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾[١].

«والجفوة الجافية» أي الغليظة، فكانوا يفعلون أفعالاً في غاية الشناعة، ومنها وأد البنات؛ وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: جاء رجل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: إنّي قد ولدت بنتاً وربّيتها، حتّى إذا بلغت، فألبستها وحلّيتها ثمّ جئت بها إلى قليب، فدفعتها في جوفه، وكان آخر ما سمعت منها، وهي تقول: يا أبتاه. فما كفّارة ذلك؟ قال: ألك أُمّ حيّة؟ قال: لا. قال: فلك خالة حيّة؟ قال: نعم. قال: فابررها، فإنّها بمنزلة الأمّ تكفّر عنك ما صنعت. قيل: متى كان هذا؟ فقال: كان في الجاهلية، وكانوا يقتلون البنات مخافة أن يسبين فيلدن في قوم آخرين[٢].

«والناس يستحلّون الحريم» أي: الحرام، فيرتكبونه بلا مبالاة.

«ويستذلّون الحكيم» فضلاً عن أن لا يعظّموه؛ في (الأغاني) خرج قيسبة بن كلثوم السكوني، وكان ملكاً يريد الحجّ ـ وكانت العرب تحجّ في الجاهلية فلا يعرض بعضها لبعض ـ فمرّ ببني عامر بن عقيل، فوثبوا عليه، فأسروه وأخذوا ماله وما كان معه، وألقوه في القدّ، فمكث فيه ثلاث سنين، وشاع باليمن أنّ الجنّ استطارته ... فتمشّى يوماً في أغلاله وقيوده حتّى صعد أكَمَة ثمّ أقبل يضرب ببصره نحو اليمن وتغشاه عبرة، فبكى ثمّ رفع طرفه الى السماء وقال: اللّهم ساكن السماء فرّج لي ممّا أصبحت فيه؛ إذ عرض له راكب، فأشار إليه أن أقبل، فكتب تحت خشبة رحله بالمسند أمره، فجاء قومه فاستنقذوه[٣].

---

(١) سنن أبي داود ٤: ١٦٨ ح٤٤٩٤، وسنن النسائي ٨: ١٨، وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والمستدرك للحاكم، وسنن البيهقي عنهم الدر المنثور ٢: ٢٨٥ والنقل بتصرف يسير، والآية ٥٠ من سورة المائدة.

(٢) الكافي للكليني ٢: ١٦٢ ح١٨.

(٣) لم أجده في الأغاني.

«يحيون على فترة» غافلين عن ربّهم الّذي خلقهم ورزقهم.

«ويموتون على كفرة» بإلههم، وما أراد منهم من عبادته؛ قال حسّان فيه صلّى الله عليه وآله:

رسول أتانا بعد يأسٍ وفترةٍ من الرسْل والأوثان في الأرض تعبد

ولمّا بعثت قريش عمرو بن العاص إلى ملك الحبشة لردّ جعفر الطيّار ومن معه لمّا هاجروا إليه تخلّصاً من أذاهم، وقال عمرو للملك: «إنّهم خالفونا في ديننا، وسبّوا آلهتنا، وأفسدوا شبابنا، وفرّقوا جماعتنا، فردّهم إلينا لنجمع أمرنا»، قال جعفر للملك: خالفناهم بأنّه بعث الله تعالى فينا نبيّاً أمر بخلع الأنداد، وترك الاستقسام بالأزلام، وأمرنا بالصلاة والزكاة، وحرّم الظلم والجور وسفك الدماء بغير حقّها والزنا والربا والميتة والدم، وأمرنا بالعدل والإحسان وايتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي. فقال الملك: فبهذا بعث الله تعالى عيسى بن مريم[1].

١٢
من الخطبة (١٥٩)

ومن خطبة له عليه السلام:

بَعَثَهُ بِالنُّورِ الْمُضِيءِ، وَٱلْبُرْهَانِ ٱلْجَلِيِّ، وَٱلْمِنْهَاجِ ٱلْبَادِي، وَٱلْكِتَابِ ٱلْهَادِي. أُسْرَتُهُ خَيْرُ أُسْرَةٍ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ، أَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ، وَثِمَارُهَا مُتَهَدِّلَةٌ، مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ وَهِجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ، عَلاَ بِهَا ذِكْرُهُ، وَٱمْتَدَّ بِهَا صَوْتُهُ. أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كَافِيَةٍ، وَمَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ، وَدَعْوَةٍ مُتَلاَفِيَةٍ.

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ القمي في تفسيره ١: ١٧٧، والطبرسي في أعلام الورى: ٤٣، وأمّا الحوار بين جعفر والنجاشي فحديث مشهور أخرجه أحمد بطريقين في مسنده ١: ٢٠١، و ٥: ٢٩٠، والطبراني بطرق في معجمه عنه مجمع الزوائد ٦: ٢٤ ـ ٣٢، وابن هشام في السيرة ١: ٢٨٩ وغيرهم.

أَظْهَرَ بِهِ الشَّرَائِعَ المَجْهُولَةَ، وَقَمَعَ بِهِ ٱلْبِدَعَ المَدْخُولَةَ، وَبَيَّنَ بِهِ ٱلْأَحْكَامَ المَفْصُولَةَ. فَمَنْ ﴿يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْاسْلاَمِ دِيناً﴾[1] تَتَحَقَّقْ شِقْوَتُهُ، وَتَنْفَصِمْ عُرْوَتُهُ، وَتَعْظُمْ كَبْوَتُهُ، ثُمَّ يَكُونُ مآبُهُ إِلَى ٱلْحُزْنِ الطَّوِيلِ وَٱلْعَذَابِ ٱلْوَبِيلِ.

«بعثه بالنور المضيء» أي: القرآن؛ قال تعالى: ﴿...فالّذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتّبعوا النّور الذي أُنزل معه أولئك هم المفلحون﴾[2].

«والبرهان الجلي» قال تعالى: ﴿...قد جاءكم برهان من ربّكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾[3].

«والمنهاج» أي: الطريق الواضح.

«البادي» أي: الظاهر المستبين، من: بدا يبدو، لا بادى بدى الّذي أصله الهمز بمعنى الابتداء؛ قال تعالى: ﴿... قد تبيّن الرشد من الغيّ...﴾[4].

«والكتاب الهادي» إلى الله تعالى؛ قال تعالى: ﴿...وكتاب مبين * يهدي به الله من اتّبع رضوانه سبل السلام...﴾[5].

«أُسرته» أي: عشيرته، وهم بنو هاشم.

«خير أُسرة» قالت قتيلة ابنة النضر الداري الّذي قتله أمير المؤمنين عليه السلام صبراً بأمر النبيّ صلى الله عليه وآله في أبيات:

أمحمّد ولأنت صنو نجيبة	من قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرّك لو مننت ولربّما	منّ الفتى وهو المغيظ المحنق

---

(١) آل عمران: ٨٥.

(٢) الأعراف: ١٥٧.

(٣) النساء: ١٧٤.

(٤) البقرة: ٢٥٦.

(٥) المائدة: ١٥ ـ ١٦.

«وشجرته خير شجرة» والمراد أصله الّذي خُلق صلى الله عليه وآله منه، كما يشهد له قول النبيّ صلى الله عليه وآله: أنا وعليّ من شجرة واحدة، والناس من أشجار شتّى[١].

«أغصانها معتدلة» ليس فيها زيغ واعوجاج.

«وثمارها متهدّلة» أي: نازلة لا تمتنع من قطفها، والمراد من أغصانها وثمارها خلفاؤه الحقّة؛ وعن الباقر عليه السلام سُئل عن قوله تعالى: ﴿...كشجرة طيّبة أصلها ثابت وفرعها في السماء * تؤتي أُكلها كلّ حين بإذن ربّها...﴾[٢]، فقال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: أنا أصل تلك الشجرة وعليّ، والأئمّة عليهم السلام أغصانها، وعلمنا ثمرها، وما يخرج من الإمام من الحلال والحرام في كلّ سنة إلى شيعته هو إيتاء أُكلها كلّ حين[٣].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: نحن شجرة النبوّة، ومحطّ الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعادن العلم، وينابيع الحكم[٤].

«مولده بمكّة» حرم الله.

«وهجرته بطيبة» أي: المدينة، فطيبة أحد أسمائها؛ ففي (شرح المرتضى لقصيدة الحميري): أنّ للمدينة اثني عشر اسماً: طيبة، ويثرب، والدار، والسكينة، وجابرة، والمجبورة، والمحبّة، والمحبوبة، والعذراء، والرعبوبة، والقاصمة، وبندد[٥].

---

(١) أخرجه الحاكم وابن مردويه والذهبي عنهم الدر المنثور ٤: ٤٤، وابن عساكر بطريقين في ترجمة علي عليه السلام ١: ١٤٢، ١٤٧ ح١٧٨، ١٨١، والخوارزمي في مناقبه: ٨٧، وابن المغازلي في مناقبه: ٤٠٠ ح٤٥٣، والحسكاني بطريقين في شواهد التنزيل ١: ٢٨٨ ح٣٩٥، ٣٩٦، والجويني في فرائد السمطين ١: ٥٢ ح١٧ وغيرهم.

(٢) إبراهيم: ٢٤ ـ ٢٥.

(٣) هذا المعنى روي عن الباقر والصادق عليهما السلام كليهما، بعضه مرفوع إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وبعضه لم يرفع. أقرب الألفاظ ما أخرجه الصفار في بصائر الدرجات: ٧٨ ح١. وجمع بعض طرقه المجلسي في بحار الأنوار ٢٤: ١٣٦ الباب ٤٤.

(٤) نهج البلاغة للشريف الرضي ١: ٢٠٩ ضمن الخطبة ١٠٧.

(٥) شرح القصيدة الذهبية للشريف المرتضى: ٨.

وقال سيف بن ذي يزن لجدّه عبد المطلب لما بشّره به: أجِدُ في الكتاب الناطق والعلم السابق أنّ يثرب دار هجرته وبيت نصرته[١].

«علا بها» أي: بطيبة.

«ذكره، وامتدّ بها» في الآفاق.

«صوته» قال قيس بن صرمة من بني النجار فيه صلى الله عليه وآله:

ثوى في قريش بضع عشرة حجّة   يذكّر من يلقى صديقاً مواليا
ويعرض في أهل المواسم نفسه   فلم ير من يؤوي ولم ير داعيا
فلمّا أتانا أظهر الله دينه   فأصبح مسروراً بطيبة راضيا

وقال الأعشى:

نبي يرى ما لايرون وذكره   أغار لعمري في البلاد وأنجدا

هذا، وفي (الفقيه) عن الصادق عليه السلام: كان اسم النبيّ صلى الله عليه وآله يكرّر في الأذان؛ فأوّل من حذفه ابن أروى[٢].

قلت: أي: عثمان، وكان معاوية يتلهف على عدم استطاعته رفع اسمه صلى الله عليه وآله رأساً من الأذان.

«أرسله بحجّة كافية» وهي القرآن؛ قال تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾[٣]، وقال عزّوجلّ: ﴿وإن كنتم في ريب ممّا نزّلنا على عبدنا فأتوا

(١) حديث سيف بن ذي يزن أخرجه البيهقي في الدلائل عنه أعلام الورى: ١٧، والمسعودي في مروج الذهب ٢: ٥٨ والصدوق في كمال الدين : ١٧٦ ح ٣٢، والكراجكي في كنز الفوائد: ٨٢ ، ورواه شاذان بن جبرئيل في الفضائل: ٣٨، والطبرسي في أعلام الورى: ١٥ باختلاف بين الروايات.

(٢) الفقيه للصدوق ١: ١٩٥ ح٥١.

(٣) الإسراء: ٨٨.

بسورة من مثله...﴾[١].

«وموعظة شافية» ﴿...وجاءك في هذه الحقّ وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾[٢]، ﴿يا أيّها الناس قد جاءتكم موعظه من ربّكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾[٣]. ولو لم يكن في القرآن إلّا قوله تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره﴾[٤]، أو قوله تعالى: ﴿...يا أيّها الناس إنّما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدّنيا ثمّ إلينا مرجعكم فننبّئكم بما كنتم تعملون﴾[٥]، ﴿إنّما مثل الحياة الدّنيا كماء أنزلناه من السماء...﴾[٦]، أو قوله تعالى: ﴿قل إنّ الموت الّذي تفرّون منه فإنّه ملاقيكم ثمّ تردّون إلى عالم الغيب والشهادة فينبّئكم بما كنتم تعملون﴾[٧]، إلى غير ذلك من نظائرها، لكفى في كونها موعظة شافية.

«ودعوة» إلى الله.

«متلافية» أي: متداركة؛ قال تعالى: ﴿... إنّا أرسلناك شاهداً ومبشّراً ونذيراً * وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾[٨].

«أظهر به الشرائع المجهولة» ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم كثيراً ممّا كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير...﴾[٩]؛ في (سنن أبي داود)

---

(١) البقرة: ٢٣.

(٢) هود: ١٢٠.

(٣) يونس: ٥٧.

(٤) الزلزلة: ٧.

(٥) يونس: ٢٣.

(٦) يونس: ٢٤.

(٧) الجمعة: ٨ .

(٨) الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٦.

(٩) المائدة: ١٥.

عن البراء بن عازب: مرّوا على النبيّ ﷺ بيهودي قد حمّم وجهه (أي: سوّد) وهو يطاف به، فناشدهم ما حدّ الزاني في كتابهم، فأحالوه على رجل منهم، فنشده النبيّ ﷺ: ما حدّ الزّنا في كتابكم؟ فقال: الرّجم، ولكن ظهر الزّنا في أشرافنا فكرهنا أن يترك الشريف ويقام على من دونه، فوضعنا هذا عنّا، فأمر به النبيّ ﷺ فرُجم. ثمّ قال: اللّهم إنّي أوّل من أحيا ما أماتوا من كتابك[1].

«وقمع به البدع المدخولة» في الدين؛ ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام...﴾[2].

وفي (النهاية) كانوا إذا ولدت إبلهم سقباً بحروا أُذنه ـ أي: شقّوها ـ وقالوا: اللّهم إن عاش ففتيّ وإن مات فذكيّ. فإذا مات أكلوه وسمّوه: البحيرة. وقيل: البحيرة: بنت السائبة، كانوا إذا تابعت الناقة بين عشر أُناث لم يركب ظهرها ولم يجزّ وبرها، ولم يشرب لبنها إلّا ولدها أو ضيف، وتركوها مسيبة لسبيلها وسمّوها السائبة، فما ولدت بعد ذلك من أُنثى شقّوا أُذنها وخلّوا سبيلها، وحرم منها ما حرم من أُمّها وسمّوها البحيرة[3].

والوصيلة: هي الشاة إذا ولدت ستّة أبطن اثنين اثنين، وولدت في السابعة ذكراً وأُنثى. قالوا: وصلت أخاها. فأحلّوا لبنها للرجال، وحرّموه على النساء. وقيل: إن كان السابع ذكراً ذُبح وأكل منه الرجال والنساء، وإن كانت أُنثى تركت في الغنم، وإن كان ذكراً وأُنثى قالوا: وصلت أخاها ولم تُذبح، وكان لبنها حراماً على النساء[4].

---

(١) سنن أبي داود ٤: ١٥٤ ح٤٤٤٧، ٤٤٤٨.

(٢) المائدة: ١٠٣.

(٣) النهاية لابن الأثير ١: ١٠٠ مادة (بحر).

(٤) النهاية لابن الأثير ٥: ١٩٢ مادة (وصل).

وفي (الصحاح) الحامي: الفحل من الإبل الذي طال مكثه عندهم[١].

قال الفرّاء: إذا لقح ولد ولده، فقد حمى ظهره، ولا يجزّ له وبر، ولا يمنع من مرعى[٢].

وعن (البخاري) البحيرة التي يمنع درّها للطواغيت، فلا يحلبها أحد من الناس، والسائبة كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شيء، والوصيلة الناقة البكر تبكّر في أوّل نتاج الإبل ثمّ تثنّي بعد بأُنثى، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بأُخرى ليس بينهما ذكر، والحام فحل الإبل يضرب الضراب المعدود، فإذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت وأعفوه من الحمل فلا يحمل عليه شيء وسمّوه الحامي[٣].

وقال تعالى: ﴿وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلّا من نشاء بزعمهم وأنعام حرّمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراءً عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون * وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرّم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنّه حكيم عليم﴾[٤].

وقالوا: كانت تلبية قريش والعرب تلبية إبراهيم والأنبياء عليهم السلام: «لبّيك اللّهم لبّيك لا شريك لك لبّيك» فجاءهم إبليس في صورة شيخ وقال: ما هذا تلبية أسلافكم وإنّما تلبيتهم (لاشريك لك إلّا شريك هو لك) فنفرت قريش من

---

(١) صحاح اللغة ٦: ٢٣٢٠ مادة (حمى).

(٢) لسان العرب لابن منظور ١٤: ٢٠٢ مادة (حما).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٣: ١٢٦، ومسلم في صحيحه ٤: ٢١٩٢ ح٥١، وعبد الرزاق وعبد ابن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه عنهم الدر المنثور ٢: ٣٣٧ كلّهم عن سعيد بن المسيب موقوفاً.

(٤) الأنعام: ١٣٨ ـ ١٣٩.

هذا القول، فقال لهم إبليس: على رسلكم حتّى آتي على آخر كلامي. فقالوا: وما هو؟ قال: (إلّا شريك هو لك تملكه وما ملك) ألا ترون أنّه يملك الشريك وما ملكه. فرضوا بذلك؛ وكانت قريش خاصّة يلبّون به، فقال لهم النبيّ ﷺ: هذا شرك، وأنزل تعالى: ﴿ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم ممّا ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء﴾[١].

«وبيّن به الأحكام المفصولة» ﴿...وقد فصّل لكم ما حرّم عليكم...﴾[٢]، ﴿...وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصّلاً...﴾[٣].

«فمن يبتغ غير الاسلام ديناً تحقّق شقوته» قال تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾[٤].

«وتنفصم» أي: تنقطع.

«عروته» فإنّ العروة الوثقى التي لا انفصام لها هي دين الاسلام.

«وتعظم كبوته» بحيث لا يرجى نعشه.

«ثمّ يكون مآبه» أي: مرجعه.

«إلى الحزن الطويل» الذي لا انقضاء له.

«والعذاب الوبيل» أي: الوخيم؛ قال أبو طالب فيه:

نبيّ أتاه الوحي من عند ربّه ... ومن قال: لا. يقرع بسنّ نادم

هذا، وللبحتري في أحمد بن محمّد الطائي:

ولو تناهت بنو شيبان عنه إذن ... لم يجشموا غير ذي حدّين مذروب

---

(١) نقله كذلك عبد الرؤوف سعد في هامش السيرة النبوية ١: ٧٣، ونقله مختصراً ابن هشام في السيرة ١: ٧٣، والطبراني وابن مردويه عنهما الدر المنثور ٥: ١٥٥، واليعقوبي في تاريخه ١: ٢٥٥، والآية ٢٨ من سورة الروم.

(٢) الأنعام: ١١٩.

(٣) الأنعام: ١١٤.

(٤) آل عمران: ٨٥.

مــازادهــا النـفر عـنه غـير تـغوية وبــعدها مـن رضـاه غـير تـتبيب

١٣
من الخطبة (١٧٦)

وَأَشْهَدُ أَلّا إِلهَ إِلَّا ٱللّهُ غَيرَ مَعْدُولٍ بِهِ، وَلَا مَشْكُوكٍ فِيهِ، وَلَا مَكْفُورٍ دِينُهُ، وَلَا مَجْحُودٍ تَكْوِينُهُ، شَهَادَةَ مَنْ صَدَقَتْ نِيَّتُهُ، وَصَفَتْ دِخْلَتُه، وَخَلَصَ يَقِينُهُ، وَثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الُمجْتَبَى مِنْ خَلائِقِهِ، وَالمُعْتَامُ لِشَرْحِ حَقَائِقِهِ، وَالمُخْتَصُّ بِعَقَائِلِ كَرَامَاتِهِ، وَالمُصْطَفَى لِكَرَائِمِ رِسَالاَتِهِ، وَالمُوَضَّحَةُ بِهِ أَشْرَاطُ ٱلْهُدَى، وَالمَجْلُوٌّ بِهِ غِرْبِيبُ ٱلْعَمَى.

«وأشــهد ألّا إله إلّا الله» فــقد قــال تــعالى: ﴿لو كـان فـيهما آلهـة إلّا الله لفسدتا...﴾[1].

«غير معدول به» أحد، وكيف يعدل المخلوق بالخالق، وكيف يعدل مـن هو في غاية النقص بمن هو في نهاية الكمال؟

«ولا مشكوك فيه» وكيف وهو أظهر من الشمس، كيف لا والشمس أحد آثاره؟! ﴿...أفي الله شكّ فاطر السماوات والأرض...﴾[2].

«ولا مكفور دينه» وكيف وهو دين قيّم غـير ذي عـوج جـامع لسـعادة الدارين؛ فقد قال سفراؤه تعالى: اعمل لدنياك كأنّك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنّك تموت غداً؟

«ولا مجحود تكوينه» حتّى مـن الّـذين جـعلوا الأصـنام له شـركاء فـي العبادة ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولنّ الله...﴾[3].

---

(١) الأنبياء: ٢٢.

(٢) إبراهيم: ١٠.

(٣) لقمان: ٢٥.

«شهادة من صدقت نيّته» من الكذب.

«وصفت دخلته» من الكدر.

«وخلص يقينه» من الريب.

«وثقلت موازينه» بالأعمال الصالحة، وإنّما قيّدعليه‌السلام شهادته بما قيّده، لأنّ الشهادة إذا لم تكن كذلك لم تكن بمفيدة، كشهادة المنافقين.

«وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله» إلى خلقه.

«المجتبى» أي: المصطفى.

«من خلائقه» من الأوّلين والآخرين؛ وعن ابن عبّاس في حديث المعراج: أنّ جبرئيل أتى النبيّصلى‌الله‌عليه‌وآله وقال: إنّ ربّي بعثني إليك وأمرني أن آتيه بك فقم، فإنّ الله تعالى يكرمك كرامة لم يُكرم بها أحد قبلك ولا بعدك[1].

وفي خبر آخر: فلمّا بلغ إلى سدرة المنتهى فانتهى الى الحجب فقال جبرئيل: تقدّم يا رسول الله ليس لي أن أجوز هذا المكان، ولو دنوت أنملة لاحترقت[2].

وفي خبر آخر: قال له جبرئيل: ما وطأ نبيّ قطّ مكانك[3].

«والمعتام» أي: المختار، ولفظ اسمي الفاعل والمفعول في مثله، وإن كان واحداً إلّا أنّه هنا اسم مفعول كلفظ (المختص) بعده. وقول الخوئي: «إنّه اسم فاعل»[4] وهم.

«لشرح حقائقه» جمع حقيقة؛ قال ابن أبي الحديد: أي لشرح حقائق توحيده وعدله، ومعنى حقائق توحيده الأمور المحقّقة اليقينية الّتي لا تعتريها

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب ١: ١٧٧، ١٧٩ ضمن حديثين عن ابن عباس.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ١: ١٧٩ ضمن حديث عن أبي بصير.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) شرح الخوئي ٥: ٦٢.

الشكوك، ولا تتخالجها الشبه، وهي أدلّة أصحابنا المعتزلة الّتي استنبطوها بعقولهم بعد أن دلّهم إليها ونبّههم على طرق استنباطها النبيّ صلّى الله عليه وآله بواسطة أمير المؤمنين عليه السلام، لأنّه إمام المتكلّمين الّذي لم يعرف علم الكلام من أحد قبله[١].

قلت: بل المراد بشرح حقائقه مطلق الأُصول والفروع، فإنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم كما شرح التوحيد والعدل شرح المعاد والثواب والعقاب، وشرح الحلال والحرام، ولا سيّما بعض الأحكام التي بيّنها صلّى الله عليه وآله وسلّم بواسطة أهل بيته عليهم السلام؛ فقال رجل للكاظم عليه السلام: إنّ رجلاً من مواليك تزوّج جارية معصراً لم تطمث، فلمّا افتضّها سال الدّم فمكث سائلاً لا ينقطع نحواً من عشرة أيام، وإنّ القوابل اختلفن في ذلك؛ فقال بعضهنّ: دم الحيض، وقال بعضهنّ: دم العذرة. فما ينبغي لها أن تصنع؟ -إلى أن قال- قال عليه السلام له: سرّ الله فلا تذيعوه، ولا تعلّموا هذا الخلق أُصول دين الله، بل ارضوا لهم ما رضي الله لهم من ضلال. ثمّ قال: تستدخل القطنة ثمّ تدعها ملياً، ثمّ تخرجها إخراجاً رفيقاً، فإن كان الدّم مطوّقاً في القطنة فهو من العذرة، وإن كان مستنقعاً في القطنة فهو من الحيض. فبكى الرجل وقال له عليه السلام: من كان يحسن هذا غيرك؟ فرفع الكاظم عليه السلام يده إلى السماء وقال: والله إنّي ما أُخبرك إلّا عن النبيّ صلّى الله عليه وآله عن جبرئيل عليه السلام عن الله عزّوجلّ[٢].

وفي خبر عن الصادق عليه السلام في اشتباه دم الحيض والقرحة: فإن خرج الدم من الجانب الأيسر فهو من الحيض، وان خرج من الجانب الأيمن

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٠٣.

(٢) الكافي للكليني ٣: ٩٢ ح١، والمحاسن للبرقي: ٣٠٧ ح٢٢ والنقل بتقطيع، وقريب منه التهذيب للطوسي ١: ٣٨٥ ح٧.

فهو من القرحة[١].

وقد شرح النبيّ صلى الله عليه وآله الحقائق في ما نسبه أهل الكتاب إلى التوراة والإنجيل افتراء منهم، فقالوا: لحم الإبل كان محرّماً في ملّة إبراهيم عليه السلام. فكذّبهم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في ما أنزل تعالى في قوله: ﴿كلّ الطعام كان حلاًّ لبني إسرائيل إلّا ما حرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزّل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾[٢].

وشرح النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قصص الأنبياء بحقائقها في ما أنزل تعالى عليه؛ فقال في (هود) بعد ذكر قصّة نوح: ﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا...﴾[٣]، وشرح خبر ذي القرنين[٤]، وخبر أصحاب الكهف[٥]، إلى غير ذلك.

وكان في الأنصار تيه وتكرّم فيتحرّجون من مؤاكلة الأعمى والأعرج والمريض، ويتحرّجون هم من مؤاكلة الأصحّاء، فسألوا النبيّ صلى الله عليه وآله عن ذلك فنزلت: ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم...﴾[٦]، وتوهّم غير الأصحّاء وجوب الجهاد عليهم كالأصحّاء

---

(١) أخرجه كذلك التهذيب للطوسي ١: ٣٨٥ ح٨، وصاحب فقه الرضا فيه، عنه البحار ٨١: ٩٣، وبه أفتى الفقيه للصدوق ١: ٥٤ والمقنع: ٥ والطوسي في المبسوط ١: ٤٣ والنهاية: ٢٣١، وأخرجه بالعكس أي الحيض من الأيمن والقرحة من الأيسر الكافي للكليني ٣: ٩٤ ح٣، ورواه العلّامة الحلي نقلاً عن تهذيب الطوسي في المختلف ١: ٣٦ والمنتهى ١: ٩٥، وبه أفتى ابن الجنيد كما في المنتهى ١: ٩٥، وللفقهاء بحث حول هذا الحديث.

(٢) آل عمران: ٩٣.

(٣) هود: ٤٩.

(٤) جاءت القصة في سورة الكهف الآيات: ٨٣ ـ ٩٨.

(٥) جاءت القصة في سورة الكهف الآيات: ١٠ ـ ٢٦.

(٦) هذا الشأن تفسير القمي ٢: ١٠٨ عن الباقر عليه السلام والواحدي في أسباب النزول: ٢٢٣ عن ابن عباس، وفي الباب عن غيره، جمع بعض طرقه السيوطي في الدر المنثور ٥: ٥٨ والآية من سورة النور: ٦١.

فنزلت: ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله...﴾[١].

ثمّ لِمَ خصّ ابن أبي الحديد شرح النبيّ صلى الله عليه وآله للحقائق بالتوحيد والعدل من الأُصول؟ ولِمَ لم يذكر المعاد؟ وقد شرحه في كتابه، فقال: ﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم * قل يحييها الّذي أنشأها أوّل مرّة وهو بكلّ خلق عليم﴾[٢].

ولِمَ لم يذكر شرح النبيّ صلى الله عليه وآله للإمامة الّتي هي أهمّ الحقائق إذ بها تكميل الدين، ولو لم يشرحها كأن لم يبلّغ رسالته، كما نصّ على ذلك في الكتاب؟ وقد شرحها في كتابه في قوله تعالى: ﴿إنّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾[٣]، وفي قوله تعالى: ﴿فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثمّ نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾[٤]، وفي قوله تعالى: ﴿...إنّما يريد الله ليُذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾[٥]، وفي قوله صلى الله عليه وآله بعد تقرير الناس بكونه أولى بهم من أنفسهم: من كنت مولاه فهذا علي مولاه؛ اللّهم والِ من والاه وعادِ من عاداه[٦]. وفي قوله صلى الله عليه وآله: أنت منّي يا عليّ بمنزلة هارون من موسى، إلّا أنّه لا

---

(١) أخرجه الطبراني في معجمه عنه الدر المنثور ٦: ٧٣ عن زيد بن ثابت، والآية ١٧ من سورة الفتح وطرفاها يدلّان على ذلك لا حاجة الى الرواية.

(٢) يس: ٧٨ ـ ٧٩.

(٣) المائدة: ٥٥.

(٤) آل عمران: ٦١.

(٥) الأحزاب: ٣٣.

(٦) هذا الحديث المعروف بحديث الولاء وحديث الغدير من الأحاديث المتواترة، أخرجه كثير من أهل الحديث وروي على ما أحصيته عن مائة وعشرين من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله، منهم: علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وابن

نبيّ بعدي[١]. إلى غير ذلك.

«والمختصّ بعقائل» جمع عقيلة، أي: نفائس.

«كراماته» قال تعالى له صلّى الله عليه وآله وسلّم: ﴿ألم نشرح لك صدرك * ووضعنا عنك وزرك * الذي أنقض ظهرك * ورفعنا لك ذكرك﴾[٢]، وقال عزّوجلّ له: ﴿والضّحى * واللّيل إذا سجى * ما ودّعك ربّك وما قلى * وللآخرة خير لك من الأُولى * ولسوف يعطيك ربّك فترضى * ألم يجدك يتيماً فآوى * ووجدك ضالاًّ فهدى * ووجدك عائلاً فأغنى... وأمّا بنعمة ربّك فحدّث﴾[٣]، وقال عزّ اسمه: ﴿سبحان الّذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الّذي باركنا حوله لنريه من آياتنا...﴾[٤]، وقال سبحانه: ﴿وما ينطق عن الهوى * إن هو إلاّ وحيٌ يوحى﴾[٥]، وقد جعل عزّوجلّ ذكره صلّى الله عليه وآله مقروناً بذكره في كلّ يوم خمس مرّات على المنائر، وجعل الشهادة برسالته موصولة بالشّهادة بتوحيده جلّ وعلا على المنائر.

وفي خبر المعراج: أنا المحمود وأنت محمّد شققت اسمك من اسمي، فمن وصلك وصلته، ومن قطعك بتلته؛ انزل إلى عبادي فأخبرهم بكرامتي

عباس والزبير وطلحة وأبو بكر وعمر وعثمان: رواه من طرق كثيرة ابن عساكر في ترجمة علي عليه السلام ٢: ٣٥ ـ ٩٠ ح٥٣٥ ـ ٥٩٢، وجمع بعض طرقه المجلسي في البحار ٣٧: ١٠٨ الباب ٥٢.

(١) هذا الحديث المعروف بحديث المنزلة من الأحاديث المتواترة، أخرجه كثير من أهل الحديث وروي على ما أحصيته عن اثنين وأربعين من أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وآله، منهم: علي وفاطمة والحسن عليهم السلام وابن عباس والزبير وطلحة وأبو بكر وعمر وعثمان؛ رواه من طرق كثيرة ابن عساكر في ترجمة علي عليه السلام ١: ٣٠٦ ـ ٣٩٤ ح٣٣٦ ـ ٤٥٦، وجمع بعض طرقه المجلسي في البحار ٣٧: ٢٥٤ الباب ٥٣.

(٢) الانشراح: ١ ـ ٤.

(٣) الضحى: ١ ـ ١١.

(٤) الإسراء: ١.

(٥) النجم: ٣ ـ ٤.

إيّاك، وإنّي لم أبعث نبيّاً إلّا جعلت له وزيراً، وأنّك رسولي، وأنّ عليّاً وزيرك[١].

«والمصطفى» أي: المختار.

«لكرائم رسالاته» إلى بريّته ﴿ثمّ دنا فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى * فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾[٢]. وقال صلى الله عليه وآله: إنّما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق[٣].

«والموضّحة به» صلى الله عليه وآله.

«أشراط» جمع شَرَط بفتحتين، أي: علائم.

«الهدى» قال ابن الزبعرى فيه صلى الله عليه وآله:

هادي العباد إلى الرشاد وقائد للمؤمنين بضوء نور ثاقب

«والمجلوّ به غربيب» عطف على اشراط، أي: شدائد سواد.

«العمى» فرفع به صلى الله عليه وآله المنكرات والشنائع، فصار الناس به بصيرين؛ وفي الخبر: سأل ابن الكوا أمير المؤمنين عليه السلام عن مسائل، منها: ما الأعمى باللّيل بصير بالنّهار؟ فقال عليه السلام: ذلك رجل جحد الأنبياء الّذين مضوا، ثمّ أدرك النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فآمن به، فعمي باللّيل وأبصر بالنّهار[٤].

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب ١: ١٧٩.

(٢) النجم: ٨ ـ ١٠.

(٣) رواه المناوي في كنوز الحقائق ١: ٧٦، والطبرسي في مكارم الأخلاق: ٨، والبخاري في الأدب، والحاكم في المستدرك، والبيهقي في الشعب عنهم الجامع الصغير ١: ١٠٣، وأبو جعفر الطوسي في أماليه ٢: ٢٠٩ المجلس ٨ وغيرهم.

(٤) أخرجه الطبرسي في الاحتجاج: ٢٢٩، ومحمد بن علي بن إبراهيم في عجائب الأحكام: ١٠٦ ح ١٧٤، ضمن الحديث.

١٤
الخطبة (١٧١)

ومن خطبة له عليه السلام:

أَمِينُ وَحْيِهِ، وَخَاتَمُ رُسُلِهِ، وَبَشِيرُ رَحْمَتِهِ، وَنَذِيرُ نِقْمَتِهِ

«أمين وحيه» قال حسّان فيه صلى الله عليه وآله وسلم:

أمين الله شيمته الوفاء

وقال عمّه أبو طالب فيه:

أنت الأمين أمين الله لا كذب ... والصّادق القول لا لهوٌ ولا لعب

أنت الرّسول رسول الله نعلمه ... عليك ينزل من ذي العزّة الكتب

«وخاتم رسله» قال تعالى: ﴿...ولكنْ رسول الله وخاتم النبييّن...﴾[1].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم لأمير المؤمنين عليه السلام: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي[2]. وهو من الأخبار المتواترة.

وحلاله حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة، فمن ادّعى بعده نبوّة، أو أتى بعد كتابه بكتاب، أو جاء بعد سنّته بسنّة، فكافر ودمه مباح؛ ومع ذلك فقد قال فاروقهم: متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا أُحرّمهما وأُعاقب عليهما[3]. وزاد هو وصدّيقهم على سنّة خاتم الرسل سنناً أثبتها التاريخ، ولما قال أمينهم ابن عوف لأمير المؤمنين عليه السلام يوم الدار: أُبايعك على سنّة أبي بكر وعمر أنكر عليه السلام ذلك[4]. ورضي بغصب حقّه الّذي

---

(١) الأحزاب: ٤٠.

(٢) هذا الحديث المتواتر المعروف بحديث المنزلة مرّ تخريجه في العنوان ١٣ من هذا الفصل.

(٣) أخرجه الطحاوي في معاني الآثار، وأبو صالح في نسخته عنهما منتخب كنزالعمال ٦: ٤٠٤، ورواه أبوالقاسم الكوفي في الاستغاثة: ٤٤ بلفظ: «أنا أنهى عنهما وأُعاقب عليهما» وأمّا لفظ الكتاب فرواه ابن عطية في المؤتمر: ٤٩.

(٤) تاريخ الطبري ٣: ٣٠١ سنة ٢٣، والإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ٢٦، وتاريخ اليعقوبي ٢: ١٦٢ وغيرهم.

كان يشكو دائماً منه دلالة على بطلان سنّتهما، وقبلَه ذو نوريهم، وزاد في إيقاد نيرانهما بما أدّى إلى إحراقه، وكذلك أنكر عليه السلام سنّتهما لمّا عرض الخثعمي عند قيام الخوارج عليه ذلك في بيعة الناس الثانية إتماماً للحجّة(١).

«وبشير رحمته» ﴿...وبشّر الّذين آمنوا أنّ لهم قدم صدق عند ربّهم...﴾(٢).

«ونذير نقمته» ﴿وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع﴾(٣)، ﴿وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الّذين ظلموا ربّنا أخّرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتّبع الرسل أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال﴾(٤)، ﴿فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾(٥)، ﴿إنّما تنذر من اتّبع الذّكر وخشي الرحمن بالغيب فبشّره بمغفرة وأجر كريم﴾(٦)، ﴿إنّا أنذرناكم عذاباً قريباً يوم ينظر المرء ما قدّمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً﴾(٧).

١٥
من الخطبة (١٨٨)

ومن خطبة له عليه السلام:

أَحْمَدُهُ شُكْراً لإِنْعَامِهِ، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى وَظَائِفِ حُقُوقِهِ، عَزِيزُ الْجُنْدِ،

---

(١) الامامة والسياسة لليعقوبي ١: ١٤٦.

(٢) يونس: ٢.

(٣) غافر: ١٨.

(٤) إبراهيم: ٤٤.

(٥) فصلت: ١٣.

(٦) يس: ١١.

(٧) النبأ: ٤٠.

عَظِيمُ ٱلْمَجْدِ . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، دَعَا إِلَى طَاعَتِهِ، وَقَاهَرَ أَعْدَاءَهُ، جِهَاداً عَلى دِينِهِ، لَا يَثْنِيهِ عَنْ ذٰلِكَ ٱجْتِماعٌ عَلَى تَكْذِيبِهِ، وَٱلْتِماسٌ لِإِطْفَاءِ نُورِهِ .

«أحمده شكراً لإنعامه» فإنّ شكر المنعم من الموجبات العقلية.

«وأستعينه على وظائف حقوقه» فلا حول ولا قوّة إلّا بالله، فلابدّ من الاستعانة به حتّى في اداء حقوقه.

«عزيز الجند» ﴿وإنّ جندنا لهم الغالبون﴾[1]، ﴿...إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها...﴾[2].

«عظيم المجد» ﴿ذو العرش المجيد * فعّال لما يريد﴾[3].

«وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله» أشرف رسله.

«دعا إلى طاعته» صعد النبيّ ﷺ في أوّل بعثته الصفا وقال: يا صباحاه! فاجتمعت إليه قريش، فقالوا: مالك؟ قال: أرأيتكم أن أخبرتكم أنّ العدوّ مصبحكم أو ممسيكم، ما كنتم تصدّقونني؟ قالوا: بلى. قال: فإنّي نذير لكم بين يدي عذاب شديد[4].

«وقاهَرَ أعداءه جهاداً» في بدر وأُحد، وغيرهما.

«على دينه» هكذا في (المصرية)، والصواب: (عن دينه) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية)[5]. قالوا: نزل جبرئيل بعد سبعة أشهر من

---

(١) الصافات: ١٧٣.

(٢) الأحزاب: ٩.

(٣) البروج: ١٥ ـ ١٦.

(٤) الطبقات لابن سعد ١ ق١: ١٣٣، وتاريخ الطبري ٢: ٦٢، وسعيد بن منصور وابن مردويه وابن المنذر وابن أبي حاتم عنهم الدر المنثور ٥: ٩٦، ورواه ابن شهر آشوب في مناقبه ١: ٤٦، والطبرسي في مجمع البيان ٧: ٢٠٦. وقد مرّ في العنوان ٦ من هذا الفصل.

(٥) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢١٨، لكن في شرح ابن ميثم ٤: ٢٠١ «على» أيضاً.

هجرته، وقلّد في عنقه سيفاً لا غمد له، وقال له: حارب بهذا قومك حتّى يقولوا: لا إله إلّا الله[١].

«لا يثنيه» أي: لا يدفعه.

«عن ذلك» أي: الجهاد في الدين.

«اجتماع على تكذيبه والتماس لإطفاء نوره» قالوا: جاءت قريش إليه صلّى الله عليه وآله وقالوا: شتمت آلهتنا، وسفّهت أحلامنا، وفرّقت جماعتنا، فإن طلبت مالاً أعطيناك، أو الشرف سوّدناك، أو كان بك علّة داويناك. فقال لهم النبيّ صلّى الله عليه وآله: ليس شيء من ذلك، بل بعثني الله إليكم رسولاً، وأنزل عليكم كتاباً، فإن قبلتم ما جئت به فهو حظّكم في الدّنيا والآخرة، وإن تردّوه أصبر حتّى يحكم الله بيننا. فقالوا لعمّه أبي طالب: قل له: يكف عن سبّ آلهتنا أو ننازله في ذلك حتّى يهلك أحد الفريقين. قال: يا عمّاه لو وضعت الشمس في يميني والقمر في شمالي، ما تركت هذا القول حتّى أنفذه أو أُقتل دونه[٢].

١٦
من الخطبة (١٨٩)

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ٱبْتَعَثَهُ وَٱلنَّاسُ يَضْرِبُونَ فِي غَمْرَةٍ، وَيَمُوجُونَ فِي حَيْرَةٍ، قَدْ قَادَتْهُمْ أَزِمَّةُ ٱلْحِينِ، وَٱسْتَغْلَقَتْ عَلَى أَفْئِدَتِهِمْ أَقْفَالُ ٱلرَّيْنِ.

«وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله» ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدّين كلّه ولو كره المشركون﴾[٣].

---

(١) رواه ابن شهر آشوب في مناقبه ١: ١٨٦.

(٢) سيرة لابن هشام ١: ٢٤٠، وتاريخ الطبري ٢: ٦٧ وغيرهما.

(٣) التوبة: ٣٣.

«ابتعثه» بالرسالة.

«والنّاس يضربون في غمرة» أي: شدّة؛ قال ذو الرّمة:

ليالي اللّهو يطبيني فاتبعه كأنّني ضارب في غمرة لعب[١]

«ويموجون في حيرة» ولا يعرفون سبيلاً للنجاة.

«قد قادتهم أزمّة الحَيْن» بالفتح، أي: الهلاك؛ قال تعالى: ﴿...وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها...﴾[٢].

«واستغلقت على أفئدتهم أقفال الرينَ» أي: الطبع والختم؛ قال تعالى: ﴿كلّا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾[٣]، ﴿...ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لستَ مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدُّنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمنّ الله عليكم...﴾[٤].

في (سيرة ابن هشام) عن ابن عبّاس دخل النبيّ ﷺ مكّة يوم الفتح على راحلته فطاف عليها، وحول البيت أصنام مشدودة بالرصاص، فجعل النبيّ ﷺ يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول: ﴿...جاء الحق وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً﴾[٥]، فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلّا وقع لقفاه، ولا أشار إلى قفاه إلّا وقع لوجهه، حتّى ما بقي منها صنم إلّا وقع؛ فقال تميم بن أسد الخزاعي في ذلك:

وفي الأصنام معتبر وعلم لمن يرجو الثواب أو العقابا[٦]

---

(١) لسان العرب ١٥: ٣ مادة (طبا).

(٢) آل عمران: ١٠٣.

(٣) المطففين: ١٤.

(٤) النساء: ٩٤.

(٥) الإسراء: ٨١.

(٦) سيرة ابن هشام ٤: ٤٤.

وفيه: وحدّثني بعض أهل العلم أنّ النبيّ ﷺ دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم، فرأى إبراهيم عليه السلام مصوّراً في يده الأزلام يستقسم بها، فقال: قاتلهم الله جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام، ما شأن إبراهيم بالأزلام ﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين﴾[١]، ثمّ أمر بتلك الصّور كلّها فطمست[٢].

وفي (صحيح مسلم) عن ابن عبّاس كانوا يرون أنّ العمرة في أشهر الحجّ من أفجر الفجور في الأرض، ويجعلون المحرّم صفر، ويقولون: إذا برأ الدبر، وعفا الأثر، وانسلخ صفر، حلّت العمرة لمن اعتمر. فقدم النبيّ ﷺ وأصحابه صبيحة رابعة مهلّين بالحجّ، فأمرهم أن يجعلوها عمرة، فتعاظم ذلك عندهم فقالوا: يا رسول الله أيّ الحلّ؟ قال: الحلّ كلّه[٣].

١٧
من الخطبة (١٨٣)

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ٱلصَّفِيُّ ، وَأَمِينُهُ ٱلرَّضِيُّ ، صَلَّي ٱللّه عَلَيْهِ وَآلِهِ ، أَرْسَلَهُ بِوُجُوبِ ٱلْحُجَجِ ، وَظُهُورِ ٱلْفَلَجِ ، وَإِيضَاحِ ٱلْمَنْهَجِ ، فَبَلَّغَ ٱلرِّسَالَةَ صَادِعاً بِهَا ، وَحَمَلَ عَلَى ٱلْمَحَجَّةِ دَالاًّ عَلَيْهَا ، وَأَقَامَ أَعْلَامَ الِاهْتِدَاءِ ، وَمَنَارَ ٱلضِّيَاءِ ، وَجَعَلَ أَمْرَاسَ ٱلْإِسْلامِ مَتِينَةً ، وَعُرَا ٱلْإِيمَانِ وَثِيقَةً .

«وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله الصفي» أي: المصطفى؛ قال السروي: في الحساب سيّد النبيّين ﷺ، وزنه المصطفى محمّد رسول الله، لأنّ عدد كلّ

---

(١) آل عمران: ٦٧.

(٢) سيرة ابن هشام ٤: ٤١.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ٢: ٩٠٩ ح١٩٨، وجمع سائر طرق أصحاب الصحاح وألفاظهم ابن الأثير في جامع الأصول ٣: ٤٧٤ ح١٤١٤.

واحد منهما استويا في سبعمائة وأربعة عشر[١].

«وأمينه الرضي صلّى الله عليه» قال تعالى: ﴿والضّحى * واللّيل إذا سجى * ما ودّعك ربّك وما قلى * وللآخرة خير لك من الأُولى * ولسوف يعطيك ربّك فترضى * ... وأمّا بنعمة ربّك فحدّث﴾[٢].

وروى الخطيب في محمّد بن أحمد بن الفرج عن أنس قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: من كرامتي أنّي ولدت مختوناً، ولم يرَ أحد سوأتي[٣].

وفي (دعاء فطر الصحيفة الثانية): وقلت جلّ قولك حين اختصصته بما سمّيته من الأسماء: ﴿طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾[٤]، وقلت جلّ قولك ﴿يس * والقرآن الحكيم﴾[٥]، وقلت تقدّست أسماؤك ﴿ص والقرآن ذي الذكر﴾[٦]، وقلت عظمت آلاؤك ﴿ق والقرآن المجيد﴾[٧]، فخصصته أن جعلته قسمك حين أسميته، وقرنت القرآن به، فما في كتابك من شاهد قسم والقرآن مردفه إلّا وهو اسمه، وذلك شرف شرّفته به، وفضل بعثته إليه[٨].

والمفهوم من كلام السّجاد عليه السلام هذا أنّ الفواتح الّتي بعدها لفظ القرآن كقوله تعالى: ﴿طه * ما أنزلنا عليك القرآن﴾، ﴿يس * والقرآن﴾،

---

(١) قاله ابن شهر آشوب السروي في مناقبه ١: ٢٣٣، أمّا على حساب الأبجد فلفظ «المصطفى محمّد رسول الله» يساوي العدد ٧١٤ لكن لفظ «سيد النبيّين صلى الله عليه وآله» يساوي العدد ٥٨٠ وإذا أُلحقنا عليه «وسلم» يبلغ العدد ٧١٦.

(٢) الضحى: ١ ـ ١١.

(٣) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ١: ٣٢٩.

(٤) طه: ١ ـ ٢.

(٥) يس: ١ ـ ٢.

(٦) ص: ١.

(٧) ق: ١.

(٨) الأمثال لابن طاووس، والاختيار لابن باقي، وصاحب جنّة الأمان فيه عنهم البحار ٩١: ٨ ح٣، والبلد الأمين للكفعمي: ٢٣٨ عن السجاد عليه السلام.

﴿ص والقرآن﴾، ﴿ق والقرآن﴾ كلّها أسماء للنبيّ صلى الله عليه وآله أقسم الله تعالى به أوّلاً ثمّ بكتابه، ويكفيه صلى الله عليه وآله ذلك شرفاً ونبلاً، واصطفاءً وارتضاءً.

«أرسله بوجوب الحجج» في الخبر: أنّ قريشاً نهوا طفيل بن عمرو عن قرب النبيّ صلى الله عليه وآله فدخل المسجد محشوّاً أُذنيه بكرسف لكيلا يسمع صوته، فكان يسمع فأسلم، وقال:

يحذّرني محمّدها قريش وما أنا بالهيوب لدى الخصام
فقام إلى المقام وقمت منه بعيداً حيث أنحو من ملام
وأسمعت الهدى وسمعت قولاً كريماً ليس من سجع الأنام
وصدّقت الرسول وهان قوم عليّ رموه بالبهت العظام

ثمّ قال: يا رسول الله إنّي امرؤ مطاع في قومي، فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً على ما أدعوهم إلى الاسلام. فقال: اللّهم اجعل له آية. فانصرف إلى قومه إذ رأى نوراً في طرف سوطه كالقنديل، فأنشأ:

ألا أبلغ لديك بني لؤي على الشّنآن والغضب المردّ
بأنّ الله ربّ الناس فرد تعالى جدّه عن كلّ جدّ
وأنّ محمّداً عبدٌ رسول دليل هدى وموضع كلّ رشد
رأيت له دلائلَ أنبأتني بأنّ سبيله للفضل يهدي[1]

«وظهور الفلج» أي: الغلبة على الخصوم.

«وإيضاح المنهج» أي: الطريق؛ في الخبر: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يقول: ﴿...جاء الحقّ وزهق الباطل...﴾[2] ويرمي كفّاً من حصى، فتتكبّ الأصنام لوجهها، فيقول أهل مكّة: ما رأينا أسحر من محمّد[3].

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب ١: ١١٨.

(٢) الإسراء: ٨١.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ١: ١٢٠.

«فبلّغ الرسالة» من ربّه إلى عباده.

«صادعاً بها» أي: مظهراً بها، كما أمره ربّه في قوله: ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾[١].

قال السروي: لمّا قالت قريش: إنّه ساحر. علمنا أنّه قد أراهم ما لم يقدروا على مثله، وقالوا: هذا مجنون. لما هجم منه على شيء لم يفكّر في عاقبته منهم، وقالوا: هو كاهن. لأنّه أنبأ بالغائبات، وقالوا: معلّم. لأنّه قد أنبأهم بما يكتمونه من أسرارهم؛ فثبت صدقه من حيث قصدوا تكذيبه[٢].

«وحمل على المحجّة» أي: الجادّة.

«دالاً عليها» ﴿وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه ولا تتّبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله...﴾[٣].

قال الجزري: لمّا كان من أمر أصحاب الفيل ما ذكرناه عظمت قريش عند العرب، فقالوا لهم: أهل الله وقطنه يحامي عنهم. فاجتمعت قريش بينها، وقالوا: نحن بنو إبراهيم عليه السلام وأهل الحرم، وولاة البيت، وقاطنوا مكّة فليس لأحد من العرب مثل منزلتنا، ولا يعرف العرب لأحد مثل ما يعرف لنا، فهلمّوا فلنتّفق على ائتلاف أنّنا لا نعظّم شيئاً من الحلّ كما يعظّم الحرم، فانّنا إذا فعلنا ذلك استخفّت العرب بنا وبحرمنا. وقالوا: قد عظّمت قريش من الحلّ مثل ما عظّمت من الحرم. فتركوا الوقوف بعرفة، والإفاضة منها، وهم يعرفون ويقرّون أنّها من المشاعر والحجّ ودين إبراهيم عليه السلام، ويرى سائر العرب أن يقفوا عليها، وأن يفيضوا منها، وقالوا: نحن أهل الحرم فلا نعظّم غيره ونحن

---

(١) الحجر: ٩٤.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ١: ١٢٣.

(٣) الأنعام: ١٥٣.

الحمس ـ وأصل الحماسة: الشدّة ـ أنّهم تشدّدوا في دينهم، وجعلوا لمن ولد واحدة من نسائهم من العرب ساكني الحلّ مثل مالهم بولادتهم، ودخل معهم في ذلك كنانة وخزاعة وعامر، لولادة لهم. ثمّ ابتدعوا فقالوا: لا ينبغي للحمس أن يعملوا الأقط، ولا يسلؤوا السمن وهم حرم، ولا يدخلوا بيتاً من شعر، ولا يستظلّوا إلّا في بيوت الأدم ما كانوا حرماً. وقالوا: ولا ينبغي لأهل الحلّ أن يأكلوا من طعام جاؤوا به معهم من الحلّ في الحرم، إذا جاؤوا حجّاجاً أو عمّاراً، ولا يطوفون بالبيت طوافهم إذا قدموا إلّا في ثياب الحمس، فإن لم يجدوا طافوا بالبيت عراة، فإن أنف أحد من عظمائهم أن يطوف عرياناً ـ إذا لم يجد ثياب الحمس ـ فطاف في ثيابه ألقاها إذا فرغ من الطواف، ولا يمسّها هو ولا أحد غيره، وكانوا يسمّونها اللقى. فدانت العرب لهم بذلك، فكانوا يطوفون كما شرعوا لهم، ويتركون أزوادهم التي جاؤوا بها من الحلّ، ويشترون من طعام الحرم ويأكلونه.

هذا في الرجال، وأمّا النساء، فكانت تضع ثيابها كلّها إلّا درعها مفرّجاً، ثمّ تطوف فيه وتقول:

اليوم يبدو بعضه أو كلّه وما بدا منه فلا أحلّه

فكانوا كذلك حتّى بعث الله محمّداً صلى الله عليه وآله فنسخه، فأفاض من عرفات، وطاف الحجّاج بالثياب الّتي معهم من الحلّ، وأكلوا من طعام الحلّ في الحرم أيّام الحجّ، وأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿ثمّ أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إنّ الله غفور رحيم﴾[1] أراد بالناس العرب، وأمر قريشاً أن يفيضوا من عرفات، وأنزل الله تعالى في اللباس والطّعام الّذي من الحلّ وتركهم إيّاه في الحرم: ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كلّ مسجد وكلوا

---

(١) البقرة: ١٩٩.

واشربوا... لقوم يعلمون﴾[١].

وفي خبر عن أمير المؤمنين عليه السلام: أمرني النبيّ صلى الله عليه وآله عن الله تعالى أنّه لا يطوف بالبيت عريان، ولا يقرب المسجد الحرام مشرك[٢].

«وأقام أعلام الاهتداء ومنار الضياء» ﴿...اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً...﴾[٣].

«وجعل أمراس» أي: حبال.

«الإسلام متينة» أي: محكمة صلبة.

«وعرى» جمع عروة.

«الإيمان وثيقة» أي: مستحكمة؛ ﴿...فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها...﴾[٤].

قال السروي: ومن أوضح الدلالات على نبوته صلى الله عليه وآله استيقان كافّتهم بحدوده، وتمكّن موجباتها في غوامض صدورهم، حتّى إنّهم يشتمون بالفسوق من خرج عن حدّ من حدوده، وبالجهل من لم يعرفه، وبالكفر من أعرض عنه، ويقيمون الحدود، ويحكمون بالقتل والضرب والأسر لمن خرج عن شريعته، ويتبرأ الأقارب بعضهم من بعض في محبّته، وأنّه بقي في نبوّته نيفاً وعشرين سنة بين ظهراني قوم ما يملك من الأرض إلّا جزيرة العرب،

---

(١) رواه ابن الأثير الجزري في الكامل ١: ٤٥١، والآيتان (٣١ ـ ٣٢) من سورة الأعراف.

(٢) جاء هذا المعنى في ضمن حديث تبليغ علي عليه السلام البراءة؛ أخرجه الترمذي في سننه ٥: ٢٧٥ ح٣٠٩١، والحاكم وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عنهم الدر المنثور ٣: ٢١٠، وغيرهم عن ابن عباس، وأخرجه أحمد في مسنده ١: ٣، وأبو يعلى في مسنده عنه الكاف الشاف ٢: ٢٤٣، وابن خزيمة وأبو عوانة والدارقطني في الافراد عنهم منتخب كنز العمال ١: ٤٤٤، وابن عساكر في ترجمة علي عليه السلام ٢: ٣٨٣ ح٨٨٩ وغيرهم عن أبي بكر، وفي الباب عن علي والباقر عليهما السلام وأبي سعيد وأبي هريرة وعروة وغيرهم.

(٣) المائدة: ٣.

(٤) البقرة: ٢٥٦.

فاتّسقت دعوته برّاً وبحراً منذ خمسمائة وسبعين سنة مقروناً باسم ربّه، ينادى بأقصى الصين والهند والترك والخزر والصقالبة والشرق والغرب والجنوب والشمال في كلّ يوم خمس مرّات بالشهادتين بأعلى صوت بلا أُجرة، وخضعت الجبابرة لها ولا تبقى لملك نوبته بعد موته... ومن تمام قوّته أنّها تجذب العالم من أدنى الأرض وأقصى أطرافها في كلّ عام إلى الحجّ حتّى تخرج العذراء من خدرها، والعجوز في ضعفها، ومن حضرته وفاته يوصي بأدائه، وقد نرى الصائم في شهر رمضان يتلهب عطشاً حتّى يخوض الماء إلى حلقه، ولا يستطيع أن يجرع منه جرعة، وكلّ يوم خمس مرّات يسجدون خوفاً وتضرّعاً[١].

وعن (التوراة) في وصفه صلى الله عليه وآله وسلم: «يضع سيفه على عاتقه ولا يبالي من لاقى، يبلغ سلطانه منقطع الخفّ والحافر»[٢].

١٨
من الخطبة (١٩٣)

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلهَ إِلَّا ٱللَّهُ، شَهَادَةَ إِيمَانٍ وَإِيقَانٍ، وَإِخْلَاصٍ وَإِذْعَانٍ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ وَأَعْلَامُ ٱلْهُدَى دَارِسَةٌ، وَمَنَاهِجُ الدِّينِ طَامِسَةٌ، فَصَدَعَ بِالْحَقِّ، وَنَصَحَ لِلْخَلْقِ، وَهَدَى إِلَى الرُّشْدِ، وَأَمَرَ بِالْقَصْدِ، صَلَّى ٱللّٰه عَلَيْهِ وَآلِهِ.

«وأشهد أن لا إله إلّا الله شهادة إيمان» بالقلب لا مجرّد إظهار لسان.

«وإيقان» لا عن شكّ.

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب السروي ١: ١٢٧.

(٢) كمال الدين للصدوق: ١٩٨ ح ٤٠ عن ابن عباس عن النبيّ صلى الله عليه وآله عن وصية ابن حواس الحبر، ولم يصرح بكونه من التوراة.

«وإخلاص» لا ليرى الناس.

«وإذعان» أي: خضوع وتذلل.

«وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله» بالحقّ.

«أرسله» ربّه.

«وأعلام» أي: علائم.

«الهدى» إلى صراط الله.

«دارسة» أي: مندرسة.

«ومناهج» أي: طرق.

«الدين طامسة» أي: ممحوّة؛ قال السروي: في زبور داود: اللّهم ابعث مقيم السنة بعد الفترة[١].

وروى عن محمّد بن إسحاق: أنّ زيد بن عمرو بن نفيل ضرب في الأرض يطلب الدين الحنيف، فقال له راهب بالشام: إنّك لتسأل عن دين ذهب من كان يعرفه، ولكنّك قد أظلّك خروج نبيّ يأتي ملّة إبراهيم الحنيفية، وهذا زمانه[٢].

«فصدع» أي: أعلن.

«بالحق» كما أمر، وعن الصادق عليه السلام: اكتتم النبيّ صلى الله عليه وآله بمكّة مختفياً خائفاً خمس سنين ليس يظهر أمره، وعليّ عليه السلام معه وخديجة، ثمّ أمره الله أن يصدع بما أُمر به، فظهر رسول الله وأظهر أمره[٣].

«ونصح للخلق» بما هو سعادتهم في دنياهم وعقباهم.

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب السروي ١: ١٤، وكنز الفوائد للكراجكي: ٩١ بفرق يسير، والخرائج للراوندي ١: ٦٦.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ١: ١٤، والسيرة لابن هشام ١: ٢١٤، والطبقات لابن سعد ١ ق١: ١٠٦، والخرائج للراوندي ١: ١٢٧.

(٣) كمال الدين للصدوق: ٣٤٤ ح٢٨، والغيبة للطوسي: ٢٠١.

«وهدى إلى الرشد» ﴿...قد تبيّن الرشد من الغيّ...﴾[١].

«وأمر بالقصد» أي: العدل، قال شاعر:

على الحكَم المأتيّ يوماً إذا قضى قضيّته ألّا يجور ويقصد[٢]

﴿الّذين يتّبعون الرسول النبيّ الأُمّي الّذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحلّ لهم الطيّبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالّذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتّبعوا النور الّذي أُنزل معه أُولئك هم المفلحون﴾[٣].

«صلّى الله عليه وآله» ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها...﴾[٤]، ﴿...إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾[٥].

١٩
الخطبة (١٩٤)

ومن خطبة له عليه السلام:

بَعَثَهُ حِينَ لا عَلَمٌ قائِمٌ، وَلاَ مَنارٌ ساطِعٌ، وَلاَ مَنْهَجٌ واضِحٌ.

«بعثه حين لا علم» أي: معلماً للطريق.

«قائم» لم ينف عليه السلام المعلم رأساً، بل مع كونه قائماً، حيث إنّه لم يخلُ زمان من حجّة لئلّا يكون للناس في وقت على الله حجّة، وكذا الكلام في الآيتين.

---

(١) البقرة: ٢٥٦.

(٢) لسان العرب ٣: ٣٥٣ مادة (قصد).

(٣) الأعراف: ١٥٧.

(٤) طه: ١٣٢.

(٥) الأحزاب: ٣٣.

«ولا منار» قال الجوهري: المنار: علم الطريق، وذو المنار ملك من ملوك اليمن اسمه ابرهة بن الحارث الايش، وإنّما قيل له: ذو المنار، لأنّه أوّل من ضرب المنار على طريقه في مغازيه ليهتدي بها إذا رجع(١).

«ساطع» أي: مرتفع.

«ولا منهج» أي: طريق.

«واضح» مستبين؛ قال:

ولقد أضاء لك الطريق وأنهجت   سبل المكارم والهدى تعدى(٢)

٢٠
من الخطبة (١٩٦)

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً نَجِيبُ اللهِ، وَسَفِيرُ وَحْيِهِ وَرَسُولُ رَحْمَتِهِ.

«وأشهد أن محمّداً نجيب الله» أي: كريمه ونفيسه.

«وسفير» قال الجوهري: السفير الرّسول والمصلح بين القوم(٣).

«وحيه» ﴿وما ينطق عن الهوى * إن هو إلّا وحيٌ يوحى﴾(٤).

«ورسول رحمته» ﴿وما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين﴾(٥).

قال السروي: النبيّ صلى الله عليه وآله صبر في ذات الله، وأعذر قومه إذ كُذّب في ذات الله وشُرّد وحصب بالحصاة وعلاه أبو جهل بسلا شاة، فأوحى الله إلى جاجائيل ملك الجبال أن شقّ الجبال وانتهِ إلى أمر محمّد، فأتاه فقال له: قد أُمرت لك بالطاعة، فإن أمرت أطبقت عليهم الجبال فأهلكتهم بها. قال: إنّما

---

(١) صحاح اللغة للجوهري ٢: ٨٣٩، مادة (نور).

(٢) لسان العرب ٢: ٣٨٣ مادة (نهج)، والشاعر: يزيد العبدي.

(٣) صحاح اللغة للجوهري ٢: ٦٨٦ مادة (سفر).

(٤) النجم: ٣ ـ ٤.

(٥) الأنبياء: ١٠٧.

بعثت رحمة، اللّهم اهدِ قومي فانّهم لا يعلمون[١].

٢١
من الخطبة (١٩٦)

بعد وصف الإسلام:

ثُمَّ إِنَّ ٱللّهَ بَعَثَ مُحَمَّداً صَلَّى ٱللّه عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْحَقِّ، حِينَ دَنَا مِنَ ٱلدُّنْيَا الانْقِطَاعُ، وَأَقْبَلَ مِنَ الآخِرَةِ الاطِّلَاعُ، وأَظلمَت بَهْجَتُهَا. بَعْدَ إِشْرَاقٍ، وَقَامَتْ بِأَهْلِهَا عَلَى سَاقٍ، وَخَشُنَ مِنْهَا مِهَادٌ، وَأَزِفَ مِنْهَا قِيَادٌ، فِي ٱنْقِطَاعٍ مِنْ مُدَّتِهَا، وَٱقْتِرَابٍ مِنْ أَشْرَاطِهَا وَتَصَرُّمٍ مِنْ أَهْلِهَا، وَٱنْفِصَامٍ مِنْ حَلْقَتِهَا، وَٱنْتِشَارٍ مِنْ سَبَبِهَا، وَعَفَاءٍ مِنْ أَعْلَامِهَا، وَتَكَشُّفٍ مِنْ عَوْرَاتِهَا، وَقِصَرٍ مِنْ طُولِهَا. جَعَلَهُ ٱللّهُ سُبْحَانَهُ بَلَاغاً لِرِسَالَتِهِ، وَكَرَامَةً لِأُمَّتِهِ، وَرَبِيعاً لِأَهْلِ زَمَانِهِ، وَرِفْعَةً لِأَعْوَانِهِ، وَشَرَفاً لِأَنْصَارِهِ.

«ثمّ إنّ الله بعث محمّداً صلى الله عليه وآله بالحقّ حين دنا من الدّنيا الانقطاع» أي: قرب الانقطاع والفناء؛ قالوا: من ألقاب النبيّ صلى الله عليه وآله: العاقب والحاشر، لأنّه يحشر الناس على عقبه[٢].

وقالوا: كانت اليهود إذا أصابتهم شدّة من الكفّار يقولون: اللّهم انصرنا بالنبيّ المبعوث في آخر الزمان الّذي نجد نعته في التوراة. وإن كانوا كفروا به لمّا جاءهم[٣].

«وأقبل من الآخرة الاطّلاع» أي: الإشراف؛ قال الجوهري: المطّلع موضع الاطلاع من إشراف إلى انحدار، وفي الحديث: من هول المطّلع. شبّه ما أشرف

---

(١) رواه ابن شهر آشوب السروي في مناقبه ١: ٢١٥.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ١: ١٥١، وفي النقل خلط، هذا لفظه: «العاقب وهو الذي يعقب الأنبياء» ثم قال: «الحاشر الّذي يحشر الناس على قدميه».

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ١: ٥١ وعدّة أُخرى جمع بعض طرقه السيوطي في الدر المنثور ١: ٨٧، ٨٨.

عليه من أمر الآخرة بذلك[1].

يشهد لما قاله عليه السلام من دنوّ اطّلاع الآخرة قوله تعالى: ﴿اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿اقتربت الساعة وانشقّ القمر﴾[3].

«**وأظلمت بهجتها**» أي: حسنها ومسرّتها؛ قال:

كان الشباب رداءً قد بهجت به فقد تطاير منه للبلى خرق[4]

«**بعد إشراق**» أي: إنارة.

«**وقامت بأهلها على ساق**» أي: أقامهم على ساق واحدة،وهو كناية عن الشدّة؛ ومن كلامه عليه السلام أيضاً: «حتّى تقوم الحرب بكم على ساق»[5].

«**وخشن منها مهاد**» أي: صار ذا خشونة ما، كان منها ذو لينة.

«**وأزف**» أي: قرب.

«**منها قياد**» هكذا في النسخ[6]، والظاهر كون (قياد) فيها مصحّف (نفاد)، فإنّها لا معنى لقرب الانقياد من الدنيا في المقام، بل قرب النفاد والزوال، وبعدما قلنا لا تحتاج إلى تكلّف ابن أبي الحديد[7]، بأنّ المراد: قرب انقيادها إلى الزّوال، فإنّه تأويل لا يحتمله اللفظ.

«**في انقطاع من مدّتها**» بانقضائها، والظرف متعلّق بقوله عليه السلام: «حين دنا

---

(١) صحاح اللغة للجوهري ٣: ١٢٥٤ مادة (طلع) والحديث نقله وشرحه ابن الأثير في النهاية ٣: ١٣٢ مادة (طلع).

(٢) الأنبياء: ١.

(٣) القمر: ١.

(٤) لسان العرب ٢: ٢١٦ مادة (بهج).

(٥) نهج البلاغة للشريف الرضي ٢: ٢١ ضمن الخطبة ١٣٦.

(٦) كذا في نهج البلاغة ٢: ١٧٦، وشرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٤٦، وشرح ابن ميثم ٣: ٤٤٥.

(٧) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٤٨ والنقل بالمعنى.

من الدنيا الانقطاع».

«واقتراب من أشراطها» أي: علائم الآخرة، لأنّه متعلّق «وأقبل من الآخرة الاطّلاع» على اللفّ والنشر المرتّب؛ قال في (الأساس): طلع الشرطان: قرنا الحمل، وذلك في أوّل الربيع، ثم قال: ومن ثمّ قيل لأوائل كلّ شيء يقع: أشراطه، ومنه أشراط الساعة[١].

وبعدما قلنا يظهر لك ما في قول ابن أبي الحديد، أضاف عليه السلام الأشراط، وهي علامات الساعة إلى الدّنيا لأنّها في الدّنيا تحدث، وإن كانت علامات للآخرة[٢].

«وتصرّم» أي: تقطّع.

«من أهلها، وانفصام» أي: انكسار؛ قال الجوهري: فصم الشيء: كسره من غير أن يبيّن[٣].

«من حلقتها» تصرّم من أهلها وانفصام من حلقتها متعلّقان بقوله عليه السلام: «وأظلمت بهجتها بعد إشراق» لكون مضمونها واحداً.

«وانتشار من سببها» قال الجوهري: السّبب: الحبل، والسّبب أيضاً كلّ شيء يتوصّل به إلى غيره[٤].

«وعفاء» أي: اندراس.

«من أعلامها» أي: علائمها، و (وانتشار) و (عفاء) متعلّقان بقوله: «وقامت بأهلها على ساق».

«وتكشّف من عوراتها» قال الجوهري: العورة: سوأة الإنسان، وكلّ ما

---

(١) أساس البلاغة للزمخشري: ٢٣٣ مادة (شرط).

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٤٨ والنقل بالمعنى.

(٣) صحاح اللغة للجوهري ٥: ٢٠٠٢ مادة (فصم).

(٤) صحاح اللغة للجوهري ١: ١٤٥ مادة (سبب).

يُستحيى منه، وكلّ خلل يتخوف منه في ثغر أو حرب[1]. قال عليه السلام ذلك لأنّ الواجب ستر العورة وسدّها، ثمّ (وتكشف) متعلّق بقوله: «وخشن منها مهاد».

«وقصر من طولها» متعلّق بقوله عليه السلام: «أزف منها نفاد» على ما عرفت من استظهاره، وهو أيضاً شاهد لما قلنا.

«جعله» أي: النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم.

«الله» هكذا في (المصرية) والصواب: (الله سبحانه) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية)[2].

«بلاغاً لرسالته» أي: لرسالته تعالى إلى عباده، وحيث إنّه تعالى أكمل بخاتم الأنبياء دينه، وأتمّ به نعمته على عباده كان صلّى الله عليه وآله بلاغاً لرسالته تعالى الّتي كان إبلاغها واجباً عليه تعالى، إتماماً للحجّة ولطفاً للبريّة، وأمّا باقي رسله، وإن أدّوا ما عليهم من الإبلاغ، إلّا أنّه لمّا كانت رسالاتهم موقّتة محدودة لم يحصل منهم بلاغ منه تعالى كاف.

«وكرامة لأُمته» ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿...كتب عليكم الصيام كما كتب على الّذين من قبلكم...﴾[3] إنّه لم يكتب صيام شهر رمضان على أُمّة قبل هذه الأُمّة بل على أنبياء الأُمم، وكتب على هذه الأُمّة ما كتب على نفس الأنبياء كرامة لهذه الأُمّة[4].

«وربيعاً لأهل زمانه» كان صلّى الله عليه وآله ربيعاً معنوياً وظاهرياً حتّى لغير المؤمنين؛ وفي (تاريخ اليعقوبي): أنّه بلغ النبيّ صلّى الله عليه وآله بعد فتح خيبر ما فيه أهل مكّة من الضرّ والحاجة والجدب والقحط، فبعث إليهم بشعير ذهب، وقيل نوى

---

(١) صحاح اللغة للجوهري ٢: ٧٥٩ مادة (عور).

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٤٦، لكن لا يوجد «سبحانه» في شرح ابن ميثم ٣: ٤٤٥.

(٣) البقرة: ١٨٣.

(٤) تفسير القمي ١: ٦٥ والنقل بالمعنى.

ذهب، مع عمرو بن أُميّة الضمري ـ إلى أن قال ـ وأخذه أبو سفيان كلّه وفرّقه على فقراء قريش، وقال: جزى الله ابن أخي خيراً فإنّه وصول الرّحمة[١].

ومن أبيات أبي طالب فيه صلى الله عليه وآله وسلم:

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمة للأرامل

ولمّا استسقى النبيّ صلى الله عليه وآله ونزل الغيث بحيث منعهم من السلوك، فشكوا إليه صلى الله عليه وآله ذلك فقال: اللّهم حوالينا ولا علينا. فانشقّ السحاب. فكان المطر خارج المدينة لا فيها، قال صلى الله عليه وآله وسلم: لله درّ أبي طالب لو كان حيّاً لقرّت عيناه، من ينشدنا شعره[٢] ـ أراد صلى الله عليه وآله البيت المتقدّم ـ ومن أبياته فيه أيضاً:

وتلْقَوا ربيع الأبطحين محمّداً على ربوة في رأس عنقاء عيطل

والشعراء وإن كانوا يقولون للأُمراء: إنّهم ربيع للناس، كما قال بعضهم في بعضهم:

بأنّك ربيع وغيث مريع[٣]

إلّا أنّه كلام زور وقول باطل، وإنّما الحقيقة فيه صلى الله عليه وآله وسلم لأنّه كان سبباً لحياة الدّنيا كالآخرة، ولنظام هذا العالم كقوام ذاك العالم.

«ورفعة لأعوانه وشرفاً لأنصاره» روى (طبقات كاتب الواقدي) عن أبي ذر قال: لقد تركنا النبيّ صلى الله عليه وآله وما يقلّب طائر جناحيه في السماء إلّا ذكرنا منه علماً[٤].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٥٦.

(٢) أمالي المفيد: ٣٠١ ح٣ المجلس ٣٦، وأمالي أبي علي الطوسي ١: ٧٢ المجلس ٣، والنقل بتلخيص.

(٣) شرح شواهد المغني ١ : ١٠٦، وذيله: وأنك هناك تكون الثمالا. والبيت منسوب إلى عمرة بنت العجلان.

(٤) الطبقات لابن سعد ٢ ق٢: ١١٢.

٢٢
من الخطبة (٢١١)

منها في ذكر النبيّ صلى الله عليه وآله:

أَرْسَلَهُ بِالضِّيَاءِ، وَقَدَّمَهُ فِي الاصْطِفَاءِ، فَرَتَقَ بِهِ المَفَاتِقَ، وَسَاوَرَ بِهِ المُغَالِبَ، وَذَلَّلَ بِهِ الصُّعُوبَةَ، وَسَهَّلَ بِهِ الْحُزُونَةَ، حَتَّى سَرَّحَ الضَّلَالَ، عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ.

«أرسله بالضياء» أي: القرآن؛ قال تعالى: ﴿...كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور...﴾[١].

«وقدّمه في الاصطفاء» أي: الاختيار، فالأنبياء وإن كانوا كلّهم مصطفَين له تعالى كما قال سبحانه: ﴿إنّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين﴾[٢]، إلّا أنّه صلى الله عليه وآله كان مقدّماً عليهم حتّى صار المصطفى علماً له.

وروى الطبري في (ذيله) عن ميسرة قال: قلت: يا رسول الله صلى الله عليه وآله متى كُتبتَ نبيّاً؟ قال: وآدم بين الرّوح والجسد[٣].

«فرتق به المفاتق» الظاهر كون (المفاتق) بضم الميم اسم فاعل: فاتق بقرينة (المغالب) في قرينته، ويحتمل أن يكون بفتحة، جمع المفتَق أي: الفتوق، وهي الشقوق. وكيف كان؛ قال ابن الزبعرى: لمّا أسلم واعتذر عن هجائه في كفره:

يا رسول الإله إنّ لساني   راتق ما فتقت إذ أنا بور[٤]

(١) إبراهيم: ١.

(٢) آل عمران: ٣٣.

(٣) منتخب ذيل المذيل للطبري: ٦٦، والحديث مشهور.

(٤) لسان العرب لابن منظور ٤: ٨٦ مادة (بور).

«وساور» من ساوره، أي: وثب عليه.

«به المغالب» أي: من أراد الغلبة، فصار عالياً على المغالب؛ في (الطبقات): لمّا ولد النبيّ صلى الله عليه وآله فوقع إلى الأرض وقع على يديه رافعاً رأسه إلى السّماء، وقبض قبضة من التراب بيده، فبلغ ذلك رجلاً من لهب فقال لصاحب له: انجه لئن صدق الفأل ليغلبنّ هذا المولود أهل الأرض[١].

وعن ابن عبّاس: اجتمع قريش في الحجر، فتعاقدوا باللّات والعزّى ومناة لو رأينا محمّداً لقمنا مقام رجل واحد، ولنقتلنّه. فدخلت فاطمة عليها السلام على النبيّ صلى الله عليه وآله باكية، وحكت مقالتهم، فقال: يا بنيّة أدني وضوءاً، فتوضّأ وخرج إلى المسجد، فلمّا رأوه قالوا: ها هو ذا، وخفضت رؤوسهم، وسقطت أذقانهم في صدورهم، فلم يصل إليه رجل منهم؛ فأخذ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قبضة من التراب فحصبهم بها وقال: شاهت الوجوه. فما أصاب رجلاً منهم إلّا قتل يوم بدر[٢].

وروى الطّبري في (ذيله) عن يزيد بن عامر السوائي - وكان مع المشركين يوم حنين ثمّ أسلم - قال: لمّا كانت انكشافة المسلمين حين انكشفوا يوم حنين، ضرب النبيّ صلى الله عليه وآله يده إلى الأرض فأخذ منها قبضة من تراب، فأقبل بها على المشركين وهم متبعون المسلمين، فحثا بها في وجوههم، وقال: ارجعوا شاهت الوجوه. قال: فانصرفنا ما يلقى منّا أحد أحداً إلّا وهو يمسح القذى عن عينيه[٣].

«وذلّل به الصعوبة» ﴿... ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم...﴾[٤].

---

(١) الطبقات لابن سعد ١ ق١: ٩٧.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ١: ٧١، وغيره.

(٣) منتخب ذيل المذيل للطبري: ٦٧، وغيره.

(٤) الأعراف: ١٥٧.

«وسهّل به الحزونة» والحزونة: ضدّ السهولة؛ وفي (الاستيعاب): قال النبيّ ﷺ لحزن بن أبي وهب المخزومي جدّ سعيد بن المسيّب: ما اسمك؟ قال: حزن. فقال له النبيّ ﷺ: أنت سهل. فقال: اسم سمّاني به أبي. ويروى أنّه قال له: إنّما السهولة للحمار. قال سعيد بن المسيّب: فما زالت تلك الحزونة تعرف فينا حتّى اليوم، وقال أهل النسب: في ولده حزونة، وسوء خلق، معروف ذلك فيهم، لا تكاد تعدم منهم[1].

«حتّى سرّح» أي: أرسل سريعاً.

«الضلال عن يمين وشمال» أي: أزاله رأساً، في (طبقات كاتب الواقدي) عن مجاهد: حجّ أبو بكر، ونادى عليّ بالأذان في ذي القعدة، قال: فكانت الجاهلية يحجّون في كلّ شهر من شهور السنة عامين، فوافق حجّ نبيّ الله ﷺ في ذي الحجّة، فقال [النبيّ ﷺ]: هذا يوم استدار الزمان كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض[2].

وقال تعالى: ﴿هو الّذي بعث في الأُميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾[3].

٢٣
الخطبة (٢٢٩)

ومن خطبة له عليه السلام، خطبها بذي قار وهو متوجّه إلى البصرة، ذكرها الواقدي في كتاب (الجمل):

فَصَدَعَ بِمَا أُمِرَ، وَبَلَّغَ رِسَالاتِ رَبِّهِ، فَلَمَّ ٱللَّهُ بِهِ الصَّدْعَ، وَرَتَقَ بِهِ

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ١: ٣٨٦.

(٢) الطبقات لابن سعد ٢ ق١: ١٣٤.

(٣) الجمعة: ٢.

ٱلْفَتْقَ، وَأَلَّفَ بِهِ بَيْنَ ذَوِي ٱلْأَرْحَامِ، بَعْدَ ٱلْعَدَاوَةِ ٱلْوَاغِرَةِ فِي الصُّدُورِ، وَالضَّغَائِنِ ٱلْقَادِحَةِ فِي ٱلْقُلُوبِ.

قول المصنّف: «ومن خطبة له عليه السلام خطبها بذي قار» في (بلدان الحموي): ذو قار ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط، وفيه كانت الوقعة المشهورة بينهم وبين الفرس، وكُسِرت الفرس كسرة هائلة، وكانت الوقعة يوم ولادة النبيّ صلى الله عليه وآله. وقيل: عند منصرفه من بدر الكبرى، وكان أوّل يوم انتصف فيه العرب من العجم، وبالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم انتصفوا، وهي من مفاخر بكر.

قال أبو تمام في أبي دلف:

فأنتم بذي قار أمالت سيوفكم

عروش الّذين استرهنوا قوس حاجب

وقال في خالد بن يزيد الشيباني:

لهم يوم ذي قار مضى وهو مفرد وحيد من الأشباه ليس له صحب[1]

قلت: وقال العجيف في أُمّه ذاكراً أنّها لا تروى وإن شربت ماء ذي قار، كما لا تشبع وإن أكلت نخيل هجر:

يا ليتنا أُمّنا شالت نعامتها أيما إلى جنّة أيما إلى نار

ليست بشبعى وإن أسكنتها هجراً ولا بريّا وإن حلّت بذي قار

«وهو متوجّه إلى البصرة» أي: لقتال طلحة والزبير.

«ذكرها الواقدي في كتاب الجمل» الواقديّ: هو محمّد بن عمر بن واقد صاحب (المغازي).

قوله عليه السلام: «فصدع» أي: جهر.

(١) معجم البلدان للحموي ٤: ٢٩٣، ٢٩٤، والمشترك والمفترق: ٣٣٧ أيضاً.

«بما أُمر» في (صحيح محمّد الحلبي) عن الصادق عليه السلام: اكتتم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بمكة مختفياً خائفاً خمس سنين، ليس يظهر أمره وعليّ عليه السلام معه وخديجة، ثمّ أمره تعالى أن يصدع بما أُمر به، فظهر النبيّ صلى الله عليه وآله وأظهر أمره[١].

وفي خبر آخر: أنّه صلى الله عليه وآله كان مختفياً بمكّة ثلاث سنين[٢].

«وبلّغ رسالات» هكذا في (المصرية) والصواب: (رسالة) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٣].

«ربّه» وآخر ما بلّغه من رسالة ربّه ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، وهي الأصل في رسالته، ولذا قال تعالى له: ﴿...وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته...﴾[٤]، وكان صلى الله عليه وآله وسلم في تبليغها خائفاً من الناس حتّى قال تعالى له: ﴿...والله يعصمك من النّاس...﴾[٥].

«فلمّ الله» أي: جمع وأصلح.

«به الصدع» أي: الشقّ.

«ورتق» أي: وصل.

«به الفتق» أي: الفصل؛ قال السروي: كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يعرض نفسه على قبائل العرب في الموسم، فلقي رهطاً من الخزرج، فقال: ألا تجلسون أُحدّثكم. قالوا: بلى. فجلسوا إليه، فدعاهم إلى الله تعالى، وتلا عليهم القرآن، فقال بعضهم لبعض: يا قوم تعلموا، والله إنّه النبي الّذي كان يوعدكم به اليهود، فلا يسبقنّكم إليه أحد. فأجابوه، وقالوا له: إنّا تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشرّ مثل ما بينهم، وعسى أن يجمع الله بينهم بك، فتُقدِم

---

(١) كمال الدين للصدوق: ٣٤٤ ح٢٨، والغيبة للطوسي: ٢٠١، وقد مرّ في العنوان ١٨ من هذا الفصل.

(٢) كمال الدين للصدوق: ٣٤٤ ح٢٨.

(٣) في شرح ابن أبي الحديد ٣: ١٨٣، وشرح ابن ميثم ٤: ١٠٩ «رسالات» أيضاً.

(٤ و ٥) المائدة: ٦٧.

عليهم، وتدعوهم إلى أمرك. وكانوا ستّة نفر، فلمّا قدموا المدينة فأخبروا قومهم بالخبر، فما دار حولٌ إلّا وفيها حديث النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ...[1].

«وألّف به بين ذوي الأرحام» كالأوس والخزرج ابني حارثة، ويقال لهما: ابني قيلة. نسبةً إلى أمّهما.

«بعد العداوة الواغرة» أي: المتوقدة.

«في الصدور» قال شاعر:

دسّت رسولاً بأنّ القوم ان قدروا   عليك يشفوا صدوراً ذات توغير[2]

«والضغائن» جمع الضغينة، أي: الحقد.

«القادحة» أي: المشعلة.

«في القلوب» فكانت بين الأوس والخزرج حروب كثيرة حصلت فيها قتلى كثيرة من الفريقين، وكلّ منهما يجدّ في طلب ثاره، فارتفع كلّ ذلك بسببه صلى الله عليه وآله وسلم؛ قال تعالى: ﴿...واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً...﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿وألّف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألّفت بين قلوبهم ولكنّ الله ألّف بينهم إنّه عزيز حكيم﴾[4].

٢٤
من الخطبة (١٣١)

منها:

أرْسَلهُ على حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ ٱلرُّسُلِ، وَتَنَازُعٍ مِنَ ٱلْأَلْسُنِ، فَقَفَّى بِهِ الرُّسُلَ،

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب ١: ١٨١.

(٢) لسان العرب لابن منظور ٥: ٢٨٦ مادة (وغر)، والبيت منسوب إلى الفرزدق.

(٣) آل عمران: ١٠٣.

(٤) الأنفال: ٦٣.

وَخَتَمَ بِهِ ٱلْوَحْيَ، فَجاهدَ في اللهِ المُدْبِرِينَ عَنْهُ، وَٱلْعادِلِينَ بِهِ.

«أرسله على حين فترة من الرّسل» في الخبر: أنّ أهل السماوات لم يسمعوا وحياً في ما بين أن بعث عيسى إلى أن بعث محمّد ﷺ، فلمّا بعث الله جبرئيل إليه فسمع أهل السماوات صوت وحي القرآن كوقع الحديد على الصفا علموا أنّ الله بعث نبيّاً[1].

«وتنازع من الألسن» قال ابن أبي الحديد: معنى تنازع من الألسن: أنّ قوماً في الجاهلية كانوا يعبدون الصنم، وقوماً يعبدون الشمس، وقوماً يعبدون الشيطان، وقوماً يعبدون المسيح، فكلّ طائفة تجادل مخالفيها بألسنتها لتقودها إلى معتقدها[2].

قلت: الأظهر أنّ معناه: أنّ الناس كانوا قبل رسالته يتنازعون في ملل ونحل، لم يكن لها معنى في القلوب، بل مجرد ألفاظ على الألسن، فيكون قوله عليه السلام: «وتنازع من الألسن» نظير قول يوسف عليه السلام في ما حكى الله تعالى عنه: ﴿ما تعبدون من دونه إلّا أسماءً سمّيتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان...﴾[3]، أو المراد أنّهم كانوا يتنازعون في أنواع الكلام من القصائد والخطب والأراجيز هل هذه أحسن أو تلك، فكانوا قبل بعثة النبيّ ﷺ يباهون بذلك، وقصّة المعلّقات السبع معروفة؛ قال امرؤ القيس لمّا احتضر في أنقرة في آخر شيء تكلّم به: ربّ خطبة محبّرة، وطعنة مسحنفرة، وجفنة متعنجرة، تبقى غداً بأنقرة.

ومن السبع المعلّقات قصيدة عمرو بن كلثوم التغلبي، التي كان قام بها

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ. نعم له شاهد أخرجه الصدوق في كمال الدين: ١٦١ ح ٢٠.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٦٢.

(٣) يوسف: ٤٠.

خطيباً في ما كان بينه وبين عمرو بن هند ملك الحيرة، وكان لقومه بها شغف كثير حتّى قالوا فيهم:

ألهى بني تغلبٍ عن كلّ مكرمة   قصيدةٌ قالها عمرو بن كلثوم
يفاخرون بها مذْ كان أوّلهم   يا للرجال لشعر غير مسؤوم

ومن السبع قصيدة عبيد بن الأبرص الّتي أوّلها:

أقفر من أهلها ملحوب

ولمّا لقيه ملك الحيرة في يوم بؤسه وأراد قتله، استنشده القصيدة إعجاباً بها، فغيّر البيت وقال:

أقفر من أهلها عبيد   فاليوم لا يبدي ولا يعيد

والكلّ مجرد ألفاظ.

وأمّا ما قاله ابن أبي الحديد من مجادلتهم بألسنتهم، فبارد؛ فالمجادلة لا تكون بغير اللسان. وكيف كان؛ فقال الجوهري: قد يكنى بها عن الكلمة فتؤنث حينئذٍ. قال أعشى باهلة:

إنّي أتتني لسان لا أسرّ بها   من علو لا عجب منها ولا سخر

فمن ذكّره قال في الجمع: ثلاثة ألسنة، مثل حمار وأحمرة، ومن أنّثه قال: ثلاث ألسن[1].

قلت: الظاهر أنّ اللسان إذا كان بمعنى اللغة يكون مذكّراً، لقوله تعالى: ﴿...وهذا كتاب مصدّق لساناً عربياً...﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿...واختلاف ألسنتكم وألوانكم...﴾[3]، وإذا كان بمعنى التكلّم يكون مؤنثاً كقوله:

---

(١) صحاح اللغة للجوهري ٦: ٢١٥٩ مادة (لسن).

(٢) الأحقاف: ١٢.

(٣) الروم: ٢٢.

أتتني لسان بني عامر أحاديثها بعد قول نكر[1]

وكقول طرفة:

وإذا تلسنني ألسنها إنّني لست بموهون فقر[2]

وكقوله عليه‌السلام: «وتنازع من الألسن» لكن ينقضه قول ابن الزبعرى المتقدّم[3].

«فقفّى به الرّسل» قال الجوهري: قفّيت على أثره بفلان، أي: أتبعته إيّاه. ومنه قوله تعالى: ﴿ثمّ قفّينا على آثارهم برسلنا...﴾[4].

«وختم به الوحي» فلا يوحى إلّا إلى النبيّ، ولا نبيّ بعده، وأمّا الإمام فإنّما يُلهم.

«فجاهد في الله المدبرين عنه» وأمّا قوله تعالى: ﴿فأعرض عمّن تولّى عن ذكرنا ولم يرد إلّا الحياة الدّنيا﴾[5] فلا ينافيه.

«والعادلين به» أي: الجاعلين غير الله عديلاً له تعالى، كما أمره عزّوجلّ في قوله: ﴿يا أيّها النبيّ جاهد الكفّار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنّم وبئس المصير﴾[6]. ذُكِرت الآية في التحريم والتوبة، وأمّا عدم جهاده المنافقين، وإنّما جاهدهم أمير المؤمنين بعده صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم حيث إنّه كان كنفس النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم بنصّ قوله تعالى: ﴿...وأنفسنا وأنفسكم...﴾[7].

(١ و ٢) لسان العرب للجوهري ١٣: ٣٨٥، ٣٨٦ مادة (لسن).

(٣) مرّ في العنوان ٢٢ من هذا الفصل، والبيت:

يا رسول الإله إنّ لساني راتق ما فتقت إذْ أنا بور

(٤) صحاح اللغة للجوهري ٦: ٢٤٦٦ مادة (قفى). والآية ٢٧ من سورة الحديد.

(٥) النجم: ٢٩.

(٦) التوبة: ٧٣.

(٧) آل عمران: ٦١.

٢٥
من الخطبة (١١٤)

ومن خطبة له عليه السلام:

أَرْسَلَهُ دَاعِياً إِلَى ٱلْحَقِّ، وَشَاهِداً عَلَى ٱلْخَلْقِ، فَبَلَّغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ، غَيْرَ وَانٍ وَلَا مُقَصِّرٍ، وَجَاهَدَ فِي ٱللّهِ أَعْدَاءَهُ، غَيْرَ وَاهِنٍ وَلَا مُعَذِّرٍ، إِمَامُ مَنِ ٱتَّقَى، وَبَصَرُ مَنِ ٱهْتَدَى.

«أرسله داعياً إلى الحقّ وشاهداً على الخلق» ﴿يا أيّها النبيّ إنّا أرسلناك شاهداً ومبشّراً ونذيراً * وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾[١]، ﴿فكيف إذا جئنا من كلّ أُمّة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً * يومئذ يودّ الّذين كفروا وعصوا الرّسول لو تُسوّى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً﴾[٢].

«فبلّغ رسالات ربّه غير وانٍ» من: ونى يني، أي: ضعف.

«ولا مقصّر» في التبليغ؛ حتّى إنّه صلى الله عليه وآله حضر يوم وفاته مع شدّة مرضه ـ كما روي ـ المسجدَ وقال: ﴿واتّقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثمّ توفّى كلّ نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾[٣] أيّها الناس لا يدّعي مدّع ولا يتمنّى متمنّ أنّه ينجو إلّا بعمل ورحمة، ولو عصيت هويت، اللّهم هل بلّغت[٤].

وقالوا: خطب صلى الله عليه وآله بمنى في حجّة الوداع، وقال في جملة ما قال: وكلّ مأثرة أو بدع كانت في الجاهلية، أو دم أو مال فهو تحت قدميّ هاتين، ليس أحد أكرم من أحد إلّا بالتقوى، ألا هل بلّغت. قالوا: نعم. قال: اللّهم اشهد.

ثمّ قال: ألا وكلّ ربا في الجاهلية موضوع، وأوّل موضوع منه ربا

---

(١) الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٦.

(٢) النساء: ٤١ ـ ٤٢.

(٣) البقرة: ٢٨١.

(٤) ذكره بفرق يسير المفيد في الإرشاد: ٩٧، والطبرسي في اعلام الورى: ١٣٤.

العبّاس بن عبد المطلب، ألا وكلّ دم كان في الجاهلية فهو موضوع، وأوّل دم موضوع دم ربيعة، ألا هل بلّغت. قالوا: نعم. قال: اللّهم اشهد.

ثمّ قال: ألا وإنّ الشيطان قد يئس أن يُعبد بأرضكم هذه، ولكنّه راض بما تحتقرون من أعمالكم، إلّا أنّه إذا أُطيع فقد عُبد، ألا أيّها الناس إنّ المسلم أخو المسلم حقّاً، لا يحلّ لامرئ مسلم دمُ امرئ مسلم، ومالُه إلّا ما أعطاه بطيبة نفس منه، وإنّي أُمرت أن أُقاتل الناس حتّى يقولوا: لا إله إلّا الله. فإذا قالوها فقد عصموا منّي دماءَهم وأموالهم إلّا بحقّها، وحسابهم على الله، ألا هل بلّغت. قالوا: نعم. قال اللّهم اشهد.

ثمّ قال: أيّها الناس احفظوا قولي تنتفعوا به بعدي، وافهموه تنعشوا، ألا لا ترجعوا بعدي كفّاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيف على الدّنيا، فإن أنتم فعلتم ذلك ـ ولتفعلنّ ـ لتجدوني في كتيبة بين جبرئيل وميكائيل أضرب وجوهكم بالسيف ـ قال: ثمّ التفت عن يمينه، فسكت ـ ثمّ قال: إن شاء الله أو عليّ بن أبي طالب[1].

«**وجاهد في الله أعداءه غير واهن**» أي: ضعيف.

«**ولا معذّر**» والمعذّر بالتشديد: مَنْ يأتي بالعذر باطلاً. وضبطته (المصرية) بدون التشديد وهو غلط، لأنّ المعذر بدونه من له عذر صحيح، وإنّما ينفى عنه ﷺ التعذير لا الإعذار؛ قال تعالى: ﴿وجاء المعذّرون من الأعراب...﴾[2].

قالوا: وصف أحد أحبار أهل الكتاب لكعب بن أسد اليهودي

---

(١) أخرج هذه الخطبة باختلاف يسير بين الروايات ابن هشام في السيرة ٤: ١٨٥، والواقدي في المغازي ٢: ١١٠٣، والطبري في تاريخه ٢: ٤٠٢ سنة ١٠، والصدوق في الخصال: ٤٨٦ ح٦٣، وغيرهم.

(٢) التوبة: ٩٠.

النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بأنّه يضع سيفه على عاتقه، ولا يبالي من لاقى، ولمّا أراد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قتل كعب في أُسراء بني النضير ذكّره قول ذاك الحبر، فأقرّ به، ولكن قال: لا أُسلم لئلّا يقول الناس: إنّه جزع عند الموت[١].

«إمام من اتّقى وبصر من اهتدى» مرّت الجملتان في طيّ الخطبة (٩٢)[٢] لكن ثمة: «وبصيرة من اهتدى».

٢٦

من الخطبة (٩٨)

ومن خطبة له عليه السلام أُخرى:

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ اَلنَّاشِرِ فِي اَلْخَلْقِ فَضْلَهُ، وَاَلْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ، نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ، وَنَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعاً، وَبِذِكْرِهِ نَاطِقاً، فَأَدَّى أَمِيناً، وَمَضَى رَشِيداً.

من الخطبة (٨٢)

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ لإِنْفَاذِ أَمْرِهِ، وَإِنْهَاءِ عُذْرِهِ، وَتَقْدِيمِ نُذُرِهِ.

من الخطبة (٨٩)

بعد ذكر آدم والأنبياء:

حَتَّى تَمَّتْ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله حُجَّتُهُ، وَبَلَغَ المِقْطَعَ عُذْرُهُ وَنُذُرُهُ.

قول المصنّف: «ومن خطبة له عليه السلام أُخرى» هكذا في (المصرية)، والصواب: (ومن خطبة له عليه السلام) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم

---

(١) كمال الدين للصدوق: ١٩٨ ح ٤ والنقل بالمعنى.

(٢) مرّ في العنوان ٥ من هذا الفصل.

والخطّية)[١]. وأيضاً لا معنى لقوله: أُخرى هنا.

قوله عليه السلام في الأول: «الحمد لله الناشر في الخلق فضله» قال تعالى: ﴿...وأنّ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾[٢]، ﴿...قل إنّ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم * يختصّ برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾[٣].

«والباسط فيهم بالجود يده» ﴿قالت اليهود يد الله مغلولة غُلّت أيديهم ولُعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء...﴾[٤].

«نحمده في جميع أموره» لكون كلّها على وفق الحكمة ونهاية المصلحة.

«ونستعينه على رعاية حقوقه» فلا حول ولا قوّة إلّا بالله.

«ونشهد ألّا إله غيره» ﴿لو كان فيهما آلهة إلّا الله لفسدتا...﴾[٥].

«وأنّ محمّداً عبده ورسوله» إلى خلقه كافّة.

«أرسله بأمره صادعاً» أي: مجاهراً؛ كما أمره عزّوجلّ في قوله: ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾[٦].

«وبذكره ناطقاً» ولمّا رأت قريش ذلك منه قالوا له مرّتين: تعبد آلهتنا سنة، ونعبد إلهك سنة. فأجابهم بما أمره تعالى به بمثل قولهم في قوله: ﴿قل يا أيّها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون * ولا أنتم عابدون ما أعبد * ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد * لكم دينكم ولي دين﴾[٧].

---

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٨٨، وشرح ابن ميثم ٣: ٦.

(٢) الحديد: ٢٩.

(٣) آل عمران: ٧٣ ـ ٧٤.

(٤) المائدة: ٦٤.

(٥) الأنبياء: ٢٢.

(٦) الحجر: ٩٤.

(٧) رواه الواحدي في أسباب النزول: ٣٠٧، والطوسي في التبيان ١٠: ٤٢٠، والزمخشري في الكشاف ٤: ٨٠٨، وعدة

«فأدّى أميناً» ﴿وما ينطق عن الهوى * إنْ هو إلّا وحيٌ يوحى﴾[1].

«ومضى رشيداً» حيث أدّى ما كان عليه من قبل الله تعالى، ونـزل عـليه أخيراً: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً * فسبّح بحمد ربّك واستغفره إنّه كان توّاباً﴾[2].

قوله عليه السلام في الثاني: «أرسله لإنفاذ أمره» كما قال تعالى: ﴿يا أيها الرّسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربّك...﴾[3].

«وإنهاء» أي: إبلاغ.

«عذره» ﴿ولو أنّا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربّنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتّبع آياتك من قبل أن نذلّ ونخزى﴾[4].

«وتقديم نذره» ﴿قال لا تختصموا لديّ وقد قدّمت إليكم بالوعيد﴾[5]، ﴿...كلّما أُلقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير * قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذّبنا وقلنا ما نزّل الله من شيء إن أنتم إلّا في ضلال كبير﴾[6].

وفي (الأُسد) عن ابن أُمّ مكتوم قال: خرج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بعدما ارتفعت الشمس وناس عند الحجرات، فقال: يا أهل الحجرات سعّرت النار، وجاءت الفتن كقطع الليل، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً[7].

قوله عليه السلام في الثالث: «حتى تمّت بنبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم حجّته» ﴿...ولكن

أُخرى، جمع بعض طرقه السيوطي في الدر المنثور ٦: ٤٠٤، والآيات (١ ـ ٦) من سورة (الكافرون).

(١) النجم: ٣ ـ ٤.

(٢) النصر: ١ ـ ٤.

(٣) المائدة: ٦٧.

(٤) طه: ١٣٤.

(٥) ق: ٢٨.

(٦) الملك: ٨ ـ ٩.

(٧) أُسد الغابة لابن الأثير ٤: ١٠٣.

رسول الله وخاتم النبيّين...﴾[١].

«وبلغ المِقطع» بالكسر؛ قال الجوهري: أي: ما يقطع به الشيء[٢].

«عذره ونذره» ﴿قل فللّه الحجّة البالغة...﴾[٣]، ﴿رسلاً مبشّرين ومنذرين لئلّا يكون للناس على الله حجّة بعد الرّسل وكان الله عزيزاً حكيماً﴾[٤].

٢٧

من الخطبة (١٩٠) في القاصعة

وَاعْتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَبَنِي إِسْحَاقَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ عليهم السلام ، فَمَا أَشَدَّ اعْتِدَالَ الْأَحْوَالِ ، وَأَقْرَبَ اشْتِبَاهَ الْأَمْثَالِ .

تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَالِ تَشَتُّتِهِمْ وَتَفَرُّقِهِمْ ، لَيَالِيَ كَانَتِ الْأَكَاسِرَةُ وَالْقَيَاصِرَةُ أَرْبَاباً لَهُمْ ، يَحْتَازُونَهُمْ عَنْ رِيفِ الآفَاقِ ، وَبَحْرِ الْعِرَاقِ ، وَخُضْرَةِ الدُّنْيَا ، إِلَى مَنَابِتِ الشِّيحِ ، وَمَهَافِي الرِّيحِ ، وَنَكَدِ الْمَعَاشِ ، فَتَرَكُوهُمْ عَالَةً مَسَاكِينَ ، إِخْوَانَ دَبَرٍ وَوَبَرٍ ، أَذَلَّ الْأُمَمِ دَاراً ، وَأَجْدَبَهُمْ قَرَاراً ، لَا يَأْوُونَ إِلَى جَنَاحِ دَعْوَةٍ يَعْتَصِمُونَ بِهَا ، وَلَا إِلَى ظِلِّ أُلْفَةٍ يَعْتَمِدُونَ عَلَى عِزِّهَا ، فَالْأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ ، وَالأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ ، وَالْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ ، فِي بَلَاءِ أَزْلٍ ، وَأَطْبَاقِ جَهْلٍ ، مِنْ بَنَاتٍ مَوْءُودَةٍ ، وَأَصْنَامٍ مَعْبُودَةٍ ، وَأَرْحَامٍ مَقْطُوعَةٍ ، وَغَارَاتٍ مشْنُونَةٍ .

فَانْظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعَمِ اللّهِ عَلَيْهِمْ حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا ، فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ ، وَجَمَعَ عَلَى دَعْوَتِهِ أُلْفَتَهُمْ ، كَيْفَ نَشَرَت النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ

---

(١) الأحزاب: ٤٠.

(٢) صحاح اللغة للجوهري ٣: ١٢٦٧ مادة (قطع).

(٣) الأنعام: ١٤٩.

(٤) النساء: ١٦٥.

كَرَامَتِهَا، وَأَسَالَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ نَعِيمِهَا، وَٱلْتَفَّتِ المِلَّةُ بِهِمْ فِي عَوَائِدِ بَرَكَتِهَا، فَأَصْبَحُوا فِي نِعْمَتِهِ غَرِقِينَ، وَفِي خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكِهِيْنَ، قَدْ تَرَبَّعَتِ الْأُمُورُ بِهِمْ، فِي ظِلِّ سُلْطَانٍ قَاهِرٍ، وَآوَتْهُمُ الْحَالُ إِلَى كَنَفِ عِزٍّ غَالِبٍ، وَتَعَطَّفَتِ الْأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِي ذُرَى مُلْكٍ ثَابِتٍ، فَهُمْ حُكَّامٌ عَلَى العَالَمِينَ، وَمُلُوكٌ فِي أَطْرَافِ الْأَرَضِينَ، يَمْلِكُونَ الْأُمُورَ عَلَى مَنْ كَانَ يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ، وَيُمْضُونَ الأَحْكَامَ فِي مَنْ كَانَ يُمْضِيها فِيهِمْ، لَا تُغْمَزُ لَهُمْ قَنَاةٌ، وَلَا تُقْرَعُ لَهُمْ صَفَاةٌ.

أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ، وَثَلَمْتُمْ حِصْنَ ٱللّٰهِ المَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَاللّٰهُ سُبْحَانَهُ قَدِ امْتَنَّ عَلَى جَمَاعَةِ هَذِهِ الأُمَّةِ فِي مَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هَذِهِ الْأُلْفَةِ الَّتِي يَنْتَقِلُونَ فِي ظِلِّهَا، وَيَأْوُونَ إِلَى كَنَفِها، بِنِعْمَةٍ لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ المَخْلُوقِين لَهَا قِيمَةً، لِأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنٍ، وَأَجَلُّ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ.

وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الهِجْرَةِ أَعْرَاباً، وَبَعْدَ المُوَالَاةِ أَحْزَاباً، مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا بِاسْمِهِ، وَلَا تَعْرِفُونَ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا رَسْمَهُ، تَقُولُونَ: النَّارَ وَلَا الْعَارَ! كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِئُوا الْإِسْلَامَ عَلَى وَجْهِهِ، انْتِهَاكاً لِحَرِيمِهِ، وَنَقْضاً لِمِيثَاقِهِ الَّذِي وَضَعَهُ ٱللّٰهُ لَكُمْ حَرَماً فِي أَرْضِهِ، وَأَمْناً بَيْنَ خَلْقِهِ، وَإِنَّكُمْ إِنْ لَجَأْتُمْ إِلَى غَيْرِهِ حَارَبَكُمْ أَهْلُ الْكُفْرِ، ثُمَّ لَا جَبْرَئِيلُ وَلَا مِيكَائِيلُ، وَلَا مُهَاجِرُونَ وَلَا أَنْصَارٌ يَنْصُرُونَكُمْ، إِلَّا المُقَارَعَةَ بِالسَّيْفِ حَتَّى يَحْكُمَ ٱللّٰهُ بَيْنَكُمْ، وَإِنَّ عِنْدَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ مِنْ بَأْسِ ٱللّٰهِ وَقَوَارِعِهِ، وَأَيَّامِهِ وَوَقَائِعِهِ، فَلَا تَسْتَبْطِئُوا وَعِيدَهُ جَهْلًا بِأَخْذِهِ، وَتَهَاوُناً بِبَطْشِهِ، وَيَأْساً مِنْ بَأْسِهِ، فَإِنَّ ٱللّٰهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَلْعَنِ ٱلْقَرْنَ المَاضِي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا لِتَرْكِهِمُ ٱلْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ.

فَلَعَنَ ٱللَّهُ السُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ المَعَاصِي، وَٱلحُلَمَاءَ لِتَرْكِ التَّنَاهِي .
أَلَا وَقَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ ٱلْإِسْلَامِ، وَعَطَّلْتُمْ حُدُودَهُ، وَأَمَتُّمْ أَحْكَامَهُ .

«واعتبروا بحال ولد إسماعيل وبني إسحاق وبني إسرائيل عليهم السلام» قال ابن أبي الحديد: إنّه ذكر عليه السلام في هذه الكلمات المقهورين والقاهرين جميعاً. أما المقهورون فبنو إسماعيل، وأمّا القاهرون فبنو إسحاق وبنو إسرائيل، لأنّ الأكاسرة من بني إسحاق؛ ذكر كثير من أهل العلم أنّ فارس من ولد إسحاق والقياصرة من ولد إسحاق أيضاً، لأنّ الروم بنو العيص بن إسحاق، وعلى هذا يكون الضمير في أمرهم وتشتتهم وتفريقهم يرجع إلى بني إسماعيل خاصة، فإن قلت: فبنو إسرائيل أيّ مدخل لهم هاهنا؟ قلت: لأنّ بني إسرائيل لمّا كانوا ملوكاً بالشام في أيّام أجاب الملك وغيره، حاربوا العرب من بني إسماعيل غير مرّة وطردوهم عن الشام، وألجؤوهم على المقام ببادية الحجاز؛ ويصير تقدير الكلام: فاعتبروا بحال ولد إسماعيل مع بني إسحاق وبني إسرائيل[1].

قلت: ما ذكره خارج عن طريق المحاورة، فإنّ مقتضى السّياق كون الأكاسرة والقياصرة مسلّطين على ولد إسماعيل وبني إسحاق وبني إسرائيل، يفعلون بهم ما شاؤوا، وكون الأكاسرة والقياصرة غير ولد إسماعيل، وغير بني إسحاق وبني إسرائيل؛ وكيف جعل بني إسرائيل من القاهرين، والقرآن ناطق بمقهوريتهم مثل بني إسماعيل، بل أشدّ؟ وكيف لا وقد قال عزّوجلّ فيهم: ﴿...وضربت عليهم الذلّة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله...﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدنّ في الأرض مرّتين ولتعلنّ علوّاً كبيراً * فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٤١.

(٢) البقرة: ٦١.

أُولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً *... فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءُوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أوّل مرّة وليتبّروا ما علوا تتبيراً﴾[1]؟!

والأكاسرة جعلهم ابن قتيبة والدينوري والطبري من غير ولد إسحاق، بل من ولد الملوك الأوّلين قبل ملوك الطوائف؛ قال الأوّل: كتب أردشير إلى ملوك الطوائف: من أردشير المستأثر دونه بحقّه، المغلوب على تراث آبائه[2].

وقال الأخير: وثب أردشير بفارس طالباً بزعمه بدم ابن عمّه دارا بن دارا بن بهمن بن إسفنديار -الذي حارب الإسكندر فقتله حاجباه- مريداً في ما يقول: ردّ الملك إلى أهله، وإلى ما لم يزل عليه أيّام سلفه، وآبائه الّذين مضوا قبل ملوك الطوائف، وجمعه لرئيس واحد وملك واحد[3].

وقريباً منه قال الثاني رافعاً نسبه إلى إسفنديار بن بشتاسف[4].

وإنّما نقل المسعودي أقوالاً ضعيفة في كون الأكاسرة من ولد إسحاق، فقال: تنازع الناس في الفرس وأنسابهم، فقال قوم: إنّ فارس بن ياسور بن سام بن نوح، وكذلك النبط، وهذا قول هشام بن محمّد في ما حكاه عن أبيه وغيره، ومنهم من زعم أنّه من ولد يوسف بن يعقوب، ومنهم من ذكر أنّه من ولد إرم بن ارفخشذ بن سام بن نوح، وأنّه ولد له بضعة عشر رجلاً كلّهم كان فارساً شجاعاً فسمّوا الفرس بالفروسية، وفي ذلك يقول حطّان الفارسي:

وبنا سمّي الفوارس فرسا ... نا ومنّا مناجب الفرسان

وكهول طواهم الركض والكرّ ... كمثل الكرّات يوم الطّعان

---

(١) الإسراء: ٤ ـ ٧.

(٢) المعارف لابن قتيبة: ٦٥٣.

(٣) تاريخ الطبري ٣: ٢٤١.

(٤) الأخبار الطوال للدينوري: ٤٤.

قال: وقد زعم قوم أنّ الفرس من ولد لوط من ابنتيه، وذكر آخرون أنّهم من ولد بوّان بن إيران بن الأسود بن سام بن نوح الّذي ينسب إليه شعب بوّان، ومنهم من رأى أنّ الفرس من ولد إيران بن أفريدون، ولا تناكر بين الفرس جميعاً في أنّها من ولد إيرج جميعاً، وإيرج هو إيران بن أفريدون. ومن الناس من ذهب إلى أنّ سائر أجناس الفرس، وأهل كور الأهواز من ولد عيلام، ولا خلاف بين الفرس في أنّ الجميع منهم من ولد كيومرث، ومن الناس من ذهب إلى أنّ الفرس السّاسانية دون من سلف من الفرس الأُولى من ولد منوشهر بن إيرج بن أفريدون، ومنهم من ذهب إلى أنّ منوشهر هو ابن مشجر بن فريقس بن ويرك، وويرك هو إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، وسار مشجر إلى أرض فارس، وكان بها امرأة متملّكة يقال لها: كورك ابنة إيرج، فتزوّجها، فولدت له منوشهر الملك، وكثر ولده فملكوا الأرض، وغلبوا عليها وهابتهم الملوك، ودُثرت الفرس الأُولى كدثور الأُمم الماضية، والعرب العاربة، وأكثر حكماء العرب من نزار بن معد. يقول هذا، ويعمل عليه في بدء النسب، وينقاد إليه كثير من الفرس، وقد ذكرته شعراء العرب من نزار، وافتخرت على اليمن من قحطان بالفرس، وأنّها من ولد إسحاق؛ قال إسحاق بن سويد العدوي عدي قريش:

إذا افتخرت قحطان يوماً بسؤدد	أتى فخرنا أعلى عليها وأسودا
ملكناهم بدءاً بإسحاق عمّنا	وصاروا لنا غرماً على الدهر أعبدا
فإن كان منهم تبّع وابن تبّع	فأملاكهم كانوا لأملاكنا يدا
ويجمعنا والغرّ أبناء سارة	أب لا يبالي بعده من تفرّدا
هُمُ ملكوا شرقاً وغرباً ملوكهم	وهمْ منحوهم بعد ذلك سؤددا

وفي ذلك يقول جرير بن الخطفي التميمي ـ يفخر على قحطان بأنّ

الفرس والروم من أولاد إسحاق، والأنبياء من ولد يعقوب بن إسحاق ـ من كلمة طويلة يقول فيها:

وأبناء إسحاق الليوث إذا ارتدوا حمائل موت لابسين السّنوّرا
إذا افتخروا عدّوا الصبهبذ منهمُ وكسرى وعدّوا الهرمزان وقيصرا
وكان كتاب الله فيهم ونوره وكانوا باصطخر الملوك وتسترا
ومنهم سليمان النبيّ الّذي دعا فأُعطي بنياناً وملكاً مقدّرا
أبونا أبو إسحاق يجمع بيننا أب كان مهديّاً نبيّاً مطهّرا
بنى قبلة الله التي يهتدى بها فأورثنا عزّاً وملكاً معمّرا
وموسى وعيسى والّذي خرّ ساجداً وأنبت زرعاً دمع عينيه أخضرا
ويعقوب منهم زاده الله حكمةً وكان ابن يعقوب نبيّاً مطهّرا
ويجمعا والغرّ أبناء فارس أب لا يبالي بعده من تأخّرا
أبونا خليل الله والله ربّنا رضينا بما أعطى الإله وقدّرا

وفي ذلك يقول بشار بن برد:

نمتني الكرام بنو فارس قريش وقومي قريش العجم

وقال أحد شعراء الفرس يذكر أنّه من ولد إسحاق، وأنّ إسحاق هو المسمّى ويرك:

أبونا ويرك وبه أُسامي إذا فخر المفاخر بالولاده
أبونا ويرك عبد رسولٌ له شرف الرّسالة والزّهاده
فمن مثلي إذا افتخرت قرونٌ وبيتي مثل واسطة القلاده

قال: وقد افتخر بعض أبناء الفرس بعد التسعين والمائتين بجدّه إسحاق على ولد إسماعيل، بأنّ الذبيح كان إسحاق، فقال:

قل لبني هاجر أبيت لكم ماهذه الكبرياء والعظمه

ألم تكن في القديم أمّكم لأمّنا سارة الجمال أمَه
والملك فينا والأنبياء لنا إن تنكروا ذلك توجدوا ظلمه
إسحاق كان الذّبيح قد أجمع الـ ـناس عليه إلّا ادّعاء لمه

وقد أجابه ابن المعتز، فمن ذلك قوله:

أسمع صوتاً ولا أرى أحداً من ذا الشّقي الّذي أباح دمه
حاشا لإسحاق أن يكون لكم أباً وإن كنتم بنيه فمه

والفرس لا تنقاد إلى القول: بأنّ الملك كان فيها لأحد غير ولد أفريدون في عصر من الأعصار في ما سلف وخلف، إلى أن زال عنهم الملك، إلّا أن يكون دخل عليهم داخل على طريق الغصب بغير حقّ.

قال: وقد كانت أسلاف الفرس تقصد البيت الحرام، وتطوف به تعظيماً له، ولجدّها إبراهيم عليه السلام، وتمسّكاً بهديه وحفظاً لأنسابها، وكان آخر من حجّ منهم ساسان جدّ أردشير، فكان إذا أتى البيت طاف به وزمزمَ على بئر إسماعيل.

فقيل: إنّما سمّيت زمزم لزمزمته عليها هو وغيره من فارس، وهذا يدلّ على ترادف كثرة هذا الفعل منهم على هذا البئر، وفي ذلك يقول الشاعر في قديم الزمان:

زمزمت الفرس على زمزم وذاك من سالفها الأقدم

وقد افتخر بعض شعراء الفرس بعد ظهور الإسلام بذلك، فقال:

وما زلنا نحجّ البيت قدماً ونلفى بالأباطح آمنينا
وساسان بن بابك سار حتّى أتى البيت العتيق يطوف دينا
فطاف به وزمزم عند بئرٍ لإسماعيل تروى الشاربينا

وكانت الفرس تهدي الى الكعبة أموالاً في صدر الزمان وجواهر، وقد

كان ساسان أهدى غزالين من ذهب وجوهراً وسيوفاً وذهباً كثيراً، فقذفه في زمزم، وذهب قوم أنّ ذلك كان لجرهم حين كانت بمكّة[١].

هذا آخر كلام المسعودي، وقد عرفت ممّا مرّ كثرة الأقوال في نسب الفرس، هل هم من ولد ناسور بن سام أو ارفخشد بن سام أو أسود بن سام أو من ولد لوط أو من ولد عيلام أو إيران بن أفريدون أو منوجهر بن أفريدون والكلّ غير إسحاق، وإنّما قول ضعيف إنّ الفرس الأُولى انقرضت، والأكاسرة من ولد مسحر بن ويرك (إسحاق) مع أنّهم كانوا منكرين لذلك، فمرّ قول المسعودي.

والفرس لا تنقاد إلى القول: بأنّ الملك يكون فيها لأحد غير ولد أفريدون في عصر من الأعصار في ما سلف وخلف، إلى أن زال عنهم الملك، إلّا أن يكون دخل عليهم داخل على طريق التعصّب بغير حقّ.

وأمّا ذهاب بعض شعراء عدنان إليه كإسحاق العدوي، وجرير التميمي، وبشار الأعمى، فإنّما كان لأنّ قحطان كانوا يفخرون عليهم بالملك، ولم يكن في عدنان ملوك، فأرادوا النقض عليهم فادّعوا أنّ الأكاسرة من ولد عمّنا إسحاق، وملك الأكاسرة كان فوق ملك اليمن، كما عرفت من أشعار الثلاثة، كما أنّ ذهاب بعض شعراء العجم إليه أيضاً كان لإرادة التفاخر بأنّه كما كان لنا الملك كان لنا النبوّة لكون إسحاق أبانا.

وقد عرفت أنّ الطبري، وابن قتيبة، والدينوري، وهشام الكلبي، وأباه محمّد بن السائب جعلوا الأكاسرة من غير إسحاق، وعرفت أنّ ابن المعتزّ أيضاً أنكر كونهم منه. ولو كانوا من ولد إسحاق لكان فيهم أشياء من سنن إبراهيم عليه السلام كما كانت في أولاد إسماعيل، مع كونهم عابدي الأصنام، بل

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ١: ٢٦٠ والنقل بتلخيص.

كانوا بالضدّ من سنن إبراهيم، كيف وكانوا يحلّون نكاح الأُمّهات والبنات والأخوات؟!

وأمّا قولهم: إنّ الفُرس كانت تهدي إلى الكعبة، وإنّهم كانوا يحجّون البيت، وإنّهم أهدوا الغزالين وسيوفاً، وإنّ زمزم سمّيت زمزم لزمزمتهم عليها، فمجرّد دعوى، كقولهم بأنّهم من ولد إسحاق؛ ففي: (الأخبار والسير): أنّ المُهدي للغزالين والسيوف جرهم، وقد نقله المسعودي أيضاً[1].

ووجه تسمية البئر بزمزم في أخبارنا شيء آخر[2].

وأمّا كون القياصرة من ولد عيص بن إسحاق، فالظاهر أنّ الأصل فيه التوراة الّتي بيد اليهود[3]، وتحريفها واضح.

وكيف كان فلا يقال للأكاسرة والقياصرة: بنو إسحاق. ـ وإن فرض كونهم من ولد إسحاق، حيث إنّهم مشتهرون بلقبيهم أكاسرة وقياصرة ـ وإنّما يقال لغيرهم ممّن لم يكن لهم عنوان خاص، وقد يجعل الخاص في قبال العام مع كونه صنفاً منه، فتقول: قريش وبنو هاشم. فالمراد بقريش غير بني هاشم، وإن كان بنو هاشم من قريش؛ وقد قال عليه السلام هنا: «وبني إسحاق وبني إسرائيل» مع أنّ إسرائيل ـ هو يعقوب ـ ابن إسحاق، فلابدّ أن يراد ببني إسحاق غير بني إسرائيل.

وبالجملة ما قاله ابن أبي الحديد في غاية السقوط، والكلام على ظاهره

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ١: ٢٦٦.

(٢) أخرج القمي في تفسيره ١: ٦١ ضمن حديث عن الصادق عليه السلام «فإنه كان سائلاً فزمّته بما جعلته حوله، فلذلك سمّيت زمزم». وقال الطريحي في مجمع البحرين ٦: ٨١ مادة (زمّ): «سميت به لكثرة مائها، وقيل لزمّ هاجر ماءها حين انفجرت، وقيل لزمزمة جبرئيل وكلامه».

(٣) جاء في التوراة، في سفر التكوين الاصحاح ٣٦ ذكر مواليد عيسو بن اسحاق، وليس فيها ذكر للقياصرة، ولا في سائر المواضع من العهدين.

وتأويله عليل، وسيأتي التصريح من الطبري والمسعودي بقتل الأكاسرة والقياصرة لبني إسرائيل[١].

«فما أشدّ اعتدال الأحوال» في الأمثال: الناس كأسنان المشط[٢].

«وأقرب اشتباه» أي: تشابه.

«الأمثال» قالوا في المثل: سواسية كأسنان الحمار[٣].

«تأمّلوا أمرهم في حال تشتّتهم وتفرّقهم» من كونهم في غاية الذلّ والهوان. ومن القواعد الفطرية والأُمور الطبيعيّة كون التشتّت والتفرّق موجباً للذلّة بل الفناء.

وفي (الأغاني) : نزلت عدوان على ماء، فأحصوا فيهم سبعين ألف غلام أغرل سوى من كان مختوناً لكثرة عددهم، ثمّ وقع بأسهم بينهم فتفانوا، فقال ذو الإصبع:

عذير الحي من عدوا ... ن كانوا حيّة الأرض

بغى بعضهم بعضاً ... فلم يُبقوا على بعض

فقد صاروا أحاديث ... برفع القول والخفض

ومنهم كانت الساداا ... ت والموفون بالقرض

ومنهم حكم يقضي ... فلا ينقض ما يقضي

وروى أنّ سبب تفانيهم أنّ بني ناجي منهم أغاروا على بني عوف منهم. فقال ذو الإصبع:

فإن تك عدوان بن عمرو تفرّقت ... فقد غيّبت دهراً ملوكاً هنالكا[٤]

---

(١) يأتي في هذا العنوان في شرح فقرة: «لا يأوون إلى جناح».

(٢ و ٣) مجمع الأمثال للميداني ٢: ٣٤٠، و ١: ٣٢٩، والمستقصى للزمخشري ١: ٣٥٢، و ٢: ١٢٣.

(٤) الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني ٢: ٨٩، ١٠٤، والنقل بتلخيص.

وفي (الأغاني) أيضاً: أنّ كليب بن ربيعة التغلبي كان قد عزّ وساد في ربيعة، فبغى بغياً شديداً، وكان هو الّذي ينزلهم منازلهم ويرحّلهم، ولا ينزلون ولا يرحلون إلّا بأمره، وبلغ من عزّه أنّه اتّخذ جرو كلب، فكان إذا نزل منزل كلأ قذف ذلك الجرو فيه فيعوي، فلا يرعى أحد ذلك الكلأ إلّا بإذنه، وكان يفعل هذا بحياض الماء، فلا يردها أحد إلّا بإذنه؛ فضرب به المثل في العزّ، فقيل: أعزّ من كليب وائل. وكان يحمي الصيد، فيقول: صيد ناحية كذا وكذا في جواري، فلا يصيد منه أحد شيئاً. وكان لا يمرّ بين يديه أحد إذا جلس، ولا يحتبي أحد في مجلسه غيره، فقتله جسّاس بن مرّة البكري، فبينا امرأة كليب أُخت جسّاس تغسل رأس كليب، وتسرّحه ذات يوم، إذ قال: من أعزّ وائل؟ فصمتت، فأعاد عليها، فلمّا أكثر عليها، قالت: أخواي جسّاس وهمّام. فنزع رأسه من يدها وأخذ القوس، فرمى فصيل ناقة البسوس خالة جسّاس وجارة بني مرّة، فأغمضوا على ما فيه، وسكتوا على ذلك، ثمّ لقي كليب ابن البسوس فقال: ما فعل فصيل ناقتكم؟ قال: قتلته وأخليت لنا لبن أُمّه. فأغمضوا على هذه أيضاً.

ثمّ إنّ كليباً أعاد على امرأته: من أعزّ وائل؟ فقالت: أخواي. فأضمرها وأسرّها في نفسه، وسكت حتّى مرّت به إبل جسّاس، فرأى ناقة بسوس فأنكرها، فقال: ما هذه؟ فقالوا: لخالة جسّاس، فقال: أوَ قد بلغ من أمر ابن السعدية أن يجير عليّ بغير إذني؟ إرم ضرعها يا غلام. فرمى ضرع الناقة، فاختلط دمها بلبنها، وراحت الرعاة على جسّاس، فأخبروه بالأمر. فقال: احلبوا لها مكيالي لبن بمحلبها، ولا تذكروا لها شيئاً. فسكت جسّاس حتّى ظعن ابنا وائل. فمرّت بكر بن وائل على نهر يقال له: شبيث. فنفاهم كليب عنه، وقال: لا يذوقون منه قطرة. ثمّ مرّوا على بطن الجريب، فمنعهم إيّاه؛ فمضوا

حتّى نزلوا (الذنائب) ثمّ مرّ عليه جسّاس، وهو واقف على غدير الذنائب، فقال: طردت إبلنا عن المياه حتّى كدت تقتلهم عطشاً. فقال: ما منعناهم من ماء إلّا ونحن له شاغلون. فمضى جسّاس، ومعه ابن عمّه المزدلف، وقال بعضهم: بل ناداه جسّاس، فقال: هذا كفعلك بناقة خالتي. فقال: أو قد ذكرتها، أما إنّي لو وجدتها في غير إبل (مرّة) لاستحللت تلك الإبل بها. فعطف عليه جسّاس فطعنه برمح، فأنفذ حضنيه، فلمّا تداءمه الموت، قال: يا جسّاس اسقني الماء. قال: ما عقلت استسقاءك الماء منذ ولدتك أُمّك إلّا ساعتك هذه ـ إلى أن قال ـ قال جسّاس لأخيه نضلة ـ ويقال له: عضد الحمار ـ:

وإنّي قد جنيت عليك حرباً ... تغصّ الشيخ بالماء القراح

مذكّرة متى ما يصح عنها ... فتىً نشبت بآخر غير صاح

تنكّل عن ذئاب الغيّ قوماً ... وتدعو آخرين إلى الصلاح

فأجابه نضلة:

فإن تك قد جنيت عليّ حرباً ... فلا وان ولا رثّ السلاح

فلمّا قُتل كليب، قالت بنو تغلب بعضهم لبعض: لا تعجلوا على إخوتكم حتّى تعذروا بينكم وبينهم. فانطلق رهط من أشرافهم، وذوي أسنانهم حتّى أتوا مرّة بن ذه فعظّموا ما بينهم وبينه، وقالوا له: اختر منّا، إمّا أن تدفع إلينا جسّاساً فنقتله بصاحبنا، فلم يظلم من قتل قاتله، وإمّا أن تدفع إلينا همّاماً، وإمّا أن تقيدنا من نفسك. فسكت، وقد حضرته وجوه بكر بن وائل، فقالوا: تكلّم غير مخذول. فقال: أمّا جسّاس فغلام حديث السنّ، ركب رأسه فهرب حين خاف، فلا علم لي به، وأمّا همّام فأخو عشرة وأبو عشرة، ولو دفعته إليكم لصيّح بنوه في وجهي، وقالوا: دفعت أبانا بجريرة غيره، وأمّا أنا فلا أتعجّل الموت، وهل تزيد الخيل على أن تجول جولة، فأكون أوّل قتيل، ولكن هل لكم

في غير ذلك؟ هؤلاء بنيّ، فدونكم أحدهم فاقتلوه به، وإن شئتم فلكم ألف ناقة تضمنها لكم بكر بن وائل. فغضبوا وقالوا: إنّا لم نأتك لتؤدي إلينا بنيك، ولا لتسومنا اللبن. فتفرّقوا ووقعت الحرب. قالوا: كانت حربهم أربعين سنة، فيهن خمس وقعات مزاحمات[1].

وفي (عيون ابن قتيبة) عن وهب: أنّ الله تعالى قال لشعيا: قم في قومك أُوحِ على لسانك. فلما قام شعيا أنطق الله لسانه بالوحي، فقال: يا سماء استمعي، يا أرض انصتي. فأنصتت الأرض، واستمعت السّماء. فقال: إنّ الله تعالى يقول لكم: إنّي استقبلت بني إسرائيل بالكرامة، وهم كالغنم الضائعة لا راعي لها، فأويت شاذّتها وجمعت ضالّتها، وجبرت كسيرها وداويت مريضها، وأسمنت مهزولها، فبطرت فتناطحت، فقتل بعضها بعضاً، حتّى لم يبق منها عظم صحيح يجبر إليه آخر كسير. إنّ الحمار ممّا يتذكّر آريّه الّذي شبع عليه فيراجعه، وإنّ الثور ممّا يتذكّر مرجه الّذي سمن فيه فينتابه، وإنّ البعير ممّا يتذكّر وطنه الّذي نتج فيه فينزع إليه، وإنّ هؤلاء القوم لا يذكرون أنّي جاءهم الخير، وهم أهل الألباب وأهل العقول، ليسوا بإبل ولا بقر ولا حمير، وإنّي ضارب لهم مثلاً فاسمعوه، قل لهم: كيف ترون في أرض كانت زماناً من أزمانها خربة مواتاً لا حرث فيها، وكان لها ربّ قوي حليم، فأقبل عليها بالعمارة، وكره أن تخرب أرضه وهو قويّ، وأن يقال له: ضيّع وهو عليم، فأحاط عليها سياجاً، وشيّد فيها قصراً، وأنبط فيها نهراً، وصنف فيها غراساً من الزيتون والرمّان، والنخيل والأعناب، وألوان الثمار، وولّى ذلك ذا رأي وهمّة، حفيظاً قوياً أميناً، فلمّا أن جاء إبّان إثمارها أثمرت خرّوباً، ما كنتم قائلين له ومشيرين عليه؟ قالوا: كنّا نقول: بئست الأرض أرضك. ونشير عليه

---

(١) لم أجده في الأغاني.

أن يقلع سياجها، ويهدم قصرها، ويدفن نهرها، ويحرق غرسها حتّى تعود خربة مواتاً لا عمران فيها. قال الله تعالى: قل لهم: إنّ السياج ذمّتي، وإنّ القصر شريعتي، وإنّ النهر كتابي، وإنّ القيّم نبيّي، وإنّ الغرس مثلٌ لهم، والخرّوب أعمالهم الخبيثة، وإنّي قد قضيت عليهم قضاءهم على أنفسهم، يتقرّبون إليّ بذبح الغنم والبقر، وليس ينالني اللحم ولا آكله، ويدعون أن يتقرّبوا إليّ بالتقوى، والكفّ عن ذبح الأنفس التي حرّمتها...»[١].

«ليالي كانت الأكاسرة» جمع كسرى: لقب ملوك الفرس.

«والقياصرة» لقب ملوك الروم؛ قالوا: وأوّل من لقّب به منهم أغسطس، لأنّ أُمّه ماتت وهي حامل به فشقّ بطنها. ومعنى قيصر: شقّ عنه. فكان يفتخر بأنّ النساء لم يلدنه[٢].

«أرباباً لهم» أي: مالكين لأُمورهم.

«يحتازونهم» أي: يفصلونهم.

«عن ريف الآفاق» أي: خصبها.

«وبحر العراق» هكذا في النسخ[٣]، والظاهر أنّ الأصل: وبحري العراق، والمراد دجلة والفرات، فإنّهما لكثرة خيرهما، وما يحصل منهما سمّيا الرافدين؛ قال الفرزدق ليزيد بن عبد الملك لمّا ولّى عمر بن

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢: ٢٦٣.

(٢) هذا قول المسعودي في مروج الذهب ١: ٣٤٢. والتحقيق ان لفظ (قيصر) معرب الكلمة اللاتينية (Caesar) وهو صيغة الحال المجهول الانشائي، أو المستقبل المجهول الخبري من مصدر (Caedere) بمعنى (الشق). وأوّل من سمّي به (غايوس جوليوس سزار Gaius Julius Caesar) وهو الذي شقّ بطن اُمّه عند تولده. وأمّا (أغسطس Augustus) فهو أول من اتّخذ هذا اللفظ لقباً لنفسه، كما صرّح به دائرة المعارف العالمية [(International Enc.) ٣: ٤٧٢] وبروكسهاوس [(Brockhaus Enz.) ٢: ٨٦]، وغيرهما، وجاء ذكر اغسطس ملقباً بقيصر في إنجيل لوقا الاصحاح الثاني، الآية الأُولى.

(٣) كذا في نهج البلاغة ٢: ١٥٣، وشرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٤١، وشرح ابن ميثم ٤: ٢٨٩.

هبيرة الفزاري العراق:

أولّيت العراق ورافديه فزاريّاً أحذّ يد القميص

وكان يقال للعراق: السواد لكثرة شجرها.

«وخضرة الدّنيا» الظاهر أنّ المراد بها الشام؛ كان يقال للشام: بدل الجنّة.

قال النعمان بن جبلة التنوخي ـ وهو من صاحب رايات معاوية ـ لمعاوية: وسنقاتل عن تين الغوطة وزيتونها، إذ حرمنا أثمار الجنّة وأنهارها[١].

ومراده من حرمانهم من ثمار الجنّة لقتالهم لأمير المؤمنين عليه السلام في مساعدة معاوية.

«إلى منابت الشّيح» من النباتات القليلة الفائدة، أي: إلى مواضع لم يحصل منها نباتات جيّدة.

«ومهافي» أي: مذاهب.

«الريح» أي: مواضع يكثر هبوب الرياح فيها.

«ونكد المعاش» أي: مواضع يعسر العيش فيها.

«فتركوهم عالة» أي: ذوي فاقة.

«مساكين» لا حيلة لهم.

«إخوان دَبَر» بفتحتين: قرحة الدابّة؛ يقال: وهان على الأملس ما لاقى الدَبِر ـ بالفتح فالكسر ـ. يضرب في عدم اهتمام الرجل بصاحبه، والمراد كونهم أرباب إبل مقروحة السنام.

«ووبر» والمراد كونهم أرباب بيوت من وبر الآبال، دون بيوت مبنيّة.

«أذلّ الأُمم داراً» ومسكناً.

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٣٨٥.

«وأجدبهم» أي: أقحطهم.

«قراراً» وموضعاً.

«لا يأوون إلى جناح دعوة يعتصمون بها، ولا إلى ظلّ أُلفه يعتمدون على عزّها» فكانوا أذلّاء؛ قال البحتري:

وفي حرب العشيرة مؤبدات تضعضع تالد العزّ المهيب

وفي (الطبري) : لمّا استولى أردشير على الملك بالعراق، كره كثير من تنوخ أن يقيموا في مملكته، وأن يدينوا له، فخرج من كان منهم من قبائل قضاعة الّذين كانوا أقبلوا مع مالك وعمرو، ابني فهم ومالك بن زهير وغيرهم، فلحقوا بالشام إلى من هنالك من قضاعة، وكان ناس من العرب يحدثون في قومهم الأحداث أو تضيق بهم المعيشة، فيخرجون إلى ريف العراق، وينزلون الحيرة على ثلاث أثلاث: ثلث تنوخ: وهو من كان يسكن المظالّ، وبيوت الشعر والوبر في غربي الفرات، في ما بين الحيرة والأنبار وما فوقها، والثلث الثاني العباد: وهم الّذين كانوا سكنوا الحيرة وابتنوا بها، والثلث الثالث الأحلاف: وهم الّذين لحقوا بأهل الحيرة، ونزلوا فيهم ممّن لم يكن من تنوخ الوبر، ولا من العباد الّذين دانوا لأردشير، وكانت الحيرة والأنبار بنيتا جميعاً في زمن بختنصّر...[1].

وقال في شرح حال سابور ذي الأكتاف: إنّه كان حملاً في زمن أبيه، فأوصى بالمُلك للحمل، فولد مملّكاً، وتقلّد الوزراء والكتّاب الأعمال الّتي كانوا يعملونها في ملك أبيه، ولم يزالوا على ذلك حتّى فشا خبرهم، وشاع في أطراف مملكة الفرس أنّه كان لا ملك لهم، وأنّ أهلها إنّما يتلوّمون صبيّاً في المهد، لا يدرون ماهو كائن من أمره، فطمعت في مملكتهم الترك والروم،

---

(١) تاريخ الطبري ١: ٤٨٠.

وكانت بلاد العرب أدنى البلاد إلى فارس، وكانوا من أحوج الأُمم إلى تناول شيء من معايشهم، وبلادهم لسوء حالهم، وشظف عيشهم، فسار جمع عظيم منهم في البحر من ناحية بلاد عبد القيس والبحرين وكاظمة، حتّى أناخوا على إيرانشهر وسواحل أردشيرخره وأسياف فارس، وغلبوا أهلها على مواشيهم وحروثهم ومعايشهم، وأكثروا الفساد في تلك البلاد، فمكثوا على ذلك من أمرهم حيناً لا يغزوهم أحد من الفرس، لعقدهم تاج الملك على طفل حتّى تحرّك سابور وترعرع... ثمّ انتخب سابور ألف فارس من صناديد جنده، وأبطالهم، وتقدّم إليهم في المضيّ لأمره ونهيه، ونهاهم عن الإبقاء على مالقوا من العرب والعرجة على إصابة مال، ثمّ سار بهم، فأوقع بمن انتجع بلاد فارس من العرب وهم غارّون، وقتل منهم أبرح القتل، وأسر أعنف الأسر، وهرب بقيّتهم، ثمّ قطع البحر في أصحابه، واستقرى بلاد البحرين يقتل أهلها، ولا يقبل فداء، ولا يعرج على غنيمة، ثمّ مضى على وجهه، فورد هجر وبها ناس من أعراب تميم، وبكر بن وائل وعبد القيس، فأفشى فيهم القتل، وسفك فيهم من الدماء سفكاً سالت كسيل المطر، حتّى كان الهارب منهم يرى أنّه لن ينجيه منه غار في جبل، ولا جزيرة في بحر، ثمّ عطف إلى بلاد عبد القيس فأباد أهلها إلّا من هرب منهم، فلحق بالرمال، ثمّ أتى اليمامة فقتل بها مثل تلك المقتلة، ولم يمرّ بماء من مياه العرب إلّا غوّره، ولا جبّ من جبابهم إلّا طمّه، ثمّ أتى قرب المدينة، فقتل من وجد هنالك من العرب وأسر، ثمّ عطف نحو بلاد بكر وتغلب في مابين مملكة فارس، ومناظر الروم بأرض الشام، فقتل من وجد بها من العرب وسبى وطمّ مياههم، وأنّه أسكن من البحرين دارين، واسمهما: هيج والخط، ومن كان من عبد القيس وطوائف من تميم وهجر، ومن كان من بكر بن وائل كومان، وهم الّذين يدعون بكر أبان، ومن كان

بينهم من بني حنظلة بالرملية من بلاد الأهواز[١].

وفي (الطبري) أيضاً: كان ملك الفرس متّصلاً دائماً من عهد جيومرث إلى أن زال عنهم بأُمّة نبيّنا صلى الله عليه وآله، وكانت النبوّة والملك متّصلين بالشام ونواحيها لولد إسرائيل بن إسحاق، إلى أن زال عنهم ذلك بالفرس والروم بعد يحيى وعيسى[٢].

وفي (المروج) ثمّ ملك بعده ـ أي: من ملوك الروم ـ طيطش واسباسيانوس مشتركين في الملك ثلاث عشرة سنة، وذلك بمدينة رومية، ولسنة خلت من ملك هذين الملكين سارا إلى الشام، وكانت لهما مع بني إسرائيل حروب عظيمة، وقتل فيها من بني إسرائيل ثلاثمائة ألف، وخربا بيت المقدس، وأحرقا الهيكل بالنار، وحرثاه بالبقر، وأزالا رسمه، ومحوا أثره[٣].

«فالأحوال مضطربة، والأيدي مختلفة، والكثرة متفرّقة» في (عقد ابن عبد ربه) ـ في حروب قيس في الجاهلية وأيّامهم ـ: الأوّل: يوم منعج لغني على عبس، وفيه قتل شاس بن زهير العبسي. الثاني: يوم النقراوات لبني عامر على بني عبس، فيه قتل زهير بن جذيمة العبسي. الثالث: يوم بطن عاقل لذبيان على عامر، فيه قتل خالد بن جعفر. الرابع: يوم رحرحان لعامر على تميم، أُسر فيه معبد بن زرارة، ومات في أسره هزالاً. الخامس: يوم شعب جبلة لعامر وعبس على ذبيان وتميم، وهو أعظم أيّامهم، فيه قتل لقيط بن زرارة، ومعاوية بن الجون، ومنفذ بن طريف الأسدي، ومالك بن ربعي، وأُسر حاجب بن زرارة، وسنان بن أبي حارثة، وعمرو بن أبي عمرو. وعدّ أيّامهم ستّاً

(١) تاريخ الطبري ١: ٤٩٠، والنقل بتصرف يسير.

(٢) تاريخ الطبري ١: ٩٩، ٣٨٢.

(٣) مروج الذهب للمسعودي ١: ٣٤٦.

وثمانين آخرها يوم ذي قار وقد بعث النبيّ صلى الله عليه وآله[١].

وفي (الطبري): كان بختنصر في زمان لهراسب، وكان اصبهبد ما بين الأهواز إلى أرض الروم من غربي دجلة، فشخص حتّى أتى دمشق فصالحه أهلها، ووجّه قائداً له فأتى بيت المقدس، فصالح ملك بني إسرائيل، وهو رجل من ولد داود، وأخذ منه رهائن وانصرف، فلمّا بلغ طبرية، وثبت بنو إسرائيل على ملكهم، فقتلوه، وقالوا: راهنت أهل بابل وخذلتنا، واستعدّوا للقتال. فكتب قائد بختنصر إليه بما كان، فكتب إليه يأمره أن يقيم بموضعه حتّى يوافيه، وأن يضرب أعناق الرهائن الّذين معه. فسار بختنصر حتّى أتى بيت المقدس، فأخذ المدينة عنوة، فقتل المقاتلة، وسبى الذرّية[٢].

وفي (المروج) ـ في الثامن ممّن ملك من بني إسرائيل بعد سليمان عليه السلام ـ : ملك بعده ـ أي بعد نوفا ـ أجام فأظهر عبادة الأصنام، وطغى وأظهر البغي؛ فصار إليه بعض ملوك بابل، وكان يقال له فلعيعس، وكان من عظماء ملوك بابل، وكان للإسرائيلي معه حروب إلى أن أسره البابلي، وخرّب مدن الأسباط ومساكنهم؛ وكان في أيّامه تنازع بين اليهود في الديانة، فشذّ منهم الأسامرة، وأنكروا نبوّة داود عليه السلام ومَنْ تلاه في الأنبياء، وأبوا أن يكون بعد موسى نبيّ[٣].

وفيه: تاسعهم: حزقيل. وسار سنجاريب ملك بابل إلى بيت المقدس، وقتل خلقاً كثيراً من بني إسرائيل، وسبى من الأسباط عدداً كثيراً. وقال في عاشرهم ميشا: قتل شعيباً النبيّ عليه السلام فبعث الله قسطنطين ملك الروم، فسار

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه ٦: ٣، والنقل باختصار.

(٢) تاريخ الطبري ١: ٣٨٢.

(٣) مروج الذهب للمسعودي ١: ٧٢، والنقل بتلخيص.

إليه وأسره. وقال في حادي عشرهم: آمور اشتدّ بغيه، فسار إليه فرعون الأعرج من مصر، فأمعن في القتل، وأسره. وقال في ثاني عشرهم: نوفين هو أبو دانيال عليه السلام، وفي عصره سار بختنصر وهو مرزبان العراق والعرب من قبل ملك فارس، فأمعن في القتل والأسر، وحملهم إلى أرض العراق، وأخذ التوراة وطرحه في بئر، وعمد إلى تابوت السكينة، فأودعه بعض المواضع من الأرض. فيقال: كان عدّة من سبى من بني إسرائيل ثمانية عشر ألفاً[١].

وفي (تاريخ اليعقوبي) في تعداد ملوك بني إسرائيل: ثمّ ملك يويتيم وهو أبو دانيال النبيّ عليه السلام، وفي عصره سار بختنصر ملك بابل إلى بيت المقدس فقتل بني إسرائيل، وسباهم وحملهم إلى أرض بابل، ثمّ صار إلى أرض مصر، فقتل فرعون الأعرج ملكهما، وأخذ التوراة وما كان من الهيكل من كتب الأنبياء، فصيّرها في بئر وطرح عليها النار... فقال ارمياء النبيّ عليه السلام: اللّهم علام سلّطت بختنصر على بني إسرائيل؟ فأوحى الله إليه: إنّي انّما انتقم من عبادي إذا عصوني بشرار خلقي. ولم يزل بنو إسرائيل في الأسر حتّى تزوج امرأة منهم، فسألت أن يردّ قومها إلى بلدهم. فلمّا رجع بنو إسرائيل إلى بلدهم، ملّكوا عليهم زر بابل، فبنى مدينة بيت المقدس والهكيل، وأقام على بنائه ستاً وأربعين سنة، وفي زمانه مسخ الله بختنصر بهيمة أُنثى، فلم يزل ينتقل في أجناس البهائم سبع سنين، ثمّ يقال: إنّه تاب إلى الله عزّوجلّ فأحياه بشراً ثمّ مات؛ وكان زر بابل الّذي أخرج التوراة وكتب الأنبياء من البئر التي دفنها بختنصر، فوجدها بحالها لم تحترق[٢].

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ١: ٧٢، والنقل بتلخيص.

(٢) تاريخ اليعقوبي ١: ٦٥، والنقل بتلخيص.

«في بلاء» من هنا خصّ عليه‌السلام الكلام ببني إسماعيل، ولعلّ في الكلام سقطاً.

«أزل» أي: ضيق.

«وأطباق» قال ابن ميثم: في خط الرضي كسر الهمزة[١].

«جهل» أي: جهل مطبق، كحمّى مطبقة، لا تفارق ليلاً ونهاراً.

«من بنات موءُودة» أي: مدفونة حيّة؛ قال الجوهري: كانت كندة تئد البنات. قال الفرزدق:

ومنّا الّذي منع الوائدات فأحيا الوئيد فلم يوأد[٢]

وقال ابن أبي الحديد: كان قوم من العرب يئدون البنات، قيل: إنّهم بنو تميم خاصّة، وأنّه استفاض منهم في جيرانهم. وقيل: بل كان ذلك في بني تميم وقيس وأسد وهذيل وبكر بن وائل. قالوا: وذلك أنّ النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله دعا عليهم، فقال: «اللّهم اشدد وطأتك على مضر، واجعل عليهم سنين كسني يوسف»[٣]. فأجدبوا سبع سنين حتّى أكلوا الوبر بالدم، وكانوا يسمّونه العلهز، وأدوا البنات لإملاقهم وفقرهم؛ وقد دلّ على ذلك بقوله: ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق...﴾[٤]، قال: ﴿...ولا يقتلن أولادهنّ﴾[٥]. وقال قوم: بل وأدوا البنات أنَفة، وزعموا أنّ تميماً منعت النّعمان الأُتاوة سنة من السّنين، فوجّه إليهم أخاه الرّيان بن المنذر وجلّ من معه بكر بن وائل، فاستاق النّعم، وسبى الذّراري ـ إلى أن قال ـ: فوفدت بنو تميم إلى النّعمان واستعطفوه، فرّق عليهم وأعاد

---

(١) شرح ابن ميثم ٤: ٢٩٩.

(٢) صحاح اللغة للجوهري ١: ٥٤٣ مادة (وعد).

(٣) صحيح مسلم ١: ٤٦٦ ح ٢٩٤، وغيره.

(٤) الإسراء: ٣١.

(٥) الممتحنة: ١٢.

عليهم السّبي، وقال: كلّ امرأة اختارت أباها ردّت إليه، وإن اختارت صاحبها تركت عليه، فكلّهنّ اخترن آباءهنّ إلّا ابنة قيس بن عاصم فإنّها اختارت من سباها، وهو عمرو بن المشمرخ اليشكري، فنذر قيس بن عاصم المنقري التّميمي أن لا يولد له بنت إلّا وأدها ـ والوأد: أن يخنقها في التّراب، ويثقل وجهها به حتّى تموت ـ ثمّ اقتدى به كثير من بني تميم. قال سبحانه: ﴿وإذا الموءُودة سئلت * بأيّ ذنبٍ قُتلت﴾[1] ـ إلى أن قال ـ: وفي الحديث: أنّ صعصعة بن ناجية بن عقال لمّا وفد على النبيّ ﷺ قال: يا رسول الله: إنّي كنت أعمل في الجاهليّة عملاً صالحاً، فهل ينفعني ذلك اليوم؟ قال النبيّ ﷺ: وما عملت؟ قال: أضللت ناقتين عشراوين فركبت جملاً ومضيت في بُغائهما، فرفع لي بيت جريد فقصدته، فإذا شيخ جالس بفنائه، فسألته عن الناقتين، فقال: ما نارهما؟ قلت: ميسم بني دارم. قال: هما عندي، وقد أحيا الله بهما قوماً من أهلك من مضر. فجلست معه ليخرجهما إليّ، فإذا عجوز خرجت من كسر البيت، فقال لها: ما وضعت؟ فإن كان سقباً شاركنا في أموالنا، وإن كان حائلاً وأدناها. فقالت العجوز: وضعت أُنثى. فقلت له: أتبيعها؟ قال: وهل تبيع العرب أولادها؟ قلت: إنّما أشتري حياتها، ولا أشتري رقّها. قال: فبكم؟ قلت: احتكم. قال: بالناقتين والجمل. قلت: ذاك لك، على أن يبلغني الجمل وإيّاها. قال: قد بعتك فاستنقذتها منه بالجمل والناقتين، وآمنت بك يا رسول الله، وقد صارت لي سنّة في العرب أن أشتري كلّ موءُودة بناقتين عشراوين وجمل، فعندي إلى هذه الغاية ثمانون ومائتا موءُودة قد أنقذتهنّ. فقال النبيّ ﷺ: لا ينفعك ذاك، لأنّك لم تبتغ به وجه الله، وإن تعمل في إسلامك عملاً صالحاً تثب عليه[2].

---

(١) التكوير: ٨ ـ ٩.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٤٢.

قلت: الأصل في ما قاله المبرد في (كامله)[1] إلّا أنّه تخليط منه بين وأد البنات للأنفة، وقتل الأولاد ولو كانوا بنين للفقر والفاقة؛ وفي الأوّل: قوله تعالى: ﴿وإذا الموءودة سئلت * بأيّ ذنب قتلت﴾[2]، وفي الثاني: قوله تعالى: ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإيّاكم...﴾[3]، وأمّا قوله تعالى: ﴿...ولا يقتلن أولادهنّ...﴾[4] فليس في واحد منهما، بل في زانيات يقتلن أولادهن.

قال ابن أبي الحديد: روى الزبير بن بكار في (الموفقيات) أنّ أبا بكر قال في الجاهليّة لقيس بن عاصم المنقري: ما حملك على أن وأدت؟ قال: مخافة أن يخلف عليهنّ مثلك[5].

قلت: روى (أغاني أبو الفرج) أنّ أبا دلامة كنّي باسم جبل بمكّة يقال له: أبو دلامة. كانت قريش تئد فيه البنات في الجاهلية، وهو بأعلى مكّة[6].

«وأصنام معبودة» قال ابن الكلبي في (أصنامه): كانت مناة أقدم أصنامهم، وكانت العرب تسمّي: عبد مناة، وزيد مناة. وكان منصوباً على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد بين المدينة ومكّة، وكانت العرب جميعاً تعظّمه وتذبح حوله، ولم يكن أحد أشدّ إعظاماً له من الأوس والخزرج، فكانوا يحجّون ولا يحلقون حتّى يأتوه، فيحلقوا عنده، يرون ذلك تماماً لحجّهم، فلم يزل على ذلك حتّى خرج النبيّ ﷺ عام الفتح، فلمّا سار أربع ليال أو خمساً

---

(١) الكامل للمبرد ٤: ٢٣٠ ـ ٢٣٥.

(٢) التكوير: ٨ ـ ٩.

(٣) الإسراء: ٣١.

(٤) الممتحنة: ١٢.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٤٣.

(٦) الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني ١٠: ٢٣٧.

بعث علياً عليه السلام إليها فهدمها، وأخذ ما كان لها، فأقبل به إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فكان في ما أخذ سيفان كان الحارث بن أبي شمر الغسّاني ملك غسان أهداهما له يسمّى أحدهما: مخذماً، والآخر: رسوباً، وذكرهما علقمة:

مظاهر سربالي حديد عليهما　　　　عقيلاً سيوف مخذم ورسوب

فوهبهما النبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام، ويقال: إنّ ذا الفقار سيف عليّ عليه السلام أحدهما، ويقال: إنّ علياً عليه السلام وجد هذين السيفين في الفلس، وهو صنم طي، حيث بعثه النبيّ صلى الله عليه وآله فهدمه ـإلى أن قال ـ: ومرض أبو أحيحة، وهو سعيد ابن العاص بن أُميّة مرضه الّذي مات فيه، فدخل عليه أبو لهب يعوده، فوجده يبكي، فقال: أمن الموت تبكي ولابدّ منه؟ قال: لا، ولكنّي أخاف ألّا يعبد العزّى بعدي. قال أبو لهب: والله ما عُبدت في حياتك من أجلك، ولا تُترك عبادتها بعدك لموتك. فقال أبو أحيحة: الآن علمت أن لي خليفة، وأعجبه شدّته في عبادتها ـإلى أن قال ـ: وكانت لقريش أصنام في جوف الكعبة وحولها، وكان أعظمها عندهم هبل وكان في ما بلغني من عقيق أحمر على صورة الإنسان، مكسور اليد اليمنى أدركته قريش كذلك، فجعلوا له يداً من ذهب؛ وله يقول أبو سفيان حين ظفر يوم أُحد: اعلُ هبل. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: الله أعلى وأجلّ[1].

وروى (الكافي) عن الصادق عليه السلام كانت قريش تلطخ الأصنام الّتي كانت حول الكعبة بالمسك والعنبر، وكان يغوث قبال الباب، وكان يعوق عن يمين الكعبة، وكان نسر عن يسارها، وكانوا إذا دخلوا خرّوا سجّداً ليغوث ولا ينحنون ثمّ يستديرون بحيالهم إلى يعوق، ثمّ يستديرون بحيالهم إلى نسر، ثمّ يلبّون فيقولون: لبّيك اللّهم لبّيك لبّيك لا شريك لك إلّا شريك هو لك تملكه وما ملك. قال فبعث الله ذباباً أخضر له أربعة أجنحة، فلم يبق من ذلك المسك

---

(١) رواه عنه الحموي في معجم البلدان ٤: ١١٦، و ٥: ٢٠٤، ٣٩١ متفرقاً، والنقل بتصرف في اللفظ.

والعنبر شيئاً إلّا أكله، وأنزل الله تعالى: ﴿يا أيّها النّاس ضرب مثل فاستعموا له إنّ الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب﴾[١].

«وأرحام مقطوعة» فبكر وتغلب كانوا بني عمّ وجدّهما وائل، والأوس والخزرج كانوا بني عم وجدّهما حارثة، وقد ذكر التاريخ حروب كلّ منهما، والأيّام الّتي كانت بينهما.

«وغارات مشنونة» أي: متفرقة من كلّ جانب؛ قالت ليلى الأخيلية:

شننّا عليهم كلّ جرداء شطبة لجوج تباري كلّ أجرد شرحب[٢]

وكان أحدهم يغير على آخر فيرجع، فيرى أنّ آخر أغار عليه.

وقال الخوئي: قد ألّف إبراهيم بن مسعود الثقفي كتاباً سمّاه (كتاب الغارات) جمع فيه غارات العرب وحروبهم[٣].

قلت: كتاب إبراهيم الثقفي إنّما هو في غارات معاوية بعد صفّين على البلاد الّتي كانت في يد أمير المؤمنين عليه السلام[٤]، وأمّا غارات العرب قبل الاسلام كما هو مورد كلامه عليه السلام فقد جمعها مع حروبهم ابن عبد ربّه في (عقده)[٥]، والجزري في (كامله)[٦] بعنوان أيّام العرب.

«فانظروا إلى مواقع نعم الله عليهم حين بعث إليهم رسولاً» قال عزّوجلّ:

---

(١) الكافي للكليني ٤: ٥٤٢ ح١١، والآية ٧٣ من سورة الحج.

(٢) أورده في لسان العرب ١٣: ٢٤٢ مادة (شنن).

(٣) شرح الخوئي ٥: ٢٨٧.

(٤) طبع أخيراً كتاب الغارات لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي باهتمام السيد جلال الدين المحدث الارموي وتحقيقه في مجلدين بطهران.

(٥) العقد الفريد لابن عبد ربه ٦: ٢.

(٦) الكامل لابن الأثير ١: ٥٠٢.

﴿هو الّذي بعث في الأُمّيين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾[١].

قال الشاعر:

أتذكر إذْ لحافك جلد شاة وإذْ نعلاك من جلد البعير

وفي (العقد): كانت آخر وقائع العرب وقعة ذي قار؛ وقد بُعث النبيّ صلى الله عليه وآله فأخبر أصحابه بها، وقال: اليوم انتصفت العرب من العجم، وبي نُصروا[٢].

«فعقد بملّته طاعتهم» فكان المؤمنون يطيعونه أكثر من طاعة السوقة للملوك؛ وفي (الطبري): كان النبيّ صلى الله عليه وآله إذا غضب احمارّ وجنتاه، فأتاه المقداد على تلك الحال ـ لمّا أراد غزوة بدر ـ فقال: أبشر يا رسول الله، فوالله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿...اذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا هاهنا قاعدون﴾[٣] ولكن والّذي بعثك بالحقّ لنكوننّ من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك، أو يفتح الله لك، لو سرت بنا إلى برك الغماد ـ يعني مدينة الحبشة ـ لجالدنا معك. فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله خيراً، ودعا له بخير، ثمّ قال: أشيروا عليّ أيّها الناس، وإنّما يريد الأنصار ـ إلى أن قال: ـ قال له سعد بن معاذ: والله لكأنّك تريدنا يا رسول الله. قال: أجلّ. قال: فقد آمنّا بك وصدّقناك وشهدنا أنّ ما جئت به هو الحقّ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة[٤].

«وجمع على دعوته ألفتهم» قال تعالى: ﴿وألّف بين قلوبهم لو أنفقت ما

---

(١) الجمعة: ٢.

(٢) نقله ابن عبد ربه في العقد الفريد ٦: ٩٦ والنقل بالمعنى.

(٣) المائدة: ٢٤.

(٤) تاريخ الطبري ٢: ١٤٠ سنة ٢، وخلط الشارح في النقل بين حديث البراء بن عازب وعبد الله بن مسعود.

في الأرض جميعاً ما ألّفت بين قلوبهم ولكنّ الله ألّف بينهم إنّه عزيز حكيم﴾[١]، ﴿...واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبيّن الله لكم آياته لعلّكم تهتدون﴾[٢].

«**كيف نشرت النعمة عليهم جناح كرامتها**» وجعلتهم تحت حضانتها.

«**وأسالت لهم جداول**» أي: أنهاراً.

«**نعيمها**» فمتّعتهم بثمارها؛ وفي (تاريخ بغداد) عن عتبة بن غزوان: لقد رأيتني مع النبيّ ﷺ سابع سبعة، قد قرحت أشداقنا من أكل ورق الشجر، حتّى وجدت بردة فاقتسمتها بيني وبين سعد، وما منّا اليوم إلّا أمير على مصر[٣].

«**والتفّت الملّة بهم في عوائد بركتها**» قال ابن أبي الحديد: أي جمعتهم الملّة كائنة في عوائد بركتها[٤].

قلت: بل المعنى لصقتهم الملّة، أي: ملّت الاسلام، واحاطت بهم من حيث عوائد بركتها.

«**فأصبحوا في نعمته**» أي: نعمة ملّة الإسلام.

«**غرقين**» إلى رؤوسهم.

«**وفي خضرة عيشها فكهين**» أي: مسرورين وأشِرين وبطرين.

«**قد تربّعت الأُمور**» أي: صلحت واستقامت؛ قال شاعر:

---

(١) الأنفال: ٦٣.

(٢) آل عمران: ١٠٣.

(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١: ١٥٦، والنقل بالمعنى.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٤٣.

ما في معدٍّ فتىً تغني رباعته إذا يهمّ بأمر صالح فعلا[(١)]

«بهم» أي: بسببهم.

«في ظلّ سلطان قاهر» ببركة نبوّته صلى الله عليه وآله؛ وفي (الطبري): حجّ عمر فلمّا كان بضجنان قال: لا إله إلّا الله العظيم العليّ المعطي ما شاء مَنْ شاء، كنت أرعى إبل الخطّاب بهذا الوادي في مدرعة صوف، وكان فظّاً يُتعبني إذا عملت، ويضربني إذا قصّرت، وهو أوّل من حمل الدرّة وضرب بها، وهو أوّل من دوّن للناس في الإسلام الدواوين، وكتب الناس على قبائلهم، وفرض لهم العطاء، وكان عنده خيل موسومة في أفخاذها حبيس[(٢)].

«وآوتهم» بالمدّ، أي: أنزلتهم، ولا يجوز القصر؛ وقال ابن أبي الحديد: آوتهم بالمدّ، ويجوز بغير المد، أفعلت وفعلت، في هذا المعنى واحد عن أبي زيد[(٣)].

قلت: الأصل في كلامه (الصحاح) في نقل ما قال عن أبي زيد[(٤)]، لكنّه غير صحيح، فحرّف على أبي زيد؛ قال ابن دريد في (جمهرته): قال أبو زيد: تقول العرب: بتّ بهذا المنزل وبتّه، وظفرت بالرجل وظفرته، وأويت الى الرجل وأويته أويّاً: إذا نزلت به[(٥)]. وهو كما ترى إنّما يدلّ على أنّ (أوى) بدون المدّ بمعنى النزول به، يتعدّى بالنفس، فيقال: أويته، وبإلى، فيقال: أويت إليه، وأين هو ممّا ادّعيا من كون أوى بلا مدّ ك(آوى) مع المدّ في كونه بمعنى الإنزال.

«الحال إلى كنف» أي: ناحية.

---

(١) لسان العرب لابن منظور ٨: ١٠٨ مادة (ربع).

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٢٨٦، ٢٧٧، ٢٧٩ سنة ٢٣ متفرقاً.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٤٣، والنقل بالمعنى.

(٤) صحاح اللغة للجوهري ٦: ٢٢٧٤ مادة (أوى).

(٥) جمهرة اللغة لابن دريد ٣: ٤٩٤.

«عزّ غالب» فصارت العرب ذاك اليوم أعزّ من الفرس والروم.

«وتعطّفت الأُمور عليهم» قال ابن دريد: تعطّف فلان على فلان: إذا أوى له، أو وصله[١].

«في ذَرَى» بالفتح، أي: كنف.

«ملك ثابت» لأنّ ملكهم كان ذاك اليوم أوّل ملك في الدّنيا.

«فهم حكّام على العالمين، وملوك في أطراف الأرضين» فتح المسلمون أفريقية في سنة (٢٧) وأخذوا منهم ثلاثمائة قنطار ذهب، ووهبها عثمان لآل عمّه الحكم بن أبي العاص[٢]، وفتحوا قبرس في تلك السنة أو سنة أُخرى، وفتحوا فارس الأوّل واصطخر الثاني في سنة (٢٨) وفتحوا طبرستان في سنة (٢٩)[٣].

«يملكون الأُمور على من كان يملكها عليهم» من الفرس والغساسنة والمناذرة واليمن؛ قالت بنت النّعمان بن المنذر:

فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة نتنصّف

«ويمضون الأحكام في من كان يمضيها فيهم» في (الطبري): قال جبير بن نفير: لمّا سبينا أهل قبرس، نظرت إلى أبي الدّرداء يبكي، فقلت: ما يبكيك في يوم أعزّ الله فيه الإسلام وأهله، وأذلّ فيه الكفر وأهله؟ فضرب بيده على منكبي، وقال: ثكلتك أُمّك يا جبير، ما أهون الخلق على الله إذا تركوا أمره؛ بينا هي أُمّة ظاهرة قاهرة للنّاس لهم الملك، إذ تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى،

---

(١) جمهرة اللغة لابن دريد ٣: ١٠٤.

(٢) نقله الطبري في تاريخه ٣: ٣١٢، ٣١٤ سنة ٢٧، ونقل بعضه البلاذري في فتوح البلدان: ٢٢٨.

(٣) نقلها الطبري في تاريخه ٣: ٣١٥، ٣٢٠، ٣٢٣ سنة ٢٨ ـ ٣٠، والبلاذري في فتوح البلدان: ١٥٧، ٢٥١، ٣١١، ٣٣٠، باختلاف يسير.

فسلّط الله عليهم السباء، وإذا سلّط السباء على قوم فليس لله فيهم حاجة[١].

وفيه: أنّ في عهد أهل قبرس ألّا يتزوّجوا في عدوّ المسلمين من الروم إلّا بإذنهم[٢].

وروى: أنّ أهل طبرستان سألوا المسلمين الأمان، فأعطاهم سعيد بن العاص الأمان على ألّا يقتل منهم رجلاً واحداً، ففتحوا الحصن فقتلهم جميعاً إلّا رجلاً واحداً، وحوى ما كان في الحصن[٣].

«لا تغمز لهم قناة» عدم غمز قناة لهم كناية عن عدم استطاعة غيرهم لإيقاع ضرر عليهم، وقد يجيء للحقيقة؛ قال الشاعر:

وكنت إذا غمزت قناة قوم كسرت كعوبها أو تستقيما[٤]

«ولا تقرع لهم صَفاة» بالفتح: الصخرة الملساء؛ يقال في المثل: ما تندى صفاته[٥].

وقوله عليه السلام: «لا تقرع لهم صفاة» أيضاً كناية عن العزّ، وقد يجيء أيضاً للحقيقة؛ كقول الشاعر في وصف ذئب:

يستمخر الريح إذا لم يسمع بمثل مقراع الصفا الموقّع[٦]

ومثل المثلين في الكناية عن الاقتدار والمنعة قولهم: لا يقعقع له بالشنان[٧]. وقولهم: لا تقرع له العصا، ولا تقلقل له الحصى[٨].

---

(١) و (٢) تاريخ الطبري ٣: ٣١٨ ـ ٣١٩ سنة ٢٩، والنقل بالمعنى.

(٣) تاريخ الطبري ٣: ٣٢٤ سنة ٣٠.

(٤) لسان العرب لابن منظور ٥: ٣٨٩ مادة (غمز).

(٥) لسان العرب لابن منظور ١٤: ٤٦٤ مادة (صفا).

(٦) لسان العرب لابن منظور ٨: ٢٦٤ مادة (قرع).

(٧) المستقصى للزمخشري ٢: ٢٧٤.

(٨) مجمع الأمثال للميداني ٢: ٢٤١.

«ألا وإنّكم قد نفضتم» أي: حرّكتم بالرفع والخفض.

«أيديكم من حبل الطاعة» الّتي أمر الله تعالى بها في قوله: ﴿...واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا...﴾[1]، وقد روى الثعلبي في تفسير الآية بأسانيد عن النبيّ صلى الله عليه وآله، قال: أيّها الناس إنّي قد تركت فيكم الثقلين خليفتين، إن أخذتم بهما لن تضلّوا بعدي، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ـأو قال: إلى الأرض ـ وعترتي أهل بيتي ألا وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض[2].

«وثلمتم» بفتح اللام، أي: جعلتم فيه ثلمة، والثلمة: الخلل في الحائط، وغيره.

«حصن الله المضروب عليكم» دون باقي الفرق.

«بأحكام» متعلّق بقوله: ثلمتم، والباء فيه للاستعانة.

«الجاهلية» التي أزالها الإسلام؛ روى كاتب الواقدي في (طبقاته) عن أبي غادية قال: خطبنا صلى الله عليه وآله يوم العقبة فقال: يا أيّها الناس ألا إنّ دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربّكم، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا هل بلّغت. فقلنا: نعم. فقال: اللّهمّ اشهد. ثمّ قال: ألا لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض[3].

وروى الخبر عن ابن قتيبة في (معارفه) هكذا: قال أبو الغادية: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: ألا لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، فإنّ الحقّ يومئذٍ لمع عمّار. ثمّ قال ابن قتيبة: قال أبو الغادية: وسمعت عمّاراً يذكر

---

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) نقله عن الثعلبي في تفسيره ابن البطريق في العمدة: ٣٥.

(٣) الطبقات لابن سعد ٣ ق ١: ١٨٦.

عثمان في المسجد، قال: يدعى فينا جباناً، ويقول: إنّ نعثلاً هذا يفعل ويفعل؛ يعيبه، فلو وجدت عليه أعواناً يومئذٍ لوطئته حتّى أقتله، فبينما أنا يوم صفين، إذا به أوّل الكتيبة، فطعنه رجل في ركبته فانكشف المغفر عن رأسه، فضربتُ رأسه، فإذا رأس عمّار قد ندر. ثمّ قال ابن قتيبة: قال كلثوم بن جبير ـ أي: الراوي عن أبي غادية ما مرّ ـ فما رأيت شيخاً أضلّ منه يروي أنّه سمع النبيّ ﷺ يقول ما قال، ثمّ ضرب عنق عمّار[١].

قلت: ليس العجب من الضلال منحصراً بذاك الشيخ أبي غادية، بل عامة مشائخ إخواننا مثله، فرووا أنّ النبيّ ﷺ قال في حروبهم باسم عثمان: إنّ الحقّ يكون مع عمّار. وعمّار كان من قتلة عثمان عملاً وقولاً وسبباً، ومع ذلك يقولون: إنّ عثمان إمام حقّ، إلّا أنّهم رأوا أنّهم لو أنكروه كان عليهم إنكار شيخيهم ـ كما أي أبو غادية ـ لاتّحاد المبنى، فرجّحوا أمر الأُموية على أمر النبيّ ﷺ، وقوله: فاضطروا عملاً إلى مخالفة القاعدة العقلية من دلالة بطلان اللازم على بطلان الملزوم، ثمّ من مصاديق قوله عليه السلام: من ثلمهم حصن الإسلام بأحكام الجاهلية استلحاق معاوية زياداً به بزنا أبيه بأُمّه، مع أنّ الإسلام قال: الولد للفراش، وللعاهر الحجر، كما اعترف به ابن الأثير في (كامله)[٢].

«والله سبحانه قد امتنّ على جماعة هذه الأُمّة في ما عقد بينهم من حبل هذه الأُلفة التي ينتقلون في ظلّها» قال تعالى ممتنّاً عليهم: ﴿...واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً...﴾[٣].

---

(١) المعارف لابن قتيبة: ٢٥٧.

(٢) الكامل لابن الأثير ٣: ٤٤١ سنة ٤٤.

(٣) آل عمران: ١٠٣.

«ويأوون إلى كنفها» أي: جانبها.

«بنعمة لا يعرف أحد من المخلوقين لها قيمة» لأنّهم بتلك الألفة ملكوا الأمم، وسخّروا العرب والعجم.

«لأنّها أرجح من كلّ ثمن» قيل: إنّه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿...لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألّفت بين قلوبهم ولكنّ الله ألّف بينهم...﴾[1].

«وأجلّ من كلّ خطر» أي: شيء ذي قيمة.

«واعلموا أنّكم صرتم بعد الهجرة أعراباً» لأنّ في محلّ الأعراب لا تقام شرائع الإسلام كما تقام في محلّ الهجرة، فإذا لا تقام في محلّ الهجرة يصيرون كالأعراب؛ وقال ابن أبي الحديد: صارت هذه الكلمة جارية مجرى المثل، أنشد الحجاج على منبر الكوفة:

قد لفّها اللّيل بعصلبيّ أروع خرّاج من الدّويّ

مهاجر ليس بأعرابي

وقال عثمان لأبي ذرّ: أخشى أن تصير بعد الهجرة أعرابياً[2].

قلت: قد عرفت الأصل في الهجرة والأعرابية، ولم يكن للكلام ربط بالمثل، وأمّا حديثه الشريف، فمن موضوعات سيف الّذي ما استحيى، وقال في ضدّ متواتر التاريخ: إنّ عثمان ما نفى أبا ذر إلى الربذة، بل أبو ذر نفسه أراد الإعراض عن المدينة والإقامة في الربذة، فقال له عثمان ذلك. والاستناد إلى غير معلوم الصدق شين، فكيف إلى معلوم الكذب.

«وبعد الموالاة أحزاباً» أي: صرتم بعد كونكم من أولياء الاسلام من أعداء الإسلام الّذين حزّبوا أحزاباً لاستيصال بيضته، فجاؤوهم من فوقهم

---

(١) الأنفال: ٦٣.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٤٤.

ومن أسفل منهم؛ والأصل في الأحزاب أنّ جمعاً من اليهود خرجوا إلى قريش، فدعوهم إلى حرب النبيّ صلى الله عليه وآله، ثمّ خرجوا إلى غطفان فدعوهم إلى حربه فأجابتا لهم، فأقبل أُولئك الأحزاب إليه في غزوة الخندق[1].

«ما تتعلّقون من الإسلام إلّا باسمه» دون مسمّاه، فإنّ المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه.

«ولا تعرفون من الإيمان إلّا رسمه» بإقامة الصّلوات الخمس في أوقاتها دون حقيقته ﴿إنّما المؤمنون الّذين إذا ذُكر الله وجلت قلوبهم وإذا تُليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربّهم يتوكّلون * الّذين يقيمون الصلاة وممّا رزقناهم ينفقون﴾[2]، ﴿قد أفلح المؤمنون * الّذين هم في صلاتهم خاشعون * والّذين هم عن اللغو معرضون... أُولئك هم الوارثون * الّذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾[3].

«تقولون النار ولا العار» والأصل في الكلام تقولون: نختار النار ولا نختار العار[4]. كما أنّ الأصل في قول الكلمة أوس بن حارثة؛ وقال: ابن أبي الحديد هي كلمة جارية مجرى المثل أيضاً، يقولها أرباب الحميّة والإباء؛ فإذا قيلت في حقّ كانت صواباً، وإذا قيلت في باطل كانت خطأً[5]. وتبعه الخوئي[6].

قلت: هو كلام مضحك، فاختيار النار، أي: نار جهنم كيف يمكن أن يكون

---

(١) نقله بتفصيل ابن هشام في السيرة ٣: ١٢٧، والواقدي في المغازي ١: ٤٤١، وابن سعد في الطبقات ٢ ق١: ٤٧، والطبري في تاريخه ٢: ٢٣٣ سنة ٥، والقمي في تفسيره ٢: ١٧٧، والطبرسي في أعلام الورى: ٩٠.

(٢) الأنفال: ٢ ـ ٣.

(٣) المؤمنون: ١ ـ ١١.

(٤) المستقصى للزمخشري ١: ٣٥١ وفيه: النار ولا العار.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٤٥.

(٦) شرح الخوئي ٥: ٢٩٤، ٢٩٥.

حقّاً، ولا يقول الكلمة إلّا أهل الباطل؟ وأمّا أهل الحقّ، فإنّما يقولون ما قاله عليه السلام في موضع آخر: «المنية ولا الدنية»[١]، وماقاله الحسين عليه السلام يوم الطّف:

الموت خير من ركوب العار والعار أولى من دخول النار

والله ما هذا وهذا جاري[٢]

«كأنّكم تريدون أنّ تُكفئوا» من: كفأت الإناء: كببته وقلبته.

«الإسلام على وجهه».

«إنتهاكاً» افتعال من (نهك)، وليس بانفعال، فإنّه لو كان لكان من (تهك) وليس لنا تهك.

«لحريمه» قال الجوهري: انتهاك الحرمة: تناولها بما لا يحل[٣].

«ونقضاً لميثاقه» قال تعالى في بني إسرائيل: ﴿فبما نقضهم ميثاقَهم لعنّاهم وجعلنا قلوبهم قاسية...﴾[٤].

«الّذي» وصف للإسلام، وجعله ابن ميثم[٥] وصفاً لميثاق، ومع كونه خلاف الظاهر لعدم الإتيان بوصف لحريم يمنع منه قوله بعد: «وأنّكم إن لجأتم إلى غيره»..

«وضعه الله لكم حرماً في أرضه» فكما أنّ الحرم صيده وشجره حرام، المسلم ماله ودمه حرام؛ قال النبيّ صلى الله عليه وآله: أُمرت أن أُقاتل الناس حتّى يقولوا: لا إله إلّا الله، فإذا قالوا: لا إله إلّا الله عصموا منّي دماءهم[٦].

---

(١) نهج البلاغة للشريف الرضي ٤: ٩٤ الحكمة ٣٩٦، وذكره بعنوان المثل الميداني في مجمع الأمثال ٢: ٣٠٣.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ٤: ٦٨.

(٣) صحاح اللغة للجوهري ٣: ١٦١٣ مادة (نهك).

(٤) المائدة: ١٣.

(٥) شرح ابن ميثم ٤: ٣٠٣.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه ١: ٥٢ ح٣٥، والترمذي في سننه ٥: ٤٣٩ ح٣٣٤١، وابن ماجه في سننه ٢: ١٢٩٥

وقال الخوئي في شرح الفقرة: لمنعه الآخذين به والمواظبين له من الرفث والفسوق والجدال[١].

قلت: أيّ ربط لما قال هنا؟ فإنّ ما قاله محرّمات الإحرام ولو كان في غير الحرم، والرفث مطلق المقاربة ولو بالحلال، كما أنّ الجدال مطلق اليمين ولو صدقاً لا الحرم؛ وقد قال عليه السلام: وضعه لكم حرماً، ولم يقل: إحراماً.

«وأمناً بين خلقه» فكما أنّ الحرم من دخله كان آمناً، ولو كان قاتلاً في غيره، كذلك الإسلام من دخله كان آمناً، ولو كان قبل إسلامه قاتلاً؛ وقال عزّوجلّ: ﴿...ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدّنيا... كذلك كنتم من قبل فمنّ الله عليكم...﴾[٢].

«وإنّكم إن لجأتم إلى غيره» أي: غير الإسلام.

«حاربكم أهل الكفر» كما حاربوكم حين كنتم متمسّكين به.

«ثمّ لا جبرئيل ولا ميكائيل ولا مهاجرون ولا أنصار ينصرونكم» كما كانوا ينصرونكم زمن النبيّ صلى الله عليه وآله حيث كنتم معتصمين به؛ قال تعالى: ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين...﴾[٣]، ﴿إذ تستغيثون ربّكم فاستجاب لكم أنّي ممدّكم بألف من الملائكة مردفين﴾[٤]، ﴿إذ يوحي ربّك إلى الملائكة أنّي معكم فثبّتوا الّذين آمنوا سأُلقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كلّ بنان﴾[٥].

ح٣٩٢٨، وأحمد بأربع طرق في مسنده ٣: ٢٩٥، ٣٠٠، ٣٣٢، ٣٣٩، وابن سعد في الطبقات ١ ق١: ١٢٨، وغيرهم عن جابر بن عبد الله، وفي الباب عن علي والصادق عليهما السلام وابن هريرة وابن عمر وأوس.

(١) شرح الخوئي ٥: ٢٩٤، ٢٩٥.

(٢) النساء: ٩٤.

(٣) التوبة: ٢٥.

(٤) الأنفال: ٩.

(٥) الأنفال: ١٢.

وفي (تفسير القمي): وجاء إبليس إلى قريش في صورة سراقة بن مالك فقال لهم: أنا جاركم ادفعوا إليّ رايتكم فدفعوها إليه، وجاء بشياطينه يهوّل بهم على أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله ويخيّل اليهم ويفزعهم، وأقبلت قريش يقدمها إبليس معه الراية، فنظر إليه النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: غضّوا أبصاركم وعضّوا على النواجذ، ولا تسلّوا سيفاً حتّى آذن لكم. ثمّ رفع يده إلى السّماء، وقال: يا ربّ إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد، وإن شئت أن لا تعبد لا تعبد، ثمّ أصابه الغشي فسري عنه، ويسلت العرق عن وجهه، ويقول: هذا جبرئيل قد آتاكم في ألف من الملائكة مردفين. قال: فنظرنا فإذا سحابة سوداء فيها برق لائح قد وقعت على عسكر النبيّ صلى الله عليه وآله، وقائل يقول: أقدم حيزوم أقدم حيزوم، وسمعنا قعقعة السلاح من الجوّ ونظر إبليس إلى جبرئيل فتراجع، ورمى باللواء، فأخذ منبه بن الحجّاج بمجامع ثوبه، ثمّ قال: ويلك يا سراقة تفتّ في أعضاد الناس، فركله إبليس ركلة في صدره، وقال: ﴿إنّي أرى ما لا ترون، إنّي أخاف الله﴾ وهو قول الله تعالى: ﴿وإذْ زيّن لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإنّي جار لكم فلمّا تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إنّي بريء منكم إنّي أرى ما لا ترون...﴾[١] وأسر أبو بشر الأنصاري العبّاس بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب، وجاء بهما إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال له: هل أعانك عليهما أحد؟ قال: نعم، رجل عليه ثياب بيض. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: ذاك من الملائكة[٢].

وفيه أيضاً: نزل قوله تعالى: ﴿يا أيّها الّذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها...﴾[٣] في قصّة

---

(١) الأنفال: ٤٨.

(٢) تفسير القمي ١: ٢٦٦.

(٣) الاحزاب: ٩.

الأحزاب من قريش والعرب الّذين تحزّبوا على النبيّ صلى الله عليه وآله -إلى أن قال بعد ذكر هزيمة الأحزاب- وبعث النبيّ صلى الله عليه وآله حذيفة لتجسّس أخبارهم، قال حذيفة: فمضيت وأنا انتفض من البرد، فوالله ما كان إلّا بقدر ما جزت الخندق، حتّى كأنّي في حمّام، فقصدت خباءً عظيماً، فإذا نار تخبو وتوقد، وإذا خيمة فيها أبو سفيان قد دلّى خصيتيه على النار، وهو ينتفض من شدّة البرد، ويقول: يا معشر قريش إن كنّا نقاتل أهل السماء بزعم محمّد، فلا طاقة لنا بأهل السماء، وإن كنّا نقاتل أهل الأرض فنقدر عليهم -إلى أن قال- فلمّا دخل النبيّ صلى الله عليه وآله المدينة، واللواء معقود، أراد أن يغتسل من الغبار، فناداه جبرئيل: عذيرك من محارب، والله ما وضعت الملائكة لأمتها، فكيف تضع لأمتك؟ إنّ الله يأمرك ألّا تصلّي العصر إلّا ببني قريظة، فإنّي متقدّمك ومزلزل بهم حصنهم، إنّا كنّا في آثار القوم نزجرهم زجراً حتّى بلغوا حمراء الأسد[1].

وروى أبو الفرج في (مقاتله) بأسانيد عن جمع قالوا: خطب الحسن عليه السلام بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام فقال: لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأوّلون بعمل، ولا يدركه الآخرون بعمل، ولقد كان يجاهد مع النبيّ صلى الله عليه وآله فيقيه بنفسه، ولقد كان يوجّهه برايته، فيكتنفه جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتّى يفتح الله عليه[2].

قال ابن أبي الحديد: قوله عليه السلام: «ثمّ لا جبرئيل ولا ميكائيل ولا مهاجرين» الرواية المشهورة هكذا بالنصب، وهو جائز على التشبيه بالنكرة، كقولهم: معضلة ولا أبا حسن ولها. وقال الراجز:

لا هيثم الليلة للمطيّ

(١) تفسير القمي ٢: ١٧٦.

(٢) مقاتل الطالبيين لأبي فرج الاصفهاني: ٣٢.

وقد روي بالرفع في الجميع[1].

قلت: بل قوله عليه السلام «ولا مهاجرون ولا أنصار» بلا لام، دون أن يقول: ولا المهاجرون ولا الأنصار، دليل على إرادة العموم بجبرئيل وميكائيل، كقولهم: ولا أبا حسن، دون أن يقولوا: ولا أبا الحسن؛ ولا فرق بين رواية الرفع والنصب في المعنى مع تكرار لا، مع أنّ الرواية المشهورة الرفع، كما في (ابن ميثم)[2] الّذي نسخته بخطّ المصنّف، وكذا (ابن أبي الحديد)[3] نفسه في عنوانه على ما في نسخته.

«إلّا المقارعة بالسيف» قال ابن أبي الحديد: المقارعة منصوبة على المصدر. وقال الراوندي: هي استثناء منقطع[4]. وقال الخوئي: مراد ابن أبي الحديد أنّه خبر، وأنّه نظير: مازيد إلّا سيراً، وأصله: مازيد إلّا يسير سيراً، وهنا الأصل: لا أنصار ينصرونكم إلّا تقارعوا المقارعة بالسيف. وما قاله يقتضيه النظر الدقيق[5].

قلت: بل الواضح الّذي لا غبار عليه هو قول الراوندي، فإنّ (ينصرونكم) هو الخبر، فعنده يتمّ معنى الكلام، يوضحه: إنّا نسقط الاستثناء، ونقول: ثمّ لا جبرئيل ولا ميكائيل ولا مهاجرون ولا أنصار ينصرونكم، ويكون كلاماً تامّاً، وإنّما توهّما كون (ينصرونكم) وصفاً، فوقعا في ما وقعا، ثمّ لو كان نظير (ما زيد إلّا سيراً) ما هذه اللازم في (المقارعة)؟ ولِمَ لم يقل (إلّا مقارعة)؟

وقال الخوئي: يروى برفع (المقارعة) ونصبها[6].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٤٥.

(٢) شرح ابن ميثم ٤: ٢٩٠.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٤٤.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٤٥.

(٥ و ٦) شرح الخوئي ٥: ٢٩٢ ـ ٢٩٣ والنقل بالمعنى.

قلت: بل اتّفقوا على نصبها إمّا على المصدرية كما قال ابن أبي الحديد، أو الاستثناء الانقطاعي كما قال الراوندي؛ فإنّه في غير لغة تميم واجب النصب ولو في النفي.

«حتى يحكم الله بينكم» بالغلبة لأحد الفريقين.

«وإنّ عندكم الأمثال من بأس الله» أي: عذابه؛ ﴿وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كلّ مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾[١].

«وقوارعه» أي: شدائده على الناس بسبب أعمالهم؛ قال تعالى: ﴿...ولا يزال الّذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحلّ قريباً من دارهم حتّى يأتي وعد الله إنّ الله لا يخلف الميعاد﴾[٢].

«وأيّامه» قال تعالى: ﴿...وذكّرهم بأيّام الله...﴾[٣]؛ وفي (تفسير القمي): أيّام الله ثلاثة: يوم القائم، ويوم الموت، ويوم القيامة[٤].

«ووقائعه» أي: إيقاعاته بالمجرمين؛ قال تعالى ـ بعد ذكر قوم عاد وقوم ثمود وقارون وفرعون وهامان ـ: ﴿فكلّاً أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصّيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾[٥].

«فلا تستبطئوا وعيده» أي: لا تعدّوا إخباره بانتقامه من المجرمين بطيئاً.

«جهلاً بأخذه» أي: لجهلكم بموقع أخذه؛ قال تعالى: ﴿ولقد استُهزئ

---

(١) النحل: ١١٢.

(٢) الرعد: ٣١.

(٣) إبراهيم: ٥.

(٤) تفسير القمي ١: ٣٦٧.

(٥) العنكبوت: ٤٠.

برسل من قبلك فأمليت للّذين كفروا ثمّ أخذتهم فكيف كان عقاب﴾[١].

«وتهاوناً ببطشه» أي: سطوته؛ قال تعالى: ﴿ولقد أرسلنا إلى أُمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضرّاء لعلّهم يتضرّعون * فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرّعوا ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون﴾[٢].

«ويأساً من بأسه» وعقابه للمخالف؛ قال تعالى: ﴿حتّى إذا استيأس الرّسل وظنّوا أنّهم قد كُذِبوا جاءهم نصرنا فنُجّي من نشاء ولا يردّ بأسنا عن القوم المجرمين﴾[٣].

«فإنّ الله سبحانه لم يلعن القرن الماضي بين أيديكم إلّا لتركهم الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر» يعني عليه السلام: والحكم في الباقية كالماضية؛ قال الخوئي: قال الطبرسي في تفسير آية ﴿لُعن الّذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾[٤]: لعنوا على لسان داود فصاروا قردة، وعلى لسان عيسى فصاروا خنازير[٥].

قلت: روى (الكافي وتفسير القمي وتفسير العياشي): أنّهم صاروا خنازير على لسان داود، والقردة على لسان عيسى عليه السلام[٦].

---

(١) الرعد: ٣٢.

(٢) الأنعام: ٤٢ ـ ٤٣.

(٣) يوسف: ١١٠.

(٤) المائدة: ٧٨ ـ ٧٩.

(٥) شرح الخوئي ٥: ٢٩٦، ومجمع البيان للطبرسي ٣: ٢٣١.

(٦) هذا المعنى أخرجه الكليني في الكافي ٨: ٢٠٠ ح ٢٤٠، والعياشي في تفسيره ١: ٣٣٥ ح ١٦٠ عن الصادق عليه السلام، وأخرجه أبو عبيد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن أبي مالك، وعبد بن حميد وأبو الشيخ عن قتادة، وابن جرير عن مجاهد عنهم الدر المنثور ٢: ٣٠١، وأخرجه بالعكس القمي في تفسيره ١: ١٧٦، والراوندي في قصص الأنبياء عنه البحار ١٤: ٥٤ ح٧، والظاهر ان الأخير خطأ كما يشهد له الآية ٦٥ من

وروى القمي عن مسعدة بن صدقة قال: سأل رجل أبا عبد الله عليه السلام عن قوم من الشيعة يدخلون في أعمال السلطان، ويعملون لهم ويجبون لهم ويوالونهم، قال: ليس هم من الشيعة، ولكنّهم من أُولئك. ثمّ قرأ أبو عبد الله عليه السلام هذه الآية: ﴿لعن الّذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم... ولكن كثيراً منهم فاسقون﴾[1].

«فلعن الله» هكذا في (المصرية)، والصواب: (فلعن) بدون لفظة الجلالة لتقدم ذكرها، ولخلو (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية)[2] عنها.

«السفهاء لركوب المعاصي» في (تفسير القمي): كانوا يأكلون لحم الخنزير، ويشربون الخمر، ويأتون النساء في أيّام حيضهنّ[3].

«والحلماء لترك التناهي» أي: ترك نهيهم للمرتكبين؛ ﴿وترى كثيراً منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون * لولا ينهاهم الربّانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون﴾[4].

«ألا وقد قطعتم قيد الإسلام وعطّلتم حدوده، وأمتّم أحكامه» إنّ الإسلام قد قيّد الناس عن ارتكاب المنكرات، وتناول الخبائث، وحدّ في ذلك حدوداً، وحكّم أحكاماً، فإذا لم يراعوا ذلك، فقد قطعوا قيده وعطّلوا حدوده، وأماتوا أحكامه؛ وفي (شعراء ابن قتيبة): إنّ أبا بصير ـ أعشى قيس ـ أدرك الإسلام في آخر عمره، ورحل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله في صلح الحديبية، فسأله أبو سفيان عن وجهه

البقرة والآية ١٦٦ من الأعراف.

(١) تفسير القمي ١: ١٧٦، والآيات (٧٨ ـ ٨١) من سورة المائدة.

(٢) في شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٤٤، وشرح ابن ميثم ٤: ٢٩١ مثل المصرية أيضاً.

(٣) تفسير القمي ١: ١٧٦.

(٤) المائدة: ٦٢ ـ ٦٣.

الذي يريد، فقال: أردت محمّداً، قال: إنّه يحرّم عليكم الخمر والزنا والقمار. قال: أمّا الزنا فقد تركني ولم أتركه، وأمّا الخمر فقد قضيت منها وطراً، وأمّا القمار فلعلّي أُصيب منه عوضاً، قال: فهل لك إلى خير؟ قال: وما هو؟ قال: بيننا وبينه هدنة، فترجع عامك هذا، وتأخذ مائة ناقة حمراء، فإن ظفر بعد ذلك أتيته، وإن ظفرنا كنت أصبت من رحلتك عوضاً. فقال: لا أُبالي. فأخذه أبو سفيان إلى منزله وجمع عليه أصحابه، وقال: يا معاشر قريش هذا أعشى قيس، ولئن وصل إلى محمّد ليضرمنّ عليكم العرب قاطبة. فجمعوا مائة ناقة حمراء، فانصرف، فلمّا صار بناحية اليمامة ألقاه بعير فقتله[1].

هذا، وقال الجوهري في قول الشاعر:

فليس كعهد الدار يا أُمّ مالك ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل

أي: ليس الأمر كما عهدت، ولكن جاء الإسلام فهدم ذلك[2].

٢٨
من الخطبة (٨٤)

وَعَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّهُ أَزْمَاناً، حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ وَلَكُمْ فِيما أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ دِينَهُ الَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِهِ، وَأَنْهَى إِلَيْكُمْ عَلَى لِسَانِهِ مَحَابَّهُ مِنَ ٱلْأَعْمَالِ وَمَكَارِهَهُ، وَنَوَاهِيَهُ وَأَوَامِرَهُ، فَأَلْقَى إِلَيْكُم المَعْذِرَةَ، وَٱتَّخَذَ عَلَيْكُم ٱلْحُجَّةَ، وَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ، وَأَنْذَرَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ.

«وعمّر فيكم نبيّه أزماناً» قال المسعودي: بعث الله تعالى رسوله بعد بنيان الكعبة بخمس سنين، وهو ابن أربعين سنة كاملة، فأقام بمكّة ثلاث عشرة سنة، وأخفى أمره ثلاث سنين، وأنزل عليه بمكّة من القرآن اثنتين

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٧٩.

(٢) صحاح اللغة للجوهري ١: ٥١٣ مادة (عهد).

وثمانين سورة، ونزل تمام بعضها بالمدينة، وكان دخوله إلى المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأوّل، فأقام بها عشر سنين كوامل[1].

«حتى أكمل» عزّوجلّ.

«له ولكم في ما أُنزل من كتابه دينه» ﴿...اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي...﴾[2].

«الّذي رضي لنفسه» هكذا في النسخ[3]، والظاهر أنّ الأصل: رضيه لكم نفسه، فالأصل في كلامه عليه السلام قوله تعالى: ﴿...ورضيت لكم الإسلام ديناً...﴾[4].

روى المصنّف في (مناقبه) عن محمّد بن إسحاق عن أبي جعفر عن جدّه عليه السلام قال: لمّا انصرف النبيّ صلى الله عليه وآله من حجّة الوداع نزل أرضاً يقال لها: ضجنان، فنزلت: ﴿يا أيها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس...﴾[5]، فلما نزلت: ﴿يعصمك من الناس﴾ نادى: الصلاة جامعة. فاجتمع الناس إليه، فقال: من أولى منكم بأنفسكم؟ فضجّوا بأجمعهم: الله ورسوله. فأخذ بيد عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، فإنّه منّي وأنا منه، وهو منّي بمنزلة هارون من موسى، إلّا أنّه لا نبيّ بعدي. وكان آخر فريضة فرضها الله تعالى على أُمّة

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٢٧٥ ـ ٢٧٩ والنقل بتقطيع.

(٢) المائدة: ٣.

(٣) كذا في نهج البلاغة ١: ١٥٠، وشرح ابن أبي الحديد ٢: ١٢٢، وشرح ابن ميثم ٢: ٢٨١.

(٤) المائدة: ٣.

(٥) المائدة: ٦٧.

محمّد صلى الله عليه وآله، ثمّ أنزل تعالى على نبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿...اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً...﴾، فقبلوا من النبيّ صلى الله عليه وآله كلّ ما أمرهم من الفرائض في الصلاة والزكاة والصوم والحجّ، وصدّقوه على ذلك... وفي ذيله عدم تصديقهم له في فريضة الولاية الّتي هي أعظم الفرائض، وبها إكمال الدين[١].

وفي (طرائف ابن طاووس) قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: نعطي حقوق الناس بشهادة شاهدين وما أُعطي أمير المؤمنين عليه السلام حقّه بشهادة عشرة آلاف نفس ـ يعني الغدير ـ[٢]. إنّ هذا الضلال عن الحقّ المبين ﴿...فماذا بعد الحقّ إلّا الضلال فأنّى تصرفون * كذلك حقّت كلمة ربّك على الّذين فسقوا إنّهم لا يؤمنون﴾[٣].

وروى سعد بن عبد الله القمي بأسناده عن زيد الشحام قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام وعنده رجل من المغيريّة، فسأله عن شيء من السنن، فقال: ما من شيء يحتاج إليه ابن آدم إلّا وخرجت فيه السنّة من الله تعالى ومن رسوله صلى الله عليه وآله، ولولا ذلك ما احتجّ الله علينا بما احتجّ. فقال المغيري: وبِمَ احتجّ الله؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: بقوله: ﴿...اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً...﴾[٤] ـ حتّى تمّم الآية ـ فلو لم يكمل سنّته وفرائضه ما احتجّ به[٥].

---

(١) رواه عن كتاب المناقب الفاخرة البحراني في البرهان ١: ٤٣٦ ح٨.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٢٦، وقول الشارح: طرائف ابن طاووس خطأ.

(٣) يونس: ٣٢ ـ ٣٣.

(٤) المائدة: ٣.

(٥) أخرجه سعد بن عبد الله في البصائر، مختصره: ٦٦، والصفار في البصائر: ٥٣٧ ح٥٠ عن زيد الشحام، وأخرجه بفرق في الذيل الكليني في الكافي ٣: ٦٩ ح٣، والبرقي في المحاسن: ٢٧٨ ح٤٠٠ أيضاً عن زيد الشحام، وأمّا

«وأنهى» أي: أبلغ.

«إليكم على لسانه» أي: نبيّه صلى الله عليه وآله.

«محابّه» جمع محبوب، أي: ما يحبّه.

«من الأعمال ومكارهه» جمع مكروه، أي: ما يكرهه منها.

«ونواهيه» وزواجره.

«وأوامره» وواجباته؛ روى (إرشاد المفيد) أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله خرج في مرض وفاته معصوب الرأس معتمداً على أمير المؤمنين عليه السلام بيمنى يديه، وعلى الفضل بن العبّاس باليد الأُخرى حتّى صعد المنبر، فجلس عليه ثمّ قال: معاشر الناس قد حان منّي خفوق من بين أظهركم -إلى أن قال- ليس بين الله وبين أحد شيء يعطيه به خيراً، أو يصرف عنه به شرّاً إلّا العمل. أيّها الناس لا يدّعِ مدّعٍ، ولا يتمنَّ متمنٍّ، والّذي بعثني بالحقّ نبيّاً لا يُنجي إلّا عمل مع رحمة، ولو عصيت لهويت، اللّهم هل بلّغت...[١].

وروى (طبقات ابن سعد) عن أبي غادية قال: خطبنا النبيّ صلى الله عليه وآله يوم العقبة فقال: يا أيّها الناس ألا إنّ دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربّكم، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا هل بلّغت؟ فقلنا: نعم. فقال: اللّهمّ اشهد. ثم قال: ألا لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض[٢].

«فألقى» تعالى بعد أن عمّر نبيّه حتّى أكمل دينه، وأنهى محابّه ومكارهه على لسانه.

أصل كتاب بصائر الدرجات لسعد بن عبد الله فمفقود، ويوجد اليوم مختصره فقط، تأليف الحسن بن سليمان الحلي.

(١) الإرشاد للمفيد: ٩٧.

(٢) الطبقات لابن سعد ٣ ق١: ١٨٦.

«إليكم المعذرة» فلا يمكنكم الاعتذار مع المخالفة بالجهالة.

«واتّخذ عليكم الحجّة» ﴿قل فَلِلّه الحجّة البالغة...﴾[١]، ﴿...فيقولوا ربّنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتّبع آياتك ونكون من المؤمنين﴾[٢].

«وقدّم إليكم بالوعيد» الأصل فيه قوله تعالى: ﴿قال لا تختصموا لديّ وقد قدّمت إليكم بالوعيد﴾[٣].

«وأنذركم بين يدي» أي: قدام.

«عذاب شديد» ﴿تنزيل العزيز الرحيم * لتنذر قوماً ما أُنذر آباؤهم فهم غافلون﴾[٤].

٢٩
الخطبة (٧٠)

ومن خطبة له عليه السلام علّم فيها النّاس الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله:

اللَّهُمَّ دَاحِيَ المَدْحُوَّاتِ، ودَاعِمَ المَسْمُوكاتِ، وجَابِلَ الْقُلُوب عَلَى فِطْرَتِها شَقِيِّهَا وسَعِيدِهَا، اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ، ونَوَامِيَ بَرَكَاتِكَ، عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، الخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ، والْفَاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ، والمُعْلِنِ الحَقَّ بِالحَقِّ، والدَّافِعِ جَيْشَاتِ الأَبَاطِيل، والدَّامِغِ صَوْلاَتِ الأَضَالِيل، كَمَا حُمِّلَ فاضْطَلَع، قَائماً بِأمْرِكَ، مُسْتَوْفِزاً في مَرْضَاتِك، غَيْرَ ناكِلٍ عَن قُدُم، ولاَ وَاهٍ في عَزْم، وَاعِياً لِوَحْيِكَ، حَافِظاً على عَهْدِكَ. مَاضِياً عَلَى نَفَاذِ أَمْرِكَ، حَتَّى أَوْرَى قَبَسَ الْقَابِسِ، وأضَاءَ الطَّرِيقَ لِلْخَابِط، وهُدِيَتْ بِهِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ، وأقَامَ مُوضِحَات

---

(١) الأنعام: ١٤٩.

(٢) القصص: ٤٧.

(٣) ق: ٢٨.

(٤) يس: ٥ ـ ٦.

الأَعْلَامِ وَنَيِّرَاتِ الأحكَامِ، فَهُوَ أمينُكَ الْمَأمُونُ وخَازِنُ عِلْمِكَ المَخْزُونِ، وشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ، وبَعِيثُكَ بِالحَقِّ، ورَسُولُكَ إلى الخَلْقِ.
اللّهُمَّ اَفْسَحْ لَهُ مَفْسَحاً فِي ظِلِّكَ، وَاَجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ اَلْخيْرِ مِن فَضْلِكَ.
اللّهُمَّ وأعْلِ عَلَى بنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ، وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنْزِلَتَهُ، وَأَتْمِمْ لَهُ نُورَهُ وَاَجْزِهِ مِنَ ابْتِعاثِكَ لَهُ مَقْبُولَ الشَّهَادَةِ، ومَرْضِيَّ اَلْمَقَالَةِ، ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ، وَخُطَةٍ فَصْلٍ.
اللّهُمَّ اجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فِي بَرْدِ اَلْعَيْشِ وَقَرارِ اَلنِّعْمَةِ، وَمُنَى اَلشَّهَوَاتِ، وَأَهْوَاءِ اللَّذَّاتِ، وَرَخَاءِ اَلدَّعَةِ، وَمُنْتَهَى اَلطُّمَأنِينَةِ، وَتُحَفِ اَلْكَرَامَةِ.

من الخطبة (١٠٤)

منها في ذكر النبيّ صلّى الله عليه وآله:
حَتَّى أَوْرَى قَبَساً لِقَابِسٍ، وَأَنَارَ عَلَماً لِحَابِسٍ، فَهُوَ أَمِينُكَ المَأمُونُ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ اَلدِّينِ، وَبَعِيثُكَ نِعْمَةً، وَرَسُولُكَ بِالحقِّ رَحْمَةً.
اَللّهُمَّ اَقْسِمْ لَهُ مَقْسَماً مِنْ عَدْلِكَ، وَاَجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ اَلْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ.
اَللَّهُمَّ أعْلِ عَلَى بِنَاءِ اَلْبَانِينَ بِنَاءَهُ، وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنْزِلَتَهُ، وَشَرِّفْ عِنْدَكَ مَنْزِلَهُ، وَآتِهِ اَلْوَسِيلَةَ، وَأَعْطِهِ السَّنَاءَ وَاَلْفَضِيلَةَ، وَاَحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ، غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَادِمِينَ، وَلَا نَاكِبِين، وَلَا نَاكِثِينَ، وَلَا ضَالِّينَ، وَلَا مُضِلِّينَ، وَلَا مَفْتُونِينَ.

قال الشريف: «وقد مضى هذا الكلام في ما تقدّم، إلّا أنّنا كرّرناه ها هنا لما في الروايتين من الاختلاف».

أقول: نقل الرواية الأُولى كتاب (تنبيه البكري على أوهام القالي) راوياً له عن الحسن بن حصر عن أبيه عن بعض ولد عليّ عليه السلام عنه عليه السلام[1]، وكتاب

(١) روى الخطبة أبو علي القالي نفسه بهذا الاسناد في ذيل الأمالي: ١٧٣، والظاهر أنّ نسبته إلى البكري ناقد القالي سهو.

(غريب حديث ابن قتيبة) نقله عنه ابن أبي الحديد في فصل غريب هذا الكتاب قائلاً: إنّ سلامة الكندي قال: كان عليّ عليه السلام يعلّمنا الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله[١]. وكتاب (مناقب ابن الجوزي) عن الحسن بن عرفة عن سعيد بن عمير عنه عليه السلام كما نقل (البحار) عنه[٢].

قول المصنّف في الأُولى: «ومن خطبة له عليه السلام علّم فيها الناس» هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد)[٣]، وليست كلمة «الناس» في (ابن ميثم والخطّية)[٤]. وكيف كان، فقد عرفت أنّ (غريب ابن قتيبة) نقل عن سلامة الكندي، قال: كان عليّ عليه السلام يعلّمنا الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله هكذا.

«الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله» قد روي عن النّبي نفسه تعليم الصلاة عليه صلى الله عليه وآله أيضاً؛ روى الخطيب في إسماعيل بن زكريا مسنداً عنه عن الأعمش ومسعر ابن كدام ومالك بن مغول، كلّهم عن الحكم بن عتيبة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وآله في الصلاة عليه: اللّهم صلّ على محمّد وعلى آل محمّد كما صلّيت على إبراهيم، إنّك حميد مجيد. اللّهم بارك على محمّد وعلى آل محمّد كما باركت على إبراهيم، إنّك حميد مجيد[٥].

وروى في يوسف بن نفيس عن عليّ عليه السلام قال: قالوا: يا رسول الله كيف نصلّي عليك؟ قال: قولوا: اللّهم صلّ على محمّد وآل محمّد كما صلّيت على إبراهيم، إنّك حميد مجيد، وبارك على محمّد وعلى آل محمّد كما باركت على

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٣٦٤ شرح غريب ٩٠٠٠.

(٢) بحار الأنوار ٧٧: ٢٩٧ ح٥، ومناقب ابن الجوزي هذا ليس إلّا تذكرة الخواص، والحديث يوجد بعينه في تذكرة الخواص: ١٢٧.

(٣ و ٤) في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٠ وشرح ابن ميثم ٢: ١٩٥ مثل المصرية أيضاً.

(٥) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٦: ٢١٦، ويأتي في العنوان ٣٠ من هذا الفصل تخريج حديث كعب بن عجرة من طرق أُخرى.

آل إبراهيم، إنّك حميد مجيد[١].

وروى في الحسين بن نصر بأسناده عنه بأسناده عن بريدة الخزاعي، قال: قلنا: يا رسول الله قد علمنا كيف السلام عليك، فكيف الصلاة عليك؟ قال: قولوا: اللّهم اجعل صلاتك ورحمتك على محمّد وآل محمّد كما جعلتها على آل إبراهيم إنّك حميد مجيد[٢].

وروى ابن المغيرة عن أبي الحسن عليه السلام قال: ومن سرّ آل محمّد عليهم السلام في الصلاة على النبيّ وآله: اللّهم صلّ على محمّد وآل محمّد في الأوّلين، وصلّ على محمّد وآل محمّد في الآخرين، وصلّ على محمّد وآل محمّد في الملأ الأعلى، وصلّ على محمّد وآل محمّد في المرسلين. اللّهم اعطِ محمّداً الوسيلة والشرف والفضيلة، والدرجة الكبيرة. اللّهم إنّي آمنت بمحمّد صلى الله عليه وآله ولم أره[٣].

قوله عليه السلام: «اللّهم داحي المدحوّات» مأخوذ من قوله تعالى: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾[٤]؛ وفي (النهاية) في حديث عليّ عليه السلام: اللّهم داحي المدحوّات. المدحوّات: الأرضون، وروي: المدحيات. يقال: دحى يدحو ويدحي: أي بسط، ووسّع. والدحو: رمي اللّاعب بالجوز والحجر وغيره، ومنه حديث ابن المسيب: سئل عن الدّحو بالحجارة، فقال: لا بأس به. أي:

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٤: ٣٠٣، وصاحب مسند زيد فيه: ٤٢٩ أيضاً، وفرائد السمطين للجويني ١: ٢٦ ح٣، وابن عدي وابن مردويه عنهما الدر المنثور ٥: ٢١٦، ٢١٧، وغيرهم عن عليّ عليه السلام.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٨: ١٤٢، وأحمد أيضاً في مسنده ٥: ٣٥٣، وابن منيع في مسنده عنه المطالب العالية ٣: ٢٢٤ ح٣٣٢٣، وعبد بن حميد وابن مردويه عنهما الدر المنثور ٥: ٢١٨، عن بريدة الخزاعي، وفي الباب عن أبي سعيد الخدري وأبي حميد الساعدي وأبي مسعود وغيرهم.

(٣) ثواب الأعمال للصدوق: ١٨٧ ح١ ضمن الحديث.

(٤) النازعات: ٣٠.

المراماة بها والمسابقة[١].

وفي (الأساس) خلق الله الأرض مجتمعة، ثمّ دحاها، أي: بسطها ومدّها ووسّعها كما يأخذ الخباز الفرزدقة فيدحوها. قال ابن الرومي:

يدحو الرقاقة مثل اللمح بالبصر

ثم قال: وباضت النعامة في أدحيّها، وهو مفرخها، لأنّها تدحوه، أي: تبسطه وتوسّعه[٢].

«وداعم» أي: رافع.

«المسموكات» أي: المرتفعات، والمراد بالمسموكات: السماوات، كما أنّ المراد بالمدحوّات: الأرضون؛ قال تعالى: ﴿أأنتم أشدّ خلقاً أم السماء بناها * رفع سمكها فسوّاها﴾[٣]. والمراد بدعمها: رفعها بقوىً هي كالعماد؛ قال تعالى: ﴿...رفع السماوات بغير عمد ترونها...﴾[٤].

«وجابل» أي: خالق.

«القلوب على فطرتها» أي: خلقتها.

«شقيّها وسعيدها» ﴿ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها﴾[٥].

زاد الحسن بن عرفة في روايته على شقيّها وسعيدها: «وغويّها ورشيدها»[٦].

«اجعل شرائف صلواتك» أي: عواليها.

«ونوامي بركاتك» أي: متزايداتها؛ قال النابغة في المنذر بن المنذر بن

---

(١) النهاية لابن الأثير ٢: ١٠٦ مادة (دحو)، والنقل بالمعنى.

(٢) أساس البلاغة للزمخشري ١٢٧ مادة (دحو).

(٣) النازعات: ٢٧ ـ ٢٨.

(٤) الرعد: ٢.

(٥) الشمس: ٧ ـ ٨.

(٦) انظر بحار الأنوار ٧٧: ٢٩٧، وتذكرة الخواص: ١٢٧.

ماء السماء:

إلى صعب المقادة منذريّ نماه في فروع المجد نام[١]

«على محمّد عبدك» ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا﴾[٢]، ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾[٣].

«ورسولك» ﴿والله يعلم إنّك لرسوله﴾[٤].

«الخاتم لما سبق» من الأنبياء عليهم السلام.

«والفاتح لما انغلق» من البلايا؛ قال تعالى: ﴿ويحلّ لهم الطيّبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾[٥].

«والمعلن الحقّ بالحقّ» زاد في رواية الحسن بن عرفة «الناطق بالصدق»[٦].

«والدافع جيشات الأباطيل» التي حصلت من الجاهلية.

«والدامغ» دمغ، أي: شجّ حتّى بلغت الشجّة الدماغ.

«صولات الأضاليل» وفي رواية ابن عرفة: «هيشات الأضاليل»[٧]. هاش هيشاً، أي: تحرّك وماج، وهو أقرب لفظاً؛ في الخبر: اختار الله تعالى من الأنبياء أربعة للسيف: إبراهيم، وداود، وموسى، ومحمّد عليهم السلام.

«كما حمّل» الرسالة.

---

(١) أساس البلاغة : ٤٧٤ مادة (نما).

(٢) الإسراء: ١.

(٣) النجم: ١٠.

(٤) المنافقون: ١.

(٥) الأعراف: ١٥٧.

(٦ و ٧) انظر بحار الأنوار ٧٧: ٢٩٧، وتذكرة الخواص: ١٢٧.

«فاضطلع» أي: قوي على حمله.

«قائماً بأمرك» ومجرياً له.

«مستوفزاً» قال الجوهري: الوفز: العجلة، واستوفز في قعدته: إذا قعد قعوداً منتصباً غير مطمئن[١].

«في مرضاتك» أي: رضاك.

«غير ناكل» أي: غير ممتنع.

«عن قدم» أي: إقدام؛ قال الجوهري: مضى قُدُماً، بضمّ الدّال: لم يعرِّج، ولم ينثنِ[٢].

«ولاواهٍ» من: وهى السقاء، إذا تخرّق وانشقّ.

«في عزم» وكيف يكون واهياً في عزم وهو أشرف أُولي العزم من الرسل، وطلب منه قريش أن يصرف عن عزمه، ويملّكوه عليهم، فقال: لو قدروا أن يجعلوا الشمس في يميني والقمر في يساري ما صرفت عن عزمي.

«واعياً» أي: مستمعاً، والأصل في الوعي جعل الأُذن كالوعاء للمسموع.

«لوحيك» عاملاً به.

«حافظاً على عهدك» لا كآدم عليه السلام، حيث قال تعالى فيه: ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً﴾[٣].

«ماضياً على نفاذ أمرك» حتّى قال: أوّل ربا أضعه من ربا الجاهلية ربا عمّي العبّاس، وأوّل دم أبطله دم ابن عمّي ربيعة[٤].

ولمّا استشفع قريش إليه في ترك قطع يد مخزومية سرقت بأُسامة

---

(١) صحاح اللغة للجوهري ٢: ٨٩٨ مادة (وفز).

(٢) صحاح اللغة للجوهري ٥: ٢٠٠٧ مادة (قدم).

(٣) طه: ١١٥.

(٤) هذه قطعة من خطبة النبي صلى الله عليه وآله في حجّة الوداع، مرّ تخريجه في العنوان ٢٥ من هذا الفصل.

لكونه حبّه، قال له: أتشفع في حدّ من حدود الله؟ لا شفاعة في حدّ[١].

قوله عليه السلام فيهما: «حتّى أورى» من: أوريت الزند: أخرجت ناره.

قوله في الأوّل: «قبس القابس»، وفي الثاني: «قبساً لقابس» في (النّهاية): القبس: الشعلة من النار، والقابس: طالب النار؛ ومنه حديث عليّ عليه السلام: حتّى أورى قبساً لقابس. أي: أظهر نوراً من الحقّ لطالبه[٢].

قوله عليه السلام في الأوّل: «وأضاء الطريق للخابط» في (النهاية): الخابط الّذي يمشي في الليل بلا مصباح فيتحيّر ويضلّ، وربّما تردّى في بئر، أو سقط على سبع[٣].

وفي الثاني: «وأنار علماً لحابس» قال ابن أبي الحديد: يعني نصب النبيّ صلى الله عليه وآله لمن قد حبس ناقته ضلالاً، فهو يخبط لا يدري كيف يهتدي المنهج علماً يهتدي به[٤].

قلت: لم يقل أحد: إنّ معنى الحابس ما قال، والصواب: أنّ الحابس بمعنى الراجل الّذي تخلّف عن الركب فتحيّر؛ ففي (النهاية) في حديث الفتح: أنّه بعث أبا عبيدة على الحبس: هم الرجّالة، سمّوا بذلك لتحبّسهم عن الركبان، وتأخّرهم، واحدهم حبيس، فعيل، بمعنى مفعول، أو بمعنى فاعل، كأنّه يروى: الحبَّس، بتشديد الباء وفتحها، فإن صحّت الرواية، فلا يكون واحدها إلّا حابساً كشاهد وشهّد[٥].

وفي الأوّل: «وهديت به القلوب بعد خوضات الفتن» هكذا في (المصرية)،

---

(١) أخرجه مسلم بثلاث طرق في صحيحه ٣: ١٣١٥ ح٨ ـ ١٠ وغيره، مرّ تخريجه في العنوان ٢ من هذا الفصل.

(٢) النهاية لابن الأثير ٤: ٤ مادة (قبس)، والنقل بتقديم وتأخير.

(٣) النهاية لابن الأثير ٢: ٨ مادة (خبط)، ولكنّه قاله في تفسير كلمة (خبّاط) بصيغة المبالغة.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٢٠.

(٥) النهاية لابن الأثير ١: ٣٢٩ مادة (حبس).

وفيها سقط، ففي (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية): بعد خوضات الفتن والآثام: «كانوا يئدون البنات، وكان شغلهم المحاربات والنهبات والزنا والقمار وشرب المسكرات».

«وأقام موضحات الأعلام» في كتابه الّذي جاء به من عند الله.

«ونيّرات الأحكام» في ما أتى به من السن؛ وفي باب صيام ثلاثة أيّام (المقنعة) روى عن النبيّ ﷺ قال: عرضت عليّ أعمال أُمّتي فوجدت في أكثرها خللاً ونقصاناً، فجعلت في كلّ فريضة مثليها نافلة، ليكون مَنْ أتى بذلك قد حصلت له الفريضة، لأنّ الله تعالى يستحيي أن يعمل له العبد، فلا يقبل منه الثلث، ففرض الله تعالى الصلاة في كلّ يوم وليلة سبع عشرة ركعة، وسنّ النبيّ ﷺ أربعاً وثلاثين ركعة، وفرض الله صيام شهر رمضان في كلّ سنة، وسنّ النبيّ ﷺ صيام ستّين يوماً في السنة...[1]

ومراده من صوم ستّين: صوم شعبان، وصيام ثلاثة في كلّ عشرة أشهر أُخرى.

قوله عليه السلام فيهما: «فهو أمينك المأمون» قال تعالى فيه: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحيٌ يوحى﴾[2]؛ كان ﷺ مشتهراً بمحمّد الأمين، ولمّا تشاحّت قريش في وضع الحجر عند بنائهم البيت، وكان عبد الدار، وعدي من قريش ملَؤوا جفنة دماً وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم وتعاقدوا على الموت فسمّوا: لعقة الدم، ومكثوا أربع ليال على ذلك في التصدّي لوضع الحجر، فأصلح بينهم أبو أُمّية بن المغيرة بحكميّة أوّل داخل، فكان النبيّ أول داخل، فلمّا رأوه قالوا: قد رضينا بك يا محمّد الأمين. فأمر بثوب فبُسط، ووضع

---

(١) المقنعة للمفيد: ٥٩.

(٢) النجم: ٣ ـ ٤.

الحجر، ثمّ أمر كلّ فخذ أن يأخذ جانباً، فرفعوه، وأخذه النبيّ صلى الله عليه وآله ووضعه[١].

قوله عليه السلام في الأوّل: «وخازن علمك المخزون» وعن الصادق عليه السلام: من مخزون علم الله الاتمام في أربعة مواطن: حرم الله، وحرم رسوله، وحرم أمير المؤمنين عليه السلام، وحرم الحسين بن علي عليه السلام[٢].

قوله عليه السلام فيهما: «وشهيدك يوم الدين» أي: يوم القيامة ﴿ويوم نبعث في كلّ أُمّة شهيداً﴾[٣]، ﴿وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾[٤].

وفي الأوّل: «وبعيثك بالحقّ»، وفي الثاني: «وبعيثك نعمة» قال الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾[٥]: برسول الله صلى الله عليه وآله أُنقذوا[٦].

وفي الأوّل: «ورسولك إلى الخلق»، وفي الثاني: «ورسولك بالحقّ رحمة» ﴿وما أرسلناك إلّا كافّةً للناس بشيراً ونذيراً﴾[٧]، ﴿وما أرسلناك إلّا رحمةً للعالمين﴾[٨].

وفي الأوّل: «اللّهم افسح» أي: أوسع.

«له مفسحاً في ظلّك» والمراد من ظلّه: لطفه بعباده.

وفي الثاني: «اللّهم اقسم له مقسماً من عدلك» الّذي لا تضيع أجر عامل لك

---

(١) سيرة ابن هشام ١: ١٨٢، والطبقات لابن سعد ١ ق١: ٩٤، وتاريخ الطبري ٢: ٤١ وغيرهم.

(٢) التهذيب للطوسي ٥: ٤٣٠ ح١٤٠، والاستبصار ٢: ٣٣ ح١، والخصال للصدوق: ٢٥٢ ح١٢٣، وكامل الزيارات لابن قولويه: ٢٤٩ ح٤، ٥ بروايتين.

(٣) النحل: ٨٤.

(٤) النساء: ٤١.

(٥) آل عمران: ١٠٣.

(٦) تفسير العياشي ١: ١٩٤ ح١٢٤، ١٢٦ بطريقين.

(٧) سبأ: ٢٨.

(٨) الأنبياء: ١٠٧.

﴿والضحى * والليل إذا سجى * ما ودّعك ربّك وما قلى * وللآخرة خير لك من الأُولى * ولسوف يعطيك ربّك فترضى﴾[١].

وقوله عليه السلام فيهما: «واجزه مضاعفات الخير من فضلك» ﴿إنّا أعطيناك الكوثر * فصلّ لربّك وانحر * إنّ شانئك هو الأبتر﴾[٢].

فيهما: «اللّهمّ أعلِ على بناء البانين بناءه» ﴿هو الّذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون﴾[٣].

وروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّما مثلي ومثل الأنبياء قبلي كرجل بنى داراً فأكملها وأحسنها إلّا موضع لبنة، فجعل الناس يدخلون ويعجبون بها، ويقولون: هلّا وضعت هذه اللبنة. فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيّين[٤].

في الأوّل: «وأكرم لديك منزلته» هكذا في (المصرية) والصواب: (منزله) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية)[٥].

وفي الثاني: «وأكرم لديك منزلته» قال الجوهري: النزل: ما يُهيّأ للنزيل[٦].

«وشرّف عندك منزلته» هكذا في (المصرية)[٧]، والصواب: (منزله)، وفي الدعاء: «وابعثه المقام المحمود»[٨]؛ وعنه صلى الله عليه وآله: لواء الحمد بيدي»[٩].

---

(١) الضحى: ١ ـ ٥.

(٢) الكوثر: ١ ـ ٣.

(٣) الصف: ٩.

(٤) صحيح مسلم ٤: ١٧٩٠ ح ٢٠ ـ ٢٣، وسنن الترمذي ٥: ٥٨٦ ح٣٦١٣، وغيرهما.

(٥) في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥١ وشرح ابن ميثم ٢: ١٩٦ «منزلته» أيضاً.

(٦) صحاح اللغة للجوهري ٥: ١٨٢٨ مادة (نزل).

(٧) وكذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢١٩، وشرح ابن ميثم ٣: ٣٣ كما في المصرية.

(٨) نقله في ضمن زيارةٍ ابن طاووس في جمال الأُسبوع: ٢٩ بلفظ: «وابعثه مقاماً محموداً».

(٩) أخرجه الفرات الكوفي في تفسيره: ٢٠٦، والترمذي بطريقين في سننه ٥: ٥٨٦ ح٣٦١٣، وغيرهما كثيراً لكن في الباب أحاديث قول علي: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله صاحب لواء الحمد، وحامله علي عليه السلام. جمع بعض طرقه المجلسي في

يعني: في القيامة.

وفي الأوّل: «وأتمم له نوره» الأصل فيه قوله تعالى: ﴿يوم لا يخزي الله النبيّ والّذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربّنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنّك على كلّ شيء قدير﴾[1].

«واجزه من ابتعاثك له» بالرسالة.

«مقبول الشهادة» أي: بجعله مقبول الشهادة.

«ومرضي المقالة» هكذا في (المصرية)، والصواب: (مرضيّ المقالة) بدون واو، كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[2].

«ذا منطق عدل وخطّة فصل» عن غيره، يقال: هذه خطّة بني فلان، إذا كانت محدودة، والمراد: اجعل له امتيازاً عن باقي الأنبياء؛ عن الكاظم عليه السلام كان ليهودي دنانير على النبيّ صلى الله عليه وآله فتقاضاه، فقال له: ما عندي ما أُعطيك. فقال: إنّي لا أُفارقك حتّى تقضيني. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: إذن أجلس معك. فجلس معه حتّى صلّى في ذلك الموضع الظهر والعصر، والمغرب والعشاء الآخرة، والغداة، وكان أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله يتهدّدونه ويتوعّدونه، فنظر اليهم النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: ما الّذي تصنعون به؟ فقالوا: يهودي يحبسك. فقال: لم يبعثني ربّي بأن أظلم معاهداً ولا غيره. فلمّا علا النهار، قال اليهودي: أشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّك رسوله، وشطر مالي في سبيل الله؛ ما فعلتُ الّذي فعلت إلّا لأنظر إلى نعتك في التوراة، فإنّي قرأت فيها: محمّد بن عبد الله مولده بمكّة، ومهاجره بطيبة، ليس بفظّ ولا غليظ، ولا صخّاب،

البحار ٨: ١ الباب ١٨.

(١) التحريم: ٨.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥١، لكن في شرح ابن ميثم ٢: ١٩٦ يوجد الواو أيضاً.

ولا متزيّن بالفحش وقول الخنا[١].

«اللّهم اجمع بيننا وبينه» في الآخرة.

«في برد العيش وقرار النعمة» بلا زوال.

«ومنى الشهوات» المنى: جمع المُنْية.

«وأهواء اللذّات» ﴿... وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين...﴾[٢].

«ورخاء الدعة» أي: الراحة ﴿جنّات عدن يدخلونها يحلّون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير * وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن إنّ ربّنا لغفور شكور * الّذي أحلّنا دار المقامة من فضله لا يمسّنا فيها نصب ولا يمسّنا فيها لغوب﴾[٣].

«ومنتهى الطّمأنينة» بلا اضطراب قلب، كما يحصل للناس في هذا العالم.

«وتحف الكرامة» منه تعالى للمقرّبين منه؛ وعن الرضا عليه السلام عن آبائه: قال النبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: إنّي سألت ربّي فيك خمس خصال فأعطاني؛ أمّا أوّلهنّ: فسألت ربّي أن تنشقّ عني الأرض وأنفض التراب عن رأسي وأنت معي، فأعطاني، وأمّا الثانية: فسألت ربّي أن يوقفني عند كفّة الميزان وأنت معي، فأعطاني، وأمّا الثالثة: فسألت ربّي أن يجعلك حامل اللواء، وهو لواء الله الأكبر، تحته المفلحون الفائزون في الجنّة، فأعطاني، وأمّا الرابعة: فسألت ربّي أن تسقي أُمّتي من حوضي، فأعطاني، وأمّا الخامسة: فسألت ربّي أن يجعلك قائد أُمتي إلى الجنّة، فأعطاني[٤] ربي؛ والحمد لله الّذي مَنَّ عليّ بذلك.

---

(١) أمالي الصدوق: ٣٧٦ ح٦ المجلس ٧١ عن الكاظم عليه السلام عن أبيه عن آبائه عن علي عليهم السلام والنقل بتصرف يسير.

(٢) الزخرف: ٧١.

(٣) فاطر: ٣٣ ـ ٣٥.

(٤) أخرجه صاحب صحيفة الرضا عليه السلام فيها: ٤٨ ح٣٣، والصدوق بطريقين في الخصال: ٣١٤ ح٩٣، ٩٤، والخوارزمي في مناقبه: ٢٠٨، والجويني في فرائد السمطين ١: ١٠٥ ح٧٥، وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري.

ورواه الخطيب في [أحمد بن غالب] مع اختلاف، وفي خبره: وأعطاني أنّك وليّ المؤمنين من بعدي(١).

قول المصنّف في الثاني: «منها في ذكر النبيّ صلى الله عليه وآله» هكذا في (ابن أبي الحديد)(٢)، ولكن في (ابن ميثم)(٣): «الرسول صلى الله عليه وآله».

وقوله عليه السلام: «وآته» أي: أعطه.

«الوسيلة» وفي خبرٍ: الوسيلة: درجته صلى الله عليه وآله في الجنّة، وهي ألف مرقاة(٤). ويأتي آخر.

«وأعطه السّناء» أي: الضياء.

«والفضيلة» وفي خطبة الوسيلة من خطبه عليه السلام في غير النهج: أيّها الناس إنّ الله جلّ وعزّ وعد نبيّه محمّداً صلى الله عليه وآله الوسيلة، ووعده الحقّ ولن يخلف الله وعده ألا وإنّ الوسيلة على درج الجنّة، وذروة ذوائب الزلفة، ونهاية غاية الأُمنيّة، لها ألف مرقاة، ما بين المرقاة إلى المرقاة حضر الفرس الجواد مائة عام، وهو ما بين مرقاة درّة إلى مرقاة جوهرة إلى مرقاة زبرجدة إلى مرقاة لؤلؤة إلى مرقاة ياقوتة إلى مرقاة زمرّدة إلى مرقاة مرجانة إلى مرقاة كافور إلى مرقاة عنبر إلى مرقاة يلنجوج إلى مرقاة ذهب إلى مرقاة غمام إلى مرقاة هواء إلى مرقاة نور، قد أنافت على كلّ الجنان...(٥).

«واحشرنا في زمرته» وفي خطبة الوسيلة ـ بعدما مرّ ـ: ورسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٤: ٣٣٩.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢١٩.

(٣) لفظ ابن ميثم في شرحه ٣: ٣٣ «النبيّ صلى الله عليه وآله» أيضاً.

(٤) تفسير القمي ٢: ٣٢٤، والبصائر للصفار: ٤٣٦ ح١١، ومعاني الأخبار للصفار: ١١٦ ح١، وأماليه: ١٠٢ ح٤ المجلس ٢٤ في صدر الحديث.

(٥) نقله ضمن خطبة الوسيلة الكليني في الكافي ٨: ٢٤، ولكن لا يوجد في رواية تحف العقول المختصرة فيه: ٩٩.

يومئذٍ قاعد عليها مرتدٍ بريطتين: ريطة من رحمة الله، وريطة من نور الله، عليه تاج النبوّة، وإكليل الرسالة، قد أشرق بنوره الموقف، وأنا يومئذٍ على الدرجة الرفيعة، وهي دون درجته، وعليّ ريطتان: ريطة من أرجوان النور، وريطة من كافور، والرسل والأنبياء قد وقفوا على المراقي، وأعلام الأزمنة، وحجج الدهور عن أيماننا، وقد تجلّلهم حلل النور والكرامة، لا يرانا ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل إلّا بهت بأنوارنا، وعجب من ضيائنا وجلالتنا[١].

«غير خزايا» أي: غير ذليلين موهونين.

«ولا نادمين» لوقوع تفريط منّا في الدّنيا.

«ولا ناكبين» أي: ولا عادلين عن الطريق.

«ولا ناكثين» أي: ولا ناقضين لعهده.

«ولا ضالّين» عن سبيله.

«ولا مضلّين» هكذا في (المصرية)، والكلمة زائدة لخلوّ (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّيّة)[٢] عنها.

«ولا مفتونين» في الدين.

«قال الشريف» هكذا في (المصرية)، والجملة زائدة ليست من النهج، لخلوّ (الخطّيّة) عنها، وإنّما قال: ابن أبي الحديد[٣] عن نفسه في الشّرح: «قال الرّضي»، كما عن (ابن ميثم)[٤] قال: «قال السيّد»:

«وقد مضى هذا الكلام في ما تقدّم» على ما عرفت من موضعه.

---

(١) نقله في ضمن خطبة الوسيلة الكليني في الكافي ٨: ٢٥، لكن لم يوجد في رواية تحف العقول المختصرة فيه: ٩٩.

(٢) في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢١٩، وشرح ابن ميثم ٣: ٣٣ توجد العبارة أيضاً.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢١٩.

(٤) في شرح ابن ميثم ٣: ٣٣ «قال الشريف».

«إلّا أنّنا» هكذا في (المصرية)، والصواب: (إلّا أنّا) كما في الثلاثة[1].

«كرّرناه هاهنا لما في الروايتين من الاختلاف» قد عرفت مجتمعهما ومختلفهما.

هذا، وله عليه السلام دعاء آخر في الصلاة عليه صلى الله عليه وآله نقله البحراني في (الصحيفة العلوية)، وهو: الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على طيّب المرسلين محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب، المنتجب الفاتق الراتق.

اللّهم فخصّ محمّداً صلى الله عليه وآله بالذكر المحمود، والمنهل المشهود، والحوض المورود.

اللّهم فآتِ محمّداً صلى الله عليه وآله الوسيلة والرفعة والفضيلة، وفي المصطفين محبّته، وفي العليين درجته، وفي المقرّبين كرامته.

اللّهم أعطِ محمّداً صلواتك عليه وآله من كلّ كرامة أفضل تلك الكرامة، ومن كلّ نعيم أوسع ذلك النعيم، ومن كلّ عطاء أجزل ذلك العطاء، ومن كلّ يسر أنصر ذلك اليسر، ومن كلّ قسم أوفر ذلك القسم، حتّى لا يكون أحد من خلقك أقرب منه مجلساً، ولا أرفع منه عندك ذكراً ومنزلة، ولا أعظم عليك حقّاً، ولا أقرب وسيلة من محمّد صلواتك عليه وآله، إمام الخير وقائده والداعي إليه، والبركة على جميع العباد والبلاد، ورحمة للعالمين.

اللّهم اجمع بيننا وبين محمّد وآل محمّد صلواتك عليه وآله في برد العيش.

وبرد الروح، وقرار النعمة، وشهوة الأنفس، ومنى الشهوات، ونعم اللّذات، ورخاء الفضيلة، وشهود الطمأنينة، وسؤدد الكرامة، وقوّة العين، ونضرة النعيم، وتمام النعمة، وبهجة لا تشبه بهجات الدّنيا. نشهد أنّه قد بلّغ

---

(١) في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٢٠، وشرح ابن ميثم ٣: ٣٣ «أنّنا» أيضاً.

الرسالة وأدّى الأمانة والنصيحة، واجتهد للأُمّة وأُوذي في جنبك، واجتهد وجاهد في سبيلك، وعبدك حتّى أتاه اليقين، فصلّى الله عليه وآله الطيّبين.

اللّهم ربّ البلد الحرام، وربّ الركن والمقام، وربّ المشعر الحرام، وربّ الحلّ والحرام بلّغ روح محمّد صلى الله عليه وآله عنّا السلام.

اللّهم صلِّ على ملائكتك المقرّبين، وعلى أنبيائك ورسلك أجمعين، وصلِّ على الحفظة الكرام الكاتبين، وعلى أهل طاعتك من أهل السماوات السبع، وأهل الأرضين السبع من المؤمنين أجمعين[1].

هذا، وفي (المناقب) عن كتاب (سحر البلاغة) في الصلاة عليه صلى الله عليه وآله: صلّى الله على خير مبعوث، وأفضل وارث وموروث، وخير مولود دعا إلى خير معبود، بشير الرحمة والثواب، ومدبّر السطوة والعقاب، ناسخ كلّ ملّة مشروعة، وفاسخ كلّ نحلة متبوعة، حاد بأمّته عن الظلمات إلى النور، وأوفى بهم إلى الظلّ بعد الحرور، قد أفرد بالزعامة وحده، وختم بأن لا نبيّ بعده، أرسله الله قمراً منيراً، وقدراً مبيراً[2].

٣٠
الحكمة (٣٦١)

وقال عليه السلام:

إِذَا كَانَتْ لَكَ إِلَى اللّهِ سُبْحانَهُ حاجَةٌ فابْدَأْ بِمَسْأَلَةِ الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِهِ صلّى اللّه عليهِ وآلِهِ، ثُمَّ سَلْ حاجَتَكَ، فإِنَّ اللّهَ تعالى أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ حاجَتَيْنِ، فَيَقْضِيَ إِحْدَاهُما وَيَمْنَعَ الأُخْرَى.

---

(١) نقله البحراني السماهيجي في الصحيفة العلوية: ٩٥، الدعاء ١١، وأخرجه أيضاً الطوسي في التهذيب ٣: ٨٢ ح١١، ورواه المجلسي عن مجلد عتيق في بحار الأنوار ٩٨: ١٢٧.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ١: ١٥٨.

«إذا كانت لك إلى الله سبحانه حاجة، فابدأ بمسألة الصلاة على رسوله صلى الله عليه وآله»

هكذا في (المصرية)، والصواب: (على النبي صلى الله عليه وآله) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّيّة)[1]؛ قال ابن أبي الحديد: هذا الكلام على حسب الظاهر الّذي يتعارفه الناس بينهم، وهو عليه السلام يسلك هذا المسلك كثيراً، ويخاطب الناس على قدر عقولهم، وأمّا باطن الأمر فإنّ الله تعالى لا يصلّي على النبيّ صلى الله عليه وآله لأجل دعائنا إيّاه أن يصلّي عليه، لأنّ معنى قولنا: «اللّهم صلّ على محمّد»: أكرمه وارفع درجته. والله سبحانه قد قضى له بالإكرام التّام، ورفعة الدرجة من دون دعائنا، وإنّما تعبّدنا نحن بأن نصلّي عليه، لأنّ لنا ثواباً في ذلك، لا لأنّ إكرام الله تعالى له أمر يستعقبه ويستتبعه دعاؤنا[2].

قلت: فعلى ما ذكره يكون دعاؤنا للنبي صلى الله عليه وآله لغواً وعبثاً، من حيث الدعاء نظير أن نقول: اللّهم اجعله نبيّاً. وحصول ثواب لنا لا يخرجه عن اللغوية في القول، وما ذكره من أنّه تعالى قضى له بالإكرام التام، ورفعة الدرجة مسلّم، لكن فوق كلّ إكرام إكرام، وكلّ درجة درجة.

وفي دعاء عرفة للسجّاد عليه السلام: ربّ صلّ على محمّد وآل محمّد المنتجب المصطفى، المكرّم المقرّب أفضل صلواتك، وبارك عليه أتمّ بركاتك، وترحّم عليه أمتع رحماتك.

ربّ صلّ على محمّد وآله صلاة زاكية لا تكون صلاة أزكى منها، وصلّ عليه صلاة نامية لا تكون صلاة أنمى منها، وصلّ عليه صلاة راضية لا تكون صلاة فوقها.

رب صلّ على محمّد وآله صلاة ترضيه، وتزيد على رضاه، وصلّ عليه

---

(١) في شرح ابن أبي الحديد ٤: ٤٠٢، وشرح ابن ميثم ٥: ٤١٨ «رسوله» أيضاً.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٤٠٢.

صلاة ترضيك وتزيد على رضاك له، وصلّ عليه صلاة لا ترضى له إلّا بها، ولا ترى غيره لها أهلاً.

ربِّ صلِّ على محمّد وآله صلاة تجاوز رضوانك، ويتّصل اتّصالها ببقائك، ولا تنفد كما لا تنفد كلماتك.

ربِّ صلِّ على محمّد وآله صلاة تنتظم صلوات ملائكتك وأنبيائك ورسلك وأهل طاعتك، وتشتمل على صلوات عبادك، من جِنّك وإنسك وأهل إجابتك، وتجتمع على صلوات كلّ من ذرأت وبرأت من أصناف خلقك.

ربِّ صلِّ عليه وآله صلاة تحيط بكلّ صلاة سالفة ومستأنفة، وصلّ عليه وعلى آله صلاة مرضيّة لك ولمن دونك، وتنشئ مع ذلك صلوات تضاعف معها تلك الصلوات عندها، وتزيدها على كرور الأيّام زيادة في تضاعيف لا يعدّها غيرك[1].

فيلزم على ما قال أن يكون كلّ ذلك ألفاظاً لا معاني تحتها.

وتحقيق الجواب: أنّ كلّ شيء وقع ويقع في العالم كان قدراً من الله تعالى، ولكن مع سببه، وصلواتنا وأدعيتنا من أسباب إكرام الله التامّ له صلى الله عليه وآله.

ويشهد لما قلنا قولُ السجّاد عليه السلام في الصلاة عليه على ما في الصحيفة الثالثة: فارفعه بسلامنا إلى حيث قدّرت في سابق علمك أن تبلّغه إيّاه وبصلاتنا عليه[2].

وأمّا ما روى (مصباح الشيخ) في الصلاة عليه صلى الله عليه وآله بعد عصر يوم الجمعة: «اللّهم إنّ محمّداً صلى الله عليه وآله كما وصفته في كتابك حيث تقول: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف

---

(١) الصحيفة السجادية: ٢٥١ الدعاء ٤٧.

(٢) نقله عن الصحيفة الثالثة السيد الأمين من الصحيفة الخامسة: ٣٣ الدعاء ٦.

رحيم﴾[١] فاشهد أنّه كذلك، وأنّك لم تأمر بالصلاة عليه إلّا بعد أن صلّيت عليه أنت وملائكتك، وأنزلت في محكم كتابك: ﴿انّ الله وملائكته يصلّون على النبي يا أيّها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً﴾[٢] لا لحاجة إلى صلاة أحد من المخلوقين بعد صلاتك عليه، ولا إلى تزكيتهم إيّاه بعد تزكيتك، بل الخلق جميعاً هم المحتاجون إلى ذلك، لأنّك جعلته بابك الّذي لا تقبل لمن أتاك إلّا منه، وجعلت الصلاة عليه قربة منك ووسيلة إليك وزلفة عندك، ودللت المؤمنين عليه، وأمرتهم بالصلاة عليه ليزدادوا بها أثرة لديك وكرامة عليك، ووكّلت بالمصلّين عليه ملائكتك يصلّون عليه، ويبلّغونه صلاتهم وتسليمهم...»[٣] فلا ينافي ما قلنا، فإنّه لا يدلّ على أكثر من أنّه إذا لم نصلّ عليه لم يضرّه، لكفاية صلوات الله تعالى عليه برفع درجته، وإنّما حُرِمنا نحن من أجر كثير.

ثمّ ظاهر الأخبار وجوب الصلاة عليه ﷺ عند ذكر اسمه أو سماعه كوجوبها في الصلاة؛ فعن الصادق عليه السلام: قال النبيّ ﷺ: من ذُكرت عنده فلم يصلِّ عليّ دخل النار، فأبعده الله[٤]. وقال ﷺ: من ذُكرت عنده فنسي الصلاة عليّ خطئ به طريق الجنّة[٥].

وورد في ثواب الصلاة عليه ﷺ شيء كثير من العامّة، والخاصّة؛ روى الطبري في (ذيله) عن عمير الأنصاري، قال: قال النبيّ ﷺ: من صلّى

---

(١) التوبة: ١٢٨.

(٢) الأحزاب: ٥٦.

(٣) مصباح المتهجد للطوسي: ٣٤٥ عن الصادق عليه السلام.

(٤) أخرجهما معاً الكليني في الكافي ٢: ٤٩٥ ح١٩، والصدوق في عقاب الأعمال: ٢٤٦ ح١، وأخرج الأول مستقلاً الكليني في الكافي ٤: ٦٧ ح٥، والصدوق في الفقيه ٢: ٥٩ ح٢، وأماليه: ٥٦ ح٢ المجلس ١٤، والطوسي في التهذيب ٤: ١٩٢ ح٤، والثاني مستقلاً الكليني في الكافي ٢: ٤٩٥ ح٤٠، وابن الأشعث في الأشعثيات: ٢١٥، وغيرهم.

(٥) المصدر نفسه.

عليّ من أُمّتي صلاة مخلصاً بها من نفسه صلّى الله عليه بها عشر صلوات، ورفعه بها عشر درجات، وكتب له بها عشر حسنات، ومحا عنه بها عشر سيّئات[١].

وعنهم عليهم السلام: ما في الميزان شيء أثقل من الصلاة على محمّد وآل محمّد، وإنّ الرجل لتوضع أعماله في الميزان فتميل به، فيخرج صلى الله عليه وآله الصلاة عليه، فيضعها في ميزانه، فيرجح به[٢].

والصلاة عليه صلى الله عليه وآله في الجمعة آكد؛ وفي (سنن أبي داود) عن أوس بن أوس عن النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ من أفضل أيّامكم يوم الجمعة، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه، فإنّ صلاتكم معروضة عليّ. فقالوا: يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك، وقد أرمت (أي: بليت)؟ قال: إنّ الله حرّم على الأرض أجساد الأنبياء[٣].

ويكفيه صلى الله عليه وآله جلالة قوله تعالى: ﴿إنّ الله وملائكته يصلّون على النبيّ يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً﴾[٤]، وعن أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: إنّ الآية نزلت في الصلاة عليّ بعد قبض الله لي[٥].

والصّلاة عليه صلى الله عليه وآله وردت في الكتاب وعلى آله وردت في السنّة.

روى البخاري في صحيحه مسنداً عن كعب بن عجرة، وعن أبي سعيد الخدري، وعن غيرهما، قالوا: قال النبي صلى الله عليه وآله: قولوا: اللّهم صلّ على محمّد،

---

(١) منتخب ذيل المذيل للطبري: ٧٢.

(٢) الكافي للكليني ٢: ٤٩٤ ح١٥، عن الباقر أو الصادق عليهما السلام.

(٣) سنن أبي داود ٢: ٨٨ ح١٥٣١، وسنن النسائي ٣: ٩١، وسنن ابن ماجة ١: ٣٤٥ ح١٠٨٥، وسنن الدارمي ١: ٣٦٩، ومسند أحمد ٤: ٨ وغيرها.

(٤) الأحزاب: ٥٦.

(٥) الكافي للكليني ١: ٤٥١ ح٣٨.

وعلى آل محمّد، كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميدٌ مجيد[١].

وروى الطبري مسنداً في (ذيله) عن فاطمة الصغرى، عن فاطمة الكبرى، قالت: قال النبيّ صلى الله عليه وآله في دخول المسجد: بسم الله، اللّهم صلِّ على محمّد وآله، واغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك. وإذا خرج قال: بسم الله، اللّهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب فضلك[٢].

وروى أحمد بن حنبل في (مسنده) عن أُم سلمة، قالت: قال النبيّ صلى الله عليه وآله لفاطمة: إبنتي بزوجك وابنيك. فجاءت بهم، فألقى عليهم كساءً فدكياً. قال: ثم وضع يده عليهم، ثم قال: اللّهم إن هولاء آل محمّد، فاجعل صلواتك وبركاتك على محمّد وعلى آل محمّد إنّك حميدٌ مجيد[٣].

وروى ابن عبد البر في (استيعابه) في زيد بن حارثة مسنداً عن زيد قال: قلت: يا رسول الله، قد علمنا كيف السلام عليك، فكيف نصلّي عليك؟ قال: صلّوا عليّ وقولوا: اللّهم بارك على محمّد وعلى آل محمّد، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميد مجيد[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٣: ١٧٨، و ٤: ١٠٦، عن كعب بن عجرة، وأبي سعيد الخدري، وأبي حميد الساعدي، واللفظ لحديث كعب الذي أخرجه أيضاً مسلم بثلاث طرق في صحيحه ١: ٣٠٥ ح٦٦ ـ ٦٨، وسنن الترمذي ٢: ٣٥٢ ح٤٨٣، والنسائي بثلاث طرق في سننه ٣: ٤٧ ـ ٤٨، وابن ماجه في سننه ١: ٢٩٣ ح٩٠٤، والدارمي في سننه ١: ٣٠٩، وأحمد بأربع طرق في مسنده ٤: ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٤، والصدوق في أماليه: ٣١٥ ح٥ المجلس ١٦، وأبو علي الطوسي في أماليه ٢: ٤٣ المجلس ١٥، وجمع كثير آخر. وفي الباب عن أربعة عشر من أصحاب النبي غير كعب، مرّ تخريج بعض آخر من الطرق في العنوان ٢٩ من هذا الفصل.

(٢) منتخب ذيل المذيل للطبري ١٠٩.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٦: ٣٢٣، وابن عساكر بأربع طرق في ترجمة الحسن عليه السلام: ٦٥ و٦٦ ح١١٦ ـ ١١٨ و ١٢٠، وفي ترجمة الحسين عليه السلام: ٦٤ ح٩٣، والحسكاني بخمس طرق في شواهد التنزيل ٢: ٧٦ ـ ٧٨ و ح٧٤٧، ٧٥٠، ٧٥٢، والطبراني في معجمه عنه الدر المنثور ٥: ١٩٨ وغيرهم، وللحديث ذيل.

(٤) الاستيعاب لابن عبد البر ١: ٥٥٦.

وفي (تاريخ الطبري) عن ليث المجاور بمكّة أربعين سنة، عن بعض الحجبة قال: إنّ الرشيد لمّا حجّ دخل الكعبة، وقام على أصابعه وقال: يا من يملك حوائج السائلين، ويعلم ضمير الصامتين، فإنّ لكلّ مسألة منك ردّاً حاضراً، وجواباً عتيداً، ولكلّ صامت منك علم محيط ناطق بمواعيدك الصادقة، وأياديك الفاضلة، ورحمتك الواسعة، صلِّ على محمّد وعلى آل محمّد واغفر لنا ذنوبنا...[1].

ولابدّ أنّه روي له ذلك.

هذا، وفيه أيضاً: وفي سنة (١٨١) أحدث الرشيد عند نزوله الرّقة في صدور كتبه الصلاة على محمّد ﷺ[2].

وفي (عيون ابن بابويه) بعد نقل رواية عن أحمد بن الحسين الضبي: وما لقيت أنصَب منه، وبلغ من نصَبه أنّه كان يقول: اللّهم صلِّ على محمّد فرداً. ويمتنع من الصلاة على آله[3].

قلت: الرجل كان كأعرابي ورد المدينة فعقل ناقته بفناء المسجد، ثمّ دخل فصلّى مع النبيّ ﷺ ثم قال: «اللّهم اغفر لي ولمحمّد حسب» ثمّ خرج فرجع، فجعل النبيّ ﷺ حاله حال ناقته.

والرجل وإن كان ناصبياً، إلّا أنّ أنصب منه ابن الزبير، فكان لا يذكر النبيّ ﷺ رأساً بغضاً لأهل بيته؛ ففي (المروج): أنّ ابن الزبير خطب أربعين يوماً لا يصلّي على النبيّ ﷺ، وقال: لا يمنعني أن أُصلّي عليه إلّا أن

---

(١) تاريخ الطبري ٦: ٥٣٦ سنة ١٩٣.

(٢) تاريخ الطبري ٦: ٤٧٠ سنة ١٨١.

(٣) عيون الأخبار للصدوق ١: ٢٨٤ ح ٣، ونقل الصدوق عنه حديثاً آخر أيضاً في علل الشرائع: ١٣٤ ح ١، وقال فيه: «مالقيت أنصب منه».

تشمخ رجالٌ بآنافها[١].

ومراده من الرجال أهل بيته.

ومثله أبو حنيفة؛ ففي (تاريخ بغداد) قال ابن المبارك ما مجلس ما رأيت ذكر فيه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قطّ، ولا يُصلّى عليه، إلّا مجلس أبي حنيفة[٢].

ومن النّاصبة التي لا تصلّي على أهل البيت عليهم السلام: إبراهيم بن المهدي العباسي؛ قال المسعودي في (مروجه): كان المأمون يظهر التشيّع وابن شكلة (إبراهيم بن المهدي) التسنّن، فقال المأمون:

إذا المرجيّ سرّك أن تراه ... يموت لحينه من قبل موته

فجدّد عنده ذكرى عليّ ... وصلّ على النبيّ وآل بيته

فأجابه إبراهيم رادّاً عليه:

إذا الشيعيّ جمجم في مقال ... فسرّك أن يبوح بذات نفسه

فصلِّ على النبيّ وصاحبيه ... وزيريه وجاريه برمسه[٣]

قلت: أمّا الصلاة على أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرواه المرجئة أنفسهم، كما عرفت في أخبار عديدة، وأمّا على صاحبي رمسه فلم يروه شيعي حتّى يعارض، بل روت المرجئة أنفسهم أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: لعن الله من تخلّف عن جيش أُسامة[٤]، وكانا في جيشه، فكيف يصلّى على من لعنه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم؟

وأمّا التمسّك بكونهما صاحبي رمسه، فنكتفي في جوابه بما قاله الخزاعي دعبل بن عليّ في كون الرشيد صاحب رمس أبي الحسن الرضا عليه السلام:

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٧٩.

(٢) نقله الخطيب في تاريخ بغداد ١ ق١٣: ٤٠٤.

(٣) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٤١٧.

(٤) السقيفة للجوهري: ٧٥.

أربِـعْ بطوس عـلى قـبر الزّكـيّ بـها	إن كنت تـربع مـن ديـن عـلى وطـرِ
ما ينفع الرجس من قرب الزّكـيّ ولا	على الزّكيّ بقرب الرّجس من ضررِ
هيهات كلّ امرئٍ رهـن بـما كسـبتْ	له يـــداه فـخذ مـن ذاك أو فَـذَرِ
قبران في طوس خـير النّـاس كـلّهم	وقـــبر شـرّهم هـذا مـن العِـبر

ثمّ كونهما صاحبي رمس النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، ككون الأوّل صاحب غاره، عار وشنار عليهما؛ ففي (فصول علم الهدى): مرّ فضال بن الحسن بن فضال الكوفي بأبي حنيفة، وهو في جمع كثير يملي عليهم شيئاً من فقهه وحديثه، فقال لصاحبٍ كان معه: والله لا أبرح أو أُخجل أبا حنيفة. فقال صاحبه: إنّ أبا حنيفة ممّن قد علمت حاله ومنزلته، وظهرت حجّته. فقال: مه، هل رأيت حجّة كافر علت على مؤمن؟ ثمّ دنا منه فسلّم عليه، فردّ وردّ القوم بأجمعهم السلام. فقال: يا أبا حنيفة، رحمك الله، إنّ لي أخاً يقول: إنّ خير النّاس بعد النبيّ علي بن أبي طالب. وأنا أقول: إنّ أبا بكر خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وبعده عمر. فما تقول أنت رحمك الله؟ فأطرق ملياً ثم رفع رأسه، فقال: كفى بمكانهما من رسول الله كرماً وفخراً. أما علمت أنّهما ضجيعاه في قبره؟ فأيّ حجّة أوضح لك من هذه؟ فقال له فضال: إنّي قد قلت ذلك لأخي، فقال: والله لئن كان الموضع للنبيّ صلى الله عليه وآله دونهما فقد ظلما بدفنهما في موضع ليس لهما فيه حقّ، وإن كان الموضع لهما فوهباه للنبيّ صلى الله عليه وآله لقد أساءا وما أحسنا إليه، إذ رجعا في هبتهما ونكثا عهدهما. فأطرق أبو حنيفة ساعة، ثم قال: قل له: لم يكن لهما ولا له خاصة، ولكنّهما نظرا في حق عائشة وحفصة، فاستحقّا الدفن في ذلك الموضع بحقوق ابنتيهما. فقال له فضال: قد قلت له ذلك (فقال لي: أما علمت أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أعطى حقوق نسائه في حياته بأمر من الله سبحانه حيث يقول:

﴿يا أيّها النبيّ إنّا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أُجورهن...﴾[1]؟ فقال: نعم، ولكنّهما استحقا ذلك بميراث ابنتيهما من النبيّ صلى الله عليه وآله. فقال: قلت له ذلك)[2] فقال: أنت تعلم أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله مات عن تسع حشايا، فإذا لكلّ واحدة منهنّ تسع الثمن ثمّ نظرنا في تسع الثمن فإذا هو شبر في شبر. فكيف يستحقّ الرجلان أكثر من ذلك؟ وبعد فما بال عايشة وحفصة ترثان النبيّ صلى الله عليه وآله، وفاطمة ابنته تمنع الميراث؟ فقال أبو حنيفة: يا قوم نحّوه عنّي، فإنّه والله رافضي خبيث[3].

هذا، وروى (الكافي) عن يزيد بن خليفة، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّي رجل من بني الحارث بن كعب، وقد هداني الله تعالى إلى محبّتكم ومودّتكم أهل البيت. فقال لي: وكيف، فوالله إنّ محبّتنا في بني الحارث قليل؟ قلت: إنّ لي غلاماً خراسانياً وهو يعمل القصارة، وله همشهريجون أربعة وهم يتداعون كلّ جمعة لتقع الدعوة على رجل منهم، فيصيب غلامي كلّ خمس جمع جمعة، فيجعل لهم النبيذ واللحم، فإذا فرغوا من الطعام جاء بإجّانة فملأها نبيذاً، ثمّ جاء بمطهرة، فإذا ناول إنساناً منهم قال: لا تشرب حتّى تصلّي على محمّد وآل محمّد، فاهتديت إلى مودّتكم بهذا الغلام. فقال لي: استوصِ به خيراً، واقرئه منّي السلام، وقل له: يقول لك جعفر بن محمّد: انظر شرابك هذا الّذي تشربه، فإن كان كثيره يسكر، فلا تقربنّ قليله. قال: فأتيت الكوفة وأبلغته سلامه، فبكى، ثمّ قال: اهتمّ بي جعفر بن محمّد عليه السلام حتّى يقرئني السلام؟ قلت: نعم، وقد قال: انظر شرابك هذا الّذي تشربه فإن كان يسكر كثيره فلا تقربنّ قليله، وقد أوصاني بك، فاذهب فأنت حرّ لوجه الله. فقال: والله ما يدخل جوفي ما

---

(١) الأحزاب: ٥٠.

(٢) ما كان بين القوسين لم يوجد في الفصول المختارة المطبوعة، ولا في نقل المجلسي في بحار الأنوار ١٠: ٢٣١ ح ٢، عن هذا الكتاب، ولا في رواية الكراجكي والطبرسي؛ لعل الشارح رواه عن نسخة خطيّة أو مرجع آخر بالواسطة.

(٣) الفصول المختارة للمرتضى: ٤٤، وكنز الفوائد للكراجكي: ١٣٥، والاحتجاج للطبرسي: ٣٨٢.

بقيت في الدّنيا[١].

هذا، وعن (تاريخ مدينة الدهلوي): من أسباب رؤية النبيّ صلى الله عليه وآله في المنام المداومة على قول: «اللّهم صلِّ على محمّد وآله وسلّم كما تحبّ وترضى»[٢].

هذا، وفي (الأُدباء): خاصم أبو العيناء ـ قلت: وكان شيعيّاً ـ يوماً علوياً، فقال له العلوي: تخاصمني، وقد أُمرت أن تقول: اللّهم صلِّ على محمّد وعلى آل محمّد؟ فقال: لكنّي أقول: الطيبين الطاهرين، فتخرج أنت[٣].

«ثم سلّ حاجتك» وورد الختم أيضاً بمسألة الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله؛ ففي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: من كانت له إلى الله حاجة فليبدأ بالصلاة على محمّد وآله ثمّ يسأل حاجته، ثمّ يختم بالصلاة على محمّد وآل محمّد، فإنّ الله تعالى أكرم من أن يقبل الطرفين، ويدع الوسط إذ كانت الصلاة على محمّد وآل محمّد لا تحجب عنه[٤].

ولا تنافي بينهما، فالزيادة في الآخر تجعل القبول أقرب.

بل ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم زيادة الوسط أيضاً؛ ففي (الكافي) أيضاً: عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: لا تجعلوني كقدح الراكب، فإنّ الراكب يملأ قدحه فيشربه إذا شاء. اجعلوني في أوّل الدعاء، وفي آخره، وفي وسطه[٥].

ورواه (النهاية) هكذا: «لا تجعلوني كغمر الراكب. صلّوا عليّ في أوّل الدعاء وأوسطه وآخره». وقال: الغُمَر بضمّ الغين وفتح الميم: القدح الصغير.

---

(١) الكافي للكليني ٦: ٤١١ ح١٦، والنقل بتصرف في اللفظ.

(٢) جاء قريب منه في ملحقات إحقاق الحق ٩: ٦٣٣ ح١٢.

(٣) معجم الأُدباء للحموي ١٨: ٢٩٥.

(٤) الكافي للكليني ٢: ٤٩٤ ح١٦، وقريباً منه رواه الراوندي في لب اللباب عنه المستدرك ١: ٣٧١ ح١١.

(٥) الكافي للكليني ٢: ٤٩٢ ح٥.

أراد أنّ الراكب يحمل رحله وأزواده على راحلته، ويترك قعبه إلى آخر ترحاله، ثمّ يعلّقه على رحله كالعلاوة، فليس عنده بمهمّ، فنهاهم أن يجعلوا الصلاة عليه كالغمر الّذي لا يقدّم في المهامّ ويجعل تبعاً[١].

«فإن الله تعالى أكرم أن يسأل حاجتين فيقضي إحداهما ويمنع الأُخرى» قد عرفت نظيره عن الصادق عليه السلام، وأنّه قال: إذا صلّى أوّلاً وأخيراً فإنّ الله تعالى أكرم من أن يقبل الطرفين ويدع الوسط، إذ كانت الصلاة عليه عليه السلام لا تحجب[٢].

وقال ابن أبي الحديد كالمنكر للكلام: أيّ غضاضة على الكريم إذا سئل حاجتين فقضى إحداهما دون الأُخرى؟ إن كان عليه في ذلك غضاضة فعليه في ردّ الحاجة الواحدة غضاضة أيضاً[٣].

قلت: هذه أُمور ذوقية وجدانية، فالإنسان قد لا يدع الدنيّ أن يدخل بيته فضلاً عن أن يكرمه، أمّا لو أضاف شريفاً وتنوق له أنواع الأطعمة، ودخل الدنيّ تبعاً لذاك السرّي يطعمه ممّا أطعمه، وأنّ ردّ الحاجة كلّية لعدم لياقة في صاحبها لا غضاضة فيه، وأمّا من قضى حاجة ولم يقض الأُخرى مع تمكّنه، تذهب قضاء حاجته الأُولى هدراً.

وفي (المروج) في أحوال السفّاح: كان أبو العباس (السفّاح) إذا حضر طعامه أبسط ما يكون وجهاً، فكان إبراهيم بن مخرمة الكندي إذا أراد أن يسأله حاجة أخّرها حتّى يحضر طعامه ثمّ يسأله، فقال له يوماً: يا إبراهيم ما دعاك أن تشغلني عن طعامي بحوائجك؟ قال: يدعوني إلى ذلك التماس النجح

---

(١) النهاية لابن الأثير ٣: ٣٨٥ مادة (غمر).

(٢) هذا تلخيص حديث الكافي والراوندي الذي مرّ آنفاً.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٤٠٣.

لما أسأل. قال أبو العباس: إنّك لحقيق بالسؤدد لحسن هذه الفطنة[1].

هذا، وفي العنوان (١٤٤) من (المستجاد): لقي أبو دلامة أبا دلف في مصاد له وهو والي العراق، فأخذ بعنان فرسه، وأنشد:

إنّي حلفت لئن رأيتك سالماً بقرى العراق وأنت ذو وفر
لتصلينّ على النبيّ محمّد ولتملأنّ دراهماً حجري

فقال: أمّا الصلاة على النبيّ محمّد ﷺ فصلّى الله عليه وسلّم، وأمّا الدراهم فلا. قال له: جعلت فداك: لا تفرّق بينهما بالّذي أسأله أن لا يفرّق بينك وبين النبيّ ﷺ. قال: فاستسلفها أبو دلف، وصبّت في حجره حتّى أثقلته[2].

٣١
من الخطبة (١٩٢)

ومن خطبة له عليه السلام يصف بها المنافقين:

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا وَفَّقَ لَهُ مِنَ الطَّاعَةِ، وَذَادَ عَنْهُ مِنَ الْـمَعصِيَةِ، وَنَسْأَلُـهُ لِمِنَّتِهِ تَمَاماً، وَبِحَبْلِهِ اعْتِصَاماً، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، خَاضَ إِلَى رِضْوَانِ اللّهِ كُلَّ غَمْرَةٍ، وَتَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصَّةٍ، وَقَدْ تَلَوَّنَ لَـهُ الْأَدْنَوْنَ، وَتَأَلَّبَ عَلَيْهِ الأَقْصَوْنَ، وَخَلَعَتْ إليه الْعَرَبُ أَعِنَّتَهَا، وَضَرَبَتْ لُمحَارَبَتِهِ بُطُونَ رَوَاحِلِهَا، حَتَّى أَنْزَلَتْ بِسَاحَتِهِ عُدَاوَانَـهَا، مِـنْ أَبْـعَدِ الدَّارِ، وَأَسْحَقِ الْمَزَارِ.

«نحمده على ما وفّق له» الضمير راجع إلى (ما).

«من الطاعة» (من) بيانية لـ(ما وفّق).

«وذاد» أي: طرد ودفع.

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٢٦٤.

(٢) المستجاد للتنوخي: ٢٣٥.

«عنه» الضمير أيضاً راجع إلى (ما).

«من المعصية» وفعل الطاعة وترك المعصية، وإن كانا من العبد إلّا أنّ التوفيق لهما منه تعالى ، فيجب حمده عليه؛ وفي (توبة الكافي): عن أبي جعفر عليه السلام: إنّ الله تعالى أوحى إلى داود أن ائت عبدي دانيال، فقل له: إنّك عصيتني فغفرت لك، وعصيتني فغفرت لك، وعصيتني فغفرت لك. فإن أنت عصيتني الرابعة لم أغفر لك. فأتاه داود عليه السلام فقال: يا دانيال إنّني رسول الله إليك، وهو يقول لك: إنّك عصيتني فغفرت لك، وعصيتني فغفرت لك، وعصيتني فغفرت لك، فإن أنت عصيتني الرابعة لم أغفر لك. فقال له دانيال: قد أبلغت يا نبيّ الله. فلمّا كان في السحر قام دانيال فناجى ربّه، فقال: يا ربّ إنّ داود نبيّك أخبرني عنك أنني قد عصيتك فغفرت لي، وعصيتك فغفرت لي، وعصيتك فغفرت لي، وأخبرني عنك إن عصيتك الرابعة لم تغفر لي، فوعزّتك لئن لم تعصمني لأعصينّك ثمّ لأعصينّك ثمّ لأعصينّك[1].

«ونسأله لمنّته» علينا بالتوفيق والذود.

«تماماً» بإدامتهما.

«وبحبله اعتصاماً» أي: تمسكاً كما أُمرنا، فقال عزّوجلّ: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً...﴾[2].

«ونشهد أنّ محمّداً عبده» الّذي قبل عزّ اسمه عبوديته.

«ورسوله» الّذي ارتضاه لخلقه.

«خاض» أي: ورد، والأصل فيه: الغمس.

«إلى» تحصيل.

---

(١) الكافي للكليني ٢: ٤٣٥ ح١١، والزهد للأهوازي: ٧٤ ح٢٠٠.

(٢) آل عمران: ١٠٣.

«رضوان الله كلّ غمرة» أي: شدّة، والأصل فيها اللجّة؛ ذكروا أنّ قريشاً اجتمعت إلى أبي طالب والنبيّ ﷺ عنده، فقالوا: نسألك من ابن أخيك النصف. قال: وما النصف منه؟ قالوا: يكفّ عنّا ونكفّ عنه، فلا يكلّمنا ولا نكلّمه، ولا يقاتلنا ولا نقاتله، ألا إنّ هذه الدعوة قد باعدت بين القلوب، وزرعت الشحناء، وأنبتت البغضاء. فقال: يا ابن أخي أسمِعت؟ قال: يا عمّ لو أنصفني بنو عمي لأجابوا دعوتي وقبِلوا نصيحتي، إنّ الله تعالى أمرني أن أدعو إلى دين الحنيفية ملّة إبراهيم، فمن أجابني فله عند الله الرضوان والخلود في الجنان، ومن عصاني قاتلته حتّى يحكم الله بيننا، وهو خير الحاكمين. فقالوا: قل له يكفّ عن شتم آلهتنا، فلا يذكرها بسوء. فنزل: ﴿قل أفغير الله تأمرونّي أعبد...﴾[1] قالوا: إن كان صادقاً فليخبرنا من يؤمن منّا، ومن يكفر؟ فإن وجدناه صادقاً آمنّا به. فنزل: ﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتّى يميز الخبيث من الطيّب وما كان الله ليطلعكم على الغيب...﴾[2]. قالوا: والله لنشتمنّك وإلهك. فنزل: ﴿وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم...﴾[3]. قالوا: قل له: فليعبد ما نعبد، ونعبد ما يعبد. فنزلت سورة الكافرين. فقالوا: قل له: أرسله الله إلينا خاصّة أم إلى الناس كافّة؟ قال: بل إلى الناس أُرسلت كافّة؛ إلى الأبيض والأسود، ومن على رؤوس الجبال، ومن في لجج البحار، ولأدعونّ ألسنة فارس والروم: ﴿...يا أيها النّاس إنّي رسول الله إليكم جميعاً...﴾[4].

فتجبّرت قريش واستكبرت وقالت: والله لو سمعت بهذا فارس والرّوم

---

(١) الزمر: ٦٤.

(٢) آل عمران: ١٧٩.

(٣) ص: ٦.

(٤) الأعراف: ١٥٨.

لاختطفتنا من أرضنا، ولقلعت الكعبة حجراً حجراً. فنزل: ﴿وقالوا إن نتّبع الهدى معك نتخطّف من أرضنا...﴾[١]، وقوله: ﴿ألم تر كيف فعل ربك...﴾[٢].

فقال مطعم بن عدي: والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك، وجهدوا على أن يتخلّصوا ممّا تكرهه، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً. فقال أبو طالب: والله ما أنصفوني، ولكنّك قد اجتمعت على خذلاني، ومظاهرة القوم عليّ، فاصنع ما بدا لك. فوثب كلّ قبيلة على ما فيها من المسلمين يعذّبونهم، ويفتنونهم عن دينهم، والاستهزاء بالنبي صلى الله عليه وآله. ومنع الله رسوله بعمّه أبي طالب منهم، وقد قام أبو طالب حين رأى قريشاً تصنع ما تصنع في بني هاشم، فدعاهم إلى ما هو عليه من منع النبيّ صلى الله عليه وآله، والقيام دونه إلّا أبا لهب، كما قال الله: ﴿...ولينصرنّ الله من ينصره...﴾[٣]. وقدم قوم من قريش من الطائف وأنكروا ذلك، ووقعت فتنة فأمر النبيّ صلى الله عليه وآله المسلمين أن يخرجوا إلى أرض الحبشة[٤].

«وتجرّع فيه» أي: في رضوانه تعالى.

«كلّ غصّة» عن الزهري: لما توفّي أبو طالب، واشتدّ على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم البلاء، عمد إلى ثقيف بالطائف رجاء أن يأويه سادتها: عبد نائل، ومسعود، وحبيب بنو عمرو بن نمير الثقفي، فلم يقبلوه، وتبعه سفهاؤهم بالأحجار، ودمّوا رجليه، فخلص منهم. واستظل في ظلّة حبلة منه. وقال: اللّهم إنّي أشكو إليك من ضعف قوّتي، وقلّة حيلتي وناصري، وهواني على الناس،

---

(١) القصص: ٥٧.

(٢) هذا صدر آيتين الأولى: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد﴾ الفجر: ٦، والثانية: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾ الفيل: ١.

(٣) الحج: ٤٠.

(٤) المناقب لابن شهر آشوب ١: ٥٩.

يا أرحم الراحمين[١].

وروى الطبري في (ذيله) عن منيب بن مدرك الأزدي، عن أبيه، عن جدّه قال: رأيت النبيّ صلى الله عليه وآله في الجاهلية، وهو يقول للناس: «قولوا لا إله إلّا الله تُفلحوا» فمنهم من تفل في وجهه، ومنهم من حثا عليه التراب، ومنهم من سبّه حتّى انتصف النهار، فجاءت جارية بعسّ من ماء، فغسل وجهه، ثمّ قال: يا بُنيّة ابشري ولا تحزني، ولا تخشي على أبيك غلبة ولا ذلّاً. فقلت: من هذه؟ فقالوا: زينب ابنته، وهي يومئذ وصيفة[٢].

هذا، وفي (الكافي) عنهم عليهم السلام: لمّا أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله بإظهار الإسلام، وظهَر الوحي رأى قلّة من المسلمين، وكثرة من المشركين، فاهتمّ رسول الله صلى الله عليه وآله همّاً شديداً، فبعث الله تعالى إليه جبرئيل عليه السلام بسدر من سدرة المنتهى، فغسل به رأسه، فجلا به همّه[٣].

«وقد تلوّن له الأدنون» ومنهم أبو لهب عمّه؛ وفي (نسب الزبيري) عن طارق المحاربي: رأيت النبيّ صلى الله عليه وآله في سويقة ذي المجاز عليه حلّة حمراء، وهو يقول: يا أيّها الناس قولوا: «لا إله إلّا الله تفلحوا»، وأبو لهب يتبعه، ويرميه بالحجارة، وقد أدمى كعبيه وعرقوبيه وهو يقول: أيّها الناس لا تطيعوه، فإنّه كذّاب[٤].

وعن أبي أيوب الأنصاري: وقف النبيّ صلى الله عليه وآله بسوق ذي المجاز، فدعاهم إلى الله تعالى، والعبّاس قائم يستمع الكلام، فقال: أشهد أنّك كذّاب. ومضى إلى أبي لهب، وذكر ذلك، فأقبلا يناديان: إنّ ابن أخينا هذا كذّاب،

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب ١: ٦٨.

(٢) منتخب ذيل المذيل: ٨٠.

(٣) الكافي للكليني ٦: ٥٠٥ ح٧.

(٤) لم أجده في نسب قريش لمصعب الزبيري.

فلا يغرنّكم عن دينكم.

وذكروا أنّه كان إذا قدم على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وفدٌ ليعلموا علمه انطلقوا بأبي لهب إليهم، وقالوا له: أخبر عن ابن أخيك. فكان يطعن في النبيّ صلى الله عليه وآله ويتقوّل الباطل، ويقول: إنّا لم نزل نعالجه من الجنون. فيرجع القوم، ولا يلقونه[1].

وفي (العقد): قال معاوية يوماً: أيّها الناس إنّ الله فضّل قريشاً بثلاث، فقال لنبيّه عليه السلام ﴿وأنذِر عشيرتك الأقربين﴾[2] فنحن عشيرته، وقال: ﴿وإنّه لذكر لك ولقومك...﴾[3] فنحن قومه، وقال: ﴿لإيلاف قريش ... وآمنهم من خوف﴾[4]، ونحن قريش. فأجابه رجل من الأنصار فقال: على رسلك يا معاوية، فإنّ الله تعالى يقول: ﴿وكذّب به قومك...﴾[5] وأنتم قومه، وقال: ﴿ولمّا ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدّون﴾[6] وأنت قومه، وقال الرسول عليه السلام: ﴿يا ربّ إنّ قومي اتّخذوا هذا القرآن مهجورا﴾[7] وأنتم قومه ثلاثة بثلاثة، ولو زدتنا زدناك. فأفحمه[8].

وفيه: قال معاوية لرجل من اليمن: ما كان أجهل قومك حين ملّكوا عليهم امرأة. فقال: أجهل من قومي قومك الّذين قالوا حين دعاهم النبيّ صلى الله عليه وآله: ﴿...اللّهم إن كان هذا هو الحقّ من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو

---

(١) لم أجده في نسب قريش لمصعب الزبيري.

(٢) الشعراء: ٢١٤.

(٣) الزخرف: ٤٤.

(٤) قريش: ١ ـ ٤.

(٥) الأنعام: ٦٦ .

(٦) الزخرف: ٥٧.

(٧) الفرقان: ٣٠.

(٨) العقد الفريد لابن عبد ربه ٤: ٩٧.

ائتنا بعذاب أليم﴾[١] ولم يقولوا: اللّهم إن كان هذا هو الحقّ من عندك فاهدنا إليه[٢].

«وتألّب» أي: تجمّع.

«عليه الأقصون» أي: الأبعدون منه في النسب؛ قالوا: نهى أبو جهل النبيّ ﷺ عن الصلاة، وقال: إن رأيت محمّداً يصلّي لأطأنّ عنقه[٣]. وكان النبيّ ﷺ يطوف فشتمه عقبة بن أبي معيط، وألقى عمامته في عنقه، وجرّه من المسجد، فأخذوه من يده[٤]. وقالوا: لمّا نزلت ﴿تبّت يدا أبي لهب...﴾[٥] جاءت أُم جميل عمّة معاوية (وهي حمّالة الحطب) إلى النبيّ ﷺ وبيدها فهر، ولها ولولة، وهي تقول:

مذمما أبينا ودينه قلينا
وأمره عصينا[٦]

وكان الحكم بن أبي العاص يمشي وراء النبي ﷺ يحكي مشيته، فدعا النبيّ ﷺ عليه، فبقي متخالج المنكبين، وأخرجه إلى الطائف[٧].

قال عبد الملك لثابت بن عبد الله بن الزبير: أبوك ما كان أعلم بك حيث

---

(١) الأنفال: ٣٢.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه ٤: ٩٧.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ١: ٩٧، وأخرجه عبد الرزاق، وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عنهم الدرّ المنثور ٦: ٣٠٢.

(٤) المناقب لابن شهر آشوب ١: ١٩٧.

(٥) المسد: ١.

(٦) المناقب لابن شهر آشوب ١: ٦٧.

(٧) أما استهزاؤه ودعاء النبيﷺ فرواه ابن عبد البر في الاستيعاب ١: ٣١٧، والمفيد في الجمل: ٩٦ وابن شهر آشوب في مناقبه ١: ٨١ . وأما نفي النبيّﷺ وإعادة عثمان فرواه المسعودي في مروج الذهب ٣: ١٨٠، والمفيد في الجمل: ٩٧، والنووي في التهذيب ٢: ٨٧ ق١، والأمران من مشهورات التاريخ.

كان يشتمك. قال: إنّما كان يشتمني لأني كنت أنهاه أن يقاتل بأهل مكّة، وأهل المدينة، فإنّ الله لا ينصر بهما. أمّا أهل مكّة، فأخرجوا النبيّ صلى الله عليه وآله وأخافوه، ثمّ جاؤوا إلى المدينة حتّى سيّرهم. عرّض بجدّه الحكم.

«وخلعت إليه العرب أعنّتها» والمراد: إجماعهم على حربه، كقول الشماخ:

أتتني سليم قضّها بقضيضها[١]

وفي (تفسير القمّي): أنّ قريشاً تجمّعت في سنة خمس من الهجرة وساروا في العرب، وجلبوا واستفزّوهم لحرب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فوافوا في عشرة آلاف، ومعهم كنانة وسليم وفزارة، وكان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حين أجلى بني النضير، وهم بطن من اليهود من المدينة، وكان رئيسهم حيّ بن أخطب، وهم يهود من بني هارون عليه السلام، فلمّا أجلاهم من المدينة صاروا إلى خيبر، وخرج حيّ ابن أخطب، وهمّ إلى قريش بمكّة، وقال لهم: إنّ محمّداً قد وتركم ووترنا، وأجلانا من المدينة من ديارنا وأموالنا، وأجلى بني عمّنا بني قينقاع، فسيروا في الأرض واجمعوا حلفاءكم وغيرهم حتّى نسير إليهم، فإنّه قد بقي من قومي بيثرب سبعمائة مقاتل وهم بنو قريظة، وبينهم وبين محمّد عهد وميثاق، وأنا أحملهم على نقض العهد بينهم وبين محمّد، ويكونون معنا عليهم فتأتونه أنتم من فوق، وهم من أسفل. وكان موضع بني قريظة من المدينة على قدر ميلين، وهو الموضع الّذي يسمّى بئر المطّلب، فلم يزل يسير معهم حيّ بن أخطب في قبائل العرب حتّى اجتمعوا قدر عشرة آلاف من قريش وكنانة، والأقرع بن حابس في قومه، وعباس بن مرداس في بني سليم[٢].

---

(١) لسان العرب ٧: ٢٢١ مادة (قضض)، وصدره: تمسح حولي بالبقيع سبالها.

(٢) تفسير القمي ٢: ١٧٦.

وفي (إرشاد المفيد): خرجت قريش في الأحزاب، وقائدها إذ ذاك أبو سفيان، وخرجت غطفان، وقائدها عيينة بن حصن في بني فزارة، والحرث بن عوف في بني مرة، وو برة بن طريف في قومه من أشجع[١].

«وضربت لمحاربته» هكذا في (المصرية)، والصواب: (إلى محاربته) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٢].

«بطون رواحلها» رواحل جمع راحلة: الناقة التي تصلح لأن ترحل؛ وفي الخبر: «تجدون الناس كإبل مائة ليس فيها راحلة»[٣]. أي: الرجل الكامل في الناس قليلٌ، كقلّة الراحلة في الآبال. (وضرب بطون الرواحل إلى محاربته): كناية أيضاً ـ كخلع الأعنّة ـ عن الاتفاق على حربه صلى الله عليه وآله، إلّا أنّ الأعنّة للأفراس، وعرفت أنّ الرواحل النوق.

وقال جرير في هزيمة جيش إبرويز في ذي قار:

هو المشهد الفرد الّذي ما نجا به

لكسرى بن كسرى لاسنام ولا صلب

السنام كناية عن الآبال، والصلب عن الأفراس.

«حتّى أنزلت بساحته عدوانها» هكذا في (المصرية)، والصواب: (عداوتها) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية)[٤].

«من أبعد الدار وأسحق» أي: أطول.

«المزار» ولمّا رأى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ضعف قلوب أصحابه في الأحزاب بعث

---

(١) الإرشاد للمفيد: ٥١.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٣٦، لكن في شرح ابن ميثم ٣: ٤٢٦، مثل المصرية.

(٣) صحيح مسلم ٤: ١٩٧٣ ح٢٣٢، وابن ماجه في سننه ٢: ١٣٢١ ح٣٩٩٠، وغيرهما، لكن اللفظ لابن الأثير في النهاية ٢: ٢٠٩ مادة (رحل).

(٤) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٣٦، لكن في شرح ابن ميثم ٣: ٤٢٦ «عدوانها» أيضاً.

إلى عيينة والحارث قائدَيّ غطفان: يرجعان بقومهما على أن يعطيهما ثلث ثمار المدينة، واستشار سعد بن عبادة، وسعد بن معاذ. فقالا: إن لم يكن ذاك عن وحي فلا نقبله. فقال النبيّ ﷺ: لم يأتني وحي في ذلك، ولكنّي رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، وجاؤوكم من كلّ جانب، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم. فقالا: إنّنا لم نعطِ في الجاهليّة من ثمارنا أحداً، فكيف في الإسلام[1]؟

٣٢
الكتاب (٩)

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية:

فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا، وَٱجْتِيَاحَ أَصْلِنا، وَهَمُّوا بِنَا ٱلْهُمُومَ، وَفَعَلُوا بِنَا ٱلأَفَاعِيلَ، وَمَنَعُونَا ٱلْعَذْبَ، وَأَحْلَسُونَا ٱلْخَوْفَ، وَٱضْطَرُّونَا إِلَى جَبَلٍ وَعْرٍ، وَأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ ٱلْحَرْبِ، فَعَزَمَ ٱللّهُ لَنَا عَلَى ٱلذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِهِ، وَٱلرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حَرْمَتِهِ، مُؤْمِنُنَا يَبْغِي بِذَلِكَ ٱلأَجْرَ، وَكَافِرُنَا يُحَامِي عَنِ ٱلأَصْلِ، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خِلْوٌ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ بِحِلْفٍ يَمْنَعُهُ، أَوْ عَشِيرَةٍ تَقُومُ دُونَهُ، فَهُوَ مِنَ ٱلْقَتْلِ بِمَكَانِ أَمْنٍ. وكَانَ رَسُولُ ٱللّهِ ﷺ إِذَا ٱحْمَرَّ ٱلْبَأْسُ وَأَحْجَمَ النَّاسُ، قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ فَوَقَى بِهِمْ أَصْحَابَهُ حَرَّ الأَسِنَّةِ والسُّيُوفِ، فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَقُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَقُتِلَ جَعْفَرٌ يَوْمَ مُؤْتَةَ.

أقول: رواه نصر بن مزاحم، مع زيادة واختلاف؛ ففي (صفّينه): قال عليّ عليه السلام: ولعمر الله إنّي لأرجو إذا أعطى الله الناس على قدر فضائلهم في الإسلام، ونصيحتهم لله ورسوله أن يكون نصيبنا في ذلك الأوفر. إنّ

---

(١) سيرة ابن هشام ٣: ١٣٣ والنقل بتصرف يسير.

محمّداً صلى الله عليه وآله لمّا دعا إلى الايمان بالله والتوحيد كنّا أهل البيت أوّل من آمن به، وصدّق بما جاء به، فلبثنا أحوالاً مجرّمة وما يعبد الله في ربع ساكن من العرب غيرنا، فأراد قومنا قتل نبيّنا واجتياح أصلنا، وهمّوا بنا الهموم وفعلوا بنا الأفاعيل، فمنعونا الميرة، وأمسكوا عنّا العذب، وأحلسونا الخوف، وجعلوا علينا الارصاد والعيون، واضطرّونا إلى جبل وعر، وأوقدوا لنا نار الحرب، وكتبوا علينا بينهم كتاباً: لا يؤاكلونا، ولا يشاربونا، ولا يناكحونا، ولا يبايعونا، ولا نأمن فيهم حتّى ندفع النبيّ صلى الله عليه وآله فيقتلوه، ويمثّلوا به. فلم نكن نأمن فيهم إلّا من موسم إلى موسم، فعزم الله لنا على منعه، والذبّ عن حوزته، والرمي من وراء حرمته، والقيام بأسيافنا دونه في ساعات الخوف، بالليل والنهار؛ فمؤمننا يرجو بذلك الثواب، وكافرنا يحامي به عن الأصل، فأمّا من أسلم من قريش بعد، فإنّهم ممّا نحن فيه أخلياء؛ فمنهم حليف ممنوع أو ذو عشيرة تدافع عنه، فلا يبغيه أحد بمثل ما بغانا به قومنا من التلف، فهم من القتل بمكان نجوة وأمن. فكان ذلك ما شاء الله أن يكون، ثمّ أمر الله رسوله صلى الله عليه وآله بالهجرة، وأذن له بعد ذلك في قتال المشركين فكان إذا احمرّ البأس، ودعيت نزال أقام أهل بيته، فاستقدموا فوقى بهم أصحابه حرّ الأسنّة والسيوف، فقتل عبيدة يوم بدر، وحمزة يوم أُحد، وجعفر وزيد يوم مؤتة...[1]

قول المصنّف «ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية» أقول: جواباً عن كتاب كتبه معاوية إليه عليه السلام مع أبي مسلم الخولاني، وفيه: «إنّ الله اصطفى محمّداً بعلمه وجعله الأمين على وحيه والرسول إلى خلقه، واجتبى له من المسلمين أعواناً أيّده الله بهم، فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام، فكان أفضلهم في إسلامه وأنصحهم لله ولرسوله الخليفة من بعده، وخليفة

(١) أخرجه ابن مزاحم أيضاً في ضمن كتاب له عليه السلام إلى معاوية في وقعة صفين: ٨٩.

خليفته، والثالث الخليفة المظلوم عثمان فكلّهم حسدت، وعلى كلّهم بغيت، عرفنا ذلك في نظرك الشزر، وفي قولك الهجر، وفي تنفّسك الصعداء، وفي إبطائك عن الخلفاء تقاد إلى كلّ منهم، كما يقاد الفحل المخشوش حتّى تبايع، وأنت كاره...[١].

قوله عليه السلام: «فأراد قومنا» أي: قريش؛ قال تعالى: ﴿وكذّب به قومك وهو الحقّ...﴾[٢].

«قتل نبيّنا» في (السير): لمّا علمت قريش أنّ أبا طالب لا يخذل النبيّ صلى الله عليه وآله، وأنّه تجمع لعداوتهم مشوا بعمارة بن الوليد إليه، فقالوا: يا أبا طالب هذا فتى قريش، وأجملهم فخذه، فلك عقله ونصرته، فاتّخذه ولداً، وأسلِم لنا ابن أخيك هذا الّذي سفّه أحلامنا، وخالف دينك، ودين آبائك، وفرّق جماعة قومك نقتله، فإنّما رجل برجل. فقال: والله لبئس ما تسومونني! أتعطوني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه؟ هذا، والله لا يكون أبداً. أما تعلمون أنّ الناقة إذا فقدت ولدها لا تحنّ إلى غيره، ثمّ نهرهم، فاشتدّ عند ذلك الأمر واشتدّت قريش على من في القبائل من الصحابة الّذين أسلموا، فوثبت كلّ قبيلة على من فيها من المسلمين يعذّبونهم[٣].

وفي (المناقب): بعثت قريش إلى أبي طالب: ادفع إلينا محمّداً حتّى نقتله، ونملّكك علينا. فأنشأ أبو طالب اللامية التي يقول فيها:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل

---

(١) وقعة صفين لابن مزاحم: ٨٦.

(٢) الأنعام: ٦٦.

(٣) المناقب شهر آشوب ١: ٦٠، وابن هشام في السيرة ١: ٢٤٠، وابن سعد في الطبقات ١: ق١: ١٣٤، والطبري في تاريخه ٢: ٦٧ والنقل بتصرف يسير.

فلمّا سمعوا هذه القصيدة أيسوا منه[١].

«اجتياح» أي: استيصال.

«أصلنا» والمراد: جميعنا.

«وهمّوا بنا الهموم» أي: أرادوا لنا إرادات.

«وفعلوا بنا الأفاعيل» العجيبة من قسوة البشر وطغيانه؛ قال الشماخ:

إذا استهلّا بشؤبوب فقد فعلت بما أصابا من الأرض الأفاعيل[٢]

وقالوا: الرشى تفعل الأفاعيل، وتنسّي إبراهيم وإسماعيل.

«ومنعونا العذب» أي: الماء الطيب.

«وأحلسونا الخوف» أي: جعلوا الخوف كحلس لنا، والحلسُ مسحٌ يكون مبسوطاً دائماً، والحلس للبعير كساء رقيق تحت البرذعة، والمراد: إخافتهم دائماً.

«واضطرّونا إلى جبل وعر» بالتسكين، أي: الصعب.

«وأوقدوا لنا نار الحرب» لإهلاكنا؛ روى السروي عن عكرمة، وعروة بن الزبير، قالا: رأت قريش أنّه ﷺ يفشو أمره في القبائل، وأنّ حمزة أسلم، وأنّ عمرو بن العاص ردّ في حاجته عند النجاشي، فأجمعوا أمرهم ومكرهم على أن يقتلوا رسول الله علانية، فلمّا رأى ذلك أبو طالب جمع بني عبد المطلب، وأجمع لهم أمرهم على أن يدخلوا النبيّ ﷺ شعبهم. فاجتمع قريش في دار الندوة، وكتبوا صحيفة على بني هاشم: ألّا يكلّموهم ولا يزوّجوهم ولا يتزوّجوا إليهم ولا يبايعوهم، أو يسلموا إليهم النبيّ ﷺ، وختم عليها أربعون خاتماً، وعلّقوها في جوف الكعبة ـ وفي رواية ـ عند زمعة بن الأسود.

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب ١: ٦٥.

(٢) أساس البلاغة: ٣٤٤ مادة (فعل).

فجمع أبو طالب بني هاشم وبني عبد المطّلب في شعبه، وكانوا أربعين رجلاً مؤمنهم وكافرهم ما خلا أبا لهب، وأبا سفيان (الهاشمي فكانا مع قريش) ثمّ قال: وكان أبو جهل والعاص بن وائل، والنضر بن الحارث بن كلدة وعقبة بن أبي معيط يخرجون إلى الطرقات، فمن رأوا معه ميرة نهوه أن يبيع من بني هاشم شيئاً، ويحذّرونه من النهب. فأنفقت خديجة عليها السلام على النبيّ صلى الله عليه وآله فيه مالاً كثيراً. ثمّ قال: وكانوا لا يأمنون إلّا في موسم العمرة في رجب، وموسم الحجّ في ذي الحجّة، فيشترون ويبيعون فيهما. ثمّ قال: فكان أبو العاص بن الربيع، وهو ختن النبي صلى الله عليه وآله يجيء بالعير بالليل عليها البرّ والتمر[١].

«فعزم الله لنا على الذبّ عن حوزته والرمي من وراء حرمته» روى السروي عن مقاتل: لمّا رأت قريش يعلو أمره صلى الله عليه وآله قالوا: لا نرى محمّداً يزداد إلّا كبراً وتكبّراً، وإن هو إلّا ساحر أو مجنون. وتوعّدوه، وتعاقدوا: لئن مات أبو طالب ليجمعنّ قبائل قريش كلّها على قتله، وبلغ ذلك أبا طالب فجمع بني هاشم وأحلافهم من قريش، فوصّاهم بالنبيّ صلى الله عليه وآله وقال: إنّ ابن أخي كما يقول: أخبرنا بذلك آباؤنا وعلماؤنا أنّ محمّداً نبيّ صادق، وأمين ناطق، وأنّ شأنه أعظم شأن، ومكانه من ربّه أعلى مكان، فأجيبوا دعوته، واجتمعوا على نصرته، وراموا عدوّه من وراء حوزته، فإنّه الشرف الباقي لكم الدهر[٢].

فمكثوا بذلك أربع سنين، وقال ابن سيرين ثلاث سنين.

وفي كتاب (شرف المصطفى): فبعث الله على صحيفتهم الأُرضة فلحستها، فنزل جبرئيل عليه السلام فأخبر النبيّ صلى الله عليه وآله بذلك، فأخبر النبيّ صلى الله عليه وآله أبا طالب، فدخل أبو طالب على قريش في المسجد فعظّموه وقالوا: أردت

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب السروي ١: ٦٣ والنقل بتقطيع.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب السروي ١: ٦١.

مواصلتنا، وأن تسلم ابن أخيك إلينا؟ قال: والله ما جئت لهذا، ولكن ابن أخي أخبرني ولم يكذبني: إنّ الله تعالى قد أخبره بحال صحيفتكم، فابعثوا إلى صحيفتكم فإن كان حقاً فاتّقوا الله، وارجعوا عمّا أنتم عليه من الظلم وقطيعة الرحم، وإن كان باطلاً دفعته إليكم. فأتوا بها وفكّوا الخواتيم، فإذا فيها (باسمك اللّهم) واسم (محمّد) فقط. فقال لهم أبو طالب: اتّقوا الله وكفّوا عمّا أنتم عليه. فسكتوا وتفرّقوا. فنزل: ﴿ادعُ إلى سبيل ربّك...﴾[1]. قال: كيف أدعوهم وقد صالحوا على ترك الدعوة؟ فنزل: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت...﴾[2]. فسأل النبيّ ﷺ أبا طالب الخروج من الشعب، فاجتمع سبعة نفر من قريش على نقضها، وهم مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف الّذي أجار النبيّ ﷺ لمّا انصرف من الطائف، وزهير بن أُميّة المخزومي ختن أبي طالب على ابنته عاتكة، وهشام بن عمرو بن لؤي بن غالب وأبو البختري بن هشام، وزمعة بن الأسود بن المطلب، وقال هؤلاء الخمسة: أخرقها الله، وعزموا أن يقطعوا يمين كاتبها، وهو منصور بن عكرمة بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، فوجدوها شلاً قد قطعها الله، فأخذ النبيّ ﷺ في الدعوة، وفي ذلك يقول أبو طالب:

وقد كان من أمر الصحيفة عبرة ... متى ما يخبّر غائب القوم يعجب
محا الله منها كفرهم وعقوقهم ... وما نقموا من ناطق الحقّ معرب
وأصبح ما قالوا من الأمر باطلاً ... ومن يختلق ما ليس بالحقّ يكذب
فأمسى ابن عبد الله فينا مصدّقاً ... على سخطٍ من قومنا غير معتب[3]

---

(١) النحل: ١٢٥.

(٢) الرعد: ٣٩.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ١: ٦٥.

«مؤمننا يبغي» أي: يطلب.

«بذلك» أي: الجدّ في حفظ النبيّ صلى الله عليه وآله.

«الأجر» من الله تعالى.

«وكافرنا» من بني هاشم، حتّى مثل أبي لهب.

«يحامي» بدفاعه.

«عن الأصل» أي: عشيرته؛ روى (روضة الكافي) عن الصادق عليه السلام، قال: لمّا أرادت قريش قتل النبيّ صلى الله عليه وآله قالت: كيف لنا بأبي لهب. فقالت أُمّ جميل: أنا أكفيكموه، أنا أقول له: إنّي أحبّ أن تقعد اليوم في البيت نصطبح. فلمّا أن كان من الغد، وتهيّأ المشركون للنبيّ صلى الله عليه وآله قعد أبو لهب وامرأته يشربان، فدعا أبو طالب عليّاً عليه السلام فقال له: يا بنيّ اذهب إلى عمّك أبي لهب فاستفتح عليه، فإن فتح لك فادخل، وإن لم يفتح لك فتحامل على الباب واكسره وادخل عليه، فإذا دخلت عليه فقل له: يقول لك أبي: إنّ امرأً عمّه عين في القوم، فليس بذليل. فدخل عليه، وقال له ذلك، فقال: صدق أبوك، فماذا يابن أخي؟ فقال: يقتل ابن أخيك، وأنت تأكل وتشرب؟ فوثب وأخذ سيفه، فتعلّقت به أُمّ جميل، فرفع يده ولطم وجهها لطمة ففقأ عينها، فماتت وهي عوراء، وخرج أبو لهب ومعه السيف، فلمّا رأته قريش عرفت الغضب في وجهه، فقالت: مالك يا أبا لهب؟ فقال: أُبايعكم على ابن أخي، ثمّ تريدون قتله؟ واللات والعزّى لقد هممت أن أسلم، ثمّ تنظرون ما أصنع. فاعتذروا إليه ورجع[1].

وفي (كامل الجزري): عمد عقبة بن أبي معيط ـ وكان من أشدّ الناس أذىً للنبيّ صلى الله عليه وآله ـ إلى مكتل فجعل فيه عذرة وجعله على باب النبيّ صلى الله عليه وآله فبصر به طليب بن عمير بن وهب بن عبد مناف بن قصي ـ وأُمّه أروى بنت عبد

---

(١) الكافي للكليني ٨: ٢٧٦ ح٤١٨ والنقل بتلخيص.

المطلب ـ وأخذ المكتل منه وضرب به رأسه، وأخذ بأذنيه، فشكاه عقبة إلى أُمّه. فقال: قد صار ابنك ينصر محمّداً. فقالت: ومن أولى به منّا، أموالنا وأنفسنا دون محمّد[1].

«ومن أسلم من قريش خلو ممّا نحن فيه بحلف يمنعه أو عشيرة تقوم دونه فهو من القتل بمكان أمن» في (الكامل): بلغ من بالحبشة من المسلمين أنّ قريشاً أسلمت، فعاد منهم قوم وتخلّف قوم، فلمّا قربوا من مكّة بلغهم أنّ إسلام أهل مكّة باطل، فلم يدخل أحد منهم إلّا بجوار أو مستخفياً، فدخل عثمان في جوار أبي أُحيحة سعيد بن العاص بن أُميّة فأمن بذلك، ودخل أبو حذيفة بن عتبة (بن ربيعة بن عبد شمس) بجوار أبيه[2]، وكان الحصر في الشعب مختصاً ببني هاشم وبني عبد المطلب.

«وكان رسول الله ﷺ إذا أحمرّ البأس» أي: اشتدّ القتال.

«وأحجم الناس» جعل الجوهري (أجحم) بتقديم الجيم (وأحجم) بتقديم الحاء بمعنى واحد، أي: كفّ الناس[3].

«قدّم أهل بيته» في الحرب.

«فوقى بهم أصحابه حرّ الأسنّة والسيوف» هكذا في (المصرية)، والصواب: (حرّ السيوف والأسنّة) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية)[4]، وإنّما قدّمهم ليظهر على العالم أنّهم السّابقون في كلّ خير، وقد تأدّب بذلك من الله تعالى حيث قال له أوّلاً: ﴿وأنذِر عشيرتك الأقربين﴾[5]،

---

(١) الكامل لابن الأثير الجزري ٢: ٧٤.

(٢) الكامل لابن الأثير ٢: ٧٧ والنقل بتقطيع.

(٣) صحاح اللغة للجوهري ٥: ١٨٨٣ مادة (جحم).

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٣٠٧، لكن في شرح ابن ميثم ٤: ٣٥٩ مثل المصرية أيضاً.

(٥) الشعراء: ٢١٤.

فجمع بني عبد المطّلب وأنذرهم بالله، وأنّه أرسله إليهم، وقال له ثانياً: ﴿وأمر أهلك بالصّلاة واصطبر عليها...﴾[١] فكان يجيء كلّ يوم على باب عليّ وفاطمة عليهما السلام ويقول: الصّلاة أهل البيت ﴿...إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾[٢].

كما أنّه صلى الله عليه وآله أخّر المدّعين في قبال أهل بيته للأمر عن سائر أصحابه ليعلم الناس تأخّرهم.

وفي (معارف ابن قتيبة): كانت قريش يوم أُحد في ثلاثة آلاف، والنبيّ صلى الله عليه وآله في سبعمائة، فظاهر يومئذ بين درعين، وأخذ سيفاً فهزّه، وقال: من يأخذه بحقّه؟ فقال عمر: أنا. فأعرض عنه، وقال الزبير: أنا. فأعرض عنه، فوجدا في أنفسهما. فقام أبو دجانة فأعطاه إيّاه[٣] مع أنّه لم يكن من المدعين جدّ باقي أصحابه.

وفي (كامل الجزري) وانتهى أنس بن النضر عمّ أنس بن مالك إلى عمر وطلحة (يوم أُحد) في رجال من المهاجرين قد ألقوا بأيديهم فقال: ما يحبسكم؟ قالوا: قد قتل النبيّ صلى الله عليه وآله. قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ موتوا على ما مات عليه. ثمّ استقبل القوم فقاتل حتّى قتل، فوجد به سبعون ضربة وطعنة، وما عرفته إلّا أُخته، عرفته بحسن بنانه[٤].

---

(١) طه: ١٣٢.

(٢) أمّا الأول فمن مسلمات التاريخ، جمع كثيراً من طرقه السيوطي في الدر المنثور ٥: ٩٥ ـ ٩٨، وأمّا الثاني فأخرجه ابن عساكر في ترجمة علي عليه السلام ١: ٢٧٢ ح٣٢٠، وتفسير القمي ٢: ٦٧، والحسكاني بثلاث طرق في شواهد التنزيل ١: ٣٨١ ح٥٢٦، و ٢: ٢٨ ح٦٦٧ ، ٦٦٨، وابن مردويه وابن النجار عنهما الدرّ المنثور ٤: ٣١٣ ورواه الطبرسي بطرق في مجمع البيان ٧: ٣٧، وغيرهم، والآية ٣٣ من سورة الأحزاب.

(٣) المعارف لابن قتيبة: ١٥٩.

(٤) الكامل لابن الأثير الجزري ٢: ١٥٦ ، ١٥٨ سنة ٣.

وانتهت الهزيمة بجماعة المسلمين فيهم عثمان بن عفان وغيره إلى الأعوص، فأقاموا به ثلاثاً، ثمّ أتوا النبيّ صلى الله عليه وآله فقال لهم حين رآهم: لقد ذهبتم فيها عريضة[١].

هذا، ونظير كلامه عليه السلام في هذا الكتاب كتاب أنشأه المعتضد الخليفة العبّاسي في لعن معاوية رواه الطبري، فقال: قال المعتضد في كتابه: إنّ الله عزّوجلّ لمّا ابتعث محمّداً صلى الله عليه وآله بدينه، وأمره أن يصدع بأمره بدأ بأهله وعشيرته، فدعاهم إلى ربّه وأنذرهم وبشّرهم ونصح لهم وأرشدهم، فكان من استجاب له وصدّق قوله واتّبع أمره نفر يسير من بني أبيه من بين مؤمن بما أتى به من ربّه وبين ناصر له، وإن لم يتّبع دينه إعزازاً له وإشفاقاً عليه، لماضي علم الله فيمن اختار منهم، ونفذت مشيئته فيما يستودعه إيّاه من خلافته وإرث نبيّه، فمؤمنهم مجاهد بنصرته وحميّته يدفعون من نابذه، وينهرون من عازّه وعانده، ويتوثقون له ممّن كانفه وعاضده، ويبايعون له من سمح بنصرته، ويتجسّسون له أخبار أعدائه، ويكيدون له بظهر الغيب كما يكيدون له برأي العين، حتّى بلغ المدى وحان وقت الاهتداء، فدخلوا في دين الله وطاعته وتصديق رسوله، والايمان به بأثبت بصيرة، وأحسن هدىً ورغبة، فجعلهم الله أهل بيت الرّحمة، وأهل البيت الذين أذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيرا[٢].

«فقتل عبيدة بن الحارث يوم بدر» إنّما عدّ عليه السلام عبيدة في أهل بيت النبيّ مع كونه مطّلبياً فإنّه عبيدة بن الحارث بن المطلب، واجتماعه مع النبيّ صلى الله عليه وآله في عبد مناف، كبني عبد شمس، لأنّ بني المطّلب كانوا مع بني هاشم متّفقين،

---

(١) الكامل لابن الأثير الجزري ٢: ١٥٦، ١٥٨ سنة ٣.

(٢) تاريخ الطبري ٨: ١٨٤ سنة ٢٨٤.

كبني نوفل مع بني عبد شمس، ولأنّ الأصل في النسبة إلى النبيّ صلى الله عليه وآله الايمان والعمل، فصار سلمان بذلك مع عجمته من أهل بيته[١]، وصار أبو لهب مع كونه لباباً في الهاشمية أجنبياً عنه صلى الله عليه وآله.

واختلفت الإمامية في جواز إعطائهم الخمس؛ فالمشهور بينهم المنع، واختصاص الخمس بالهاشمي. وذهب الإسكافي، والمفيد في الغريّة إلى الجواز، استناداً إلى ما روي عن الصادق عليه السلام: «لو كان عدل ما احتاج هاشمي ولا مطلبي إلى صدقة»[٢].

واختلف في قاتل عبيدة، فقال المفيد[٣] والواقدي[٤] والبلاذري[٥]: قاتله شيبة. وقال ابن إسحاق[٦]، وابن قتيبة[٧]، وعليّ بن إبراهيم القمي[٨]: قاتله عتبة. فروى المفيد مسنداً عن أبي رافع، قال: لمّا أصبح الناس يوم بدر اصطفّت قريش، وأمامها عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وابنه الوليد، فنادى عتبة: يا محمّد أخرِج إلينا أكفاءنا من قريش. فبدر إليهم ثلاثة من شبّان الأنصار، فقال لهم عتبة: مَن أنتم؟ فانتسبوا له، فقال لهم: لا حاجة لنا إلى

---

(١) هذا إشارة إلى حديث النبي صلى الله عليه وآله: «سلمان منّا أهل البيت»، أخرجه الحاكم في المستدرك والطبراني في معجمه الكبير عنهما الجامع الصغير ٢: ٣٣ وأبو يعلى في مسنده عنه المطالب العالية ٤: ٨٣ ح ٤٠٢٥ والواقدي في المغازي ١: ٤٤٦، وابن سعد بطريقين في الطبقات ٤: ق ١: ٥٩ و٧: ق ٢: ٦٥، وغيرهم، وأما سياق فلان منّا أهل البيت فقد جاء في أفراد آخرين، منهم: أبو ذر والمقداد وعمار وجابر بن عبد الله وغيرهم.

(٢) الاستبصار للطوسي ٢: ٣٦ ح٦، والتهذيب ٤: ٥٩ ح٦ ونقل هذه الأقوال العلّامة الحلّي في المختلف ١: ٢٠٥.

(٣) الإرشاد للمفيد: ٤١.

(٤) المغازي للواقدي ١: ٦٩.

(٥) أنساب الاشراف للبلاذري ١: ٢٩٧.

(٦) سيرة ابن هشام ٢: ٢٥١، والظاهر انه نقل عن ابن اسحاق لكن لم يصرح به.

(٧) المعارف لابن قتيبة : ١٥٧.

(٨) تفسير القمي ١: ٢٦٤.

مبارزتكم، إنّما طلبنا بني عمّنا. فقال النبيّ ﷺ للأنصار: ارجعوا إلى مواقفكم. ثمّ قال: قم يا عليّ، قم يا حمزة، قم يا عبيدة، قاتلوا على حقّكم الّذي بعث الله به نبيّكم، إذ جاؤوا بباطلهم ﴿ليطفئوا نور الله﴾[1]. فقاموا فصفّوا للقوم، وكان عليهم البيض فلم يُعرفوا، فقال لهم عتبة: تكلّموا، فإن كنتم أكفاءً قاتلناكم. فقال حمزة: أنا حمزة بن عبد المطلّب أسد الله، وأسد رسوله. فقال عتبة: كفو كريم. وقال أمير المؤمنين: أنا عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب، وقال عبيدة: أنا عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب. فقال عتبة لابنه الوليد: قم. فبرز إليه أمير المؤمنين ـ وكانا إذ ذاك أصغر الجماعة سنّاً ـ فاختلفا ضربتين، أخطأت ضربة الوليد أمير المؤمنين عليه السلام، واتّقى بيده اليسرى ضربة أمير المؤمنين عليه السلام، فأبانتها ـ فروي أنّه عليه السلام كان يذكر بدراً وقتله الوليد، فقال: «كأنّي إلى وميض خاتمه في شماله ثمّ ضربته ضربة أُخرى فصرعته، وسلبته، فرأيت به درعاً من خلوق، فعلمت أنّه قريب عهد بعرس» ـ ثم بارز عتبة حمزة فقتله حمزة، ومشى عبيدة ـ وكان أسنّ القوم ـ إلى شيبة فاختلفا ضربتين، فأصاب ذباب سيف شيبة عضلة ساق عبيدة، فمات بالصفراء؛ وفي قتل عتبة وشيبة والوليد تقول هند بنت عتبة:

أيا عين جودي بدمع سرب ... على خير خندف لم ينقلب
تداعى له رهطه غدوة ... بنو هاشم وبنو المطلب
يذيقونه حدّ أسيافهم ... يعرّونه بعدما قد شجب[2]

وقال القمّي: نظر عتبة إلى أخيه شيبة وإلى ابنه الوليد، فقال: قم يا بنيّ. وطلبوا له بيضة تسع رأسه فلم يجدوها لعظم هامته، فاعتجر بعمامته، ثمّ أخذ

---

(١) الصف: ٨.

(٢) الإرشاد للمفيد: ٤٠ والنقل بتصرف يسير.

سيفه، وتقدّم هو وأخوه وابنه، ونادى: يا محمّد أخرِج إلينا أكفاءنا من قريش... قال النبيّ صلى الله عليه وآله: يا عبيدة، عليك بعتبة. وقال لحمزة: عليك بشيبة. وقال لعليّ عليه السلام: عليك بالوليد. فمرّوا حتّى انتهوا إلى القوم، فقال عتبة: مَنْ أنتم؟ قال عبيدة: أنا عبيدة. قال: كفو كريم. فمن هذان؟ قال: حمزة وعليّ. فقال: كفوان كريمان، لعن الله من أوقفنا وإيّاكم هذا الموقف. ـ قال الشارح: ومراده أبو جهل ـ فقال شيبة لحمزة: من أنت؟ قال: حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله. فقال له شيبة: لقد لقيت أسد الحلفاء، فانظر كيف تكون صولتك يا أسد الله؟ فحمل عبيدة على عتبة، فضربه على رأسه ضربة فلق هامته، وضرب عتبة عبيدة على ساقه، فقطعها وسقطا جميعاً. وحمل حمزة على شيبة، فتضاربا بالسيفين حتّى تثلما، وكلّ واحد يتقي بدرقته، وحمل أمير المؤمنين على الوليد، فضربه على حبل عاتقه، فأخرج السيف من أبطه. ثمّ اعتنق حمزة وشيبة، فقال المسلمون لأمير المؤمنين عليه السلام: أمّا ترى الكلب قد بهر عمّك؟! فحمل عليه عليّ عليه السلام ثمّ قال: يا عمّ طأطئ رأسك. ـ وكان حمزة أطول من شيبة ـ فأدخل حمزة رأسه في صدره، فضربه على رأسه فطنّ نصفه. ثمّ جاء إلى عتبة، وبه رمق فأجهز عليه، وحمل عليّ عليه السلام وحمزة عبيدة حتّى أتيا به النبيّ صلى الله عليه وآله، فنظر إليه واستعبر، فقال عبيدة للنبيّ صلى الله عليه وآله: بأبي أنت وأُمي ألستُ شهيداً؟ قال: بلى، أنت أوّل شهيد من أهل بيتي. فقال: لو أنّ عمّك كان حيّاً لعلم أنّي أولى بما قال منه. قال: وأيّ أعمامي تعني؟ قال: أبو طالب حيث يقول:

كذبتم وبيت الله نبزي محمّداً ولمّا نطاعن دونه ونناضل

وننصره حتى نصرّع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: أما ترى ابنه علياً كالليث العادي بين يدي الله ورسوله، وابنه الآخر جعفر في جهاد الله بأرض الحبشة؟! فقال: أسخطت عليّ يا رسول

الله في هذه الحالة؟ قال: لا، ولكن ذكرت عمّي فانقبضت لذلك[١].

والصحيح القول الأخير، لبيت هند بنت عتبة في قتل أبيها (بنو هاشم وبنو المطلب) على ما مر في أبياتها، فإنّه لا ينطبق إلّا على القول الأخير المشتمل على أنّ عبيدة صرع عتبة ـ وعبيدة من بني المطلب ـ وأجهز عليه أمير المؤمنين عليه‌السلام وهو من بني هاشم.

ويشهد له قول هند بنت أثاثة المطلبية في جواب هند بنت عتبة، كما في (سيرة ابن هشام):

حمزة ليثي وعليّ صقري إذ رام شيب وأبوك غدري

فخضّبا منه ضواحي النحر[٢]

ويشهد له قول أمير المؤمنين عليه‌السلام الى معاوية: «أنا قاتل جدّك»، ففي (النهج) في العاشر من باب كتبه: «فأنا أبو حسن قاتل جدّك وخالك وأخيك شدخاً يوم بدر»[٣]، وفي (٢٨) منها: «وسيوف هاشمية قد عرفت مواقع نصالها في أخيك وخالك وجدّك وأهلك»[٤]، وفي (٦٤) منها: «وعندي السيف الّذي أعضضته بجدّك وخالك وأخيك في مقام واحد»[٥].

وممّا ذكرنا من اختلاف روايات الشيعة في قاتل عبيدة كروايات العامّة، يظهر لك ما في قول ابن أبي الحديد: إنّ الشيعة رووا كون قرن عبيدة شيبة[٦]، فالقمي من قدماء الشيعة، وقد روى أنّ قرنه عتبة كما عرفت.

---

(١) تفسير القمي ١: ٢٦٤ والنقل بتصرف يسير.

(٢) سيرة ابن هشام ٣: ٣٧.

(٣) نهج البلاغة ٣: ١١.

(٤) نهج البلاغة ٣: ٣٥.

(٥) نهج البلاغة ٣: ١٢٣.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٣٣٨ نقلاً عن إرشاد المفيد.

هذا، وروى (طبقات ابن سعد) أنّ قوله تعالى: ﴿هذان خصمان اختصموا في ربّهم...﴾[1] نزل في عليّ وحمزة وعبيدة، وفي عتبة وشيبة والوليد[2].

وفي (معارف ابن قتيبة): بدر: كان اسم رجل من غفار رهط أبي ذر من بطن يقال لهم: بنو النار[3].

«وقتل حمزة يوم أُحد» قال القمّي: كان حمزة يحمل على القوم، فإذا رأوه انهزموا ولم يثبت له أحد، وكانت هند بنت عتبة قد أعطت وحشياً عهداً: لئن قتلتَ محمّداً أو عليّاً أو حمزة لأعتقنّك. وكان وحشي عبداً لجبير بن مطعم حبشياً، فقال: أمّا محمّد فلا أقدر عليه، وأمّا عليّ فرأيته رجلاً كثير الالتفات حذراً. فكمن لحمزة، فرآه يهذّ الناس هذّاً، فمرّ به، فوطأ على حرف نهر، فسقط، فأخذ وحشي حربته، فهزّها ورماها، فوقعت في خاصرته، وخرجت من مثانته منغمسة بالدم، فسقط فأتاه، فشقّ بطنه وأخذ كبده وأتى إلى هند، فقال لها: كبد حمزة. فأخذتها في فيها فلاكتها. فجعلها الله في فيها مثل الفضة. فلفظتها، ورمت بها. فبعث الله تعالى ملكاً فردّها إلى موضعها، أبى الله أن يدخل شيئاً من حمزة النار. فجاءت إليه هند، فقطعت مذاكيره وقطعت أُذنيه وجعلتهما خرصين، وشدّتهما في عنقها، وقطعت يديه ورجليه... قال النبيّ صلى الله عليه وآله: من له علم بعمّي حمزة؟ فقال الحرث بن الصمّة: أنا أعرف موضعه. فجاء حتّى وقف عليه، فكره أن يرجع إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فيخبره بذلك. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام: أطلب عمّك. فجاء حتّى وقف عليه، فكره

---

(١) الحج: ١٩.

(٢) الطبقات لابن سعد ٢ ق١: ١١ و ٣ ق١: ١٠.

(٣) المعارف لابن قتيبة: ١٥٢.

أن يرجع، فجاء النبيّ صلى الله عليه وآله، فلمّا رأى ما فعل به بكى، ثمّ قال: ما وقفت موقفاً قطّ أغيظ عليّ من هذا المكان، لئن أمكنني الله من قريش لأُمثّلن بسبعين رجلاً منهم. فنزل عليه جبرئيل عليه السلام بهذا: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾[1]. فقال: بل أصبر[2].

«وقتل جعفر يوم مؤتة» قال الجوهري: مؤتة بالهمزة: اسم أرض قُتل بها جعفر ابن أبي طالب عليه السلام، وأمّا موتة بالضمّ: فجنس من الجنون والصّرع يعتري الإنسان، فإذا أفاق عاد إليه كمال عقله، كالنائم والسكران[3].

وفي (البلدان): مؤتة من قرى البقاء في حدود الشام، وقيل: من مشارف الشام الّتي تنسب إليها المشرفية من السيوف، كما فسّر به ابن السكّيت قول كثير:

أبى الله للشمّ الأنوف كأنّهم صوارم يجلوها بمؤتة صيقل[4]

وفي (كامل الجزري): كانت غزوة مؤتة في جمادى الأُولى من سنة ثمان، تجهز الناس وهم ثلاثة آلاف حتّى نزلوا (معان)، فبلغهم أنّ هرقل سار إليهم في مائة ألف من الروم، ومائة ألف من المستعربة من لخم وجذام وبلقين وبلى، عليهم رجل من بلى يقال له: مالك بن رافلة، ونزلوا (مآب) من أرض البلقاء. فأقام المسلمون بمعان ليلتين ينظرون في أمرهم، وقالوا: نكتب إلى النبيّ صلى الله عليه وآله نخبره الخبر وننتظر أمره، فشجّعهم عبد الله بن رواحة وقال: يا قوم والله إنّ الذي تكرهون للّذي خرجتم تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوّة، ولا نقاتلهم إلّا بهذا الدين، فانطلقوا فما هي إلّا إحدى الحسنيين

---

(١) النحل: ١٢٦.

(٢) تفسير القمي ١: ١١٦ والنقل بتصرف يسير.

(٣) صحاح اللغة للجوهري ١: ٢٦٨ مادة (مأت).

(٤) معجم البلدان للحموي ٥: ٢٢٠ والنقل بالمعنى.

(إمّا ظهور، وإمّا شهادة). فالتقتهم جموع الروم والعرب بقرية من البلقاء يقال لها: مشارف، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها: مؤتة. فالتقى الناس عندها، وكان على ميمنة المسلمين قطبة بن قتادة العذري، وعلى ميسرتهم عباية بن مالك الأنصاري، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقاتل زيد بن حارثة براية النبيّ ﷺ حتّى شاط في رماح القوم، ثمّ أخذها جعفر بن أبي طالب، فقاتل وهو يقول:

يا حبذا الجنّة واقترابها ... طيّبةً وبارداً شرابها
والروم روم قد دنا عذابها ... عليّ إذ لاقيتها ضرابها

فلما اشتدّ القتال اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها، ثمّ قاتل القوم حتّى قُتل، وكان جعفر أوّل من عقر فرسه في الاسلام، فوجدوا به بضعاً وثمانين بين رمية وضربة وطعنة، فلمّا قتل أخذ الراية عبد الله بن رواحة...[١]

قال ابن أبي الحديد: اتّفق المحدّثون على أنّ زيد بن حارثة هو كان الأمير الأوّل، وأنكرت الشيعة ذلك، وقالوا: كان جعفر بن أبي طالب هو الأمير الأوّل، فإن قتل فزيد بن حارثة، فإن قتل فعبد الله بن رواحة. ورووا في ذلك روايات، وقد وجدت في الأشعار التي ذكرها محمّد بن إسحاق في كتاب (المغازي) ما يشهد لقولهم، فمن ذلك ما رواه عن حسان بن ثابت وهو:

ولا يبعدنّ الله قتلى تتابعوا ... بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر
وزيد وعبد الله حين تتابعوا ... جميعاً وأسياف المنيّة تخطر
رأيت خيار المؤمنين تواردوا ... شعوب وخلق بعدهم يتأخّر
غداة غدوا بالمؤمنين يقودهم ... إلى الموت ميمون النقيبة أزهر
أغرّ كضوء البدر من آل هاشم ... أبيّ إذا سيم الظلامة أصعر
فطاعن حتّى مال غير موسّد ... بمعترك فيه القنا متكسر

---

(١) الكامل لابن الأثير الجزري ٢: ٢٣٤ سنة ٨ والنقل بتقطيع.

فصار مع المستشهدين ثوابه جنان وملتفّ الحديقة أخضر
وكنّا نرى في جعفر من محمّد وقاراً وأمراً حازماً حين يأمر

ومنها قول كعب بن مالك الأنصاري:

نام العيون ودمع عينك يهمل سحّاً كما وكف الرباب المسبل
وجداً على النفر الّذين تتابعوا قتلى بمؤتة أُسندوا لم ينقلوا
ساروا أمام المسلمين كأنّهم طود يقودهم الهزبر المشبل
إذ يهتدون بجعفر ولوائه قدام، أوّلهم ونعم الأوّل
حتّى تقوّضت الصفوف وجعفر حيث التقى جمع الغواة مجدّل
فتغيّر القمر المنير لفقده والشمس قد كسفت وكادت تأفل[1]

قلت: لم يختصّ كون جعفر أمير الكل والأمير الأوّل روايته بالشيعة، فقد روى ذلك كاتب الواقدي في (طبقاته) مع كونه ناصبياً شديد النصب، فقال: أخبرنا بكر بن عبد الرحمن قاضي الكوفة، قال: أخبرنا عيسى بن المختار عن محمّد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن سالم بن أبي الجعد عن أبي اليسر عن أبي عامر قال: بعثني النبيّ صلّى الله عليه وآله إلى الشام، فلمّا رجعت مررت على أصحابي وهم يقاتلون المشركين بمؤتة قلت: والله لا أبرح اليوم حتّى أنظر إلى ما يصير إليه أمرهم. فأخذ اللواء جعفر بن أبي طالب، ولبس السلاح ثمّ حمل جعفر حتّى إذا همّ أن يخالط العدو رجع، فوحش بالسلاح ثمّ حمل على العدو وطاعن حتّى قتل، ثمّ أخذ اللواء زيد بن حارثة، وطاعن حتّى قتل، ثمّ أخذ اللواء عبد الله ابن رواحة وطاعن حتى قُتل، ثمّ انهزم المسلمون أسوأ هزيمة[2].

---

(١) نقله عن ابن اسحاق ابن هشام في السيرة ٤: ١٨ بتفاوت في ترتيب الأبيات. وقاله ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٤١١ والنقل بإسقاط بعض الأبيات.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢ ق١: ٩٤. وفيه بعد قوله في جعفر «ولبس السلاح» ما لفظه: «وقال غيره أخذ زيد اللواء، وكان رأس القوم».

فظهر أنّ ما قاله من كون الأمير الأوّل زيد مشهوري بين محدّثيهم لا اتّفاقي، وكأنّهم شهّروا تقدّم زيد على جعفر دفعاً لعار تأمير النبيّ صلى الله عليه وآله زيداً، وذاك على صدّيقهم وفاروقهم في سرايا قبل ذلك، وتأمير ابنه أُسامة في مرض وفاته صلى الله عليه وآله أيضاً على الصدّيق والفاروق، وقد طعنا في النبيّ صلى الله عليه وآله في تأميرهما عليهما، حتّى خطب النبيّ صلى الله عليه وآله في مرض وفاته لمّا أمّر أُسامة عليهما، وحثّ على شخوصهما في جيشه حتّى لعن المتخلّف عن جيشه، كما رواه (سقيفة الجوهري)[١]، وصرّح به (ملل الشهرستاني)[٢]. فقال صلى الله عليه وآله لهم، كما في (طبقات كاتب الواقدي): إن طعنتم في أُسامة بن زيد فقد طعنتم قبل على أبيه زيد بن حارثة، وحقّ لهما الإمارة[٣].

ومن الطرائف أنّ الجزريَّ قال: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أخبر عن تلك الواقعة، فقال: فقُتل زيد شهيداً فاستغفر له، ثمّ أخذ اللواء جعفر، فشدّ على القوم حتّى قُتل شهيداً فاستغفر له... قال: ثمّ أخذ الراية سيف من سيوف الله خالد بن الوليد، فعاد بالناس. فمن يومئذ سمّي خالد سيف الله... فلمّا رجع الجيش لقيهم النبيّ صلى الله عليه وآله فأخذ عبد الله بن جعفر فحمله بين يديه، فجعل الناس يحثون التراب على الجيش، ويقولون: يا فرّار يا فرّار...[٤].

فإذا كان خالد من سيوف الله، كيف يحثو المسلمون التراب عليه، وعلى

---

(١) السقيفة للجوهري: ٧٤.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ١: ٢٩.

(٣) أخرجه ابن سعد بسبع طرق في الطبقات ٢ ق١: ١٣٦، و٢ ق٢: ٤١، و٤ ق١: ٤٥ و٤٦ و ٤٧، وأخرجه أيضاً مسلم بطريقين في صحيحه ٤: ١٨٨٤ ح٦٣ و٦٤، والترمذي بطريقين في سننه ٥: ٦٧٦ ح٣٨١٦، وأحمد بطرق في مسنده ٢: ٨٩، وغيره، والواقدي في المغازي ٢: ١١١٩، والطبري بطريقين في تاريخه ٢: ٤٢٩ و ٤٣١ سنة ١١ بفرق يسير لفظي.

(٤) الكامل لابن الأثير ٢: ٢٣٧ سنة ٨، وسيأتي حديث ابي سعيد الخدري في الباب وذيل الحديث.

جيشه، ويقولون لهم: يا فرّار يا فرّار؟ فهذا يدلّ على أنّه كان من البائين بغضب الله ـ حسب قوله تعالى: ﴿ومن يولّهم يومئذٍ دبره إلّا متحرّفاً لقتال أو متحيّزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله...﴾[1] ـ لا من سيوف الله.

وقد روى الواقديّ عن ثعلبة بن أبي مالك، قال: انكشف خالد بن الوليد يومئذ حتّى عيّروا بالفرار، وتشاءم الناس به[2].

وروى عن أبي سعيد الخدري، قال: أقبل خالد بن الوليد بالناس منهزماً، فلمّا سمع أهل المدينة بجيش مؤتة قادمين تلقوهم بالجرف، فجعل الناس يحثون في وجوههم التراب، ويقولون: يا فرّار أفررتم في سبيل الله[3]؟

إنّ إخواننا يدّعون الكمال ويأتون بالتناقض، وأغلب تواريخهم هكذا مختلطة بأحاديثهم الموضوعة؛ فهل صار خالد بن الوليد ـ بانهزامه يوم مؤتة بالمسلمين أو بهزيمة أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله في أُحد حتّى قُتل منهم سبعون، ومنهم حمزة سيّد الشهداء عمّ النبيّ صلى الله عليه وآله، أو بإرادة قتله لأمير المؤمنين عليه السلام للأوّل، أو بغدره ببني جذيمة بعد فتح مكّة بعد أمانهم، فلمّا انتهى الخبر إلى النبيّ صلى الله عليه وآله رفع يديه إلى السماء، كما في الطبري[4] ثمّ قال: اللّهمّ إنّي أبرأ إليك ممّا صنع خالد بن الوليد. ثمّ بعث أمير المؤمنين عليه السلام فأعطاهم الدية، وعوض أموالهم حتّى ميلغة كلابهم، وأعطاهم زيادة على ما عيّنوا احتياطاً للنبيّ صلى الله عليه وآله،

---

(١) الأنفال: ١٦.

(٢) المغازي للواقدي ٢: ٧٦٤.

(٣) المغازي للواقدي ٢: ٧٦٤، وعن أبي سعيد الخدري، وابن هشام في السيرة ٤: ١٦، والطبري في تاريخه ٢: ٣٢٣ سنة ٨، ورواه الطبرسي في اعلام الورى: ١٠٤، عن عروة بن الزبير وأخرجه رزين عنه جامع الأصول ٩: ٢٥٢ ح ٦١٢٩، عن النعمان بن بشير، وللحديث ذيل نصفه: «فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله ليسوا بفرّار ولكنهم كرّار ان شاء الله».

(٤) أخرجه الطبري في تاريخه ٢: ٣٤١ سنة ٨، وابن هشام في السيرة ٤: ٥٤، والواقدي في المغازي ٢: ٨٨١، وابن سعد في الطبقات ٢ ق ١: ١٠٦، والنسائي في سننه ٨: ٢٣٧، وأحمد في مسنده ٢: ١٥٠.

ثمّ رجع وأخبر النبيّ صلى الله عليه وآله بما فعل. فقال: أصبت وأحسنت، ثمّ قام واستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه حتّى أنّه ليرى بياض ما تحت منكبيه، وهو يقول: «اللّهمّ إنّي أبرأ إليك ممّا صنع خالد بن الوليد» ثلاث مرّات، أو بغدره بمالك بن نويرة وقتله له بغير حقّ وزناه بإمرأته، حتّى أنكر ذلك عمر على أبي بكر وعلى خالد غاية الإنكار - من سيوف الله؟ فلو كانوا لقّبوه لأعماله سيف الشيطان كان - لعمر الله - أصدق وأقرب إلى الحقّ والحقيقة. ولِمَ لم يقتدِ أبو بكر بالنبيّ صلى الله عليه وآله في تبرّئه من خالد مع قتله لطائفة من المشركين كان النبيّ صلى الله عليه وآله آمنهم، ونفسه كان آمنهم حتّى وضعوا أسلحتهم، فكيف لم يتبرأ منه أبو بكر مع قتله لمؤمن آمنه؟ ولعمر الله ما لقّبه سيف الله إلّا صدّيقهم لمّا طلب عمر منه أن يقيد من خالد لقتله مسلماً، ويجري عليه الحدّ لزناه بامرأته، فقال: ما كنت لأغمد سيفاً سلّه الله[1].

فإن كان إخواننا وضعوا أحاديث لتصحيح عمل صدّيقهم، فما يفعلون باستهزاء فاروقهم لصدّيقهم بتسميته لخالد: سيف الله، بأنّ في سيف الله هذا رهقاً وطغياناً[2]؟

سبحان الله من تناقضاتهم، والحمد لله على فضحه للكاذب. فقالوا: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله سمّاه سيف الله في انهزامه بالمسلمين، مع أنّ المسلمين تشأموا به وكانوا يحثون التراب في وجهه لمّا رجع، كما مرّ من الواقدي.

ومن العجب أنّهم سمّوا خالداً مع أعماله تلك: سيف الله، ولا يسمّون الأشتر به، مع مقاماته في الجمل وصفّين والنهروان وجهاده مع الناكثين والقاسطين والمارقين، وعدم كون أحد أظهر آثاراً منه حتّى مثل عمّار، مع أنّ

---

(١) تأريخ الطبري ٢: ٥٠٣ سنة ١١ بلفظ: «يا عمر لم أكن لأشيم سيفاً سلّه الله على الكافرين».

(٢) تأريخ الطبري ٢: ٥٠٣ سنة ١١ بلفظ: «قال عمر لأبي بكر: انّ في سيف خالد رهقاً».

أمير المؤمنين عليه السلام وصفه به محقّقاً، فكتب إلى أهل مصر لمّا بعثه إليهم: «فإنّه سيف من سيوف الله لا كليل الظبة، ولا نابي الضريبة»[١] مع كون أمير المؤمنين عليه السلام كنفس النبيّ صلى الله عليه وآله بنص القرآن[٢]، وبالوجدان والعيان؟ وهل كلّ ذلك إلّا لعداوتهم مع أهل بيت نبيّهم عليهم السلام؟!

ثمّ لم يختص أشعار (مغازي محمّد بن إسحاق) الدالة على كون جعفر الأمير الأوّل بما قال ابن أبي الحديد، فيدلّ عليه أيضاً ما نقله عنه ابن هشام في (سيرته) عمّن رجع من غزوة مؤتة:

كفى حزناً أنّي رجعت وجعفر	وزيد وعبد الله في رمس أقبر
قضوا نحبهم لمّا مضوا لسبيلهم	وخلّفت للبلوى مع المتغير
ثلاثة رهط قدّموا فتقدّموا	إلى ورد مكروه من الموت أحمر[٣]

وأيضاً فلا ريب أنّ جعفراً كان أفضل من زيد، فكيف يقدّم النبي صلى الله عليه وآله عليه المفضول؟ هل كان دين النبيّ صلى الله عليه وآله، أو عمل النبيّ صلى الله عليه وآله على خلاف مقتضى العقول؟

هذا، وكما كان النبيّ صلى الله عليه وآله يقدّم أهل بيته في اشتداد الحروب، كذلك أهل بيته كانوا هم الباقين معه صلى الله عليه وآله وقت انهزام الناس عنه صلى الله عليه وآله. ففي (معارف ابن قتيبة): كان الّذين ثبتوا يوم حنين مع النبيّ صلى الله عليه وآله بعد هزيمة الناس عليّ عليه السلام والعبّاس ـ وهو آخذ بحَكَمة بغلته ـ وابنه الفضل، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وأيمن بن أُمّ أيمن مولاة النبيّ صلى الله عليه وآله ـ وقتل يومئذ ـ وربيعة بن

---

(١) نهج البلاغة للشريف الرضي ٣: ٦٣ الكتاب (٣٨).

(٢) انظر آية المباهلة ٦١ من سورة آل عمران: ﴿فمن حاجّك فيه من بعدما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثمّ نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾، فمع الرجوع إلى سبب النزول يظهر أن المراد بأنفسنا: علي عليه السلام.

(٣) سيرة ابن هشام ٤: ٢١.

حارث بن عبد المطلب، وأُسامة بن زيد مولى النبيّ صلى الله عليه وآله وهو وأخوه لأُمّه أيمن، وإن لم يكونا من نفس بني هاشم، بل من مواليهم، إلّا أنّ مولى القوم منهم؛ قال العباس:

نصرنا رسول الله في الحرب سبعة وقد فرّ من فرّ منهم فأقشعوا
وثامننا لاقى الحمام بسيفه بما مسّه في الله لا يتوجع[1]

وأمّا هو عليه السلام، فمواساته مع النبيّ صلى الله عليه وآله ووقايته له بنفسه لا يحتاج إلى بيان، ففي أُحد لمّا انهزم المسلمون، وقصد المشركون لقتل النبيّ صلى الله عليه وآله، قال الطبري: أبصر النبيّ صلى الله عليه وآله جماعة من مشركي قريش، فقال لعليّ عليه السلام: احمل عليهم. فحمل عليهم ففرّق جمعهم، وقتل عمرو بن عبد الله الجمحي، ثمّ أبصر النبيّ صلى الله عليه وآله جماعة من مشركي قريش، فقال لعلي عليه السلام: احمل عليهم. فحمل عليهم ففرّق جماعتهم، وقتل شيبة بن مالك أحد بني عامر بن لؤي. فقال جبرئيل: يا رسول الله إنّ هذه للمواساة. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّه منّي وأنا منه. فقال جبرئيل: وأنا منكما. فسمعوا صوتاً:

لا سيف إلّا ذو الفقا ر ولا فتى إلّا عليّ[2]

٣٣
في آخر فصل اختيار غريب كلامه عليه السلام
من الباب الثّالث

وفي حديثه عليه السلام:

كُنّا إذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ اتَّقَيْنا بِرَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وآله فَلَمْ يَكُنْ أحَدٌ مِنّا أقْرَبُ إلى العَدُوِّ مِنْهُ.

---

(١) المعارف لابن قتيبة : ١٦٤ والنقل بتصرف.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ١٩٧ سنة ٣، وأما حديث «لاسيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا علي» فقد مرّ تخريجه عن طرق كثيرة في شرح فقرة «والفضائل الجمّة» من شرح خطبة الرضي.

«ومعنى ذلك انّه اذا عظم الخوف من العدو، واشتد عضاض الحرب، فزع المسلمون إلى قتال رسول الله صلى الله عليه وآله، فينزل الله عليهم النصر به، ويأمنون مما كانوا يخافونه بمكانه، وقوله عليه السلام: إذا احمر البأس كناية عن اشتداد الأمر والحرب، وقد قيل في ذلك أقوال أحسنها: انّه عليه السلام شبّه حمي الحرب بالنّار التي تجمع الحرارة والحمرة بفعلها ولونها، ومما يقوي ذلك قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وقد رأى مجتلد الناس يوم حنين، وهي حرب هوازن: «الآن حمي الوطيس» والوطيس: مستوقد النار. فشبّه صلى الله عليه وآله وسلم ما استحر من جلاد القوم باحتدام النار، وشدّة التهابها. انقضى هذا الفصل، ورجعنا إلى سنن الغرض الأول في هذا الباب».

أقول: رواه الطبري مع اختلاف يسير؛ فروى عن جعفر بن محمّد البزوري، عن عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن أبي اسحاق، عن حارثة، عن عليّ عليه السلام، قال: لمّا أن كان يوم بدر، وحضر الناس اتّقينا برسول الله صلى الله عليه وآله، فكان من أشدّ الناس بأساً، وما كان منّا أحد أقرب إلى العدوّ منه[1].

ورواه أبو عبيد مثل نقل المصنّف، فنقله كتاب (لسان العرب) عنه، هكذا: كنّا إذا احمرّ البأس اتّقيناه برسول الله صلى الله عليه وآله، فلم يكن أحد أقرب إليه منه[2].

«كنّا إذا احمرّ البأس اتّقينا برسول الله صلى الله عليه وآله» في (تفسير القمي): لمّا رأى النبيّ ـ انهزم أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله (يوم أُحد) هزيمة قبيحة، وأقبلوا يصعدون في الجبال وفي كلّ وجه ـ فلمّا رأى النبيّ صلى الله عليه وآله الهزيمة كشف البيضة عن رأسه وقال: إنّي أنا رسول الله. إلى أين تفرّون عن الله وعن رسوله؟[3]

---

(١) تأريخ الطبري ٢: ١٣٥ سنة ٢.

(٢) لسان العرب لابن منظور ٤: ٢١٠، ٢١١ مادة (حمر).

(٣) تفسير القمي ١: ١١٤.

وفي (اليعقوبي): أنّه كان النبيّ صلى الله عليه وآله يوم أُحد رأى أن لا يخرج من المدينة، فأشارت عليه الأنصار بالخروج. فلمّا لبس لباس الحرب ردّت إليه الأنصار الأمر، وقالوا: لا تخرج عن المدينة. فقال: الآن وقد لبست لامتي، والنبيّ إذا لبس لأمته لا ينزعها حتّى يقاتل، ويفتح الله عليه[١].

«فلم يكن أحد منّا أقرب إلى العدوّ منه» في (الطبري): كان فزع بالمدينة، فانطلق أهل المدينة نحو الصوت، فإذا هم قد تلقّوا النبيّ صلى الله عليه وآله على فرس عري لأبي طلحة، وما عليه سرج وعليه السيف، وقد كان سبقهم إلى الصوت، فجعل يقول: يا أيّها النّاس! لن تراعوا لن تراعوا[٢].

قول المصنّف «ومعنى ذلك أنّه إذا عظم الخوف من العدوّ» لشدّته.

«واشتدّ عضاض الحرب» شبّه المصنّف الحرب بكلب يعضّ.

«فزع» أي: التجأ.

«المسلمون إلى قتال رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه» في (الطبري): قال محمّد بن إسحاق: قاتل النبيّ صلى الله عليه وآله بنفسه في تسع من غزواته: بدر، وأُحد، والخندق، وقريظة، والمصطلق، وخيبر، والفتح، وحنين، والطائف. وقال الواقدي: قاتل النبيّ صلى الله عليه وآله في إحدى عشرة من غزواته وعدّ تلك التسع ووادي القرى. قال: وقتل فيها غلامه بسهم، ويوم الغابة، وقتل من المشركين، وقتل محرز بن نضلة يومئذ. وقال: لا خلاف في أنّ غزواته كانت سبعاً وعشرين، إلّا أنّه اختلف في تقديم بعضها على بعض[٣].

«فينزل الله عليهم النصر به» هكذا في (المصرية)، والصواب: (فينزل الله

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٤٧ والنقل بتقطيع.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٤٢٧ سنة ١٠، بروايتين.

(٣) نقله عن ابن إسحاق والواقدي الطبريّ في تاريخه ٢: ٤٠٥، سنة ١٠. فأمّا ما نقل عن ابن إسحاق فجاء في سيرة ابن هشام ٤: ١٨٩، نقلاً عنه، وما نقل عن الواقدي فجاء في مغازيه ١: ٧.

تعالى النصر عليهم به) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[١].

«ويأمنون ممّا كانوا يخافونه» من غلبة العدوّ.

«بمكانة» متعلّق بقوله: «ويأمنون».

«وقوله عليه السلام: إذا احمرّ البأس كناية عن اشتداد الأمر والحرب» ولا ريب في أنّ المراد ذلك، ولكن اختلف في وجه الدلالة.

«وقد قيل في ذلك» أي: في وجه الكناية.

«أقوال» منها: قول الأصمعيّ؛ فقال كما في (اللسان): يقال: هو الموت الأحمر، والموت الأسود، ومعناه الشديد؛ وأرى ذلك من ألوان السباع كأنّه من شدّته سبع[٢]. قال أبو عبيد: فكأنّه أراد بقوله: «احمرّ البأس» أي: صار في الشدّة والهول مثل ذلك[٣].

ومنها: قول الأزهري، فقال: كما فيه أيضاً: وحمراء الظهيرة: شدّتها، ومنه حديث عليّ كرّم الله وجهه: «كنّا إذا احمرّ البأس...»[٤].

«أحسنها أنّه عليه السلام شبّه حمي الحرب» من حمي النهار، إذا اشتدّ حرّه.

«بالنّار الّتي تجمع الحرارة والحمرة بفعلها ولونها» يشهد له قوله تعالى: ﴿...كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله...﴾[٥]، وقوله عليه السلام في استنفار الناس إلى أهل الشام: «وأيم الله إنّي لأظنّ بكم أن لو حمِس الوغى واستحرّ الموت»[٦] وقولهم: اضطرم فلان للحرب ناراً وسعّرها، وأججّها، وأرثها،

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٤: ٣٥٩، لكن لم ينقل ابن ميثم في شرحه ٥: ٣٧٥ هذه الفقرة أصلاً.

(٢) لسان العرب ٤: ٢١٠ مادة (حمر).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) لسان العرب ٤: ٢١١ مادة (حمر) عن الأصمعي، لا الأزهري.

(٥) المائدة: ٦٤.

(٦) نهج البلاغة للشريف الرضي ١: ٨٣ الخطبة ٣٤، وقريب منه في ١: ١٨٩ الخطبة ٩٥.

وأوراها، وهشّها، وشبّها، وحضاها، وذكّاها، وأذكاها.

وممّا ذكرنا يظهر لك ما في قول ابن أبي الحديد الجيد أنّ المراد: احمرار المعركة من سيلان الدم، فإنّما قالوا ما قاله في قولهم: «الموت الأحمر» لا في «أحمرّ البأس»[١].

«وممّا يقوي ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم» هكذا في (المصرية)، والصواب: (النبيّ صلى الله عليه وآله) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية)[٢].

«وقد رأى مجتلد» اسم مكان، من اجتلد القوم بالسيوف وتجالدوا.

«الناس يوم حنين» وقد كانت عساكر الإسلام ذلك اليوم كثيرة، لكونه بعد فتح مكّة، حتّى قال أبو بكر معجباً بكثرتهم: «لن نغلب اليوم من قلّة»[٣]، ثمّ انهزم في من انهزم مع صاحبه[٤]، فأنزل تعالى معرّضاً به ومخرجاً له عن أهل الإيمان: ﴿...ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثمّ ولّيتم مدبرين* ثمّ أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين...﴾[٥].

«وهي حرب هوازن» يعني: أنّ الكفّار الّذين قاتل المسلمون معهم في

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٣٥٩ والنقل بالمعنى.

(٢) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٤: ٣٥٩ «الرسول»، لكن لفظ شرح ابن ميثم ٥: ٣٧٦ «رسول الله» أيضاً.

(٣) الأصل رواه الواقدي في المغازي ٢: ٨٩٠، وابن سعد في الطبقات ٢ ق١: ١٠٨ عن أبي بكر، ورواه البزار في مسنده عنه مجمع الزوائد ٦: ١٧٨، عن غلام من الأنصار، ورواه البيهقي في الدلائل عنه الدر المنثور ٣: ٢٢٤، عن رجل غير معلوم.

(٤) إنهزام أبي بكر وعمر في حنين يظهر من رواية المفيد في الإرشاد: ٧٤، وأبي جعفر الطوسي في أماليه ٢: ١٨٧ المجلس ٥، والطبرسي في مجمع البيان ٥: ١٨، وذكرهما من الثابتين ابن هشام في السيرة ٤: ٦٤، والواقدي في المغازي ٢: ٩٠٠، وابن سعد في الطبقات ٢ ق١: ١٠٩، والطبري في تاريخه ٢: ٣٤٧ سنة ٨، والبزار في مسنده عنه مجمع الزوائد ٦: ١٧٩.

(٥) التوبة: ٢٥ ـ ٢٦.

حنين كانوا قبيلة هوازن.

«الآن حمي الوطيس» قالوا: كان النبيّ ﷺ أوّل من قال: «الآن حمي الوطيس»[١].

وفي (الإرشاد): لمّا رأى النبيّ ﷺ هزيمة القوم عنه (في حنين) قال للعبّاس ـ وكان رجلاً جهوريّاً صيّتاً ـ: نادِ بالقوم، وذكّرهم العهد. فنادى العبّاس بأعلى صوته: يا أهل بيعة الشجرة! يا أصحاب سورة البقرة! إلى أين تفرّون؟ اذكروا العهد الّذي عاهدتم عليه النبيّ ﷺ. والقوم على وجوههم قد ولّوا مدبرين، وكانت ليلة ظلماء والنبيّ ﷺ في الوادي، والمشركون قد خرجوا عليه من شعاب الوادي وجنباته ومضايقه مصلتين بسيوفهم وعمدهم وقسيّهم. قالوا: فنظر النبيّ ﷺ الى الناس ببعض وجهه في الظلماء، فأضاء كأنّه القمر في ليلة البدر، ثمّ نادى المسلمين: أين ما عاهدتم الله عليه؟ فأسمع أوّلهم وآخرهم؛ فلم يسمعها رجل إلّا رمى بنفسه إلى الأرض، فانحدروا إلى حيث كانوا من الوادي، حتّى لحقوا بالعدوّ فقاتلوه... وتجالد المسلمون والمشركون. فلمّا رآهم النبيّ ﷺ قام في ركابي سرجه حتّى أشرف على جماعتهم، وقال: الآن حمي الوطيس، أنا النبيّ لا كذِب، أنا ابن عبد المطلب. فما كان بأسرع من أن ولّى القوم أدبارهم وجيء بالأسرى إلى النبيّ ﷺ مكتّفين[٢].

---

(١) أخرجه من ضمن حديث حنين جمع كثير منهم ابن هشام في السيرة ٤: ٦٦، والواقدي في المغازي ٢: ٨٩٩، وابن سعد في الطبقات ٢ ق١: ١٠٩، والطبري في تاريخه ٢: ٣٤٨ سنة ٨، وجمع كثيراً من طرقه السيوطي في الدرّ المنثور ٣: ٢٢٤، ٢٢٦، وأما كونه ﷺ أوّل من قال ذلك فقد رواه ابن الأثير في جامع الأصول ٩: ٢٤٤ عن الخطابي، وفي النهاية ٥: ٢٠٤ مادة (وطس).

(٢) الإرشاد للمفيد: ٧٥.

«والوطيس مستوقد النار» وفي (الصحاح) الوطيس: التنّور[١].

«فشبّه صلى الله عليه وآله ما استحرّ» أي: اشتدّ.

«من جلاد القوم» وقتالهم.

«باحتدام النار» أي: صوت التهابها.

«وشدّة التهابها» أي: اشتعالها.

«انقضى هذا الفصل» أي: فصل الغريب، وليس في العنوان كلمة غريبة، وإنّما اشتبه وجه الشبه في جملة «احمرّ البأس» فيه.

وممّا روي عنه عليه السلام من الغريب ما في (طبقات نحاة السيوطي) أنّ علياً عليه السلام قال لكاتبه: «الصق روانفك بالجبوب، وخذ المزبر بشناترك، واجعل جندورثيك إلى قيهلي، حتّى لا أنفي نفية إلّا أودعتها حماطة جلجلانك» وقال: أي: الصق مقعدتك بالأرض، وخذ القلم بأصابعك، واجعل حدقتيك إلى وجهي حتّى لا أنطق كلمة إلّا أودعتها حبّة قلبك[٢].

«ورجعنا إلى سنن» بالفتح، أي: طريقة.

«الغرض» والأصل فيه الهدف.

«الأول» من نقل مطلق مختار كلمه القصار.

«في هذا الباب» أي: الباب الثالث من الكتاب.

هذا، وفي (سيرة ابن هشام): كان أُبيّ بن خلف يلقى النبيّ بمكة فيقول: يا محمّد إنّ عندي العوذ فرساً أعلفه كلّ يوم فُرقاً من ذرة أقتلك عليه. فيقول النبيّ صلى الله عليه وآله: بل أنا أقتلك إن شاء الله. فلمّا كان يوم أُحد وانهزم أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله، وأُسند في الشعب، أدركه أُبيّ بن خلف وهو يقول: أي محمّد

---

(١) صحاح اللغة ٢: ٩٨٦ مادة (وطس).

(٢) لم أجده في بغية الوعاة في طبقات النحاة للسيوطي.

لا نجوتُ إن نجوت. فقال القوم: يا رسول الله: أيعطف عليه رجل منّا؟ فقال رسول الله ﷺ: دعوه. فلمّا دنا، تناول النبيّ ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة. قال بعضهم: لمّا تناولها انتفض بها انتفاضة تطايرنا بها تطاير الشّعراء، ـ أي: ذباب له لدغ عن ظهر البعير إذا انتفض بها ـ ثمّ استقبله فطعنه في عنقه طعنة، تدأدأ ـ أي: تقلّب ـ منها عن فرسه مراراً، فجعل يتدحرج. فلمّا رجع إلى قريش وقد خدشه في عنقه خدشاً غير كبير، فاحتقن الدم، قال: قتلني والله محمّد. قالوا له: ذهب والله فؤادك، والله إن بك من بأس. قال: إنّه قد كان قال لي بمكّة: أنا أقتلك، فوالله لو بصق عليّ لقتلني. فمات عدوّ الله بسرف وهم قافلون به إلى مكّة. فقال حسّان بن ثابت في ذلك:

ألا من مبلغ عنّي أُبيّاً ... لقد ألقيت في سحق السعير

تمنّي بالضلالة من بعيد ... وتقسم إن قدرت مع النذور

تمنّيك الأماني من بعيد ... وقول الكفر يرجع في غرور

فقد لاقتك طعنة ذي حفاظ ... كريم البيت ليس بذي فجور[1]

٣٤
من الخطبة (٥٦)

ومن كلام له عليه السلام:

وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ ٱللّهِ ﷺ نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا وَإِخْوَانَنَا، مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً، وَمُضِيّاً عَلَى ٱللَّقَمِ، وَصَبْراً عَلَى مَضَضِ ٱلأَلَمِ، وَجِدًّا فِي جِهَادِ ٱلْعَدُوِّ، وَلَقَدْ كَانَ ٱلرَّجُلُ مِنَّا وَٱلآخَرُ مِنْ عَدُوِّنَا يَتَصَاوَلَانِ تَصَاوُلَ ٱلْفَحْلَيْنِ، يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا: أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كَأْسَ المَنُونِ، فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا، وَمَرَّةً لِعَدُوِّنَا مِنَّا. فَلَمَّا رَأَى ٱللّهُ

(١) سيرة ابن هشام ٣: ٣١، والنقل بتقطيع ودرج كثير.

صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُوِّنَا ٱلْكَبْتَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا ٱلنَّصْرَ، حَتَّى ٱسْتَقَرَّ ٱلْإِسْلَامُ مُلْقِياً جِرَانَهُ، وَمُتَبَوِّئاً أَوْطَانَهُ.

وَلَعَمْرِي لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُم، مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ، وَلَا ٱخْضَرَّ لِلْإِيمَانِ عُودٌ. وَٱيْمُ ٱللَّهِ لَتَحْلِبُنَّهَا دَماً، وَلَتُتْبِعُنَّهَا نَدَماً!

أقول: قال ابن أبي الحديد: هذا الكلام قاله أمير المؤمنين عليه السلام في قصّة ابن الحضرمي حيث قدِم البصرة من قِبل معاوية، واستنهضَ أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه إلى البصرة فتقاعدوا... روى الواقدي أنّ علياً عليه السلام استنفر بني تميم أيّاماً لينهض منهم إلى البصرة من يكفيه أمر ابن الحضرمي، ويردّ عادية بني تميم الّذين أجاروه بها، فلم يجبه أحد، فخطبهم، وقال: «أليس من العجب أن ينصرني الأزد، وتخذلني مضر! وأعجب من ذلك تقاعد تميم الكوفة بي، وخلاف تميم البصرة عليّ، وإن أستنجد بطائفة منها تشخص إلى إخوانها، فتدعوها إلى الرشاد، فإن أجابت وإلّا، فالمنابذة والحرب! فكأنّي أُخاطب صمّاً بكماً لا يفقهون حواراً، ولا يجيبون نداءً، كلّ هذا جبناً عن البأس، وحبّاً للحياة. لقد كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله نقتل آباءنا وأبناءنا...»[1]

وقال ابن ميثم: المنقول أنّ هذا الكلام صدرَ عنه يوم صفّين حين أقرّ الناس بالصلح، وأوّله: «إنّ هؤلاء القوم لم يكونوا ليفيئوا إلى الحقّ، ولا ليجيبوا إلى كلمة سواء حتّى يرموا بالمناشر تتبعها العساكر، وحتّى يرجموا بالكتائب تقفوها الجلائب، وحتّى يجرّ ببلادهم الخميس يتلوه الخميس، وحتّى تدعق الخيول في نواحي أراضيهم وبأعناء مشاربهم، ومسارحهم، حتّى تشنّ عليهم الغارات من كلّ فجّ عميق، وحتّى يلقاهم قوم صُدْق صبر لا يزيدهم هلاك من هلك من قتلاهم، وموتاهم في سبيل الله إلّا جدّاً في طاعة الله.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٤٨.

وحرصاً على لقاء الله، ولقد كنّا مع رسول الله صلّى الله عليه وآله ....»[١].

قلت: روى ما قاله ابن ميثم نصرُ بن مزاحم في (صفّينه) عن عمر بن سعد عن إسحاق بن يزيد عن الشعبي أنّ علياً عليه السلام قال يوم صفّين حين أقرّ الناس بالصلح: إنّ هؤلاء القوم...[٢]. وكذلك سليم بن قيس في كتابه، ويأتي خبره[٣]، ويمكن الجمع بين رواية الواقدي ورواية الشعبي والهلالي بأنّه عليه السلام قال ذلك في كلا الموقفين يوم صفّين، وفي قضيّة ابن الحضرمي. فإنّ نقله عليه السلام جديّة أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وآله لأصحابه الواهنين كان مناسباً في كلّ من المقامين، واقتصار كلّ من ابن أبي الحديد على أحد السندين قصور، وترجيح الخوئي[٤] للأوّل خطأ، فإنّه لو بنى على الترجيح كان مع الثاني حيث إنّه رواه اثنان، والأوّل تفرّد به الواقدي، إلّا أنّ عذره أنّه لم يقف على مستند الثاني، وابن ميثم لم يذكر من الخبرين واحداً، وابن أبي الحديد ذكر أخذه من الواقدي.

ثمّ المفهوم من رواية سليم بن قيس الآتية أنّه عليه السلام خاطب بالكلام الأشعث بن قيس.

قوله عليه السلام «ولقد كنّا مع رسول الله صلّى الله عليه وآله» أي: في غزواته وسراياه.

«نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا» لمّا كانوا لا يسلمون. قال عليه السلام ذلك بلفظ العموم، لكنّ المراد: نفسه عليه السلام وأشخاص مخصوصون، قال السروي: رأى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام يوم بدر عقيلاً في فدفد فصدّ عنه، فصاح به: يابن أمّ عليّ، أما والله لقد رأيت مكاني، ولكن عمداً تصدّ عنّي[٥].

---

(١) شرح ابن ميثم ٢: ١٤٦.

(٢) وقعة صفين لابن مزاحم: ٥٢٠.

(٣) السقيفة لسليم بن قيس: ١٤٧ وتأتي في تكملة هذا العنوان قطعتان من روايته.

(٤) شرح الخوئي ٢: ٩٧، واقتصر بذكر ما نقل ابن ميثم.

(٥) المناقب لابن شهر آشوب السروي ٢: ١٤٦.

وقال: قصد عليه السلام دار أمّ هاني (أُخته) متقنعاً بالحديد يوم الفتح، وقد بلغه أنّها آوت الحارث بن هشام، وقيس بن السائب، وناساً من بني مخزوم (قلت: وكانوا أحماءها) فنادى: أخرجوا من آويتم. فجعلوا يذرقون كما تذرق الحبارى خوفاً منه عليه السلام. وخرجت إليه أُمّ هاني، وهي لا تعرفه، فقالت: يا عبد الله أنا أُمّ هاني بنت عمّ النبي وأُخت أمير المؤمنين، انصرف عن داري. فقال عليه السلام: أخرجوهم. فقالت: والله لأشكونك إلى النبيّ صلى الله عليه وآله...[1].

وقال الجزريّ ـ بعد ذكر قصّة كعب بن الأشرف اليهودي وقتله وأمر النبيّ صلى الله عليه وآله بقتل من ظهروا عليه من رجال اليهود ـ: فوثب محيّصة بن مسعود على ابن سنينة اليهودي، وهو من تجّار يهود فقتله، وكان يبايعهم. فقال له أخوه حويّصة وهو مشرك: يا عدوّ الله قتلته؟ أما والله لرب شحم في بطنك من ماله. وضربه. فقال محيّصة: لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لقتلتك. قال: فوالله إن كان لأوّل إسلام حويصة. فقال: إنّ ديناً بلغ بك ما أرى لعجب. ثمّ أسلم[2].

وصرّح عليه السلام بما ذكرنا من إرادة الخصوص في كلامه في رواية سليم بن قيس فزادت: ولست أقول: إنّ كلّ من كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله كذلك، ولكن أعظمهم وجلّهم وعامتهم كانوا كذلك، ولقد كانت معنا بطانة لا تألونا خبالاً؛ قال الله تعالى: ﴿...قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر...﴾[3] ولقد كان منهم بعض من تفضّله أنت وأصحابك يابن قيس فارّين؛ فلا رمى بسهم ولا ضرب بسيف ولا طعن برمح، إذا كان الموت والنزال لاذَ

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب السروي ٣: ١٩٦.

(٢) الكامل لابن الأثير الجزري ٢: ١٤٤ سنة ٣، والطبري في تاريخه ٢: ١٨٠ سنة ٣.

(٣) آل عمران: ١١٨.

وتوارى واعتلّ، ولاذ كما تلوذ النعجة العوراء لا تدفع يد لامس، وإذا لقي العدو فرّ ومنح العدو دبره جبناً ولؤماً، وإذا كان عند الرخاء والغنيمة تكلّم، كما قال الله: ﴿...سلقوكم بألسنة حداد أشحّة على الخير...﴾[1] فلا يزال قد استأذن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في ضرب عنق الرجل الّذي ليس يريد النبيّ صلى الله عليه وآله قتله، فأبى عليه، ولقد نظر النبيّ صلى الله عليه وآله يوماً وعليه السلاح تامّاً فضحك النبيّ صلى الله عليه وآله، ثم قال يكنّيه أبا فلان: اليوم يومك. فقال الأشعث: ما أعلمني بمن تعني، إنّ ذلك يفرّ منه الشيطان. قال: يابن قيس لا آمن الله روعة الشيطان إذ قال[2].

كان الأشعث ذكر أن الثلاثة كانوا ممّن جاهدوا مع النبيّ صلى الله عليه وآله في غزواته، وصاروا بذلك أفضل من غيرهم، فأجابه عليه السلام بما مرّ، وأجمل الكلام تقية، وذكر مجملاً أوصافاً تنطبق على فاروقهم بالخصوص من استيذانه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عند الرخاء والفتح ضرب عنق العبّاس وعقيل وأبي حذيفة، وغيرهم، وقوله عليه السلام [يكنّيه أبا فلان] أي: قال له «أبا حفص» هزلاً، وقول الأشعث: ما أعلمني من تعني، أي: إنّك وإن أجملت إلّا أنّي أعلم أنّ مرادك عمر، وأراد نقض كلامه عليه السلام بما وضعوه له من أنّ الشيطان كان لا يزال هائباً منه. فأجابه عليه السلام بما أجابه.

كما أنّ خصوصيته عليه السلام في ذلك من بين جميعهم أمر معلوم، ففي تلك الرواية أيضاً: «وقد علموا يقيناً أنّه لم يكن فيهم أحد يقوم مقامي، ولا يبارز الأبطال، ويفتح الحصون غيري، ولا نزلت بالنبيّ صلى الله عليه وآله شديدة قطّ، ولا كريه أمر ولا ضيق، ولا مستصعب من الأمر إلّا قال: أين أخي عليّ، أين سيفي، أين رمحي، أين المفرّج غمّي عن وجهي؟ فيقدّمني، فأتقدّم فأفديه بنفسي،

---

(١) الأحزاب: ١٩.

(٢) السقيفة لسليم بن قيس: ١٤٧، ١٤٩.

ويكشف الله بيدي الكرب عن وجهه، ولله عزّوجلّ ولرسوله بذلك المنّ والطول حيث خصّني لذلك، ووفّقني له...»[١].

ولقد ادّعوا لأبي بكر أنّه قاتل ابنه عبد الرحمن، ولعمر أنّه قاتل خاله العاص بن هاشم. أمّا الأوّل فقال الجاحظ في (عثمانيّته): ولأبي بكر في يوم أُحد مقام مشهور، خرج ابنه عبد الرحمن فارساً مكفّراً في الحديد يسأل المبارزة ويقول: أنا عبد الرحمن بن عتيق. فنهض إليه أبو بكر يسعى بسيفه، فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: شم سيفك وارجع إلى مكانك، ومتّعنا بنفسك[٢].

ولقد كفانا الإسكافي أحد شيوخهم عن الجواب، فقال للجاحظ: ما كان أغناك يا أبا عثمان عن ذكر هذا المقام المشهور لأبي بكر، فإنّه لو تسمعه الإمامية لأضافته إلى ما عندها من المثالب، لأنّ قول النبيّ صلى الله عليه وآله له: «ارجع» دليل على أنّه لا يحتمل مبارزة أحد، لأنّه إذا لم يحتمل مبارزة ابنه وأنت تعلم حنوّ الابن على الأب، وتبجيله له، وإشفاقه عليه، وكفّه عنه لم يحتمل مبارزة الغريب الأجنبي؛ وقوله له: «ومتّعنا بنفسك» إيذان له بأنّه كان يقتل لو خرج، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان أعرف به من الجاحظ، فأين حال هذا الرجل من حال الرجل الّذي صلّى بالحرب، ومشى إلى السيف بالسيف، فقتل السادة والقادة، والفرسان والرجالة[٣]؟

وأمّا الثاني، فقال ابن أبي الحديد: قَتل عمر يوم بدر خاله العاص بن هشام ابن المغيرة[٤].

قلت: وأيّ فخر في قتل مثله، فقد كان خاله هذا عبداً لبني هاشم، وكان

---

(١) السقيفة لسليم بن قيس: ١٤٧، ١٤٩.

(٢) نقله عن الجاحظ في العثمانية ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٢٨٥ شرح الخطبة ٢٣٣.

(٣) نقله عن ابن جعفر الاسكافي في الردّ على العثمانية ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٢٨٥ شرح الخطبة ٢٣٣.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٤٨.

رجلاً أحمق؛ ففي (عيون ابن قتيبة): ومن حمقى قريش العاص بن هشام أخو أبي جهل، وكان أبو لهب قامره فقمره ماله، ثمّ داره، ثمّ قليله وكثيره، وأهله ونفسه، فاتّخذه عبداً وأسلمه قيناً، فلمّا كان يوم بدر بعث به عن نفسه فقتل ببدر كافراً، قتله عمر بن الخطاب، وكان خال عمر[1].

ومثله أبو الفرج في (أغانيه)[2].

«ما يزيدنا ذلك» أي: عملنا مع أقاربنا المشركين.

«إلّا إيماناً» بالله.

«وتسليماً» لأمره عزّوجلّ.

«ومضيّاً على اللقم» بفتحتين، أي: المنهج؛ قال زهير:

له لقم لباغي الخير سهل وكيد حين تبلوه متين[3]

«وصبراً على مضض» قال الجوهري: المضض: وجع المصيبة[4].

«الألم، وجِدّاً» بالكسر.

«في جهاد العدو» أكثر من الأوّل؛ وفي (سيرة ابن هشام) عن رجل من بني عبد الأشهل قال: شهدت أُحداً مع رسول الله ﷺ أنا وأخ لي، فرجعنا جريحين، فلمّا أذّن مؤذّن النبيّ ﷺ بالخروج في طلب العدوّ (لئلّا يظنّوا إنّ الذي أصابهم أوهنهم) قلت لأخي، أو قال لي: أتفوتنا غزوة مع النبيّ ﷺ، والله مالنا من دابّة نركبها، وما منّا إلّا جريح ثقيل؟ فخرجنا مع النبيّ ﷺ وكنت أيسر جرحاً، فكان إذا غلب حملته عقبة، ومشى عقبة حتّى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون. قال ابن إسحاق: فخرج رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى حمراء

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢: ٤١.

(٢) الأغاني لأبي الفرج ٤: ٢٠٤.

(٣) أساس البلاغة: ٤١٣ مادة (لقم).

(٤) صحاح اللغة للجوهري ٣: ١١٠٦ مادة (مضض).

الأسد وهي من المدينة على ثمانية أميال. ثم نقل عن ابن إسحاق: انّه أقام النبيّ ﷺ بها ثلاثة أيّام ثمّ رجع بعد ذهاب المشركين إلى مكّة[١].

«ولقد كان الرجل منّا والآخر من عدوّنا يتصاولان» أي: يصول هذا على ذلك وذاك على هذا؛ قال الفرزدق:

قبيلان دون المحصنات تصاولا تصاول أعناق المصاعب من عل[٢]

«تصاول الفحلين» أي: الإبلين الفحلين؛ وقالوا: وكان شدقم وجديل فحلين فحيلين[٣].

«يتخالسان» أي: يأخذ بالسرعة هذا لذاك وذاك لهذا؛ قال أبو ذؤيب:

فتخالسا نفسيهما بنوافذ كنوافذ العُبط الّتي لا تُرقع[٤]

«أنفسهما أيّهما يسقي صاحبه كأس المنون» أي: المنيّة؛ قال المنصور لمّا قتل أبا مسلم صبراً ـ وكان أبو مسلم قتل ستمائة ألف نفر صبراً ـ:

زعمت أنت الدين لا يقتضي فاستوف بالكيل أبا مجرم

سقيت كأساً كنت تسقى بها أمرّ في الحلق من العلقم[٥]

قالت أُخت عمرو بن عبد ودّ في أمير المؤمنين عليه السلام وفي أخيها يوم الخندق:

أسدان في ضيق المكرّ تصاولا وكلاهما كفو كريم باسل

فتخالسا مهج النفوس كلاهما وسط المدار مخاتل ومقاتل

---

(١) السيرة لابن هشام ٣: ٤٤.

(٢) أساس البلاغة : ٢٦٢ مادة (صول).

(٣) أساس البلاغة: ٣٣٥ مادة (فحل).

(٤) لسان العرب ٦: ٦٥ مادة (خلس).

(٥) تاريخ الطبري ٦: ١٣٧ سنة ١٣٧، ومروج الذهب للمسعودي ٣: ٢٩٣، وتاريخ اليعقوبي ٢: ٣٦٨.

وكلاهما حضر القراع حفيظة لم يثنه عن ذاك شغل شاغل[١]

وقالوا: لمّا عزمت قريش في بدر على الحرب بإصرار أبي جهل، خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي منهم، وقال: لأشربنّ من حوض محمّد وأصحابه، ولأهدمنّه أو لأموتنّ دونه. فخرج إليه حمزة فضربه فأطنّ قدمه بنصف ساقه، فوقع إلى الأرض ثمّ حبا إلى الحوض ليبرّ يمينه، وتبعه حمزة فضربه حتّى قتله في الحوض[٢].

وقالوا: قال معاذ بن عمرو بن الجموح: جعلت يوم بدر أبا جهل من شأني، وقريش محيطة به يقولون: لا يخلص إلى أبي الحكم. فلمّا أمكنني حملت عليه فضربته ضربة أطنّت قدمه بنصف ساقه، وضربني ابنه عكرمة فطرح يدي من عاتقي، فتعلّقت بجلدة من جنّتي، فقاتلت عامّة يومي وإنّي لأسحبها خلفي، فلمّا آذتني جعلت عليها رجلي، ثمّ تمطيت حتّى طرحتها[٣].

«فمرّة لنا من عدوّنا» كما في بدر، فقتلوا من المشركين سبعين، منهم: أبو جهل، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، ومنبّه ونبيه ابنا الحجاج، ونوفل بن خويلد، وأسروا منهم سبعين، منهم: سهيل بن عمرو، والنضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط، ولم يُقتل من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم سوى سبعة[٤].

«ومرّة لعدوّنا منّا» كما في أُحد، فقتل الكفّار من المسلمين سبعين، فقال المسلمون للنبيّ صلى الله عليه وآله: ما هذا الّذي أصابنا، وقد كنت تعدنا بالنصر؟ فأنزل تعالى: ﴿أوَلمّا أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها...﴾[٥] يعني ببدر، حيث

---

(١) الإرشاد للمفيد: ٥٧، والمناقب لابن شهر آشوب ١: ١٩٩.

(٢) المغازي للواقدي ١: ٦٨، وسيرة ابن هشام ٢: ١٩٤، وتاريخ الطبري ٢: ١٤٧ سنة ٢.

(٣) المغازي للواقدي ١: ٨٧، وسيرة ابن هشام ٢: ٢٠١، وتاريخ الطبري ٢: ١٥٤ سنة ٢.

(٤) الطبقات لابن سعد ٢ ق١: ١١، وتاريخ الطبري ٢: ١٦٩ سنة ٢.

(٥) آل عمران: ١٦٥.

قتلتم منهم سبعين، وأسرتم منهم سبعين ﴿...قلتم أنّى هذا قل هو من عند أنفسكم...﴾[(١)] حيث طلبوا في بدر من النبيّ صلى الله عليه وآله إطلاق الأُسارى بالفداء، فشرط عليهم أنّه يقتل منهم في عام قابل بعدد من يأخذون منهم الفداء، فرضوا بذلك[(٢)].

«فلمّا رأى الله صدقنا» وجدّنا في غزوات حصلت بعد أُحد، كما في الأحزاب وغيرها، قال تعالى: ﴿ولمّا رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلّا ايماناً وتسليماً* من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً* ليجزي الله الصّادقين بصدقهم...﴾[(٣)].

وفي (السير): أصاب المسلمون امرأة من الكفّار في غزوة ذات الرقاع، وكان زوجها غائباً، فلمّا أتى أهله وأُخبر حلف لا ينتهي حتّى يهريق في أصحابه صلى الله عليه وآله دماً. وخرج يتّبع أثره عليه السلام حتّى نزل، فقال صلى الله عليه وآله: من يحرسنا الليلة؟ فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار، فأقاما بفم شعب نزله النبيّ صلى الله عليه وآله واضطجع المهاجري وحرس الأنصاري أوّل الليل، وقام يصلّي فجاء زوج المرأة فرأى شخصه، فعرف أنّه ربيئة القوم، فرماه بسهم فوضعه فيه فانتزعه، وثبت قائماً يصلّي، ثمّ رماه بسهم آخر فنزعه، وثبت يصلّي، ثمّ رماه بالثالث فوضعه فيه، فانتزعه ثمّ ركع وسجد ثمّ أيقظ صاحبه فوثب، فلمّا رآهما الرجل علم أنّهما علما به، ولمّا رأى المهاجري ما بالأنصاري قال: سبحان الله ألا أيقظتني أوّل ما رماك؟ قال: كنت في سورة أقرؤها فلم أُحبّ أن

---

(١) آل عمران: ١٦٥.

(٢) المغازي للواقدي ١: ٣٢٥، وسنن الترمذي ٤: ١٣٥ ح١٥٦٧، ورواه ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن مردويه عنهم الدر المنثور ٢: ٩٣.

(٣) الأحزاب: ٢٢ ـ ٢٤.

أقطعها فلمّا تابع عليّ الرمي أعلمتك، وايم الله لولا خوفي أن أضيع ثغراً أمرني النبيّ ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها[1].

وفي (طبقات كاتب الواقدي) في سريّة غالب الليثي الّذي بعثه النبيّ ﷺ إلى بني الملوّح بالكديد بشنّ الغارة عليهم: قال جندب الجهني: فكمنّا في ناحية الوادي، وبعثني أصحابي ربيئة لهم، فخرجت حتّى أتيت تلّاً مشرفاً على الحاضر يطلعني عليهم، حتّى إذا أسندت عليهم فيه علوت على رأسه، ثمّ اضطجعت عليه. قال: فإنّي لأنظر إذ خرج رجل منهم من خباء له فقال لامرأته: إنّي أرى على هذا الجبل سواداً ما رأيته أوّل من يومي هذا، فانظري إلى أوعيتك لا تكون الكلاب جرّت منها شيئاً. فنظرت فقالت: والله ما أفقد من أوعيتي شيئاً. قال: فناوليني قوسي ونبلي. فناولته قوسه وسهمين معها، فأرسل سهماً فوالله ما أخطأ بين عينيّ. قال: فانتزعته وثبتُّ مكاني، ثمّ أرسل آخر، فوضعه في منكبي، فانتزعته فوضعته وثبتُّ مكاني، فقال لامرأته: والله لو كانت ربيئة لقد تحركت بعد، والله لقد خالطها سهماي. ثمّ دخل وراحت الماشية من إبلهم وأغنامهم، فلمّا احتلبوا وعطنوا واطمأنّوا فناموا، شننّا عليهم الغارة واستقنا النعم[2].

«أنزل بعدوّنا الكبت» أي: المذلّة؛ أوقع الله في الأحزاب الاختلاف بين قريش وغطفان وبين قريظة، وساء ظنّ كلّ منهم بالآخر، وبعث عليهم ريحاً في ليالٍ شاتية شديدة البرد، فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح أبنيتهم، فلمّا ارتحلوا قال النبيّ ﷺ: الآن نغزوهم ولا يغزونا. فكان كذلك حتّى فتح تعالى لنبيّه ﷺ مكّة، وقال تعالى: ﴿وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً

---

(١) سيرة ابن هشام ٣: ١٢٢، والمغازي للواقدي ١: ٣٩٧، وتاريخ الطبري ٢: ٢٢٨ سنة ٤ وغيرها.

(٢) الطبقات لابن سعد ٢ ق١: ٨٩ والنقل بتقطيع.

وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويّاً عزيزاً* وأنزل الّذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً* وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤوها وكان الله على كلّ شيء قديراً﴾[١].

«وأنزل علينا النصر» قال تعالى: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح* ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً* فسبّح بحمد ربك...﴾[٢]. وقالوا: لمّا دخل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم المدينة منصرفه من الأحزاب واللواء معقود، أراد أن يغتسل من الغبار، فناداه جبرئيل: عذيرك من محارب، والله ما وضعت الملائكة لأمتها فكيف تضع لأمتك، إنّ الله تعالى يأمرك ألا تصلّي العصر إلّا ببني قريظة، فإنّي متقدّمك ومزلزل حصنهم[٣].

«حتّى استقرّ الإسلام» في موضعه.

«ملقياً جرانه» أي: مقدّم عنقه، وهو استعارة، والأصل فيه: إلقاء البعير جرانه. إذا برك.

«ومتبوئاً أوطانه» في العرب والعجم؛ قال الجزري: إن المسلمين لمّا كانوا في حفر الخندق خرجت عليهم صخرة كسرت المعول، فأعلموا النبيّ صلى الله عليه وآله فهبط إليها ومعه سلمان، فأخذ المعول وضرب الصخرة ضربة صدعها، وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لابتي المدينة، فكبّر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون، ثمّ الثانية كذلك ثمّ الثالثة كذلك ثمّ خرج وقد صدعها، فسأله

---

(١) رواها متفرّقة في قصّة الأحزاب ابن هشام في السيرة ٣: ١٢٧، والواقدي في المغازي ١: ٤٤٠، وابن سعد في الطبقات ٢ ق١: ٤٧، والطبري في تاريخه ٢: ٢٣٣ سنة ٥ وغيرهم. والآيات (٢٥ ـ ٢٧) من سورة الأحزاب.

(٢) النصر: ١ ـ ٣.

(٣) رواه باختلاف بين الروايات ابن هشام في السيرة ٣: ١٤٠ والواقدي في المغازي ١: ٤٩٧، وابن سعد في الطبقات ٢ ق١: ٥٣، والطبري في تاريخه ٢: ٢٤٥ سنة ٥.

سلمان عمّا رأى من البرق، فقال النبيّ ﷺ: أضاءت الحيرة وقصور كسرى في البرقة الأولى، وأخبرني جبرائيل أنّ أُمتي ظاهرة عليها، وأضاء لي في الثانية القصور الحمر من أرض الشام والروم، وأخبرني أنّ أُمتي ظاهرة عليها، وأضاء لي في الثالثة قصور صنعاء، وأخبرني أنّ أُمّتي ظاهرة عليها، فأبشروا. فاستبشر المسلمون[١].

«ولعمري لو كنّا نأتي ما أتيتم» من الخذلان والخور.

«ما قام للدين عمود» بل كان كخباء مطروح على الأرض.

«ولا اخضرّ للإيمان عود» بل كان كشجرة يابسة؛ روى الطبري في مولد النبيّ ﷺ أنّه لما انخرقت دجلة وانفصم طاق كسرى، قال كسرى لمنجّميه وكاهنيه: انظروا ما هذا ـ وكان فيهم رجل يعتاف اعتياف العرب بعثه إليه باذان من اليمن قلّما يخطىء يقال له: السائب ـ فخرجوا فأخذ عليهم بأقطار السماء، وبات السائب في ليلة ظلّ فيها على ربوة، فرمق برقاً نشأ من الحجاز ثمّ استطار حتّى بلغ المشرق، فلمّا أصبح ذهب ينظر إلى ما تحت قدميه، فإذا روضة خضراء، فقال في ما يعتاف: لئن صدق ما أرى ليخرجن من الحجاز سلطان يبلغ المشرق تخصب منه الأرض كأفضل ما خصبت من ملك قبله[٢].

قال عليه السلام لهم ما قال، لأنّه إنّما كان أهل بصيرة أصحابه ـ لتقدّم الثلاثة عليه، وإفسادهم لعقائدهم وأخلاقهم ـ قليلين، فمنهم جمع صاروا خوارج عليه عليه السلام، ومنهم جمع صاروا من قتلة الحسين عليه السلام كشبث بن ربعي، وشمر بن ذي الجوشن وغيرهما، ومنهم جمع كانوا من المنافقين كالأشعث بن قيس، وعمرو بن حريث ونظرائهما، ومنهم جمع ـ وهم جمهورهم ـ كانوا من

---

(١) الكامل لابن الأثير الجزري ٢: ١٧٩ سنة ٥، وتاريخ الطبري ٢: ٢٣٥ سنة ٥ وغيرهما.

(٢) تاريخ الطبري ١: ٥٩٧ والنقل بتلخيص.

الحشوية الذين صاروا بعد أتباع معاوية، وهم الّذين كانوا يقولون أيّام ابن الزبير وقيام عبدالملك عليه: ابن الزبير وليّ الله، وعبد الملك عدوّ الله. ولمّا قتل ابن الزبير وصار الأمر إلى عبد الملك قالوا بالعكس، وكان المستبصرون في حقّه عليه السلام - مثل مؤمني أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله الذين يقتلون أرحامهم للدين - فيهم قليلاً.

فخرج في صفّين عراقي يقال له: أثال بن حجل، وخرج إليه من أهل الشام ابنه، ولم يعرف واحد منهما الآخر، فطاعنا ثم انتميا فنزلا واعتنقا وبكيا، وانصرف كلّ منهما إلى أصحابه[1].

وكذلك خرج أخوان أحدهما عراقي، والآخر شامي، وغلبه العراقي، فلمّا جلس على صدره، وكشف المغفر عنه رأى أنّه أخوه تركه[2].

وكذلك خرج ابنا عمّين: قيس الأرحبي وسويد الأرحبي. فلمّا تقاربا وتعارفا، انصرفا[3].

بل كان فيهم من يقتل قاتل قريبه من أصحابه؛ فكان حابس بن سعد الطائي - خال زيد بن عدي بن حاتم الطائي - مع معاوية، فقتله بكري من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، فطعنه زيد فقتله ولحق بمعاوية، وقال في ذلك:

من مبلغ أبناء طي بأنّني ثأرت بخالي ثمّ لم أتأثّم[4]

«وايم الله لتحلبنّها دماً» الظاهر كونه كمثل، وكون الضمير في (لتحلبنّها) راجعاً إلى الناقة لا لأفعالهم، كما توهمه ابن ميثم[5] وتبعه الخوئي[6].

«ولتتبعنّها ندماً» بعد مشاهدة وبال أعمالكم وعاقبة أفعالكم، في ترككم

(١ ـ ٤) رواه ابن مزاحم في وقعة صفين: ٤٤٣، ٢٧١، ٢٦٨، ٥٢٢.

(٥) شرح ابن ميثم ٢: ١٤٨.

(٦) شرح الخوئي ٢: ١٩.

لأهل بيت نبيّكم واتّباع الأجانب.

وفي (بلاغات نساء أحمد بن أبي طاهر البغدادي): لمّا دخلت نسوة المدينة على سيّدة النساء فاطمة ـ صلوات الله عليها ـ في علّتها، قالت لهنّ: إلى أيّ لجأ لجؤوا وأُسندوا، وبأيّ عروة تمسّكوا... أما لعمر الهكن لقد لقحت فنظرة ريثما تنتج، ثمّ احتلبوا طلاع القعب دماً عبيطاً، وذعافاً ممقراً، هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غبّ ما أسّس الأوّلون، ثمّ أطيبوا عن أنفسكم نفساً، وطامنوا للفتنة جأشاً، وأبشروا بسيف صارم، وبقرح شامل، واستبداد من الظالمين يدع فيئكم زهيداً وجمعكم حصيداً، فيا حسرةً لكم، وأنّى بكم وقد عميت عليكم، أنُلزِمكموها وأنتم لها كارهون[1]؟!

٣٥
من الخطبة (٩٥)

لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللّه عَلَيْهِ وَآلِهِ فَما أَرَى أَحَداً مِنْكُمْ يُشْبِهُهُمْ؛ لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ شُعْثاً غُبْراً، وَقَدْ بَاتُوا سُجَّداً وَقِيَاماً، يُرَاوِحُونَ بَيْنَ جِبَاهِهِمْ وَخُدُودِهِمْ، وَيَقِفُونَ عَلَى مِثْلِ ٱلْجَمْرِ مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ، كَأَنَّ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكَبَ المِعْزَى مِنْ طُولِ سُجُودِهِمْ إذَا ذُكِرَ ٱللّهُ هَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ حَتَّى تَبُلَّ جُيُوبَهُمْ، وَمَادُوا كَما يَمِيدُ ٱلشَّجَرُ يَوْمَ ٱلرِّيحِ ٱلْعَاصِفِ، خَوْفاً مِنَ ٱلْعِقَابِ، وَرَجَاءً لِلثَّوَابِ.

أقول: رواه ابن قتيبة في (عيونه)، ورواه المفيد في (إرشاده)، والشيخ في (أماليه).

روى الأوّل عن مالك بن مغول، عن رجل من جعفي، عن السدي، عن أبي أراكة، قال: صلّى عليٌّ عليه السلام الغداة ثمّ جلس حتّى ارتفعت الشمس كأنّ عليه

---

(١) بلاغات النساء للبغدادي: ٣٣.

كآبة، ثمّ قال: والله لقد رأيت إثراً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فما أرى أحداً يشبههم؛ والله إن كانوا ليصبحون شعثاً غبراً صفراً، بين أعينهم مثل ركب المعزى، قد باتوا يتلون كتاب الله، يراوحون بين أقدامهم وجباههم، إذا ذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في يوم ريح، وانهملت أعينهم حتّى تبلّ ثيابهم، وكأنّهم والله باتوا غافلين. يريد أنّهم يستقلّون ذلك[1].

وقال الثاني: ومن كلامه عليه السلام في ذكر خيار الصحابة وزهّادهم ما رواه صعصعة بن صوحان العبدي قال: صلّى بنا أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم صلاة الصبح، فلمّا سلّم أقبل على القبلة بوجهه يذكر الله لا يلتفت يميناً ولا شمالاً، حتّى صارت الشمس على حائط مسجدكم هذا -يعني جامع الكوفة- قيد رمح، ثمّ أقبل علينا بوجهه عليه السلام فقال: لقد عهدت أقواماً على عهد خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله وأنّهم ليراوحون في هذا الليل بين جباههم وركبهم، فإذا أصبحوا أصبحوا شعثاً غبراً، بين أعينهم شبه ركب المعزى، فإذا ذكروا الموت مادوا كما يميد الشجر في الريح، ثمّ انهملت عيونهم حتّى تبلّ ثيابهم. ثمّ نهض عليه السلام وهو يقول: كأنّما القوم باتوا غافلين[2].

وروى الثالث صحيحاً عن معروف بن خربوذ عن أبي جعفر عليه السلام قال: صلّى أمير المؤمنين عليه السلام بالناس الصبح بالعراق، فلمّا انصرف وعظهم فبكى وأبكاهم من خوف الله تعالى، ثمّ قال: أما والله لقد عهدت أقواماً على عهد خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله وأنّهم ليصبحون ويمسون شعثاء غبراء خمصاء، بين أعينهم كركب المعزى، يبيتون لربّهم سجّداً وقياماً، يراوحون بين أقدامهم وجباههم، يناجون ربّهم ويسألونه فكاك رقابهم من النار، والله لقد رأيتهم

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢: ٣٠١.

(٢) الارشاد للمفيد: ١٢٦.

ـ وهم مع ذلك ـ وهم جميع مشفقون منه خائفون[١].

ورواه (الكافي) عنه أيضاً، ورواه عن علي بن الحسين عليه السلام أيضاً عنه عليه السلام؛ وفي خبره: والله لقد أدركت أقواماً يبيتون لربّهم سجّداً وقياماً، يخالفون بين جباههم وركبهم، كأنّ زفير النار في آذانهم، إذا ذكر الله عندهم ما دوا كما يميد الشجر، كأنّما القوم باتوا غافلين. قال: ثمّ قال: فما رُئي ضاحكاً حتّى قُبض[٢].

«لقد رأيت أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله» الأصل في كلام المصنّف رواية ابن قتيبة المتقدمة، وقد عرفت أنّها بلفظ «رأيت إثراً من أصحابه» أي: خلّصاً، وهو الصحيح. فلم يكن جميع أصحابه كذلك بل إثرٌ منهم، وقد عرفت أنّ روايتي الشيخين بدلتاه بلفظ «لقد عهدت أقواماً على عهد خليلي»[٣] ولو كانت رواية المصنّف صحيحة، فالمراد أصحابه الخاصّون الملازمون له ليلاً ونهاراً المتخلقون بأخلاقه، لا ما اصطلح عليه أصحاب الكتب الصحابية.

وقوله عليه السلام «لقد رأيت» أو «عهدت» دالّ على عدم بقائهم في وقت إخباره، وكان من أراده عليه السلام مات جمع منهم في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله كحمزة، وجعفر، وزيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحة، وعثمان بن مظعون، وسعد بن معاذ وغيرهم، وبقي منهم جمع ماتوا بعده صلى الله عليه وآله في أيّام الثلاثة، وفي أوائل أيّامه كسلمان وأبي ذر، والمقداد، وعمّار، وحذيفة، وذي الشهادتين، وابن التيهان، ونظرائهم.

وقد وصفوا في القرآن في قوله عزّوجلّ: ﴿محمّد رسول الله والّذين

---

(١) أمالي أبي علي الطوسي ١: ١٠٠ المجلس ٤.

(٢) الكافي للكليني ٢: ٢٣٥، ٢٣٦ الحديث ٢١، ٢٢.

(٣) الإرشاد للمفيد: ١٢٦، وأمالي أبي علي الطوسي ١: ١٠٠ المجلس ٤.

معه أشدّاء على الكفّار رحماء بينهم تراهم ركّعاً سجّداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزرّاع ليغيظ بهم الكفّار وعد الله الّذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾[١].

«فما أرى أحداً منكم يشبههم» هكذا في (المصرية) وليست كلمة (منكم) في (ابن ميثم والخطيّة)[٢] ولكن في (ابن أبي الحديد)[٣]: «فما أرى أحداً يشبههم منكم».

«لقد كانوا يصبحون شعثاً» أي: متغيري الشعور ومنتشريها.

«غُبْراً» بالضم فالسكون، جمع أغبر.

«وقد» هكذا في (المصرية)، والصواب: (قد) بدون (واو) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[٤].

«باتوا سجّداً وقياماً» فيكون ليلهم بين السجود والقيام، والأصل فيه قوله تعالى: ﴿وعباد الرحمن الّذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً* والّذين يبيتون لربّهم سجّداً وقياماً﴾[٥].

«يراوحون بين جباههم وخدودهم» بمعنى أنّه إذا كلّت جباههم من طول سجودهم، وضعوا خدودهم لتحصل راحة للجباه، وبالعكس؛ وكانوا يتأسّون في ذلك بصاحبهم النبيّ ﷺ، فقد كان يتعب نفسه في عبادة ربّه

---

(١) الفتح: ٢٩.

(٢) لفظ شرح ابن ميثم ٢: ٤٠٤ «منكم يشبههم» أيضاً.

(٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٨٦.

(٤) توجد (الواو) في شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٨٦، وشرح ابن ميثم ٢: ٤٠٤.

(٥) الفرقان: ٦٣ ـ ٦٤.

حتّى خاطبه عزّوجلّ بقوله: ﴿طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾[١] فكان يقوم في صلاته حتّى ورمت قدماه.

هذا، وقد عرفت أنّ في رواية (عيون القتيبي): «يراوحون بين أقدامهم وجباههم»[٢] وهو الأنسب بقوله عليه السلام: «سجّداً وقياماً» تبعاً للآية[٣].

«ويقفون على مثل الجمر» من النار.

«من ذكر معادهم» قال تعالى في وصفهم: ﴿والّذين يقولون ربّنا اصرف عنّا عذاب جهنّم إنّ عذابها كان غراماً* إنّها ساءت مستقرّاً ومقاماً﴾[٤].

وفي (الطبري): لمّا ودّع عبد الله بن رواحة ـ وهو الثالث من أُمراء مؤتة ـ الناس بكى، فقالوا له: ما يبكيك يابن رواحة؟ فقال: أما والله ما بي حبّ الدّنيا ولا صبابة بكم، ولكنّي سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقرأ آيةً من كتاب الله تعالى يذكر فيها النار ﴿وإن منكم إلّا واردها كان على ربك حتماً مقضيّاً﴾[٥] فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود. فقال المسلمون: صحبكم الله ودفع عنكم، وردّكم إلينا صالحين. فقال عبد الله بن رواحة:

لكنّني أسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا

أو طعنة بيدي حرّان مجهزة بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا[٦]

«كأنّ بين أعينهم ركب» جمع ركبة.

«المعزى» في (الصحاح): المعز من الغنم خلاف الضأن، وهو اسم

---

(١) طه: ١ ـ ٢.

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢: ٣٠١.

(٣) الفرقان: ٦٤.

(٤) الفرقان: ٦٥ ـ ٦٦.

(٥) مريم: ٧١.

(٦) تاريخ الطبري ٢: ٣١٩ سنة ٨.

جنس، وكذلك المعز، والمعيز والأمعوز والمعزى[١].

«من طول سجودهم» ﴿...سيماهم في وجوههم من أثر السجود...﴾[٢].

«إذا ذكر الله هملت» أي: فاضت.

«أعينهم حتّى تبلّ» أي: تصير رطباً.

«جيوبهم» قال الجوهري: الجيب للقميص[٣].

«ومادوا» أي: تحرّكوا.

«كما يميد الشجر يوم الريح العاصف» ﴿إنّما المؤمنون الّذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم...﴾[٤].

«خوفاً من العقاب ورجاء للثواب» وعقابُه ما لا تقوم له السماوات والأرض، وثوابُه ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت.

ورووا في قصّة غزوة ذي قرد عن سلمة بن الأكوع قال: أخذت عنان فرس الأخرم، وقلت له: احذر لا يقتطعوك حتّى تلحق بنا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا سلم إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر، وتعلم أنّ الجنّة حقّ والنّار حقّ فلا تحل بيني وبين الشهادة. فخلّيته فالتقى هو وعبد الرحمن بن عيينة فعقر الأخرم فرسه، وطعنه عبد الرحمن فقتله[٥].

هذا، وروى (أُسد الغابة) عن أبي مدينة الدارمي، قال: كان الرجلان من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله إذا التقيا لم يتفرّقا حتّى يقرأ أحدهما على الآخر

---

(١) صحاح اللغة ٢: ٨٩٣ مادة (معز).

(٢) الفتح: ٢٩.

(٣) صحاح اللغة للجوهري ١: ١٠٤ مادة (جيب).

(٤) الأنفال: ٢.

(٥) الطبقات لابن سعد ٢ ق١: ٦٠، والطبري في تاريخه ٢: ٢٥٦ سنة ٦ والنقل بتلخيص.

﴿والعصر * إنّ الإنسان لفي خسر﴾[1] إلى آخرها، ثمّ يسلّم أحدهما على الآخر[2].

ورووا أنّ أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله كانوا يتهيؤون لآداب يوم الجمعة من يوم الخميس[3].

وروى (قرب الإسناد): أنّ أمير المؤمنين عليه السلام صاحب رجلاً ذميّاً، فقال له الذّمّي: أين تريد يا عبد الله؟ قال: أُريد الكوفة. فلمّا عدل الطريق بالذمي عدل معه عليّ عليه السلام، فقال الذمّي له: ألست تريد الكوفة؟ قال عليه السلام: بلى. فقال له الذمّي: فقد تركت الطريق. فقال له: قد علمت. فقال له: فلِمَ عدلت معي، وقد علمت ذلك؟ فقال له عليّ عليه السلام: هذا من تمام حسن الصحبة، أن يشيّع الرجل صاحبه هنيئة إذا فارقه، هكذا أمرنا نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم. فقال له: هكذا قال؟ قال: نعم. فقال له الذمّي: لا جرم إنّما تبعه من تبعه لأفعاله الكريمة، وأنا أشهدك أنّي على دينك. فرجع الذمي مع عليّ عليه السلام، فلمّا عرفه أسلم[4].

٣٦
الحكمة (٩٦)

وقال عليه السلام:

إنَّ أَوْلَى النَّاسِ بالأنْبِيَاءِ أَعْمَلَهُمْ بِما جاؤوا، ثُمَّ تَلا عليه السلام: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وهَذَا النَّبِيُّ والَّذِينَ آمَنُوا...﴾[5].

ثُمَّ قالَ عليه السلام: إنَّ وَلِيَّ محمَّدٍ صلى الله عليه وآله مَنْ أَطاعَ اللّهَ وإن بَعُدَتْ لُحمَتُهُ، وإنَّ

---

(١) العصر: ١ ـ ٢.

(٢) أُسد الغابة لابن الأثير ٣: ١٤٤.

(٣) احياء علوم الدين للغزالي ١: ١٦١.

(٤) قرب الإسناد للحميري: ٧، والكافي للكليني ٢: ٦٧٠ ح ٥.

(٥) آل عمران: ٦٨.

عَدُوَّ محمَّدٍ مَنْ عَصَى اللّهَ وإن قَرُبَتْ لُحْمَتُهُ.

«إنّ أولى الناس بالأنبياء أعملهم» قال ابن أبي الحديد الرواية «أعلمهم»، والصحيح (أعملهم) لأن استدلاله بالآية يقتضي، وكذا قوله عليه السلام فيما بعد[١].

وقال ابن ميثم: (أعلمهم) صحيح لأنّ العمل موقوف على العلم[٢].

قلت: العلم شرط للعمل لا سبب له، وإنّما يطلق السبب على المسبّب لتلازمهما، لا الشرط على المشروط، لاسيما مع كثرة تخلّف العمل عن العلم، وكون العلماء غير العاملين أكثر من العلماء العاملين، وهو عليه السلام في مقام بيان الأهمية لنفس العمل، فالصحيح (أعملهم) وحيث إنّ الفرق بينه وبين (أعلمهم) في الخطّ قليل وقع التصحيف من المصنّف أو غيره قبله أو بعده.

«بما جاؤوا» من الشرائع.

«ثمّ تلا» شاهداً لكلامه قوله تعالى:

«﴿إنّ أولى الناس بإبراهيم للّذين اتّبعوه وهذا النبيّ...﴾» لأنّه صلى الله عليه وآله كان أتبع الناس لإبراهيم. قال تعالى: ﴿ثمّ أوحينا إليك أن اتّبع ملّة إبراهيم حنيفاً...﴾[٣].

وفي (طبقات كاتب الواقدي): قال قوم من بني مدلج لعبد المطلب: احتفظ به (يعنون محمّداً صلى الله عليه وآله) فإنّا لم نرَ قدماً أشبه بالقدم التي في المقام منه. فقال عبد المطلب لأبي طالب: اسمع ما يقول هؤلاء. فكان أبو طالب يحتفظ به[٤].

«﴿والّذين آمنوا﴾» ايماناً حقيقياً، والآية في سورة آل عمران.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٢٨٣.

(٢) هذا مفهوم كلام ابن ميثم في شرحه ٥: ٢٨٩ لا صريح قوله.

(٣) النحل: ١٢٣.

(٤) الطبقات لابن سعد ١ ق١: ٧٤.

«ثمّ قال إنّ وليّ محمّد صلى الله عليه وآله من أطاع الله وإن بعدت لحمته، وإنّ عدوّ محمّد صلى الله عليه وآله من عصى الله، وإن قربت لحمته» لحمة بالضم: القرابة؛ قال ابن أبي الحديد في الحديث الصحيح: يا فاطمة بنت محمّد إنّي لا أغني عنك من الله شيئاً[1]. وقال رجل لجعفر بن محمّد عليه السلام: أرأيت قول النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ فاطمة أحصنت فرجها فحرّم الله ذريّتها على النار، أليس هذا أماناً لكلّ فاطميّ في الدّنيا؟ فقال: إنّك لأحمق إنّما أراد حسناً وحسيناً لأنّهما من الخمسة أهل البيت، فأمّا من عداهما فمن قعد به عمله لم ينهض به نسبه[2].

قلت: وروى (عيون ابن بابويه) عن ياسر، والوشا، وابن الجهم: أنّ الرضا عليه السلام قال لأخيه زيد بن موسى المعروف بزيد النار: أغرّك قول سفلة أهل الكوفة «إنّ فاطمة أحصنت فرجها فحرّم الله ذريّتها على النار» ذلك للحسن والحسين خاصّة، إن كنت ترى أنّك تعصي الله عزّوجلّ وتدخل الجنّة، وموسى بن جعفر أطاع الله ودخل الجنّة، فأنت إذن أكرم على الله عزّوجلّ من موسى بن جعفر، والله ما ينال أحد ما عند الله عزّوجلّ إلّا بطاعته، وزعمت أنّك تناله بمعصيته، فبئس ما زعمت. فقال له زيد: أنا أخوك، وابن أبيك. فقال له: أنت أخي ما أطعت الله عزّوجلّ، إنّ نوحاً قال: ﴿...ربِّ إنّ ابني من أهلي وإنّ وعدك الحقّ وأنت أحكم الحاكمين﴾[3] فقال عزّوجلّ له: ﴿...يا نوح إنّه ليس من أهلك إنّه عمل غير صالح...﴾[4] فأخرجه الله عزّوجلّ من أن يكون أهله بمعصية ـ وزاد في (رواية الوشا): إنّه عليه السلام التفت إلى الوشا، وقال له: وأنت إذا

---

(١) صحيح مسلم ١: ١٦٢ ح٣٥١، ٣٥٢ وسنن النسائي ٦: ٢٥٠ وغيرهما.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٢٨٣، وأخرج هذا المعنى الصدوق في عيون الأخبار ٢: ٢٣٤ ح١ عن الرضا عليه السلام وأخرج معناه بطرق ثلاثة الصدوق في معاني الأخبار: ١٠٦، ١٠٧ ح٢ ـ ٤ عن الصادق عليه السلام.

(٣) هود: ٤٥.

(٤) هود: ٤٦.

أطعت الله تعالى فأنت منّا أهل البيت ـ وزاد في (رواية ابن الجهم): وقال عليه السلام له: يابن الجهم من خالف دين الله فابرأ منه كائناً من كان، من أيّ قبيلة كان، ومن عادى الله فلا تواله كائناً من كان، ومن أيّ قبيلة كان. فقلت: يابن رسول الله، ومن الّذي يعادي الله؟ قال: من يعصيه(١).

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال لبني عبد المطّلب، وبني هاشم: إنّي رسول الله إليكم، وإنّي شفيق عليكم وإنّ لي عملي، ولكلّ رجل منكم عمله، لا تقولوا: إنّ محمّداً منّا، وسندخل مدخله، فلا والله ما أوليائي منكم ولا من غيركم يا بني عبد المطلب إلّا المتّقون، ألا فلا أعرفكم يوم القيامة تأتون تحملون الدّنيا على ظهوركم، ويأتون الناس يحملون الآخرة، ألا إنّي قد أعذرت إليكم فيما بيني وبينكم، وفيما بيني وبين الله عزّوجلّ فيكم(٢).

وقال: يا بني عبد المطّلب إيتوني بأعمالكم لا بأحسابكم وأنسابكم، قال عزّوجلّ: ﴿فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾(٣).

وعن الرضا عليه السلام: قال عليّ بن الحسين عليه السلام: لمحسننا كفلان من الأجر، ولمسيئنا ضعفان من العذاب(٤).

وعن الكاظم عليه السلام: أنّ إسماعيل قال لأبيه الصادق عليه السلام: ما تقول في المذنب منّا ومن غيرنا؟ فقال عليه السلام: ﴿ليس بأمانيكم ولا أمانيّ أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به...﴾(٥).

وعن موسى الرّازي: قال رجل للرضا عليه السلام: والله ما على وجه الأرض

---

(١) أخرج الأحاديث الثلاثة الصدوق في عيون الأخبار للصدوق ٢: ٢٣٤، ٢٣٦ ح١، ٤، ٦ والنقل بتصرف.

(٢) الكافي للكليني ٨: ١٨٢ ح٢٠٥، وصفات الشيعة للصدوق: ٥ ح٨.

(٣) عيون الأخبار للصدوق ٢: ٢٣٧ ح٧، والآية ١٠١ من سورة (المؤمنون).

(٤) روى هذا المعنى الطبرسي في مجمع البيان ٨: ٣٥٤ عن السجاد عليه السلام وزيد بن علي.

(٥) عيون الأخبار للصدوق ٢: ٢٣٦ ح٥، والآية ١٢٣ من سورة النساء.

أشرف منك أباً؟ فقال: التقوى شرّفتهم، وطاعة الله أحظّتهم. فقال له آخر: أنت والله خير الناس. فقال له: لا تحلف يا هذا، خير منّي من كان أتقى لله وأطوع له، والله ما نسخت هذه الآية ﴿...وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم[1]...﴾[2].

قلت: صدق عليه السلام إن كان وجد أحد أتقى منه كان خيراً منه لكن لم يوجد، وعن الرضا عليه السلام: إنّا أهل بيت وجب حقّنا برسول الله صلى الله عليه وآله، فمن أخذ برسول الله حقّاً، ولم يعط الناس من نفسه مثله فلا حقّ له[3].

وعنه عليه السلام ـ وأومأ إلى عبدٍ أسود من غلمانه ـ: إن كان يرى أنّه خير من هذا بقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا أن يكون لي عمل صالح، فأكون أفضل به منه[4].

وعن الباقر عليه السلام: يكتفي من اتخذ التشيّع أن يقول بحبّنا أهل البيت، فوالله ما شيعتنا إلّا من اتّقى الله وأطاعه، وما كانوا يُعرفون إلّا بالتواضع والتخشع، وأداء الأمانة، وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة، والبرّ بالوالدين، والتعهد للجيران من الفقراء، وأهل المسكنة والغارمين والأيتام، وصدق الحديث، وتلاوة القرآن، وكفّ الألسن عن الناس إلّا من خير، وكانوا أُمناء عشائرهم في الأشياء. فقال له جابر الجعفي: يابن رسول الله ما نعرف أحداً بهذه الصفة. فقال: يا جابر لا تذهبنّ بك المذاهب، حسب الرجل أن يقول: أُحبّ علياً وأتولّاه «ثمّ لا يكون مع ذلك فعّالاً» فلو قال: إنّي أُحبّ رسول الله، ورسول الله صلى الله عليه وآله خير من عليّ عليه السلام ثمّ لا يتّبع سيرته، ولا يعمل بسنّته ما نفعه حبّه إيّاه شيئاً، فاتّقوا

---

(١) الحجرات: ١٣.

(٢) أخرجهما الصدوق في عيون الأخبار ٢: ٢٣٨ ح ٩، ١٠.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) عيون الأخبار للصدوق ٢: ٢٣٨ ح ١١.

الله واعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين أحد قرابة، أحبّ العباد إلى الله تعالى، وأكرمهم عليه أتقاهم له وأعملهم بطاعته، يا جابر والله ما يتقرّب العبد إلى الله تعالى إلّا بالطاعة، ما معنا براءة من النار، ولا على الله لأحد من حجّة. من كان لله مطيعاً فهو لنا وليّ، ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدوّ، ولا تنال ولايتنا إلّا بالعمل والورع[1].

وحيث يقول تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿قُل إنّي أخاف إن عصيت ربّي عذاب يوم عظيم﴾[2]، ﴿ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل* لأخذنا منه باليمين* ثمّ لقطعنا منه الوتين﴾[3] كيف يتوقع النجاة بانتساب إليه صلى الله عليه وآله بلا عمل، ومع سوء عمل؟

بل قوله تعالى لنساء النبيّ صلى الله عليه وآله: ﴿...من يأت منكنّ بفاحشة مبيّنة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً﴾[4] يدلّ على أشديّة عذاب المنسوبين إليه صلى الله عليه وآله في مخالفتهم، وبه صرّح السجّاد عليه السلام في الخبر المتقدّم.

وأمّا ما نقلوا على لسان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «والطالحون لي»[5] فأخبار موضوعة، نظير قول اليهود والنصارى في ما وضعوا لأنفسهم: ﴿...نحن أبناء الله وأحبّاؤه...﴾[6] وقول بني إسرائيل: ﴿...لن تمسّنا النار إلّا أيّاماً معدودة قل أتّخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون

---

(١) صفات الشيعة للصدوق: ١١ ح ٢٢.

(٢) الأنعام: ١٥.

(٣) الحاقة: ٤٤ ـ ٤٦.

(٤) الأحزاب: ٣٠.

(٥) لم أجده بهذا اللفظ، نعم جاء هذا المعنى في أمر الشفاعة في أحاديث كثيرة.

(٦) المائدة: ١٨.

على الله ما لاتعلمون﴾(١).

وروى (الكافي) صحيحاً عن الصادق عليه السلام قال: خطب النّبيّ صلى الله عليه وآله بمنى فقال: أيّها الناس ما جاءكم عنّي يوافق كتاب الله فأنا قلته، وما جاءكم يخالف كتاب الله فلم أقله(٢).

وقال عليه السلام: وكلّ حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف(٣).

هذا، وروى الكشي عن عمر بن يزيد قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يابن يزيد أنت والله منّا أهل البيت. قلت له: جعلت فداك من آل محمّد؟ قال: إي والله من أنفسهم. قلت: من أنفسهم؟ قال: إي والله من أنفسهم يا عمر، أما تقرأ كتاب الله عزّوجلّ: ﴿إنّ أولى الناس بإبراهيم للّذين اتّبعوه وهذا النبيّ والّذين آمنوا والله وليّ المؤمنين﴾(٤).

٣٧
من الخطبة (٢١٢)

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَسَيِّدُ عِبادِهِ، كُلَّما نَسَخَ اللّهُ الْخَلْقَ فِرْقَتَينِ جَعَلَهُ في خَيْرِهِما، لَمْ يُسْهِمْ فيهِ عاهِرٌ، وَلا ضَرَبَ فيهِ فاجِرٌ.

أقول: وفي خطبة له عليه السلام المروية في (إثبات المسعودي) في آباء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من آدم إلى مولده صلى الله عليه وآله: فلمّا أذنت اللّهم في انتقال محمّد عليه السلام من صلب آدم ألّفت بينه وبين زوج خلقتها له سكناً، ووصلت لهما به سبباً فنقلته من بينهما إلى شيث اختياراً له بعلمك، فأيّ بشر كان اختصاصه برسالتك، ثمّ

---

(١) البقرة: ٨٠.

(٢) الكافي للكليني ١: ٦٩ ح ٥، والمحاسن للبرقي: ٢٢١ ح ١٣٠ ـ ١٣١، وتفسير العياشي ١: ٨ ح ١.

(٣) الكافي للكليني ١: ٦٩ ح ٣، ٤، والمحاسن للبرقي: ٢٢٠ ح ١٢٨، وتفسير العياشي ١: ٩ ح ٤.

(٤) أخرجه الكشي في معرفة الرجال اختياره: ٣٣١ ح ٦٠٥، وأبو علي الطوسي في أماليه ١: ٤٤ المجلس ٢، ومضمون فلان منّا أهل البيت جاء لجمع، منهم: سلمان وأبو ذر وعمّار وجابر وغيرهم، والآية ٦٨ من سورة آل عمران.

نقلته إلى أنوش فكان خلف أبيه في قبول كرامتك، واحتمال رسالتك، ثمّ قدّرت نقل النور إلى قينان وألحقته في الحظوة بالسابقين، وفي المنحة بالباقين، ثمّ جعلت مهلائيل رابع أجرامه قدرة تودعها من خلقك من تضرب لهم بسهم النبوّة، وشرف الأُبوة حتّى تناهى تدبيرك إلى اخنوع... ثمّ أذنت في إيداعه ساماً دون حام، ويافث، فضربت لهما بسهم في الذلّة، وجعلت ما أخرجت بينهما لنسل سام خولاً. ثمّ تتابع عليه القابلون من حامل إلى حامل، ومودع إلى مستودع من عترته في فترات الدهور حتّى قبله تارخ أطهر الأجسام وأشرف الأجرام، ونقلته منه إلى إبراهيم عليه السلام فأسعدت بذلك جدّه، وأعظمت به مجده، وقدّسته في الأصفياء، وسمّيته دون رسلك خليلاً، ثمّ خصّصت به إسماعيل دون ولد إبراهيم فأنطقت لسانه بالعربيّة الّتي فضّلتها على سائر اللغات، فلم تزل تنقله من أب إلى أب حتّى قبله كنانة عن مدركه... حتّى نقلته إلى هاشم خير آبائه بعد إسماعيل...[١].

«وأشهد أنّ محمّداً عبده وسيّد عباده» حتّى الأنبياء والمرسلين.

«كلّما نسخ الله الخلق فرقتين جعله في خيرهما» يشهد له التاريخ في سلسلة آبائه وتدلّ عليه الخطبة المتقدّمة؛ وفي (اعتقادات الصدوق): اعتقادنا في آباء النبيّ صلى الله عليه وآله أنّهم مسلمون من آدم عليه السلام إلى أبيه عبد الله[٢]، ويجب أن يعتقد أنّ الله عزّوجلّ لم يخلق خلقاً أفضل من محمّد والأئمّة عليهم السلام، وأنّهم أحبّ الخلق إلى الله تعالى وأكرمهم، وأوّلهم إقراراً به لمّا أخذ الله ميثاق النبيّين. ثم قال: ونعتقد أنّ الله تعالى خلق جميع الخلق له صلى الله عليه وآله ولأهل بيته عليهم السلام، وأنّه لولاهم لما خلق الله سبحانه السماء والأرض[٣].

---

(١) الإثبات للمسعودي: ١٠٧.

(٢) الاعتقادات للصدوق: ٤٥.

(٣) الاعتقادات للصدوق: ٣٥.

«لم يسهم فيه عاهر» أي: رجل زان، والأصل فيه: من أتى المرأة ليلاً للفجور، ثمّ غلب على المطلق.

«ولا ضرب فيه» بأن يكون دخيلاً في نسبه.

«فاجر» أي: فاسق، والأصل فيه: الميل عن الصواب؛ وقال الراعي النميري:

كانت نجائب منذر ومحرّق أُمّاتهن وطرقهن فحيلا[١]

هذا، وفي (البلدان) في (كوثى): عن عبيدة السلماني سمعت عليّاً عليه السلام يقول: من كان سائلاً عن نسبنا فإنّنا نبط من كوثى. وعن ابن الاعرابي: قال رجل لعليّ عليه السلام: أخبرني عن أصلكم معاشر قريش. فقال: نحن من كوثى. فقال قوم: أراد عليه السلام كوثى السواد الّتي ولد بها إبراهيم الخليل عليه السلام. وقال آخرون أراد كوثى مكّة، وذلك أنّ محلّة بني عبد الدار يقال لها: كوثى. فأراد أنّا مكّيون من أُم القرى مكّة. وقال قوم: أراد عليه السلام أنّ أبانا إبراهيم عليه السلام كان من نبط كوثى، وأنّ نسبنا ينتهي إليه[٢].

في (اعتقادات الصدوق): قال النبيّ صلى الله عليه وآله: أُخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح، من لدن آدم عليه السلام[٣].

وفي (الطبقات) عن الكلبي: كتبت للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم خمسمائة أُمّ، فما وجدت فيهنّ سفاحاً، ولا شيئاً ممّا كان من أمر الجاهلية[٤].

وفي (المروج): أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا دُفع إلى حليمة، قال عبد المطلب

---

(١) لسان العرب ١١: ٥١٦ مادة (فحل).

(٢) معجم البلدان للحموي ٤: ٤٨٨ والنقل بتقطيع.

(٣) رواه الصدوق في الاعتقادات: ٤٥، وابن سعد بثلاث طرق في الطبقات ١ ق١: ٣١، ٣٢، والبيهقي في الدلائل عنه منتخب كنز العمال ٤: ٢٣٣، وقد مرّ الحديث في العنوان ٣ من الفصل الخامس.

(٤) الطبقات لابن سعد ١ ق١: ٣١.

-في رواية-:

لا هـمّ ربّ الراكب المسـافر ... يـحمد قـلب بـخير طـائر
تـنح عـن طـريقه الفـواجـر ... وحـيه بـرصد الطـواهـر
واحـبس كـل حـلف فـاجر ... في درج الريح والأعاصر[1]

ثمّ مرمى كلامه عليه السلام: أنّ باقي الناس أسهم فيهم العاهر أباً، وضرب فيهم الفاجر أُمّاً.

وروى القمي في تفسير قوله تعالى: ﴿...لا تسألوا عن أشياء إن تُبْدَ لكم تسؤكم...﴾[2]: أنّ صفية بنت عبد المطلب مات ابن لها فأقبلت، فقال لها الثاني (يعني عمر): غطّي قرطك، فإنّ قرابتك من النبيّ صلى الله عليه وآله لا تنفعك شيئاً. فقالت له: هل رأيت لي قرطاً يابن اللخناء. ثمّ دخلت على النبيّ صلى الله عليه وآله فأخبرته بذلك وبكت، فخرج النبيّ صلى الله عليه وآله فنادى الصلاة جامعة. فاجتمع الناس، فقال: ما بال أقوام يزعمون أنّ قرابتي لا تنفع؟ لو قد قربت المقام المحمود لشفعت في أحوجكم، لا يسألني اليوم أحد: من أبواه، إلّا أخبرته. فقام إليه رجل، فقال: من أبي؟ فقال: أبوك غير الّذي تدعى له، أبوك فلان بن فلان. فقام آخر، فقال: مَنْ أبي يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال: أبوك الّذي تدعى له. ثمّ قال النبيّ صلى الله عليه وآله: ما بال الّذي يزعم أنّ قرابتي لا تنفع لا يسألني عن أبيه؟ فقام إليه الثاني (يعني عمر) فقال له: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله اعف عنّي...[3].

وروى هشام الكلبي في (مثالبه) كما في (الطرائف): أنّ صهاك الّتي كان عمر ينسب إليها كانت أمة حبشية لهاشم بن عبد مناف، فوقع عليها نضلة بن

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٢٧٤.

(٢) المائدة: ١٠١.

(٣) تفسير القمي ١: ١٨٨.

هاشم، ثمّ وقع عليها عبد العزى بن رياح فجاءت بنفيل جدّ عمر[١].

وقال الجاحظ في (مفاخرات قريش) وقد نقله ابن أبي الحديد في موضع آخر: بلغ عمر بن الخطاب أنّ أُناساً من رواة الأشعار وحملة الآثار يعيبون الناس، ويثلبونهم في أسلافهم. فقام على المنبر وقال: إيّاكم وذكر العيوب والبحث عن الأُصول، فلو قلت: لا يخرج اليوم من هذه الأبواب إلّا من لا وصمة فيه، لم يخرج منكم أحد. فقام رجل من قريش نكره أن نذكره، فقال: إذن كنت أنا وأنت يا أمير المؤمنين نخرج. فقال: كذبت، بل كان يقال لك: يا قين بن قين، اقعد. قال ابن أبي الحديد: والرجل الّذي قام هو المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي، كان عمر يبغضه لبغضه أباه خالداً، ولأنّ المهاجر كان علوي الرأي جدّاً، وكان أخوه عبد الرحمن بخلافه، شهد المهاجر صفين مع عليّ عليه السلام وشهدها عبد الرحمن مع معاوية، وكان المهاجر مع عليّ عليه السلام في يوم الجمل وفقئت ذاك اليوم عينه[٢].

وقال ابن أبي الحديد أيضاً: روى هذا الخبر المدائني في كتاب (أُمّهات الخلفاء) وقال: إنّه روي عند جعفر بن محمّد عليه السلام بالمدينة فقال: لا تلمه يابن أخي، أشفق أن يخدج بقضيّة نفيل بن عبد العزى، وصهاك أمة الزبير بن عبد المطّلب[٣].

قلت: الأصل في ما نقله عن المدائني ما رواه الكليني عن سماعة؛ قال تعرّض رجل من ولد عمر بن الخطاب بجارية رجل عقيليّ، فقالت له: إنّ هذا العمري قد آذاني، فقال لها: عديه وأدخليه الدهليز. فأدخلته فشدّ عليه فقتله

(١) الطرائف ٢: ٤٦٩.

(٢) نقلهما ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٢٤ شرح الخطبة ٢١٢.

(٣) المصدر نفسه.

وألقاه في الطريق. فاجتمع البكريون والعمريون والعثمانيون، وقالوا: ما لصاحبنا كفو، لن نقتل به إلّا جعفر بن محمّد، وما قتل صاحبنا غيره. وكان الصادق عليه السلام قد مضى نحو قبا. قال سماعة: فلقيته بما اجتمع القوم عليه، فقال: دعهم. فلما جاء ورأوه وثبوا عليه، وقالوا: ما قتل صاحبنا أحد غيرك، وما نقتل به أحداً غيرك. فقال: ليكلّمني منكم جماعة. فاعتزل قوم منهم، فأخذ بأيديهم فأدخلهم المسجد، فخرجوا وهم يقولون: شيخنا أبو عبدالله جعفر بن محمّد، معاذ الله أن يكون مثله يفعل هذا، ولا يأمر به، انصرفوا. قال سماعة: فمضيت معه، وقلت: جعلت فداك، ما كان أقرب رضاهم من سخطهم؟ قال: نعم دعوتهم. فقلت: امسكوا وإلّا أخرجت الصحيفة. فقلت: وما هذه الصحيفة جعلني الله فداك؟ فقال: إنّ أُمّ الخطاب كانت أمة للزبير بن عبد المطلب، فشطر بها نفيل فأحبلها، فطلبه الزبير فخرج هارباً إلى الطائف، فخرج الزبير خلفه فبصرت به ثقيف، فقالوا: يا أبا عبد الله ما تعمل هاهنا؟ قال: جاريتي شطر بها نفيلكم، فهرب منها إلى الشام. وخرج الزبير في تجارة له إلى الشام، فدخل على ملك الدومة، فقال له: يا أبا عبد الله لي إليك حاجة. قال: وما حاجتك أيها الملك؟ فقال: رجل من أهلك قد أخذت ولده فأحبّ أن تردّه عليه. قال: ليظهر لي حتّى أعرفه. فلمّا أن كان من الغد دخل الزبير على الملك فلمّا رآه الملك ضحك، فقال: ما يضحكك أيّها الملك؟ قال: ما أظنّ هذا الرجل ولدته عربية، إنّه لمّا رآك قد دخلت لم يملك استه أن جعل يضرط. فقال: أيّها الملك إذا صرت إلى مكّة قضيت حاجتك. فلمّا قدم الزبير تحمّل عليه ببطون قريش كلّها أن يدفع إليه ابنه فأبى ثمّ تحمّل عليه بعبد المطّلب. فقال: ما بيني وبينه عمل، أما علمتم ما فعل في ابني فلان، ولكن امضوا أنتم إليه. فقصدوه فكلّموه، فقال لهم الزبير: إنّ الشيطان له دولة، وإنّ ابن هذا ابن الشيطان ولست آمن أن يترأس علينا،

ولكن ادخلوه من باب المسجد عليّ على أن أحمي له حديدة، وأخطّ في وجهه خطوطاً وأكتب عليه وعلى ابنه ألّا يتصدّر في مجلس، ولا يتأمّر على أولادنا، ولا يضرب معنا بسهم. ففعلوا وخطّ وجهه بالحديدة، وكتب عليه الكتاب، وذلك الكتاب عندنا، فقلت لهم: إن أمسكتم، وإلّا أخرجت الكتاب ففيه فضيحتكم فأمسكوا...[١].

وروى هشام الكلبي في (مثالبه): أنّ صعبة بنت الحضرمي ـ أُمّ طلحة ـ كانت لها راية بمكّة، واستبضعت بأبي سفيان فوقع عليها، وتزوّجها عبيد الله ابن عثمان فجاءت بطلحة لستّة أشهر، فاختصم أبو سفيان وعبيد الله في طلحة، فجعل أمرهما إلى صعبة، فألحقته بعبيد الله، فقيل لها: كيف تركتِ أبا سفيان؟ فقالت: يد عبيد الله طلقة ويد أبي سفيان كزّة. وذكر الكلبي شعر حسّان وغيره في ذلك[٢].

وروى المسعودي في (مروجه) عن كتاب النوفلي عن ابن عايشة وغيره في خبر حجّ معاوية وطواف سعد معه: انصرف معاوية إلى دار الندوة، فأجلسه (يعني سعداً) معه على سريره... فقال سعد: والله إنّي لأحقّ بموضعك منك. فقال معاوية: يأبى عليك ذلك بنو عذرة. وكان سعد في ما يقال لرجل من بني عذرة. قال النوفلي: وفي ذلك يقول السيّد بن محمّد الحميري:

أو رهط سعد وسعد كان قد علموا عن مستقيم صراط الله صدّادا
قوم تداعوا زنيماً ثمّ سادهُم لولا خمول بني زهر لما سادا[٣]

---

(١) الكافي للكليني ٨: ٢٥٨ ح ٣٧٢.

(٢) رواه من مثالب الكلبي المجلسيّ في متن البحار: ٤٠٩.

(٣) مروج الذهب للمسعودي ٣: ١٤، أولها عن الطبري وآخرها عن كتاب النوفلي.

وتنازع ابن مسعود وسعد في أيّام عثمان، فقال سعد لابن مسعود: اسكت يا عبد هذيل. فقال له ابن مسعود: اسكت يا عبد عذرة.

وروى هشام الكلبي في (مثالبه): أنّه كانت لحمامة ـ بعض جدّات معاوية ـ راية بذي المجاز، وأنّ معاوية كان لأربعة: لعمّار بن الوليد المخزومي، ولمسافر بن عمرو، ولأبي سفيان، ولرجل سمّاه.

قلت: والرجل العبّاس كما رواه غيره.

قال: وكانت هند من المغتلمات، وكان أحبّ الرجال إليها السودان، وكانت إذا ولدت أسود قتلته[1].

ونقل سبط ابن الجوزي في (تذكرته) عن (مثالب الكلبي): أنّ الحسين عليه السلام قال لمروان: يابن الزرقاء الداعية إلى نفسها بسوق ذي المجاز صاحبة الراية بسوق عكاظ. قال: فذكر ابن إسحاق أنّ أُمّ مروان اسمها أُميّة، وكانت من البغايا في الجاهلية، وكان لها راية مثل راية البيطار تعرف بها، وكانت تسمّى أُم حبتل الزرقاء، وكان مروان لا يعرف له أب، وإنّما نسب إلى الحكم كما نسب عمرو إلى العاص[2].

وكانت النابغة أُمّ عمرو بن العاص من البغايا أصحاب الرايات بمكّة، فوقع عليها العاص بن وائل في عدّة من قريش منهم أبو لهب، وأُميّة بن خلف، وهشام بن المغيرة، وأبو سفيان بن حرب في طهر واحد.

وروى القمي في (تفسيره): أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا أمر بقتل عقبة بن أبي معيط من أُسارى بدر، قال: يا محمّد ألم تقل لا تصبر قريش؟ أي: لا يقتلون

---

(١) رواه عنه المجلسي عن متن البحار: ٥٢٢، ورواه أيضاً ابن أبي الحديد في شرحه ١: ١٥٧ شرح الخطبة ٣٠ والنقل بتصرف يسير.

(٢) رواه سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص: ٢٠٤، ٢٠٨ والنقل بتقطيع.

صبراً. قال: أفأنت من قريش إنّما أنت علج من أهل صفورية، لأنت في الميلاد أكبر من أبيك الّذي تدعى له، لست منها، قدّمه يا علي فاضرب عنقه[١].

ورووا أنّ أمير المؤمنين عليه السلام مرّ بثقيف فتغامزوا به، فرجع إليهم وقال لهم: يا عبيد أبي رغال إنّما كان أبوكم عبد الله فهرب منه فثقفه، أي: ظفر به[٢].

ورووا أيضاً أنّه عليه السلام قال على المنبر: لقد هممت أن أضع على ثقيف الجزية لأنّ ثقيفاً كان عبداً لصالح نبي الله، وأنّه سرّحه إلى عامل له على الصدقة، فهرب[٣].

ولمّا كتب الحجاج إلى المهلّب وذمّ قبيلة الأزد، أجابه المهلّب في ذم قبيلته: إنّ شرّاً من الأزد لقبيلة تنازعها ثلاث قبائل لم تستقر في واحدة منهنّ.

وفي خبر الكلبي النسّابة مع الصادق عليه السلام، قال عليه السلام له: أفتنسب نفسك؟ قال: أنا فلان ابن فلان ابن فلان. فقال له: قف ليس حيث تذهب، أتدري مَنْ فلان؟ قال: نعم ابن فلان. قال: لا، إنّ فلاناً ابن الراعي الكردي كان على جبل آل فلان، فنزل إلى فلانة فأطعمها شيئاً وغشيها، فولدت فلاناً، وفلان ابن فلان من فلانة، أتعرف هذه الأسامي؟ قال: لا والله، فإن رأيت أن تكفّ...[٤].

وفي (الطبري): إنّ مصعب بن الزبير لمّا أخرج خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد الّذي أرسله عبد الملك إلى البصرة في ولاية أخيه، وكان أهلها أجاروه، أرسل إلى رؤسائهم، فأتي بهم، فأقبل على عبيد الله بن أبي بكره، فقال: يا ابن مسروح، إنّما أنت ابن كلبة تعاورها الكلاب، فجاءت بأحمر

---

(١) تفسير القمي ١: ٢٦٩.

(٢) روى هذه المعاني الحاكم في المستدرك، والبيهقي في السنن عنهما منتخب كنز العمال ٥: ٢٩٨، والمسعودي في مروج الذهب ٢: ٥٣.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الكافي للكليني ١: ٣٤٨ح٦ والنقل بتلخيص.

وأسود وأصفر، من كلّ كلب بما يشبهه، وإنّما كان أبوك عبداً نزل إلى النبيّ ﷺ من حصن الطائف، ثمّ أقمتم البيّنة تدّعون: أنّ أبا سفيان زنى بأُمّكم، أما والله لئن بقيت لألحقنكم بنسبكم. ثمّ دعا بحمران فقال: يابن اليهودية، إنّما أنت علج نبطي سبيت من عين التمر. ثمّ قال لحكم بن المنذر بن الجارود: يابن الخبيث، أتدري مَن أنت، ومن الجارود؟ إنّما كان الجارود علجاً بجزيرة ابن كاوان فارسياً فقطع إلى ساحل البحر، فانتمى إلى عبد القيس، ولا والله ما أعرف حيّاً أكثر اشتمالاً على سوأة منهم، ثمّ أنكح أُخته المكعبر الفارسي، فلم يصب شرفاً قطّ أعظم منه، فهؤلاء ولدها يابن قباذ. ثمّ أُتي بعبد الله بن فضالة الزهراني، فقال: ألست من أهل هجر؟ ثمّ من أهل سماهيج؟ أما والله لأُردنّك إلى نسبك. ثمّ أُتي بعليّ بن أصمع، فقال: أعبد لبني تميم مرة، وعُزي من باهلة؟ ثمّ أُتي بعبد العزيز بن بشر بن حناط، فقال: يابن المشتور، ألم يسرق عمّك عنزاً في عهد عمر، فأمر به. فسير ليقطعه؟ أما والله ما أعنت إلّا من ينكح أُختك ـ كانت أخته تحت مقاتل بن مسمع ـ ثمّ أُتي بأبي حاضر الأسدي، فقال: يابن الاصطخرية، ما أنت والأشراف؟ وإنّما أنت من أهل قطر دعيّ في بني أسد، ليس لك فيهم قريب، ولا نسيب. ثمّ أُتي بزياد بن عمرو، فقال: يابن الكرماني إنّما أنت علج من أهل كرمان قطعت إلى فارس فصرت ملّاحاً، ما لكَ والحرب؟ لأنت بجرّ القلس أحذق. ثمّ أُتي بعبد الله بن عثمان بن أبي العاص، فقال له: أعليّ تكثر، وأنت علج من أهل هجر، لحق أبوك بالطائف وهم يضمّون من تأشّب إليهم يتعزّزون به؟ أما والله لأُردنّك إلى أصلك. ثمّ أُتي بشيخ بن النعمان، فقال: يابن الخبيث، إنّما أنت علج من أهل زندرود هربت أُمّك، وقُتل أبوك، فتزوج أُختَه رجل من بني يشكر، فجاءت بغلامين، فألحقاك بنسبهما ثمّ ضربهم مائة مائة، وحلق رؤوسهم ولحاهم، وهدم دورهم،

وصهرهم في الشمس ثلاثاً، وحملهم على طلاق نسائهم، وجمر أولادهم في البعوث، وطاف بهم في أقطار البصرة، وأحلفهم أن لا ينكحوا الحرائر[١].

٣٨
من الخطبة (٢٣٤)

ومن كلام له عليه‌السلام اقتصّ فيه ذكر ما كان منه بعد هجرة النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله ثم لحاقه به:

فَجَعَلْتُ أَتَّبِعُ مَأْخَذَ رَسُولِ اللّهِ صلى‌الله‌عليه‌وآله فَأَطَأُ ذِكْرَهُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إلى الْعَرَجِ.

«...في كلام طويل: قوله عليه‌السلام: «فأطأ ذكره» من الكلام الّذي رمى به إلى غايتي الإيجاز والفصاحة، أراد عليه‌السلام: أنّي كنتُ أُعطي خبره صلى‌الله‌عليه‌وآله من بدء خروجي إلى أن انتهيت إلى هذا الموضع، فكنى عن ذلك بهذه الكناية العجيبة».

أقول: وهذا العنوان ممّا في ترتيبه في نسخنا اختلاف مع نسخة ابن أبي الحديد والكيذري، وتبعهما ابن ميثم، كما مرّ في أوّل الكتاب[٢]، وقد روى العنوان أئمّة غريب الحديث، كما يفهم من ذكر الجزري له في النهاية، لكن فيه (ما أخذ) بدل (مأخذ)[٣].

قول المصنّف «بعد هجرة النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله» ذكر (تنبيه المسعودي) أسماء لسني هجرته صلى‌الله‌عليه‌وآله فقال: تعرف السنة الثانية بسنة الأمر لأنّه أُمر فيها بالقتال، والثالثة بسنة التمحيص، والرابعة بسنة الترفيه، والخامسة بسنة الأحزاب، والسادسة بسنة الاستئناس، والسابعة بسنة الاستغلاب، والثامنة بسنة الفتح، والعاشرة بسنة حجّة الوداع، والحادية عشرة بسنة الوفاة[٤].

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٤ سنة ٧١.

(٢) قد مرّ في مقدّمة المؤلف.

(٣) النهاية لابن الأثير الجزري ٥: ٢٠١ مادة (وطأ) ولفظه (مآخذ).

(٤) التنبيه والإشراف: ٢٠٢ ـ ٢٤٠.

«ثمّ لحاقه عليه السلام به صلى الله عليه وآله» بعد ثلاث ليال، كما في (المناقب).

قوله عليه السلام «فجعلت أتّبع مأخذ رسول الله عليه السلام» أي: مكان أخذه من الطريق في هجرته، وعلى نقل الجزري، أي: مكاناً أخذه. وأمّا لحوقه عليه السلام به، فروى الكليني مسنداً عن سعيد بن المسيّب عن السجّاد عليه السلام قال: كان النبيّ صلى الله عليه وآله يصلّي مدّة عشر سنين ركعتين حتّى هاجر إلى المدينة، وخلّف علياً عليه السلام في أمور لم يكن يقوم بها أحد غيره، وكان خروجه من مكّة في أوّل يوم من ربيع الأوّل، وذلك يوم الخميس من سنة ثلاث عشرة من المبعث، وقدم المدينة لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، مع زوال الشمس، فنزل بقبا فصلّى الظهر ركعتين، والعصر ركعتين، ثمّ لم يزل مقيماً ينتظر علياً عليه السلام يصلّي الصلوات الخمس ركعتين ركعتين، وكان نازلاً على عمرو بن عوف، فأقام عندهم بضعة عشر يوماً يقولون له: أتقيم عندنا فنتخذ لك منزلاً ومسجداً؟ فيقول: لا، إنّي أنتظر عليّ بن أبي طالب، وقد أمرته أن يلحقني، ولست مستوطناً منزلاً حتّى يقدم عليّ، وما أسرعه إن شاء الله. فقدم عليّ عليه السلام، والنبيّ صلى الله عليه وآله في بيت عمرو بن عوف فنزل معه، ثمّ تحوّل النبيّ صلى الله عليه وآله من قبا إلى بني سالم بن عوف، وعليّ عليه السلام معه يوم الجمعة مع طلوع الشمس، فخطّ لهم مسجداً ونصب قبلته، فصلّى بهم فيه الجمعة ركعتين، وخطب خطبتين، ثمّ راح من يومه إلى المدينة على ناقته التي كان قدم عليها، وعليّ عليه السلام معه لا يفارقه يمشي بمشيه، وليس يمر النبيّ صلى الله عليه وآله ببطن من بطون الأنصار إلّا قاموا إليه يسألونه أن ينزل عليهم، فيقول لهم: خلّوا سبيل الناقة، فإنّها مأمورة. فانطلقت به، وهو واضع لها زمامها حتّى انتهت إلى الموضع الذي ترى ـ وأشار بيده إلى باب مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله الذي يصلّي عنده بالجنائز ـ فوقفت عنده وبركت، ووضعت جرانها على الأرض، فنزل، وأقبل أبو أيّوب مبادراً

حتّى احتمل رحله، فأدخله منزله، وعليّ عليه السلام معه حتّى بنيت له مساكن وبنى مسجده فتحولا.

قال سعيد: قلت لعليّ بن الحسين عليه السلام: كان أبو بكر معه، فأين فارقه؟ قال: لمّا كان بقبا ينتظر قدوم عليّ عليه السلام قال له أبو بكر: انهض بنا إلى المدينة فإنّ القوم فرحوا بقدومك، وما أظنّ علياً يقدم عليك إلى شهر. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: كلّا بل ما أسرع حتّى يقدم أخي، وابن عمّي، وأحبّ أهل بيتي، وقد وقاني بنفسه من المشركين. فغضب أبو بكر، واشمأزّ وداخله من ذلك حسد لعليّ عليه السلام، وكان ذلك أوّل عداوة بدت منه في عليّ عليه السلام، وأوّل خلافه على النبيّ صلى الله عليه وآله. فانطلق أبو بكر حتّى دخل المدينة، وتخلّف النبيّ صلى الله عليه وآله بقبا ينتظر علياً عليه السلام...[1].

وفي (الكافي): ماتت خديجة قبل الهجرة بسنة، ومات أبو طالب بعدها. فلمّا فقدهما سئم المقام بمكّة ودخله حزن شديد، وأشفق على نفسه من كفّار قريش، فشكا إلى جبرئيل ذلك، فأوحى إليه: أن اخرج من القرية الظالم أهلها، وهاجر إلى المدينة، فليس لك اليوم بمكّة ناصر، وانصر للمشركين حرباً. فعند ذلك توجّه إلى المدينة[2].

وروى (أمالي الشيخ) مسنداً عن هند بن أبي هالة، وأبي رافع، وعمّار جميعاً يحدّثون عن هجرة أمير المؤمنين عليه السلام إلى النبيّ صلى الله عليه وآله بالمدينة، ومبيته قبل ذلك على فراشه، قالوا: ثمّ كتب النبيّ صلى الله عليه وآله إليه عليه السلام كتاباً يأمره فيه بالمسير إليه، وقلّة التلوم، وكان الرسول إليه أبا واقد الليثي، فتهيأ للخروج، فأذّن من كان معه من ضعفاء المؤمنين، فأمرهم أن يتسلّلوا إذا ملأ الليل بطن

(١) الكافي للكليني ٨: ٣٣٨ ح٥٣٦ والنقل بتصرف يسير.

(٢) الكافي للكليني ١: ٤٤٠ والنقل بالمعنى.

كلّ ذي واد إلى ذي طوى، وخرج عليه السلام بفاطمة بنت النبيّ صلى الله عليه وآله وبفاطمة أمّه، وبفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب، وقيل: ضباعة، وتبعهم أيمن بن أمّ أيمن، وأبو واقد فجعل يسوق بالرواحل، فأعنف بهم. فقال عليه السلام: ارفق بالنسوة، أبا واقد، إنّهنّ من الضعائف، قال: أخاف أن يدركنا الطلب. فقال عليه السلام: أربع عليك. ثمّ جعل عليه السلام يسوق بهنّ سوقاً رفيقاً وهو يقول:

ليس إلّا الله فارفع ظنكا — يكفيك ربّ الناس ما أهمّكا

فلمّا شارف ضجنان أدركه الطلب بسبع فوارس من قريش مستلئمين وثامنهم جناح مولى الحرث بن أُمية، فأقبل عليه السلام على أيمن وأبي واقد، وقد تراءى القوم. فقال لهما: أنيخا الإبل، واعقلاها، وتقدّم حتّى أنزل النسوة، ودنا من القوم منتضياً سيفه، فقالوا: ظننت يا غدّار أنّك ناجٍ بالنسوة؟ ارجع لا أباً لك. قال: فإن لم أفعل؟ قالوا: لترجعنّ راغماً. ودنوا من المطايا ليثوّروها فحال عليه السلام بينهم وبينها، فأهوى له جناح بسيفه، فراغ عليه السلام عن ضربته، وضربه على عاتقه مضياً فيه حتّى مسّ كاثبة فرسه، وكان عليه السلام يشدّ على قدمه شدّ الفارس، وهو يقول:

خلّو سبيل الجاهد المجاهد — آليت لا أعبد غير الواحد

فتصدعوا عنه، فقال: من سرّه أن أفري لحمه، وأُهريق دمه، فليتبعني. ثم سار ظاهراً مظاهراً حتّى نزل ضجنان، فتلوم بها قدر يومه وليلته، ولحق به نفر من المستضعفين، وفيهم أمّ أيمن، فصلّى ليلته تلك هو والفواطم، ويذكرونه ﴿قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم﴾[1]. فلن يزالوا كذلك حتّى طلع الفجر، فصلّى بهم صلاة الفجر، ثمّ سار لوجهه حتّى قدم المدينة، وقد نزل الوحي بما كان من شأنهم قبل قدومهم: ﴿الّذين يذكرون الله قياماً وقعوداً

---

(١) آل عمران: ١٩١.

وعلى جنوبهم ويتفكّرون في خلق السماوات والأرض ربّنا ما خلقت هذا باطلاً... فاستجاب لهم ربّهم إنّي لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أُنثى بعضكم من بعض...﴾[1] الذكر: عليّ عليه السلام والأُنثى: فاطمة ﴿وبعضكم من بعض﴾ عليّ من الفواطم، وهنّ من عليّ عليه السلام ﴿...فالّذين هاجروا وأُخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفّرنّ عنهم سيّئاتهم، ولأُدخلنّهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب﴾[2].

وتلا: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد﴾[3]، وقال له: يا عليّ أنت أوّل هذه الأُمّة إيماناً بالله ورسوله، وأوّلهم هجرة إلى الله ورسوله، وآخرهم عهداً برسوله[4].

«فاطأ» أي: أضع قدمي؛ قال تعالى: ﴿...وأرضاً لم تطؤوها...﴾[5] وقال الجوهري: الوطأة: موضع القدم، وهي أيضاً كالضغطة، وفي الحديث: اللهمّ اشدد وطأتك على مضر[6].

قلت: ما ذكره وهمٌ، فموضع القدم: الموطئ، لا الوطأة، كما أنّ الضغطة شدّة الوطأة، لا مطلقها كما قال.

«ذكره» أي: النبيّ صلى الله عليه وآله لاشتهار أمره في الطريق أيضاً.

«حتّى انتهيت إلى العرج» أحد المنازل الّتي كانت في الطريق.

وقد ذكر كاتب الواقدي في (طبقاته) منازل سلكها النبيّ صلى الله عليه وآله في هجرته

---

(١) آل عمران: ١٩١ ـ ١٩٥.

(٢) آل عمران: ١٩٥.

(٣) البقرة: ٢٠٧.

(٤) الأمالي لأبي علي الطوسي ٢: ٨٤ الجزء ١٦ والحديث طويل نُقل بتصرف.

(٥) الأحزاب: ٢٧.

(٦) صحاح اللغة للجوهري ١: ٨١ مادة (وطأ).

قبل العرج وبعده، فقال: وسلك النبيّ ﷺ في الخرّار ثمّ جاز ثنيّة المرة، ثمّ سلك لقفا، ثمّ أجاز مدلجة لقف، ثمّ استبطن مدلجة مجاج، ثمّ سلك مرجح مجاج، ثمّ بطن مرجح، ثمّ بطن ذات كشد، ثمّ على الحدائد، ثمّ على الأذاخر، ثمّ بطن ريغ فصلّى به المغرب، ثمّ ذا سلم، ثمّ أعدى مدلجة، ثمّ العثانية، ثمّ جاز بطن القاحة ثمّ هبط العرج، ثمّ سلك في الجدوات، ثمّ في الغابر عن يمين ركوبة، ثمّ هبط بطن العقيق حتّى انتهى الى الجثجاثة[١].

وأمّا وجه تسمية العرج بالعرج، فقال ابن الكلبي: لمّا رجع تبّع من قتال أهل المدينة يريد مكّة رأى دوابّ تعرج، فسمّاها العرج[٢]. وقال كثير: سمّي عرجاً لأنّه يعرج به عن الطريق[٣].

والعرج عرجان: عرجٌ من نواحي الطائف، وإليه ينسب العرجي، الشاعر الّذي يقول:

أضاعوني وأيّ فتىً أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

وعرجٌ بين مكّة والمدينة الوارد في كلامه عليه السلام؛ قال الأصمعي، في كتاب (جزيرة العرب) كما نقل عنه (المعجم): إنّ في نواحي الطائف وادياً يقال له: العرج، وهو غير العرج الّذي بين مكّة والمدينة عقبة بينهما على جادة الحاج، وجبلها متّصل بجبل لبنان[٤].

ومن العرج الثاني كان سعد العرجي دليل النبيّ ﷺ إلى المدينة.

وفي (الأسد): قيل لسعد: العرجي، لأنّه اجتمع مع النبيّ ﷺ بالعرج. روى عنه ابنه عبد الله أنّه قال: كنت دليل النبيّ من العرج إلى المدينة

(١) الطبقات لابن سعد ١ ق١: ١٥٧.

(٢) معجم البلدان للحموي ٤: ٩٨.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) معجم البلدان للحموي ٤: ٩٩ والنقل بتقطيع.

فرأيته يأكل متّكئاً...[١].

ووهم ابن أبي الحديد، فقال: العرج منزل بين مكّة والمدينة، وإليه ينسب العرجي الشاعر، وهو عبد الله بن عبد الله بن عمرو بن عثمان[٢].

فتراه توهم اتّحاد العرج، وانحصاره بما بين مكّة والمدينة، ونسبة العرجي الشاعر إليه مع أنّه لا ريب أنّه منسوب إلى عرج الطائف، كما صرّح به ابن قتيبة، والحموي، والحصري[٣]، وغيرهم، وإنّما سعد العرجي الصحابي منسوب إليه.

كما أنّ قوله: «العرجي عبد الله بن عبدالله بن عمرو» غلط آخر[٤]، وإنّما هو عبد الله بن عمر بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، كما صرّح به القتيبي والحموي[٥] وغيرهما.

وهجا العرجي هذا إبراهيم المخزومي فحبسه حتّى مات.

وغلط الجوهري والفيروزآبادي فيه غلطاً آخر فقالا: العرجي: عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان[٦].

فإنّ من قالا: جدّ العرجي، ويقال له: المطرف لا العرجي.

قول المصنّف «في كلام طويل» لم يذكره لخروجه عن موضوع كتابه.

---

(١) أُسد الغابة لابن الأثير ٢: ٢٨٧.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٨٨، وفيه «عبد الله بن عمرو بن عثمان».

(٣) الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٢٢٤ ومعجم البلدان للحموي ٤: ٩٨، والمشترك والمفترق: ٣٠٥، وزهر الآداب للحصري ١: ٥٥٨.

(٤) في شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٨٨ «عبد الله بن عمرو بن عثمان» كما ذكرنا، ويوافقه قول الحموي في المشترك، والجوهري والفيروزآبادي، كما سنذكر.

(٥) الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٢٢٤، ومعجم البلدان للحموي ٤: ٩٨ لكنّه قال في المشترك والمفترق: ٣٠٥ «عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان العرجي الشاعر» وقال ابن قتيبة: «عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان».

(٦) صحاح اللغة للجوهري ١: ٣٢٥ مادة (عرج) والقاموس المحيط للفيروز آبادي ١: ١٩٩ مادة (عرج).

«قوله عليه السلام: «فأطأ ذكره» من الكلام الّذي رمى به إلى غايتي الإيجاز والفصاحة» أي: هو كلام جمع بينهما.

«أراد عليه السلام أنّي كنت أعطي خبره صلى الله عليه وآله من بدء خروجي إلى أن انتهيت إلى هذا الموضع فكنّى عن ذلك» المعنى الطويل.

«بهذه الكناية العجيبة» المختصرة؛ ونظير كلامه عليه السلام قول عليّ بن خشرم لعليّ بن حجر:

ووافيت مشتاقاً على بعد شقّة   يسايرني في كلّ ركب له ذكر

وممّا يدخل في هذا الباب ما رواه (عيون ابن قتيبة) عن الأصمعي قال: قال شيخ من قضاعة: ضللنا مرّة الطريق فاسترشدنا عجوزاً، فقالت: استبطن الوادي، وكن سيلاً حتّى تبلغ[1].

وعن اعرابي قال: خرجت حيث انحدرت أيدي النجوم، وشالت أرجلها. فلم أزل أصدع الليل حتّى انصدع لي الفجر.

وعن آخر ذكر قوماً اتّبعوا قوماً أغاروا عليهم فقال: احتشوا كلّ جمالية عيرانة، فمازالوا يخصفون أخفاف المطي بحوافر الخيل حتّى أدركوهم بعد ثالثة، فجعلوا المران أرشية الموت، واستقوا بها أرواحهم.

وقال عبد العزيز بن زرارة لمعاوية: لم أزل أهزّ ذوائب الرحال إليك؛ إذ لم أجد معوّلاً إلّا عليك، امتطي الليل بعد النهار، وأسمّ المجاهل بالآثار، يقودني إليك أمل وتسوقني بلوى، والمجتهد يلوي، وإذا بلغتك فقطني.

٣٩
من الخطبة (١٥٨)

وَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ صلى الله عليه وآله كَافٍ لَكَ فِي ٱلْأُسْوَةِ، وَدَلِيلٌ لَكَ عَلَى ذَمِّ

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢: ٢١٢.

ٱلدُّنْيَا وَعَيْبِهَا، وَكَثْرَةِ مَخَازِيهَا وَمَسَاوِيهَا؛ إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَطْرَافُهَا... فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ ٱلْأَطْهَرِ، ﷺ، فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى، وَعَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى. وَأَحَبُّ ٱلْعِبَادِ إِلَى ٱللّٰهِ ٱلْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ، وَالْمُقْتَصُّ لِأَثَرِهِ. قَضَمَ ٱلدُّنْيَا قَضْماً، وَلَمْ يُعِرْهَا طَرْفاً، أَهْضَمُ أَهْلِ ٱلدُّنْيَا كَشْحاً، وَأَخْمَصُهُمْ مِنَ ٱلدُّنْيَا بَطناً، عُرِضَتْ عَلَيْهِ ٱلدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا، وَعَلِمَ أَنَّ ٱللّٰهَ تَعَالَى أَبْغَضَ شَيْئاً فَأَبْغَضَهُ، وَحَقَّرَ شَيْئاً فَحَقَّرَهُ، وَصَغَّرَ شَيْئاً فَصَغَّرَهُ.

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِينَا إِلّا حُبُّنَا مَا أَبْغَضَ ٱللّٰهُ وَرَسُولُهُ، وَتَعْظِيمُنا مَا صَغَّرَ ٱللّٰهُ وَرَسُولُهُ، لَكَفَى بِهِ شِقَاقاً لِلّٰهِ وَمُحَادَّةً عَنْ أَمْرِ ٱللّٰهِ، وَلَقَدْ كَانَ ﷺ يَأْكُلُ عَلَى ٱلْأَرْضِ، وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ ٱلْعَبْدِ، وَيَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ، وَيَرْقَعُ بيَده ثَوْبَهُ، وَيَرْكَبُ ٱلْحِمَارَ ٱلْعَارِيَ، وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ؛ وَيَكُونُ السِّتْرُ عَلَى بابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ التَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ: يَا فُلَانَةُ ـ لِإِحْدَى أَزْوَاجِهِ ـ غَيِّبِيهِ عَنِّي، فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنيا وَزَخَارِفَهَا. فَأَعْرَضَ عَنِ ٱلدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وَأَمَاتَ ذِكْرَها عِنْ نَفْسِهِ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ، لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً، وَلَا يَعْتَقِدَهَا قَرَاراً، وَلَا يَرْجُوَ فِيهَا مُقاماً، فَأَخْرَجَهَا مِنَ النَّفْسِ، وَأَشْخَصَهَا عَنِ ٱلْقَلْبِ، وَغَيَّبَهَا عَنِ ٱلْبَصَرِ.

وَكَذَا مَنْ أَبْغَضَ شَيْئاً أَبْغَضَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ، وَأَنْ يُذْكَرَ عِنْدَهُ؛ وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ مَا يَدُلُّكَ عَلَى مَسَاوِي ٱلدُّنْيَا وَعُيُوبِهَا؛ إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ، وَزُوِيَتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ، فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ بِعَقْلِهِ. أَكْرَمَ ٱللّٰهُ مُحَمَّداً ﷺ بِذَلِكَ أَمْ أَهَانَهُ؟ فَإِنْ قَالَ: أَهَانَهُ. فَقَدْ كَذَبَ وَأَتى بِالْإِفْكِ ٱلْعَظِيمِ، وَإِنْ قَالَ: أَكْرَمَهُ. فَلْيَعْلَمْ أَنَّ ٱللّٰهَ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطٍ له الدُّنْيَا، وَزَوَاهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ؛ فَتَأَسَّى مُتَأَسٍّ

بِنَبِيِّهِ، وَٱقْتَصَّ أَثَرَهُ، وَوَلَجَ مَوْلِجَهُ، وَإِلاَّ فَلاَ يَأْمَنِ ٱلْهَلَكَةَ، فَإِنَّ ٱللَّهَ جَعَلَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله عَلَماً لِلسَّاعَةِ، وَمُبَشِّراً بِالْجَنَّةِ، وَمُنْذِراً بِالْعُقُوبَةِ، خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا خَمِيصاً، وَوَرَدَ ٱلآخِرَةَ سَلِيماً، لَمْ يَضَعْ حَجَراً عَلَى حَجَرٍ، حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ، وَأَجابَ دَاعِيَ رَبِّهِ، فَمَا أَعْظَمَ مِنَّةَ ٱللَّهِ عِنْدَنَا حِينَ أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْنَا سَلَفاً نَتَّبِعُهُ، وَقَائِداً نَطَأُ عَقِبَهُ.

«وقد كان» هكذا في (المصرية)، والصواب: (ولقد كان) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخوئي والخطيّة)[١].

«في رسول الله صلى الله عليه وآله كاف لك في الأُسوة» أي: التأسّي؛ قال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أُسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾[٢].

«ودليل لك على ذمّ الدّنيا وعيبها» ﴿وما الحياة الدّنيا إلّا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للّذين يتّقون أفلا تعقلون﴾[٣]، ﴿إنّما الحياة الدّنيا لعب ولهو وإن تؤمنوا وتتّقوا يؤتكم أُجوركم ولا يسألكم أموالكم﴾[٤]، ﴿اعلموا إنّما الحياة الدّنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد... وما الحياة الدّنيا إلّا متاع الغرور﴾[٥].

«وكثرة مخازيها» جمع المخزية: اسم الفاعل من أخزى، أي: الخصلة القبيحة.

«ومساويها» أي: نقائصها ومعائبها.

---

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٥٠، وشرح الخوئي ٤: ٢٤٩ لكن في شرح ابن ميثم ٣: ٢٧٩ «وقد» أيضاً.

(٢) الأحزاب: ٢١.

(٣) الأنعام: ٣٢.

(٤) محمّد: ٣٦.

(٥) الحديد: ٢٠.

«إذ قبضت عنه أطرافها» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: ما أعجب النبيّ صلى الله عليه وآله شيء من الدّنيا إلّا أن يكون فيها جائعاً خائفاً[١].

وعنه عليه السلام خرج النبيّ صلى الله عليه وآله وهو محزون فأتاه ملك، ومعه مفاتيح خزائن الأرض، فقال: يا محمّد، هذه مفاتيح خزائن الأرض، يقول لك ربّك: افتح وخذ منها ما شئت من غير أن تنقص شيئاً عندي. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: الدّنيا دار من لا دار له، ولها يجمع من لا عقل له. فقال الملك: والّذي بعثك بالحقّ نبيّاً، لقد سمعت هذا الكلام من ملك يقوله في السماء الرابعة حين أُعطيت المفاتيح[٢].

«ووطئت» بالتشديد.

«لغيره أكنافها» أي: جوانبها.

«وفطم» أي: قطع.

«عن رضاعها» هكذا في (المصرية) ولكن في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخوئي والخطّيّة)[٣]: «من رضاعها». والفطيم بعد الفطم يبغض الثدي، فكان صلى الله عليه وآله يبغضها، وأمّا أهل الدّنيا فيحبّونها حبّ الرضيع للثدي؛ قال ابن همّام السلولي:

وذمّوا لنا الدّنيا وهم يرضعونها أفاويق حتّى ما يدرّ لها ثعل

«وزوي عن زخارفها» أي: عدل به عن زيناتها.

«فتأس بنبيك الأطيب الأطهر» هكذا في (المصرية وفي ابن أبي الحديد)[٤] ولكن في (الخطية): «بنبيك الأطهر الأطيب» وفي (ابن ميثم)[٥]: «بنبيك الأطهر»

---

(١) الكافي للكليني ٢: ١٢٩ ح٧، ٨.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) كذا في شرح الخوئي ٤: ٢٤٩ لكن في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٥٠، وشرح ابن ميثم ٣: ٢٧٩ «عن» أيضاً.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٥١.

(٥) لفظ شرح ابن ميثم ٣: ٢٨٠ مثل المصرية (أيضاً).

وحيث إنّ نسخته بخطّ المصنّف فما فيه هو الأظهر.

«فإنّ فيه أُسوة لمن تأسى» أي: حقيق لأن يتأسّى به.

«وعزاء» أي: أنّ فيه موضع انتساب.

«لمن تعزّى به» أي: أراد الانتساب إليه.

وأحبّ العباد إلى الله المتأسّي بنبيّه» قالوا: الأصل فيه قوله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله...﴾[1].

«والمقتصّ» أي: المتّبع.

«لأثره» فيفعل ما فعل ﷺ، ويترك ما ترك ﷺ.

«قضم الدّنيا قضماً» أي: قنع منها بقدر الضرورة، فقالوا: الخضم الأكل بجميع الفم، والقضم دونه؛ قال أعرابي قدم على ابن عمّ له بمكة: هذه بلاد مقضم، وليست ببلاد مخضم.

قال ابن أبي الحديد: وروي: «قصم الدّنيا قصماً»[2].

قلت: وهو الأنسب بقوله عليه السلام بعد «ولم يعرها طرفاً». وقالوا: الفصم كسر غير بيّن، والقسم كسر بيّن، وتفسير ابن أبي الحديد[3] له بمطلق الكسر في غير محلّه.

«ولم يعرها» أي: لم يعطها عارية.

«طرفاً» أي: نظراً بمؤخّر العين، فعلم أنّها ما تعدل عند الله جناح بعوضة، وإلّا لما سقى الكافر منها شربة ماء.

«أهضم» أي: أخفض.

---

(١) آل عمران: ٣١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٥٢.

(٣) المصدر نفسه.

«أهل الدّنيا كشحاً» قال الجوهري: الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف[١]؛ قال طرفة:

وأنّ له كشحاً إذا قام أهضما[٢]

«وأخمصهم» أي: أضمرهم، وأرقّهم.

«من الدّنيا بطناً» قال:

كلوا في بعض بطنكم تعفّوا فإنّ زمانكم زمن خميص

وفي الخبر: كان النبيّ ﷺ إذا تغدّى لا يتعشى، وإذا تعشّى لا يتغدّى، وكان ﷺ ما شبع من خبز شعير قطّ، وما أكل خبز بر قطّ، وقد يلصق بطنه بظهره من شدّة الجوع[٣].

وفي (عرائس الثعلبي) بإسناده عن جابر الأنصاري: أنّ النبيّ ﷺ أقام أيّاماً لم يطعم طعاماً حتّى شقّ ذلك عليه، فطاف في منازل أزواجه فلم يصب في بيت أحد منهنّ شيئاً، فأتى فاطمة عليها السلام فقال: يا بنيّة هل عندك شيء آكل فإنّي جائع؟ فقالت: لا والله بأبي أنت وأُمّي فلمّا خرج النبيّ ﷺ من عندها بعثت إليها جارة لها برغيفين، وبضعة لحم. فأخذته منها ووضعته في جفنة، وغطّت عليه، وقالت: لأوثرنّ بها رسول الله ﷺ على نفسي، ومن عندي. وكانوا جميعاً محتاجين إلى شبعة من طعام، فبعثت حسناً وحسيناً إلى جدّهما رسول الله ﷺ فرجع إليها، فقالت: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله ﷺ قد أتانا الله بشيء فخبأته لك. قال: فهلمّي به. فأُتي به فكشف عن الجفنة فإذا هي مملوءة خبزاً ولحماً. فلمّا نظرت إليه بهتت، وعرفت أنّها من بركة الله،

---

(١) صحاح اللغة للجوهري ١: ٣٩٩ مادة (كشح).

(٢) لسان العرب ١٢: ٦١٤ مادة (هضم) وصدره: ولا خير فيه غير انّ له غنى.

(٣) الطبقات لابن سعد ١ ق ٢: ١١٣، والتهذيب للنووي ١ ق ١: ٣٢ ومكارم الأخلاق للطبرسي: ٢٨.

فحمدت الله تعالى وصلّت على نبيّه. فقال صلى الله عليه وآله: من أين لك هذا يا بنيّة؟ قالت: ﴿هو من عند الله إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾[1]، فحمد النبيّ صلى الله عليه وآله وقال: الحمد لله الذي جعلك شبيهة بسيّدة نساء بني إسرائيل، فإنّها كانت إذا رزقها الله رزقاً حسناً، فسئلت عنه ﴿قالت هو من عند الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾[2].

«عرضت عليه الدّنيا فأبى أن يقبلها» قال الرضا عليه السلام: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: أتاني ملك، فقال: يا محمّد إنّ ربّك يقرئك السلام ويقول لك: إن شئت جعلت لك بطحاء مكّة ذهباً. فرفع رأسه إلى السماء فقال: ياربّ أشبع يوماً فأحمدك، وأجوع يوماً فأسألك[3].

«وعلم أنّ الله سبحانه أبغض شيئاً فأبغضه» في (الكافي): عن الصادق عليه السلام في مناجاته تعالى لموسى عليه السلام: إنّ الدنيا دار عقوبة عاقبت فيها آدم عند خطيئته، وجعلتها ملعونة، ملعون ما فيها إلّا ما كان فيها لي ...[4].

«وحقّر شيئاً فحقّره وصغّر شيئاً فصغّره» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: مرّ النبيّ صلى الله عليه وآله بجدي أسكّ (أي مقطوع الأُذنين) ملقىً على مزبلة ميتاً، فقال لأصحابه: كم يساوي هذا؛ فقالوا: لعلّه لو كان حيّاً لم يساو درهماً. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: والّذي نفسي بيده للدّنيا أهون على الله من هذا الجدي على أهله[5].

---

(١) آل عمران: ٣٧.

(٢) العرائس للثعلبي: ٣٧٣.

(٣) أخرجه صاحب صحيفة الرضا عليه السلام فيها: ٥٧ ح٧٥، والصدوق في عيون الأخبار ٢: ٢٩ ح٣٦، والمفيد في أماليه: ١٢٤ ح١ المجلس (١٥) عن الرضا عن آبائه عن النبيّ صلى الله عليه وآله، وأخرجه الترمذي في سننه ٤: ٥٧٥ ح٢٣٤٧، وأحمد في مسنده ٥: ٢٥٤ عن أبي أمامة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وفي الباب عن الحسن والصادق عليهما السلام.

(٤) الكافي للكليني ٢: ٣١٧ ح٩، وعقاب الأعمال للصدوق: ٢٦٣ ح١، ومشكاة الأنوار للطبرسي: ٢٧٠.

(٥) الكافي للكليني ٢: ١٢٩ ح٩، وقريباً منه التنبيه للورام ١: ١٢٨.

«ولو لم يكن فينا إلّا حبّنا ما أبغض الله ورسوله وتعظيمنا ما صغّر الله ورسوله» هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد)[1]، وليس في (ابن ميثم والخطيّة)[2] كلمة (ورسوله) في الموضعين، وهو الأصح.

«لكفى شقاقاً» أي: خلافاً، وفي كوننا في غير شقه تعالى.

«لله ومحادّة» أي: مخالفة، وكوننا في حدّ آخر.

«عن أمر الله» وما يريده منّا؛ وفي الخبر: مرّ موسى عليه السلام برجل يبكي، فقال: إلهي عبدك يبكي من مخافتك، فقال: يا موسى لو نزل دماغه مع دموع عينيه لم أغفر له، وهو يحبّ الدّنيا[3].

وعنهم عليهم السلام: حبّ الدّنيا رأس كلّ خطيئة[4].

وعن الباقر عليه السلام: إيّاك أن تطمح بصرك إلى من هو فوقك. فكفى بما قال الله تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم...﴾[5]، وقال: ﴿ولا تمدّن عينيك إلى ما متّعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدُّنيا...﴾[6] فإن دخلك من ذلك شيء فاذكر عيش رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنّما كان قوته الشعير، وحلوه التمر، ووقوده السعف إذا وجده[7].

---

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٥١، ولكن توجد الكلمة في شرح ابن ميثم ٣: ٢٨٠ أيضاً.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) التنبيه للورام ١: ١٣٤ وغيره، والنقل بالتلخيص.

(٤) حديث مشهور أخرجه البيهقي في الشعب عنه الجامع الصغير ١: ١٤٦، ورواه الورام في التنبيه ١: ١٢٨ عن النبيّ صلى الله عليه وآله، وأخرجه الكليني في الكافي ٢: ٣١٥ ح١، والصدوق في الخصال: ٢٩ ح٨٧، وأبو جعفر الطوسي في أماليه ٢: ٢٧٥ المجلس ١٧ وغيرهم عن الصادق عليه السلام.

(٥) التوبة: ٥٥.

(٦) طه: ١٣١.

(٧) أخرجه الكليني في الكافي ٢: ١٣٧ ح١ عن الباقر عليه السلام، والقمي في تفسيره ٢: ٦٦، وأبو جعفر الطوسي في أماليه ٢: ٢٩٤ المجلس ٢٠ ورواه الطبرسي في مجمع البيان ٧: ٣٦ عن الصادق عليه السلام والطبرسي في المصدر موقوفاً عن

وقالوا: وقف صوفي على إبراهيم بن أدهم فقال: يا أبا إسحاق لِمَ حُجبت القلوب عن الله عزّوجلّ؟ قال: لأنّها أحبّت ما أبغض الله، أحبّت الدّنيا، ومالت إلى دار الغرور، وتركت العمل لدار فيها حياة الأبد.

«ولقد كان صلى الله عليه وآله يأكل على الأرض ويجلس جلسة العبد» في (عيون القتيبي): عن قيس بن أبي حازم: جاء رجل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فأصابته رعدة. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: هوّن عليك فإنّما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد[1].

وفي الخبر: مرّت امرأة بذيّة على النبيّ صلى الله عليه وآله وكان جالساً جلسة العبيد، فقالت: يا محمّد إنّك تجلس جلسة العبيد؟ فقال: وأيّ عبد أعبد منّي[2].

وفي (الأُسد) عن أبي أُمامة، قال: بينما نحن مع النبيّ صلى الله عليه وآله إذ لحقنا عمرو بن زرارة الأنصاري في حلة إزار ورداء، وقد أسبل، فجعل النبيّ صلى الله عليه وآله يأخذ بحاشية ثوبه، ويتواضع لله عزّوجلّ ويقول: اللّهمّ عبدك وابن عبدك وابن أمتك؛ حتّى سمعها عمرو بن زرارة فالتفت إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله إنّي حمش الساقين. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ الله قد ﴿أحسن كلّ شيء خلقه﴾[3] يا عمرو بن زرارة، إنّ الله لا يحبّ المسبلين[4].

قلت: الظاهر أنّ مراد عمرو في قوله: إنّي حمش الساقين: إنّي أسلبت لأستر حمشهما.

وفي الخبر: كان النبيّ صلى الله عليه وآله يجيب دعوة العبد، ويدعى إلى خبز الشعير

أُبي بن كعب.

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ١: ٢٦٥.

(٢) أخرجه الكليني في الكافي ٦: ٢٧١ ح ٢، والاهوازي في الزهد: ١١ ح ٢٢، والبرقي في المحاسن: ٤٥٧ ح ٣٨٨، ورواه الطبرسي في مكارم الأخلاق: ١٦ والنقل بتلخيص وقد مرّ الحديث في العنوان ٦ من الفصل الخامس.

(٣) السجدة: ٧.

(٤) أُسد الغابة لابن الأثير ٤: ١٠٣.

والاهالة السنخة، فيجيب[١].

وفي (السيرة) ـ في حديث قدوم عدي بن حاتم على النبيّ صلى الله عليه وآله لإسلامه ـ قال عدي: فانطلق بي النبيّ صلى الله عليه وآله إلى بيته، إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة، فاستوقفته، فوقف لها طويلاً تكلّمه في حاجتها. فقلت في نفسي: ما هذا بملك. ثمّ مضى بي حتّى دخل بيته تناول وسادة محشوّة ليفاً، فقذفها إليّ، وقال: اجلس على هذه. قلت: بل أنت. قال: بل أنت. فجلست عليها، وجلس بالأرض. فقلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك. ثمّ قال: أيه يا عدي بن حاتم ألم تك ركوسياً؟ ـ قيل: الركوسي دين بين النصارى والصابئين ـ قلت: بلى. قال: أوَلم تك تسير في قومك بالمرباع قلت: بلى. قال: فإنّ ذلك لا يحلّ لك في دينك. قلت: أجل، وعرفت أنّه نبيّ مرسل يعلم ما يُجهل...[٢].

«ويخصف بيده نعله ويرقع بيده ثوبه» وقد يكل ذلك إليه عليه السلام، وحديث خاصف النعل معروف[٣].

«ويركب الحمار العاري» في (تفسير القمي) ـ في غزوة الخندق في مجيء حي بن أخطب إلى كعب بن أسيد، رئيس بني قريظة، ليحمله على نقض العهد بينه وبين النبيّ صلى الله عليه وآله لتجمع أحزاب قريش وغيرهم عليه ـ فقال كعب لبني

---

(١) النهاية لابن الأثير ١: ٨٤ مادة (اهل) بفرق يسير، والمعنى روي كثيراً.

(٢) السيرة لابن هشام ٤: ١٦٨ وغيره، والنقل بتلخيص.

(٣) لحديث خاصف النعل روايتان: الأُولى أخرجها الترمذي في سننه ٥: ٦٣٤ ح٣٧١، والنسائي في الخصائص: ٦٨، وابن عساكر في ترجمة علي عليه السلام ٢: ٣٦٦ ح٨٧٣، وغيرهم عن النبيّ صلى الله عليه وآله، واللفظ للترمذي: «يا معشر قريش لتنتهنّ أو ليبعثنّ الله عليكم من يضرب رقابكم بالسيف على الدّين، قد امتحن الله قلبه على الايمان... قال: هو خاصف النعل. وكان أعطى علياً نعله يخصفها»، والثانية أخرجها أحمد بطريقين في مسنده ٣: ٣٣، ٨٢، والنسائي في الخصائص: ١٣١، وابن عساكر بطرق في ترجمة علي عليه السلام ٣: ١٦٣ ـ ١٧٢ ح١١٧٨ ـ ١١٩١ وغيرهم عن النبيّ صلى الله عليه وآله، واللفظ لأحمد: «إنّ منكم من يقاتل على تأويله (أي القرآن) كما قاتلت على تنزيله، قال: فقام أبو بكر وعمر. فقال: لا ولكن خاصف النعل، وعلي يخصف نعله».

قريظة: ماتريدون؟ قالوا: أنت سيّدنا والمطاع فينا وأنت صاحب عهدنا، فإن نقضت نقضنا، وإن أقمت أقمنا معك، وإن خرجت خرجنا معك. فقال الزبير بن ياطا ـ وكان شيخاً كبيراً مجرّباً قد ذهب بصره ـ قد قرأت التوراة الّتي أنزلها الله في سفرنا بأنّه يبعث نبيّاً في آخر الزمان يكون مخرجه بمكّة، ومهاجرته بالمدينة إلى البحيرة، يركب الحمار العريّ، ويلبس الشملة، ويجتزي بالكسيرات والتميرات، وهو الضحوك القتّال، في عينيه الحمرة، وبين كتفيه خاتم النبوّة، يضع سيفه على عاتقه، لا يبالي من لاقاه، يبلغ سلطانه منقطع الخف والحافر. فإن كان هذا هو فلا يهولنّه هؤلاء وجمعهم، ولو ناوته هذه الجبال الرواسي لغلبها. فقال حي: ليس هذا ذلك، وذلك النبيّ من بني إسرائيل، وهذا من العرب من ولد إسماعيل، ولا يكون بنو إسرائيل أتباعاً لولد إسماعيل أبداً[1].

وفيه أيضاً ـ بعد ذكر ظفر النبيّ صلى الله عليه وآله ببني قريظة: فأخرج كعب بن أُسيد مجموعة يديه إلى عنقه، وكان جميلاً وسيماً. فلمّا نظر إليه النبيّ صلى الله عليه وآله قال له: يا كعب أما نفعتك وصيّة ابن الحوّاس الحبر الذكي الّذي قدم عليكم من الشام فقال: تركت الخمر والخنزير، وجئت إلى البؤس والتمور لنبي يبعث، مخرجه بمكّة، ومهاجرته في هذه البحيرة، يجتزي بالكسيرات والتمرات، ويركب الحمار العريّ، في عينيه حمرة، بين كتفيه خاتم النبوّة، يضع سيفه على عاتقه، لا يبالي من لاقى منكم، يبلغ سلطانه منقطع الخف والحافر؟ فقال: قد كان ذلك يا محمّد، ولولا أنّ اليهود يعيّروني أنّي جزعت عند القتل لآمنت بك وصدّقتك، ولكنّي على دين اليهود عليه أحيى، وعليه أموت[2].

«ويردف خلفه» روى الواحدي عن عروة بن الزبير أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله سار

(١ و ٢) تفسير القمي ٢: ١٨٠، ١٩١.

يعود سعد بن عبادة، فركب حماراً على قطيفة فدكيّة، وأردف أُسامة خلفه[١].

وفي (أنساب البلاذري): وقف النبيّ صلى الله عليه وآله بعرفات وهو مردف أُسامة بن زيد، وكان أُسامة يدعى الردف، لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يردفه كثيراً[٢].

وعن (الصحيحين): أردف النبيّ صلى الله عليه وآله الفضل بن العبّاس من مزدلفة إلى منى[٣].

وعن ابن مندة: عدّ من أردفه النبيّ صلى الله عليه وآله إلى ثلاثة وثلاثين نفراً[٤].

«ويكون الستر على باب بيته تكون فيه التصاوير فيقول: يا فلانه ـ لإحدى أزواجه ـ غيّبيه عنّي» روى الخطيب في محمّد بن حمويه عن عايشة أنّها اشترت نمرقة فيها تصاوير، فلمّا رآها النبيّ صلى الله عليه وآله قام بالباب ولم يدخل، فعرفت عائشة وأنكرت وجهه، فقالت: يا رسول الله تبت إلى الله، ماذا أذنبت؟ فقال: ما هذه النمرقة؟ قالت: اشتريتها لك تجلس عليها وتوسّدها. فقال: إنّ أصحاب هذه الصور يعذّبون يوم القيامة؛ يقال لهم: أحيوا ما خلقتم، وإنّ البيت الّذي فيه الصور لا تدخله الملائكة[٥].

وروى (سنن أبي داود) عن عايشة قالت: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله خرج في بعض مغازيه. فأخذت نمطاً كان لنا فسترته على العرض، فلمّا جاء أتى النمط حتّى

---

(١) أخرجه الواحدي في أسباب النزول: ٩٠ وأحمد بثلاث طرق في مسنده ٥: ٢٠٣ والنقل بالمعنى.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري ١: ٤٧٠، ٤٦٩.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ١: ٢٩٢، ومسلم في صحيحه ٢: ٩٣١ ح٢٦٧، والترمذي في سننه ٣: ٢٦٠ ح٩١٨، والنسائي في سننه ٥: ٢٦٧، وابن ماجه في سننه ٢: ١٠٢٢ ح٣٠٧٤، الدارمي في سننه ٢: ٤٥، وأحمد في مسنده ١: ٢١٦، وابن سعد في الطبقات ٢ ق١: ١٢٩، ورواه القاضي الصعدي في درر الأحاديث: ٨٧ بعضهم عن طرق كثيرة، وحول الحديث بحث عن الباقر عليه السلام أخرجه في بعض نسخ فقه الرضا عنه المستدرك ٢: ١١٧ ح٤.

(٤) لم أظفر بمرجع نقله.

(٥) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٢: ٢٩٣، وصحيح مسلم ٣: ١٦٦٩ ح٩٦ بفرق يسير، والموطأ لمالك: ٧٢٦، ومسند أحمد ٦: ٢٤٦، وروي معناه كثيراً.

هتكه، ثمّ قال: إنّ الله لم يأمرنا في ما رزقنا أن نكسو الحجارة واللبن. فقطعته، وجعلته وسادتين وحشوتهما ليفاً، فلم ينكر ذلك عليّ[1].

«فإنّي إذا نظرت إليه ذكرت الدّنيا وزخارفها» قال تعالى له: ﴿ولا تمدّن عينيك إلى ما متّعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدّنيا لنفتنهم ورزق ربّك خير وأبقى﴾[2].

«فأعرض عن الدّنيا بقلبه، وأمات ذكرها عن نفسه» عنه عليه السلام: كان فراش النبيّ صلى الله عليه وآله عباءة، وكانت مرفقته أدم حشوها ليف، فثنيت له ذات ليلة، فلمّا أصبح قال: لقد منعني الفراش الليلة من الصلاة فأمر أن يجعل بطاق واحد[3].

«وأحبّ أن تغيب زينتها عن عينه لكيلا يتّخذ منها رياشاً» أي: زينة وتجمّلاً، والأصل فيه ريش الطائر؛ قال جرير:

فريشي منكم وهواي معكم ... وإن كانت زيارتكم لماما[4]

«ولا يعتقدها قراراً» قال مؤمن آل فرعون: ﴿يا قوم إنّما هذه الحياة الدّنيا متاع وإنّ الآخرة هي دار القرار﴾[5].

«ولا يرجو فيها مقاماً» روى (الكافي) عنه صلى الله عليه وآله قال: ما لي وللدنيا، إنّما مثلي ومثلها كمثل الراكب رفعت له شجرة في يوم صائف فقال تحتها ثمّ راح وتركها[6].

قوله صلى الله عليه وآله «فقال» أي: أتى بالقيلولة من: قال يقيل.

---

(١) سنن أبي داود ٤: ٧٣ ح٤١٥٣، وصحيح مسلم ٣: ١٦٦٦ ح٨٧، وروي معناه كثيراً.

(٢) طه: ١٣١.

(٣) أخرج هذا المعنى بطرق كثيرة ابن سعد في الطبقات ١ ق٢: ١٥٧.

(٤) أساس البلاغة: ١٨٦ مادة (ريش).

(٥) غافر: ٣٩.

(٦) الكافي للكليني ٢: ١٣٤ ح١٩، والروضة للفتال ٢: ٤٤٠، ورواه الطبرسي بطريقين في مشكاة الأنوار: ٢٦٤، ٢٦٥.

«فأخرجها من النفس وأشخصها» أي: أذهبها.

«عن القلب» اللام في القلب بدل عن المضاف إليه. أي: قلبه كالنفس والبصر في ما مضى، ويأتي.

«وغيّبها عن البصر» والمراد إعراضه عنها ظاهراً وباطناً، فبعض يمكن ألّا تكون الدّنيا متمكنة من قلوبهم، لكن أوضاع الدنيا لهم منبسطة، وهو غير مذموم، وبعض بالعكس وهو مذموم، والأوّل كالغنيّ الزاهد، والثاني كالفقير الحريص. والممدوح إذهابها عن القلب والبصر، كما فعل صلى الله عليه وآله، وقد قال تعالى له: ﴿فأعرِض عمّن تولّى عن ذكرنا ولم يرد إلّا الحياة الدُّنيا﴾[1].

«وكذا من أبغض شيئاً أبغض أن ينظر إليه وأن يذكر عنده» قالوا: اجتمعت عدّة من الفقهاء والزهاد عند رابعة العدوية فذمّوا الدّنيا وهي ساكتة، فلمّا فرغوا قالت: من أحبّ شيئاً أكثر من ذكره إمّا بحمد، وإمّا بذمّ. فإنّ كانت الدّنيا في قلوبكم لا شيء فلِمَ تذكرونها؟

«ولقد كان في رسول الله صلى الله عليه وآله ما يدلّك على مساوي الدّنيا وعيوبها» كما أنّ في عمل الدّنيا مع المنقطعين عن الله أيضاً ما يدلّ على نقائصها، إذ يكونون فيها مرفّهين.

«إذ جاع فيها مع خاصّته» ﴿ويطعمون الطعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾[2].

«وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته» أي: قربته إلى الله تعالى ودرجته عنده.

«فلينظر ناظر بعقله» الّذي يحكم بالحقّ، ولا ينظر بهواه الّذي

---

(١) النجم: ٢٩.

(٢) الانسان: ٨.

يحبّ الباطل.

«أكرم الله محمّداً صلى الله عليه وآله بذلك أم أهانه» ناظر إلى قوله تعالى: ﴿فأمّا الإنسان إذا ما ابتلاه ربّه فأكرمه ونعّمه فيقول ربّي أكرمنِ * وأمّا إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربّي أهانن﴾[1].

«فإن قال: أهانه» بأخذ الدّنيا عنه.

«فقد كذب» في قوله.

«وأتى بالإفك العظيم، وإن قال: أكرمه» بذلك.

«فليعلم أنّ الله أهان غيره حيث بسط الدّنيا له وزواها» أي: عدل بها.

«عن أقرب الناس منه» في الخبر: استسقى النبيّ صلى الله عليه وآله اللبن من راع فمنعه، ومن راع آخر، فبعث إليه بموجوده من اللبن، وما قدر عليه من الحلب مع شاة. فدعا للأوّل بكثرة ماله وولده، وللثاني بالكفاف، فعجب النّاس، وقالوا: دعوت للّذي ردّك بدعاء تحبّه عامّتنا، ودعوت للّذي أسعفك بحاجتك بدعاء جميعنا نكرهه؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ ما قلّ وكفى خير ممّا كثر وألهى، اللهمّ ارزق محمّداً وآل محمّد الكفاف[2].

وفي (تاريخ الجزري): لمّا فرغ عبد الرحمن الناصر الأُموي صاحب الأندلس من بناء [الزهراء] وقصورها وقد قعد في قبّة مزخرفة بالذهب والبناء البديع الّذي لم يسبق إليه، فقال لمن معه من الأعيان: هل بلغكم أنّ أحداً بنى مثل هذا البناء؟ فأثنى الجميع بأنّهم لم يروا، ولم يسمعوا بمثله إلّا القاضي منذر بن سعيد فإنّه سكت. فقال له الناصر: لِمَ لا تنطق أنت؟ فبكى وقال: ما كنت أظنّ أنّ الشيطان يبلغ منك هذا المبلغ حتّى أنزلك منازل الكافرين؛ قال

---

(١) الفجر: ١٥ ـ ١٦.

(٢) الكافي للكليني ٢: ١٤٠ ح ٤ عن السجاد عليه السلام والنقل بتلخيص.

تعالى: ﴿ولولا أن يكون الناس أمّة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضّة ومعارج عليها يظهرون * ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتّكئون * وزخرفاً وإن كلّ ذلك لمّا متاع الحياة الدّنيا والآخرة عند ربّك للمتّقين﴾[1].

«فتأسّى متأسٍّ بنبيّه» أمرٌ بصورة الخبر، أي: ليقتد مقتد بنبيّه؛ قال مصعب بن الزبير:

وإنّ الأُلى بالطف من آل هاشم تأسّوا فسنّوا للكرام التآسيا[2]

«واقتصّ» أي: اتّبع.

«أثره» في ترجيح الآخرة.

«وولج مولجه» أي: دخل مدخله.

«وإلّا فلا يأمن الهلكة» لانحصار النجاة باتّباعه.

«فإنّ الله جعل محمّداً علماً للساعة» مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وإنّه لعلم للساعة...﴾[3] وإن قالوا: إنّ المراد بالآية نزول عيسى عليه السلام من السماء.

«ومبشّراً بالجنّة، ومنذراً بالعقوبة» ﴿نبّئ عبادي أنّي أنا الغفور الرحيم * وأنّ عذابي هو العذاب الأليم﴾[4].

«خرج من الدنيا خميصاً» ضامر البطن.

«وورد الآخر سليماً» كما قال تعالى: ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون * إلّا من أتى الله بقلبٍ سليم﴾[5].

---

(١) الكامل لابن الأثير الجزري ٨: ٦٧٤ سنة ٣٦٦ والنقل بتلخيص، والآيات ٣٣ ـ ٣٥ من سورة الزخرف.

(٢) لسان العرب ١٤: ٣٥ مادة (أسا).

(٣) الزخرف: ٦١.

(٤) الحجر: ٤٩ ـ ٥٠.

(٥) الشعراء: ٨٨ ـ ٨٩.

«لم يضع حجراً على حجر حتّى مضى لسبيله، وأجاب داعي ربّه» بارتحاله؛ روى كاتب الواقدي عن عطاء الخراساني قال: أدركت حجر أزواج النبيّ ﷺ من جريد النخل على أبوابها المسوح من شعر أسود. فحضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يُقرأ، يأمر بإدخال حجر أزواج النبيّ ﷺ في مسجد رسول الله ﷺ، فما رأيت أكثر باكياً من ذلك اليوم. قال عطاء: فسمعت سعيد بن المسيّب يقول يومئذ: والله لوددت أنّهم تركوها على حالها ينشأ ناشئ من أهل المدينة ويقدم القادم من الأُفق، فيرى ما اكتفى به النبيّ ﷺ في حياته، فيكون ذلك مما يزهّد الناس في التكاثر والتفاخر. فلمّا فرغ عطاء الخراساني من حديثه قال عمر بن أبي أنس: كان منها أربعة أبيات بلبن لها حجر من جريد، وكانت خمسة أبيات من جريد مطيّنة لا حجر لها، على أبوابها مسوح الشعر ذرعت الستر، فوجدته ثلاث أذرع في ذراع[1].

«فما أعظم منّة الله عندنا حين أنعم به» أي: بالنبيّ ﷺ.

«علينا سلفاً نتّبعه وقائداً نطأ عقبه» ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾[2].

٤٠
من الخطبة (١٠٧)

ومنها في ذكر النبيّ ﷺ:

قَدْ حَقَّرَ ٱلدُّنْيَا وَصَغَّرَهَا، وَأَهْوَنَهَا وَهَوَّنَهَا، وَعَلِمَ أَنَّ ٱللّٰهَ زَوَاهَا عَنْهُ ٱخْتِيَاراً، وَبَسَطَهَا لِغَيْرِهِ ٱحْتِقَاراً، فَأَعْرَضَ عَنْهَا بِقَلْبِهِ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا عَنْ

---

(١) الطبقات لابن سعد ١ ق ٢: ١٨١.

(٢) آل عمران: ١٦٤.

نَفْسِهِ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ لِكَيْلاَ يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً، أَوْ يَرْجُوَ فِيهَا مَقاماً. بَلَّغَ عَنْ رَبِّهِ مُعْذِراً، وَنَصَحَ لأُمَّتِهِ مُنْذِراً، وَدَعَا إِلَى الْجَنَّةِ مُبَشِّراً.

قول المصنّف «ومنها في ذكر النبيّ صلى الله عليه وآله» هكذا في (المصرية) والصواب: (منها في ذكر النبيّ صلى الله عليه وآله) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[١].

«قوله عليه السلام: قد حقّر الدّنيا وصغّرها» أي: عدّها حقيرة صغيرة.

«وأهونها» لم يقل عليه السلام وأهانها للازدواج بينه وبين قوله عليه السلام:

«وهوّنها» كما في (مازورات) مع (ماجورات) وإلّا فالواجب (موزورات) أي: عدّها هوناً، وجمعه عليه السلام بينهما للمبالغة؛ قال ابن قتيبة في (أدب كاتبه): وتدخل فعّلت على أفعلت إذا أردت تكثير العمل والمبالغة تقول: أجدت وجوّدت، وأغلقت الأبواب وغلّقت، وأقفلت وقفّلت[٢]، وفي مثل: [هان على الأملس ما لاقى الدبر][٣] وفي آخر: [أهون من قعيس عمّته][٤].

هذا، وقال ابن أبي الحديد في قوله عليه السلام: وصغّرها: المراد عند غيره ليكون قوله [وأهون بها وهوّنها] مطابقاً له، أي: أهون هو بها وهوّنها عند غيره[٥]، وهو كما ترى، فلم يعلم صحّة ما نقل أوّلاً وصحّة استعمال (أهون بها) ثانياً، وكون المراد ما ذكر ثالثاً، فإنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وإن صغّر الدّنيا عند غيره، إلّا أنّ المراد هنا تصغيره لها عند نفسه كتحقيره لها، لأنّه عليه السلام في مقام

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٣٥ لكن في شرح ابن ميثم ٣: ٧١ مثل المصرية.

(٢) أدب الكاتب لابن قتيبة: ٣٥٤.

(٣) المستقصى للزمخشري ٢: ٣٨٩.

(٤) مجمع الأمثال للميداني ٢: ٤٠٧، والمستقصى للزمخشري ١: ٤٤٧.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٣٥.

بيان صفة زهده صلى الله عليه وآله في الدنيا، كما يشهد به قوله عليه السلام هنا: «وعلم أنّ الله زواها عنه اختياراً وبسطها لغيره احتقاراً» وقوله عليه السلام الّذي سبق شرحه: «وعلم أنّ الله سبحانه أبغض شيئاً فأبغضه، وحقّر شيئاً فحقّره، وصغّر شيئاً فصغّره»[١].

«وعلم أنّ الله زواها» أي: عدل بها.

«عنه اختياراً» مفعول له لقوله «زوى» أي: زواها عنه باختياره تعالى له الأصلح، لا منصوب بنزع الخافض لقوله «وعلم»، كما يفهم من ابن أبي الحديد حيث قال: «اختياراً»، أي: باختيار من النبيّ صلى الله عليه وآله[٢].

«وبسطها لغيره احتقاراً» قال تعالى: ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنّما يريد الله ليعذّبهم بها في الحياة الدّنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾[٣]، وقال جلّ وعلا ﴿ولا تمدّن عينيك إلى ما متّعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدّنيا لنفتنهم فيه ورزق ربّك خير وأبقى﴾[٤]، وقال عزّ اسمه: ﴿ولولا أن يكون النّاس أُمّة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضّة ومعارج عليها يظهرون * ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتّكئون * وزخرفاً وإن كلّ ذلك لمّا متاع الحياة الدّنيا﴾[٥].

«فأعرض عنها» هكذا في (المصريّة) والصواب: (فأعرض عن الدّنيا) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّيّة)[٦]؛ وإعادة الاسم الظاهر

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٣٥.

(٢) مرّ في العنوان ٣٩ من هذا الفصل.

(٣) التوبة: ٥٥.

(٤) طه: ١٣١.

(٥) الزخرف: ٣٣ ـ ٣٥.

(٦) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٣٥ لكن في شرح ابن ميثم ٣: ٧١ مثل المصرية أيضاً.

لبيان الأهميّة.

«بقلبه وأمات ذكرها عن نفسه، وأحبّ أن تغيب زينتها عن عينه» الفقرات الثلاث من قوله: «فأعرض ـ إلى ـ عن عينه» مرّت في سابقه، بل والفقرتان بعدها أيضاً كما يأتي[1]؛ وكيف كان، عن السجّاد عليه السلام: ما من عمل بعد معرفة الله تعالى، ومعرفة رسوله أفضل من بغض الدّنيا، فإنّ لذلك شعباً كثيرة، وللمعاصي شعباً... فاجتمعن كلهنّ في حبّ الدّنيا، فقال الأنبياء والعلماء بعد ذلك: حبّ الدّنيا رأس كلّ خطيئة[2].

وعن الصادق عليه السلام: قال تعالى لموسى عليه السلام: إنّ الدّنيا دار عقوبة عاقبت فيها آدم عليه السلام عند خطيئته، وجعلتها ملعونة، ملعون ما فيها إلّا ما كان فيها لي يا موسى إنّ عبادي الصالحين زهدوا في الدّنيا بقدر علمهم وسائر الخلق رغبوا فيها بقدر جهلهم[3].

«لكيلا يتّخذ منها رياشاً أو يرجو فيها مقاماً» مرّ في سابقه: «لكيلا يتّخذ منها رياشاً، ولا يعتقدها قراراً، ولا يرجو فيها مقاماً»[4].

«بلّغ عن ربّه معذراً» حتّى لم يبق لأحد عذر في المخالفة.

«ونصح لأُمّته منذراً» لهم من عذاب الله بالمعصية.

«ودعا إلى الجنّة مبشّراً» بنعمه العالية بالإطاعة؛ قال أبو جعفر الباقر عليه السلام خطب النبيّ صلى الله عليه وآله في حجّة الوداع، فقال: أيّها الناس والله ما من شيء يقرّبكم

---

(١) مرّ في العنوان ٣٩ من هذا الفصل إلّا أنّ فيه «فاعرض عن الدنيا».

(٢) مشكاة الأنوار للطبرسي: ٢٦٦ وامّا حديث «حب الدّنيا رأس كلّ خطيئة» فروي عن النبي صلى الله عليه وآله والصادق عليه السلام. مرّ تخريجه في العنوان ٣٩ من هذا الفصل.

(٣) الكافي للكليني ٢: ٣١٧ ح ٩، وعقاب الأعمال للصدوق: ٢٦٣ ح ١ وأمالي الصدوق: ٥٣١ ح ٢ المجلس (٩٥)، ومشكاة الأنوار للطبرسي: ٢٧٠.

(٤) مرّ في العنوان ٣٩ من هذا الفصل.

من الجنّة ويباعدكم من النار إلّا وقد أمرتكم به، وما من شيء يقرّبكم من النار ويباعدكم من الجنّة إلّا وقد نهيتكم عنه، ألا وإنّ الروح الأمين نفث في روعي أنّه لن تموت نفس حتّى تستكمل رزقها فاتّقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحمل أحدكم استبطاء شيء من الرزق أن يطلبه بغير حلّه فإنّه لا يدرك ما عند الله إلّا بطاعته[1].

وقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: وقف النبيّ صلى الله عليه وآله بمنى حين قضى مناسكه في حجّة الوداع، فقال: أيّها الناس اسمعوا ما أقول لكم، واعقلوه عنّي، لا أدري لعلّي لا ألقاكم في هذا الموقف بعد عامنا هذا. ثمّ قال: أيّ يوم أعظم حرمة؟ قالوا: هذا اليوم. فقال: أيّ شهر أعظم حرمة؟ قالوا: هذا الشهر. قال: أيّ بلد أعظم حرمة؟ قالوا: هذا البلد. قال: إنّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقونه، فيسألكم عن أعمالكم، ألا هل بلّغت؟ قالوا: نعم. قال: اللّهم اشهد، ألا ومن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها فإنّه لا يحلّ دم امرئ مسلم، ولا ماله إلّا بطيبة نفسه، ولا ترجعوا بعدي كفّاراً[2].

وفي الخبر: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله حضر يوم وفاته مع شدّة مرضه المسجد، وقال: ﴿واتّقوا يوماً ترجعون فيه الى الله ثمّ توفّى كلّ نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾[3] أيّها الناس لا يدعٌ مدّعٍ ولا يتمنّى متمنٍّ أنّه ينجو إلّا بعمل، ورحمة

---

(١) أخرجه الكليني في الكافي ٢: ٧٤ ح٢، وعاصم بن حميد في أصله : ٢٣، ورواه الديلمي في أعلام الدين عنه البحار ٧٧: ١٨٥ ح٣١، وأبو القاسم الكوفي في الأخلاق عنه المستدرك ٢: ٤١٩ ح١٣.

(٢) أخرجه ابن هشام في السيرة ٤: ١٨٥، والواقدي في المغازي ٢: ١١١١، وابن سعد في الطبقات ٢ ق١: ١٣٣، والصدوق في الخصال: ٤٨٦ ح٦٣ والنقل بتصرف.

(٣) البقرة: ٢٨١.

من الله. وقال: لو عصيت لهويت. وقال: اللّهمّ هل بلّغت[١]؟

٤١
من الخطبة (١٩٠)

وَلَقَدْ قَرَنَ ٱللَّهُ بِهِ ﷺ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلاَئِكَتِهِ، يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ ٱلْمَكَارِمِ، وَمَحَاسِنَ أَخْلاَقِ ٱلْعَالَمِ، لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ.

أقول: ما نقله المصنّف جزء الخطبة القاصعة[٢]، وروى ابن طاووس في (طرائفه) عن صدر الأئمة موفّق بن أحمد باسناده عن أبي ذر كونه جزء مناشداته يوم الشورى[٣].

«ولقد قرن الله به ﷺ من لدن أن كان فطيماً» أي: منقطعاً عن الرضاع.

«أعظم ملك من ملائكته» قال ابن أبي الحديد: روي أنّ بعض أصحاب أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر سأله عن قوله تعالى: ﴿إلّا من ارتضى من رسول فإنّه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً﴾[٤]، فقال: يوكّل الله بأنبيائه ملائكة يحصون أعمالهم ويؤدّون إليه تبليغهم الرسالة، ووكّل بمحمّد ﷺ ملكاً عظيماً منذ فصل عن الرضاع يرشده إلى الخيرات، ومكارم الأخلاق، ويصدّه عن الشرّ، ومساوي الأخلاق، وهو الّذي كان يناديه: السّلام عليك يا محمّد يا رسول الله، وهو شاب لم يبلغ درجة الرسالة بعد، فيظنّ أنّ ذلك من الحجر والأرض، فيتأمل ولا يرى شيئاً[٥].

قلت: وروى الكليني عن أبي عبد الله جعفر بن محمّد عليهما السلام: أنّ

---

(١) الارشاد للمفيد: ٩٧ بفرق يسير، واعلام الورى للطبرسي: ١٣٤ وقد مرّ في العنوان ٢٥ من هذا الفصل.

(٢) نهج البلاغة ٢: ١٥٧ الخطبة ١٩٠.

(٣) رواه عنه ابن طاووس في الطرائف ٢: ٤١٥.

(٤) الجن: ٢٧.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٥٣.

عبد المطلب كان يفرش له بفناء الكعبة، لا يفرش لأحد غيره، وكان له ولد يقومون على رأسه فيمنعون من دنا منه، فجاء النبيّ صلى الله عليه وآله وهو طفل يدرج حتّى جلس على فخذيه، فأهوى بعضهم إليه لينحّيه عنه، فقال له عبد المطلب: دع ابني، فإنّ الملك قد أتاه[1].

وورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان...﴾[2]، عنهم عليهم السلام أنّ ذاك الروح الّذي قال تعالى كان خلقاً لله أعظم من جبرئيل وميكائيل وكان مع النبيّ صلى الله عليه وآله يخبره ويسدّده، وهو مع الأئمّة من بعده[3].

«يسلك به طريق المكارم» قال الصادق عليه السلام: خصّ النبيّ صلى الله عليه وآله بمكارم الأخلاق، فامتحنوا أنفسكم، فإن كانت فيكم فاحمدوه تعالى وارغبوا إليه في الزيادة منها. فذكرها عشرة: اليقين، والقناعة، والصبر، والشكر، والحلم، وحسن الخلق، والسخاء، والغيرة والشجاعة، والمروّة[4].

وفي (المناقب): كان النبيّ صلى الله عليه وآله قبل المبعث موصوفاً بعشرين خصلة من خصال الأنبياء، لو انفرد واحد بأحدها لدلّ على جلاله، فكيف من اجتمعت فيه؟! كان أميناً صادقاً حاذقاً أصيلاً نبيلاً مكيناً فصيحاً عاقلاً فاضلاً عابداً زاهداً سخيّاً كميّاً قانعاً متواضعاً حليماً رحيماً غيوراً صبوراً موافقاً مرافقاً[5].

---

(١) الكافي للكليني ١: ٤٤٨ ح٢٦، والسيرة لابن هشام ١: ١٥٦، والطبقات لابن سعد ١ ق١: ٧٤، وغيرهم.

(٢) الشورى: ٥٢.

(٣) أخرج هذا المعنى الكليني في الكافي ١: ٢٧٣ ح١، والصفار بخمس طرق في البصائر: ٤٧٥، ٤٧٦ ح١، ٢، ٦، ٨، ٩ والقمي في تفسيره ٢: ٢٧٩ وجاء نحو ذلك في تفسير آية ﴿ويسألونك عن الروح...﴾ (الاسراء: ٨٥) وبصورة مستقلة أيضاً.

(٤) الكافي للكليني ٢: ٥٦ ح٢، وغيره، والنقل بتصرف.

(٥) المناقب لابن شهر آشوب ١: ١٢٣.

قلت: ومن بعث لتتميم مكارم الأخلاق ـ كما قال ﷺ ـ لابدّ أن يكون شخصه في المكارم وحيد الآفاق؛ قال المسعودي: روى جعفر بن محمّد عن أبيه عن جدّه عليهم السلام قال: إنّ الله تعالى أدّب محمّداً ﷺ فأحسن تأديبه، فقال: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾[١]، فلمّا كان كذلك قال الله تعالى ﴿وإنّك لعلى خلقٍ عظيم﴾[٢] فلمّا قبل من الله فوّض إليه. فقال: ﴿...وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا...﴾[٣] وكان يضمن على الله الجنّة فأُجيز له ذلك[٤].

ولو لم يكن في شريعته سوى ما ورد عنه ﷺ وعن أوصيائه عليهم السلام من الترغيب على التحلية بالمكارم، والتخلية عن الذمائم لكفى في حقّية طريقته. فلو اجتمع أهل العالم على أن يبيّنوا محاسن الأخلاق كما بيّنها عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام من أوصيائه في دعائه في طلب المكارم لما استطاعوا[٥].

كما أنّه لو لم يكن له معجزة سوى ما كان ﷺ متصفاً به من الصفات الحسنة، والأخلاق المستحسنة لوفى بصادقية نبوّته؛ قال السروي: كان يتيماً فقيراً ضعيفاً وحيداً غريباً بلا حصار ولا شوكة، كثير الأعداء، ومع جميع ذلك تعالى مكانه، وارتفع شأنه. ثمّ قال: وكان ثابتاً في الشدائد، وهو مطلوب، وصابراً على البأساء والضراء، وهو مكروب محروب، وكان زاهداً

---

(١) الأعراف: ١٩٩.

(٢) القلم: ٤.

(٣) الحشر: ٧.

(٤) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٢٨٣.

(٥) الصحيفة السجادية: ٩٩ الدعاء ٢٠.

في الدنيا، راغباً في الآخرة فثبت له الملك[١].

«ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره» روى الجزري في (أُسده) عن عبد الله بن أبي الحمساء قال: بايعت النبيّ ﷺ ببيع قبل أن يبعث، فوعدته أن آتيه بها في مكانه ذلك، فنسيت يومي هذا والغد، فأتيته في اليوم الثالث، وهو في مكانه فقال لي: يا فتى لقد شققت عليّ، أنا هاهنا منذ ثلاث أنتظرك[٢].

وكانت أعداؤه معترفين بكماله في محاسن الأخلاق وفي أمانته، فكانوا يسمّونه الأمين قبل نزول الوحي عليه، ورضيت مشائخ قريش بحكميته في وضع الحجر لأمانته وصادقيته.

ولمّا قال تعالى: ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾[٣] صعد على الصفا وهتف: يا صباحاه! فاجتمعوا، فقال لهم: أرأيتكم أنّ خيلاً تخرج بسفح الجبل أكنتم مصدّقي؟ قالوا: نعم، ما جربّنا عليك كذباً. قال: فإنّي ﴿نذير لكم بين يدي عذاب شديد﴾[٤].

وكان ﷺ يوم فتح مكّة أهدر دم عبدالله بن أبي سرح ـ أخي عثمان من الرضاعة ـ فأتى عثمان به إليه ﷺ مستشفعاً، وجعل يكلّمه فيه وهو ساكت، حتّى اضطرّه إلحاحه إلى العفو عنه، فذهب به، فقال ﷺ لأصحابه: هلّا قتلتموه إذ سكتّ، وقد كنت أمرتكم قبل بقتله، ولو كان متعلّقاً بأستار الكعبة؟ فقالوا: انتظرنا أن تومي بمؤخر عينك. فقال: إنّ الأنبياء لا يقتلون بالإيماء[٥].

---

(١) أُسد الغابة لابن الأثير الجزري ٣: ١٤٦.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ١: ١٢٣.

(٣) الحجر: ٩٤.

(٤) الطبقات لابن سعد ١ ق١: ١٣٣ وغيره، مرّ الحديث وتخريجه في العنوان ٦ و ١٥ من هذا الفصل، والآية ٤٦ من سوره سبأ.

(٥) السيرة لابن هشام ٤: ٣٩ والمغازي للواقدي ٢: ٨٥٥، وتاريخ الطبري ٢: ٣٣٥ سنة ٨ وغيرهم.

ولمّا انهزمت قريش يوم الأحزاب، ودخل حيّ بن أخطب حصن بني قريظة، وجاء أمير المؤمنين عليه السلام فأحاط بالحصن أشرف عليهم كعب بن أشرف يشتمهم ويشتم النبيّ صلى الله عليه وآله، فأقبل صلى الله عليه وآله فاستقبله عليه السلام وقال له: بأبي أنت وأمي لا تدن من الحصن. فقال صلى الله عليه وآله: لعلّهم شتموني؟ ثمّ دنا منهم، وقال: يا إخوان القردة والخنازير، وعبيد الطاغوت أتشتموني؟ إنّا إذا نزلنا بساحة قوم ساء صباحهم. فأشرف كعب، وقال: يا أبا القاسم ما كنت والله جهولاً. فاستحيى النبيّ صلى الله عليه وآله حتّى سقط الرداء من ظهره حياءً، ورجع وراءه[1].

وكان صلى الله عليه وآله يقول في تعليماته: أن يجعل الإنسان نفسه ميزاناً بينه وبين غيره، فيحبّ لغيره ما يحبّ لنفسه ويكره لغيره ما يكره لنفسه، وأنّه يجب على المسلم أن يجعل الأكبر بمنزلة والده، والأصغر بمنزلة ولده، وتربه بمنزلة أخيه.

٤٢
من الخطبة (١٩٠)

وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ صلى الله عليه وآله ؛ لَمَّا أَتَاهُ ٱلْمَلأُ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالُوا لَهُ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّكَ قَدِ ٱدَّعَيْتَ عَظِيماً لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ ، وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ ، وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْراً إِنْ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وَأَرَيْتَنَاهُ ، عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ .

فَقَالَ صلى الله عليه وآله : وَمَا تَسْأَلُونَ ؟ قَالُوا : تَدْعُو لَنَا هذِهِ ٱلشَّجَرَةَ حَتّى تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا ، وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ . فَقَالَ صلى الله عليه وآله : إِنَّ ٱللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، فَإِنْ فَعَلَ ٱللّهُ لَكُمْ ذلِكَ ، أَتُؤْمِنُونَ وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : فَإِنِّي سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَفِيئُونَ إِلَى خَيْرٍ ، وَأَنَّ

---

(١) السيرة لابن هشام ٣: ١٤١، والمغازي للواقدي ١: ٤٤٩، وتاريخ الطبري ٢: ٢٤٥ سنة ٥.

فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي ٱلْقَلِيبِ، وَمَنْ يُحَزِّبُ ٱلْأَحْزَابَ. ثُمَّ قَالَ ﷺ: يأَيَّتُهَا ٱلشَّجَرَةُ، إِنْ كُنْتِ تُؤْمِنِينَ بِاللّهِ وَٱلْيَومِ ٱلآخِرِ، وَتَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ ٱللّهِ، فَانْقَلِعِي بِعُرُوقِكِ حَتَّى تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ ٱللّهِ. وَٱلَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَٱنْقَلَعَتْ بِعُرُوقِهَا، وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ، وَقَصْفٌ كَقَصْفِ أَجْنِحَةِ ٱلطَّيْرِ، حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ ٱللّهِ ﷺ مُرَفْرِفَةً، وَأَلْقَتْ بِغُصْنِهَا ٱلْأَعْلَى عَلَى رَسُولِ ٱللّهِ ﷺ وَبِبَعْضِ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي، وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِه ﷺ، فَلَمَّا نَظَرَ ٱلْقَوْمُ إِلَى ذلِكَ، قَالُوا عُلُوّاً وَٱسْتِكْبَاراً: فَمُرْهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا، وَيَبْقَ نِصْفُهَا. فَأَمَرَهَا، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نَصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَأَشَدِّهِ دَوِيّاً، فَكَادَتْ تَلْتَفُّ بِرَسُولِ ٱللّهِ ﷺ، فَقَالُوا كُفْراً وَعُتُوّاً: فَمُرْ هَذَا ٱلنِّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَى نِصْفِهِ كَمَا كَانَ. فَأَمَرَهُ ﷺ فَرَجَعَ، فَقُلْتُ أَنَا: لَا إِلهَ إِلَّا ٱللّهُ؛ فَإِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ ٱللّهِ، وَأَوَّلُ مَنْ اقَرَّ بِأَنَّ ٱلشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ بِأَمْرِ ٱللّهِ تَعَالَى، تَصْدِيقاً بِنُبُوَّتِكَ وَإِجْلاَلاً لِكَلِمَتِكَ. فَقَالَ ٱلْقَوْمُ كُلُّهُمْ: بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ، عَجِيبُ ٱلسِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ، وَهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هَذَا؟ يَعْنُونَنِي.

أقول: هذا العنوان راجع إلى معجزاته، وقد تضمّن أربعاً منها؛ أحدها: مجيء الشجرة إليه، والثانية: إخباره عليه السلام بعدم تصديقهم له بعد رؤية الآية، والثالثة: من يقتل منهم في بدر، ويطرح في بئره، والرابعة: أنّ فيهم من يحزّب الأحزاب عليه.

وقال السروي في (مناقبه): إنّه ذكر للنبيّ ﷺ أربعة آلاف وأربعمائة وأربعين معجزة، ذكرت منها ثلاثة آلاف، تتنوع أربعة أنواع: نوع قبل ميلاده،

ونوع قبل بعثته، ونوع بعدها، ونوع بعد وفاته[١].

وقال الجزري: وقد صنّف العلماء في معجزات النبيّ ﷺ كتباً كثيرة ذكروا فيها كلّ عجيبة[٢].

قلت: وآحادها وإن كان مستند بعضها أخباراً آحاداً إلّا أنّ بعضها سنده متواتر ـ كما يأتي ـ مع أنّه في ذاك البعض الّذي مستنده آحاد تواتر إجمالي، وهو كالتفصيلي يأتي في ثبوت نبوّته.

«ولقد كنت معه لمّا أتاه الملأ من قريش فقالوا له: يا محمّد إنّك قد ادّعيت عظيماً لم يدّعه آباؤك ولا أحد من بيتك» نظيره ما رواه الطبرسي في (احتجاجه) عن أبي محمّد العسكري عليه السلام، قال: قلت لأبي: هل كان النبيّ ﷺ يناظر اليهود والنصارى والمشركين إذا عانتوه؟ قال: بلى، مراراً كثيرة؛ منها ما حكى الله تعالى من قولهم: ﴿وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أُنزل إليه ملك... رجلاً مسحوراً﴾[٣]، وقولهم: ﴿وقالوا لولا نزِّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾[٤]، وقولهم: ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتّى تفجّر لنا من الأرض ينبوعاً... كتاباً نقرؤه...﴾[٥]، ثمّ قيل له في آخر ذلك: لو كنت نبيّاً كموسى لنزّلت علينا الصاعقة في مسألتنا إيّاك، لأنّ مسألتنا أشدّ من مسألة قوم موسى؟ قال: وذلك أنّ النبيّ ﷺ كان ذات يوم بفناء الكعبة إذ اجتمع جماعة من رؤساء قريش، منهم الوليد بن المغيرة المخزومي، وأبو البختري بن هشام، وأبو جهل بن هشام، والعاص بن وائل السهمي، وعبد الله

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب السروي ١: ١٤٤ والنقل بالمعنى.

(٢) الكامل لابن الأثير الجزري ٢: ٤٧.

(٣) الفرقان: ٧ ـ ٨.

(٤) الزخرف: ٣١.

(٥) الاسراء: ٩٠ ـ ٩٣.

ابن أبي أمية المخزومي، وكان معهم جمع ممّن يليهم كثير، والنبيّ ﷺ في نفر من أصحابه يقرأ عليهم كتاب الله، ويؤدّي إليهم عن الله أمره ونهيه، فقال المشركون بعضهم لبعض: لقد استفحل أمر محمّد وعظم خطبه، فتعالوا نبدأ بتقريعه وتبكيته وتوبيخه، والاحتجاج عليه، وإبطال ما جاء به ليهون خطبه على أصحابه، ويصغر قدره، فلعلّه ينزع عمّا هو فيه من غيّه. فإن انتهى، وإلّا عاملناه بالسيف الباتر.

قال أبو جهل: فمن الّذي يلي كلامه ومجادلته؟ قال عبد الله بن أبي أُمية المخزومي: أنا. فأتوه فابتدأهم عبد الله، فقال: لقد ادّعيت دعوى عظيمة، وقلت مقالاً هائلاً، زعمت أنّك رسول ربّ العالمين، وما ينبغي لربّ العالمين وخالق الخلق أجمعين أن يكون مثلك رسوله، بشر مثلنا يأكل كما نأكل، ويمشي في الأسواق كما نمشي، فهذا ملك الروم، وهذا ملك فارس لا يبعثان إلّا رسولاً كثير المال عظيم الحال له قصور وخيام وعبيد وخدّام، وربّ العالمين فوق هؤلاء كلّهم فهم عبيده، ولو كنت نبيّاً لكان معك ملك يصدّقك نشاهده، بل لو أراد أن يبعث نبيّاً إنّما يبعث إلينا ملكاً لا بشراً مثلنا، ما أنت يا محمّد إلّا مسحور، وما أنت بنبيّ.

فقال له النبيّ ﷺ: هل بقي من كلامك شيء؟ فقال: بلى، لو أراد الله أن يبعث نبيّاً إلينا لبعث إلينا أجلّ في ما بيننا، وأحسننا حالاً، فهلّاَ أنزل هذا القرآن الّذي تزعم أنّه أنزله عليك ﴿على رجل من القريتين عظيم﴾[1]، إمّا الوليد بن المغيرة بمكّة، وإمّا عروة بن مسعود الثقفي بالطائف.

فقال النبيّ ﷺ: هل بقي من كلامك شيء؟ فقال: بلى ﴿لن نؤمن لك

---

(١) الزخرف: ٣١.

حتّى تفجّر لنا من الأرض ينبوعاً﴾[1] بمكّة هذه، فإنّها ذات أحجار وعرة، وجبال تكسح أرضها وتحفرها، وتجري فيها العيون، فإنّا محتاجون إلى ذلك، ﴿أو تكون لك جنّة من نخيل وعنب﴾[2]، فتأكل منها وتطعمنا، وتفجّر الأنهار خلال تلك النخيل والأعناب تفجيراً، ﴿أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً﴾[3]، فإنّك قلت: ﴿وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم﴾[4] فلعلّنا نقول ذلك. ثمّ قال: ﴿أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً﴾[5] تأتي به وبهم، وهم لنا مقابلون، ﴿أو يكون لك بيت من زخرف﴾[6] تعطينا منه وتغنينا به، فلعلّنا نطغى، فإنّك قلت لنا: ﴿...إنّ الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى﴾[7]، أو ﴿ترقى (أي: تصعد في السماء) ولن نؤمن لرقيّك حتّى تنزل علينا كتاباً نقرؤه﴾[8] ﴿من الله العزيز الحكيم﴾[9] إلى عبد الله بن أبي أُمية المخزومي، ومن معه آمِنوا بمحمّد بن عبد الله بن عبد المطلب فإنّه رسولي، وصدّقوه في مقاله، فإنّه من عندي. ثمّ لا أدري يا محمّد إذا فعلت ذلك كلّه أومن بك أو لا، بل لو رفعتنا إلى السماء، وفتحت أبوابها، وأدخلتنا فيها لقلنا: إنّما سُكِّرت أبصارنا وسحرنا.

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: أبقي من كلامك شيء؟ قال: أوليس في ما أوردته عليك كفاية وبلاغ؟ فقل ما بدا لك.

(١ و ٢) الإسراء: ٩٠ ـ ٩١.

(٣) الإسراء: ٩٢.

(٤) الطور: ٤٤.

(٥) الإسراء: ٩٢.

(٦) الإسراء: ٩٣.

(٧) العلق: ٦ ـ ٧.

(٨) الإسراء: ٩٣.

(٩) الزمر: ١.

فقال النبيّ ﷺ: اللّهمّ أنت السامع لكلّ صوت، والعالم بكلّ شيء، تعلم ما قاله عبادك، فأنزل تعالى عليه: ﴿وقالوا مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق... رجلاً مسحوراً﴾[1]، ثمّ قال تعالى: ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلّوا فلا يستطيعون سبيلاً﴾[2]، ثم قال: ﴿تبارك الّذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنّات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً﴾[3]، وأنزل عليه: ﴿فلعلّك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك...﴾[4]، وأنزل: ﴿وقالوا لولا أُنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر... وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾[5].

فقال له النبيّ ﷺ: أمّا ما ذكرت من أنّي آكل كما تأكلون وزعمت أنّه لا يجوز لرجل هكذا أن يكون لله رسولاً، فإنّما الأمر لله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو محمود، وليس لك ولا لأحد الاعتراض عليه بِلَمْ وكيف، فإنّ الله أفقر بعضاً، وأغنى بعضاً، وأعزّ بعضاً، وأذلّ بعضاً، وأصحّ بعضاً، وأسقم بعضاً، وشرّف بعضاً، ووضع بعضاً، وكلّهم ممّن يأكل الطعام. ثمّ ليس للفقراء أن يقولوا: لِمَ أفقرتنا، وأغنيتهم، ولا للوضعاء أن يقولوا: لِمَ وضعتنا وشرّفتهم، ولا للزمنى والضعفاء أن يقولوا: لِمَ أزمنتنا وأضعفتنا وصحّحتهم، ولا للأذلّاء أن يقولوا: لِمَ أذللتنا، وأعززتهم، ولا لقباح الصور أن يقولوا: لِمَ قبّحتنا وجمّلتهم، بل إن قالوا ذلك كانوا على ربّهم رادّين، وله في أحكامه منازعين، وبه كافرين، ولكان جوابه لهم: أنا الملك الخافض الرافع المغني المفقر المعزّ

---

(١) الفرقان: ٧ ـ ٨.

(٢) الاسراء: ٤٨.

(٣) الفرقان: ١٠.

(٤) هود: ١٢.

(٥) الأنعام: ٨ ـ ٩.

المذلّ المصحّح المسقم، وأنتم العبيد لي ليس لكم إلّا التسليم، والانقياد لحكمي، فإن سلّمتم كنتم عباداً مؤمنين، وإن أبيتم كنتم بي كافرين، وبعقوباتي من الهالكين. ثمّ أنزل عليه: ﴿قل إنّما أنا بشر مثلكم ـ يعني آكل الطعام ـ يوحى إليّ أنّما إلهكم إله واحد﴾[1]، يعني قل لهم: أنا في البشرية مثلكم، ولكن ربّي خصّني بالنبوّة دونكم كما يختص بعض البشر بالغنى والصحّة والجمال دون بعض من البشر، فلا تنكروا أيضاً أن يختصّني بالنّبوّة.

ثمّ قال: وأمّا قولك: هذا ملك الروم... فإنّ الله له التدبير والحكم لا يفعل على ظنّك وحسبانك ولا باقتراحك، بل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو محمود، إنّما بعث نبيّه ليعلّم الناس دينهم، ويدعوهم إلى ربّهم، ويكدّ نفسه في ذلك آناء الليل والنهار، فلو كان صاحب قصور يحتجب فيها وعبيده يسترونه عن الناس أليس كانت الرسالة تضيع، والأُمور تتباطئ، أوما ترى الملوك إذا احتجبوا كيف يجري الفساد والقبايح من حيث لا يعلمون ولا يشعرون؟ إنّما بعثني الله، ولا مال لي ليعرفكم قدرته وقوّته، وأنّه هو الناصر لرسوله، ولا تقدرون على قتله، ولا منعه من رسالته، فهذا أبْيَنُ في قدرته وفي عجزكم، وسوف يظفرني الله بكم وأوسعكم قتلاً وأسراً، ثمّ يظفرني الله ببلادكم، ويستولي عليها المؤمنون دونكم.

وأمّا قولك لي: لو كنت نبيّاً لكان معك ملك يصدّقك ونشاهده، بل لو أراد الله أن يبعث إلينا لكان يبعث ملكاً لا بشراً مثلنا؛ فالملك لا تشاهده حواسّكم لأنّه من جنس هذا الهواء لا عيان منه، ولو شاهدتموه بأن يزاد في قوى أبصاركم لقلتم: ليس هذا ملكاً بل هذا بشر لأنّه إنّما كان يظهر بصورة البشر

---

(١) الكهف: ١١٠ وفصّلت: ٦.

الّذي ألفتموه، ولتفهموا عنه مقالته وتـفهموا خـطابه ومـراده، فكـيف كـنتم تعلمون صدق الملك، وأنّ ما يقوله حقّ بل إنّما بعث بشراً، وأظهر عـلى يـده المعجزات الّتي ليست في طبائع البشر الّذين قد علمتم؟ فتعلمون بعجزكم عمّا جاءكم به أنّه معجزة، وأنّ ذلك شهادة من الله بالصدق، ولو ظهر لكـم مـلك وظهر على يده ما يعجز عنه البشر لم يكن في ذلك ما يدلّكم أنّ ذلك ليس في طبائع سائر أجناسه حتّى يصير ذلك معجزاً، ألا ترى أنّ الطيور تطير، وليس ذلك منها بمعجز لأنّ لها أجناساً يقع منها مثل طيرانـها، ولو أنّ آدمـيّاً طـار كطيرانها أكان ذلك معجزاً ـ إلى أن قال:

وأمّا قولك: ﴿...لن نؤمن لك حتّى تفجّر لنا من الأرض ينبوعاً﴾[1] فإنّك اقترحت أشياء؛ منها ما لو جاءك به لم يكن برهاناً، ومنها ما لو جاءك به كان معه هلاكك، ومنها المحال الّذي لا يصحّ، ولا يجوز كونه، ومنها ما قد اعترفت على نفسك أنّك فيه معاند متمرّد.

فأمّا قولك: ﴿تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾ بمكّة هذه؛ أرأيت لو فعلت هكذا أكنت من أجل هذا نبيّاً؟ قال: لا. قال: أرأيت الطائف التي لك فيها بساتين أما كان هناك مواضع فاسدة صعبة أصّلتها وذلّلتها وكسحتها وأجريت فيها عيوناً استنبطتها؟ قال: بلى. قال: وهل لك فيها نظراء؟ قال: بلى. قال: أفصرت أنت وهم بذلك أنبياء؟ قال: لا. قال: فكذلك لا يصير هذا حجّة لمحمّد لو فـعله على نبوّته. فما هو إلّا كقولك: لن نؤمن لك حتّى تقوم، وتمشي على الأرض أو حتّى تأكل الطعام كما يأكل الناس.

وأمّا قولك: أو تكون لك جنّة من عنب فتأكل وتطعمنا، وتفجّر الأنـهار خلالها تفجيراً؛ أوليس لك ولأصـحابك جـنّات مـن نـخيل، وعـنب بـالطائف

---

(١) الإسراء: ٩٠.

تأكلون وتطعمون منها، وتفجّرون الأنهار خلالها تفجيراً، أفصرتم أنبياء لهذا؟ قال: لا. قال: وأمّا قولك: أو تسقط السماء... فإنّ في سقوط السماء عليكم هلاككم وموتكم، ورسول ربّ العالمين أرحم من ذلك، لا يهلكك لكنّه يقيم حجج الله، وليس حججه على حسب اقتراح عباده، لأنّ العباد جهّال بما يجوز من الصلاح، وما لا يجوز منه من الفساد، وقد يختلف اقتراحهم ويتضادّ حتّى يستحيل وقوعه، وهل رأيت طبيباً كان دواؤه للمرضى على حسب اقتراحاتهم؟

وأمّا قولك: ﴿أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً﴾[1] نقابلهم ونعاملهم، فإنّ هذا من المحال الّذي لا خفاء به، لأنّ ربّنا عزّوجلّ ليس كالمخلوقين يجيء، ويذهب، ويتحرّك، ويقابل شيئاً حتّى يؤتى به، فقد سألتم بهذا المحال، وإنّما هذا الّذي دعوت إليه صفة أصنامكم الضعيفة المنقوصة التي لا تسمع ولا تبصر، ولا تغني عنكم شيئاً. وقال له: أوليس لك ضياع، وجنان بالطائف، وعقار بمكّة، وقوّام لك عليها؟ قال: بلى . قال: أفتشاهد جميع أحوالها بنفسك أو بسفراء بينك وبين معامليك؟ قال: بل بسفراء. قال: أرأيت لو قال لك معاملوك وأكرتك وخدمك لسفرائك: لا نصدّقكم في هذه السفارة إلّا أن تأتونا بعبد الله بن أبي أُميّة لنشاهده فنسمع ما تقولون عنه شفاهاً؛ كنت تسوّغهم هذا أو كان يجوز لهم عند ذلك؟ قال: لا. قال: فما الّذي يجب على سفرائك؟ أليس أن يأتوهم عنك بعلامة صحيحة تدلّ على صدقهم يجب عليهم أن يصدّقوهم؟ قال: بلى. قال: أرأيت سفيرك لو عاد إليك، وقال: قم معي فإنّهم قد اقترحوا عليّ مجيئك معي؛ أليس يكون لك مخالفاً، وتقول له: إنّما أنت رسول لا مشير وآمر؟ قال: بلى. قال: فكيف صرت تقترح على رسول ربّ العالمين

---

(١) الإسراء: ٩٢.

ما لا تسوّغ أكرتك ومعامليك أن يقترحوه على رسولك إليهم؟ وكيف أردت من رسول ربّ العالمين أن يستذمّ إلى ربّه بأن يأمر عليه، وينهى، وأنت لا تسوّغ مثل هذا على رسولك وأكرتك.

وأمّا قولك: ـ﴿أو يكون لك بيت من زخرف﴾[1] أي: الذهب ـ أما بلغك أنّ لعظيم مصر بيوتاً من زخرف؟ قال: بلى. قال: أفصار بذلك نبيّاً؟ قال: لا. قال: فكذلك لا يوجب لمحمّد لو كان له نبوّة.

وأمّا قولك: حتّى ترقى... فإنّك مقرّ بأنّك تعاند حجّة الله عليك، فلا دواء لك إلّا تأديبك على يد أوليائه البشر أو ملائكته الزبانية، وقد أنزل تعالى عليّ حكمة جامعة لبطلان كلّ ما اقترحته، فقال: قل يا محمّد: ﴿...سبحان ربّي هل كنت إلّا بشراً رسولاً﴾[2] ما أبعد ربّي أن يفعل الأشياء على ما يقترحه الجهّال بما يجوز وما لا يجوز، وهل كنت إلّا بشراً لا تلزمني إلّا إقامة حجّة الله التي أعطاني، وليس لي أن آمر على ربّي ولا أنهى، ولا أشير، فأكون كالرّسول الّذي بعثه ملك إلى قوم من مخالفيه، فرجع إليه يأمره أن يفعل بهم ما اقترحوا عليه ـإلى أن قال ـ قيل: لأمير المؤمنين عليه السلام: هل كان للنبيّ صلى الله عليه وآله آية مثل آية موسى عليه السلام في رفعه الجبل فوق رؤوس الممتنعين عن قبول ما أُمروا به؟ فقال: إي والّذي بعثه بالحقّ، ما من آية كانت لأحد من الأنبياء من لدن آدم إلى أن انتهى إلى محمّد إلّا وقد كان لمحمّد مثلها أو أفضل منها[3].

«ونحن نسألك أمراً إن أجبتنا إليه، وأريتنا علمنا أنّك نبيّ ورسول، وإن لم تفعل علمنا أنّك ساحر كذّاب. فقال صلى الله عليه وآله: وما تسألون؟ قالوا: تدعو لنا هذه الشجرة حتّى تقلع بعروقها وتقف بين يديك» ونظير اقتراحهم دعوة الشجرة الواردة في

(١ و ٢) الاسراء: ٩٣.

(٣) الاحتجاج للطبرسي: ٢٩ وتفسير العسكري: ٢٢٩ والنقل بتصرف يسير.

هذه الخطبة اقتراحهم شقّ القمر الوارد في القرآن في قوله عزّوجلّ: ﴿اقتربت الساعة وانشقّ القمر * وإنّ يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمرّ * وكذّبوا واتّبعوا أهواءهم وكلّ أمر مستقرّ﴾[1] قالوا: رواه ابن مسعود وابن عبّاس وحذيفة، وأنس، وجبير بن مطعم وابن عمر[2].

وروى القمي عن الصادق عليه السلام قال: اجتمع أربعة عشر رجلاً أصحاب العقبة ليلة أربع عشرة من ذي الحجّة فقالوا للنبيّ صلى الله عليه وآله: ما من نبيّ إلّا وله آية فما آيتك في ليلتك هذه؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: ما الّذي تريدون؟ فقالوا: إن يكن لك عند ربّك قدر، فأمر القمر أن ينقطع قطعتين. فهبط جبرئيل وقال: يا محمّد إنّ الله يقرئك السلام ويقول لك: إنّي قد أمرت كلّ شيء بطاعتك. فرفع رأسه، فأمر القمر أن ينقطع قطعتين، فانقطع قطعتين، فسجد النبيّ صلى الله عليه وآله شكراً لله، وسجد شيعتنا، ثمّ رفع النبيّ صلى الله عليه وآله رأسه ورفعوا رؤوسهم، ثمّ قالوا: يعود كما كان. فعاد كما كان، ثمّ قالوا: ينشق رأسه. فأمره فانشقّ، فسجد النبيّ صلى الله عليه وآله وسجد شيعتنا، فقالوا: يا محمّد حين يقدم سفّارنا من الشام واليمن فنسألهم ما رأوا في هذه الليلة، فإن يكونوا رأوا مثل ما رأينا علمنا أنّه من ربّك، وإن لم يروا مثل ما رأينا علمنا أنّه سحر سحرتنا به، فأنزل تعالى: ﴿اقتربت الساعة...﴾[3] إلى آخر السورة[4].

«فقال صلى الله عليه وآله: إنّ الله على كلّ شيء قدير فإن فعل الله لكم» هكذا في (المصرية)

---

(١) القمر: ١ ـ ٣.

(٢) حديث شقّ القمر كثير الطرق جمع بعضها السيوطي في الدر المنثور ٦: ١٣٢ ـ ١٣٤ بثلاث وعشرين طريقاً عن ابن مسعود وثلاث عشرة طريقاً عن ابن عباس وست طرق عن حذيفة بن ايمان واثنتي عشرة طريقاً عن أنس بن مالك وسبع طرق عن جبير بن مطعم وثماني طرق عن ابن عمر، وفي الباب عن علي والصادق عليهما السلام.

(٣) القمر: ١.

(٤) تفسير القمي ٢: ٣٤١.

ولكن في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[١]: «بكم».

«ذلك أتؤمنون وتشهدون بالحقّ؟ قالوا: نعم. قال: فإنّي سأريكم ما تطلبون، وإنّي لأعلم أنّكم لا تفيئون» أي: لا ترجعون.

«إلى خير» ولا تكون لكم عاقبة حسنى، فيقتل منهم طائفة، ويطرحون في بئر بدر، وطائفة تبقى، وتحزّب الأحزاب عليه كما يأتي.

هو من معجزاته الإخباريّة، أخبرهم أنّهم مع إراءته صلى الله عليه وآله لهم البيّنات لا يذعنون للإيمان، ويقاتلون معه، وهي كثيرة يعقد لها باب بل يصنّف لها كتاب، ومنها قوله صلى الله عليه وآله لمّا قال لعمّه العبّاس بعد أسره: افد نفسك وابني أخويك، يعني: عقيلاً ونوفلاً، فقال: ليس لي مال: أين المال الّذي وضعته عند امرأتك أُمّ الفضل حين خرجت، وليس معكما أحد، ثمّ قلت لها: إن أُصبت في سفري هذا فللفضل كذا، ولعبد الله كذا؟ فقال: والّذي بعثك بالحقّ نبيّاً ما علم بهذا أحد غيرها، وإنّي لأعلم أنّك رسول الله. ففدى نفسه بمائة أوقية وكل واحد بمائة أوقية[٢].

وفي (عيون ابن قتيبة): قالت عائشة: خطب النبيّ صلى الله عليه وآله امرأة من كلب، فبعثني أنظر إليها، فقال لي: كيف رأيت؟ فقلت: ما رأيت طائلاً. فقال: بل رأيت بخدّها خالاً، اقشعرّ منه كلّ شعرة منك على حده. فقلت: ما دونك ستر[٣].

ومن تلك الأخبار أخبارٌ قطعية سمّوها أعلام النبوّة؛ منها قوله صلى الله عليه وآله في أمر الجمل لعايشة: «تنبحك كلاب الحوأب»[٤]، وللزبير: «تقاتل عليّاً وأنت

---

(١) في شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٥٥ وشرح ابن ميثم ٤: ٣٠٨ «لكم» أيضاً.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ١: ١٠٧ وغيره.

(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة ٤: ١٩.

(٤) حديث كلاب الحوأب رواه أحمد في مسنده ٦: ٩٧، والحاكم في المستدرك عنه منتخب كنز العمال ٥: ٤٤٠، والطبري في تاريخه ٣: ٤٧٥ سنة ٣٦، والمسعودي في مروج الذهب ٢: ٣٥٧، والاسكافي في المعيار

ظالم»[١]، وفي أمر صفين لعمّار: «تقتلك الفئة الباغية»[٢].

وخبر عمّار صار سبباً لتزلزل أهل الشام ـ ولا سيما لذي الكلاع الحميري ـ عن رؤسائهم، لأنّه سمعه من عمرو بن العاص في أيّام عمر بن الخطاب، فزجر معاوية عمراً لروايته الخبر، فقال له عمرو: أنا يوم رويت الخبر أيّام عمر لم أعلم بحدوث صفين، وأنّ عماراً يقاتلنا. فاضطرّ معاوية إلى خدعة أهل الشام لخفّة عقولهم بأن قال لهم: إنّما قتل عمّاراً عليّ حيث جاء به إلى حربنا، وقال لذي الكلاع حيث جدّ في ذلك، وجمع بين عمرو وعمّار: إنّ عمّاراً يرجع إلينا أخيراً فقتل ذو الكلاع قبل عمّار، فسرّ معاوية بذلك كثيراً، وقال: لو كان ذو الكلاع حيّاً، ويقتل عمّار لأفسد عليّ كثيراً من أهل الشام[٣].

ثمّ من الغريب في هذا الخبر أنّ قاتل عمّار أبا الغادية أيضاً رواه فقال: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض فإنّ الحقّ يومئذ لمع عمّار. رواه لكلثوم بن جبير فتعجّب كلثوم من قتله له مع نقله ما نقل. فقال كلثوم: ما رأيت شيخاً أضلّ منه؛ قتله لأنّه سمعه يقع في عثمان مع سماعه من النبيّ صلى الله عليه وآله ما سمع.

نقل ذلك ابن قتيبة في (معارفه) وابن عبد البرّ في (استيعابه)

والموازنة: ٥٥، وابن قتيبة في الامامة والسياسة ١: ٦٣، والخوارزمي في مناقبه: ١١٤ وغيرهم بفرق بين الألفاظ.

(١) أخرجه الطبري في تاريخه ٣: ٥١٩ سنة ٣٦، والحاكم في المستدرك عنه منتخب كنز العمال ٥: ٤٤٠، وابن راهويه بطريقين، وابن منيع، وابن أبي شيبة، وأبو يعلى في مسانيدهم عنهم المطالب العالية ٤: ٣٠١ ـ ٣٠٣ ح٤٤٦٨ ـ ٤٤٧٦، وابن قتيبة في الإمامة والسياسة ١: ٧٢، والخوارزمي في مناقبه: ١١٣ وغيرهم، وأخرج نحوه في طلحة أبو سعيد الواعظ في شرف المصطفى عنه مناقب ابن شهر آشوب ١: ١٠٩، وهو غريب.

(٢) هذا الحديث من الأحاديث المتواترة يحضرني منه أكثر من سبعين طريقاً؛ منه ما أخرجه بخمس طرق مسلم في صحيحه ٤: ٢٢٣٥، ٢٢٣٦ ح ٧٠ ـ ٧٣، والترمذي في سننه ٥: ٦٦٩ ح ٣٨٠٠، والنسائي بثماني طرق في الخصائص: ١٣٢ ـ ١٣٥، والكشي في معرفة الرجال اختياره: ٣٠ ح٥٧.

(٣) وقعة صفين لابن مزاحم: ٣٤١، وتذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ٩٣.

وغيرهما[١].

والعجب من عجبهم من تناقض مذهبهم وثباتهم فيه، فانّ لازم كون عثمان إمامهم الثالث، وعدم إباحة دمه ـ مع اعتقاد جمهور المسلمين غير الأُموية يوم قتله إباحته ـ وجوب قتل عمّار لنسبته عثمان إلى اليهودية، وتحريضه على قتله، وإن كان النبيّ صلى الله عليه وآله قال ما قال.

ثمّ إنّ عايشة والزبير وإن كان علما بالفطرة الإنسانية بطلان أمرهما، وحقّية أمير المؤمنين عليه السلام وسمعا ما لايحصى من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فيه عليه السلام من المناقب، إلّا أنّه لم يكن لهما اعتقاد قلبي بكلام النبيّ صلى الله عليه وآله حتّى رأيا هاتين الآيتين البينتين، فتأثرا قهراً، فأرادت عايشة الرجوع، فمنعها ابن أُختها ابن الزبير، ورجع الزبير ولم يبال بتعنيفات ابنه[٢].

«وإنّ فيكم من يطرح في القليب» أي: البئر، والمراد بئر بدر؛ قال أبو عبيد: القليب: البئر العادية القديمة[٣].

قال الجزري: لمّا ألقوا (يوم بدر) في القليب وقف عليهم النبيّ صلى الله عليه وآله وقال: يا أهل القليب بئس عشيرة النبيّ كنتم لنبيّكم، كذّبتموني وصدّقني الناس. ثمّ قال: يا عتبة، يا شيبة، يا أُمية بن خلف، يا أبا جهل بن هشام ـ وعدّد من كان في القليب ـ هل وجدتم ما وعدكم ربّكم حقّاً، فإنّي وجدت ما وعدني ربّي حقّاً؟ فقال له أصحابه: أتكلّم قوماً موتى؟ فقال: ما أنتم بأسمع لما أقول

---

(١) أخرجه ابن قتيبة في المعارف: ٢٥٧، وابن عبد البر في الاستيعاب ٤: ١٥١، وابن سعد في الطبقات ٣ ق١: ١٨٦، وأبو يعلى في مسنده عنه المطالب العالية ٤: ٣٠٦ ح٤٤٨٥ وغيرهم.

(٢) ندم الزبير مشهور، نقله الطبري في تاريخه ٣: ٥٢١ سنة ٣٦ والمفيد في الجمل: ٢٠٧ وكثير من أهل الآثار. وأما ندم عائشة وكلام ابن الزبير معها فأخرجه الطبري في تاريخه ٣: ٤٧٥ سنة ٣٦ والمسعودي في مروج الذهب ٢: ٣٥٧، والاسكافي في المعيار والموازنة: ٥٥، وابن قتيبة في الامامة والسياسة ١: ٦٣، والخوارزمي في مناقبه: ١١٤.

(٣) صحاح اللغة للجوهري ١: ٢٠٦ مادة (قلب) ونقله عن الأزهري الفيومي في المصباح المنير ٢: ١٩٦.

منهم، ولكنّهم لا يستطيعون أن يجيبوني[١].

ثمّ إنّ ابن ميثم[٢] لعدم علمه بالتاريخ خبط فعدّ في من طرح في القليب منهم أُميّة بن عبد شمس والوليد بن المغيرة، وتبعه الخوئي[٣]، مع أنّ الأوّل إنّما هو جدّ أبي سفيان، ولم يكن في ذاك الوقت أبوه حرب بن أُميّة حيّاً، فضلاً عن جدّه أُمية بن عبد شمس، وإنّما كان في القتلى أُمّية بن خلف الجمحي، ولم يطرح في القتلى هو فانّه انتفخ في درعه، فملأها، فذهبوا به ليخرجوه فتقطع، وطرحوا عليه من التراب والحجارة ما غيّبه، وباقي القتلى السبعين طرحوا فيه[٤]، وأمّا الثاني فلم يكن يوم بدر حيّاً فإنّه مات بمكّة بعد ثلاثة أشهر من هجرة النبيّ صلى الله عليه وآله[٥] وبدر كانت في السنة الثانية من هجرته، وكان من المستهزئين الّذين كفى الله تعالى شرّهم عن رسوله، كما وعده في قوله: ﴿إنّا كفيناك المستهزئين﴾[٦].

قال الجزري: مرّ الوليد برجل من خزاعة يريش نبلاً له فوطئ على سهم منها فخدشه ثمّ أومأ جبرئيل عليه السلام إلى ذلك الخدش بيده فانتقض ومات منه، فأوصى إلى بنيه أن يأخذوا ديته من خزاعة، فأعطت خزاعة ديته[٧].

«ومن يحزّب الأحزاب» والمراد أبو سفيان. وقال ابن ميثم[٨] ـ وتبعه

---

(١) الكامل لابن الأثير الجزري ٢: ١٢٩ سنة ٢ وتاريخ الطبري ٢: ١٥٦ سنة ٢.

(٢) شرح ابن ميثم ٤: ٣٢٠.

(٣) شرح الخوئي ٥: ٣٣٠.

(٤) السيرة لابن هشام ٢: ٢٠٤، وتاريخ الطبري ٢: ١٥٥ سنة ٢.

(٥) نقله ابن الأثير الجزري في الكامل ٢: ٧٢.

(٦) الحجر: ٩٥.

(٧) الكامل لابن الأثير الجزري ٢: ٧٢.

(٨) شرح ابن ميثم ٤: ٣٢٠.

الخوئي[١]: المراد ممّن يحزب الأحزاب أبو سفيان، وعمرو بن عبد ود، وصفوان بن أُمّية، وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو، مع أنّه ليس لصفوان ذكر في قائدي ذاك اليوم، ولا في مبارزيهم، والباقون لم يكونوا من القائدين بل من المبارزين، ولو كان المراد كلّ من بارز فلِمَ لم يعدّ هبيرة المخزومي، ومرداس الفهري، وضراراً؟ وإنّما المحزّب المؤسس، ولم يكن غير أبي سفيان؛ قال ابن الزبعرى مفتخراً بأبي سفيان في الخندق:

جيش عيينة قاصد بلوائه ... فيه وصخر قائد الأحزاب

وقال محمّد بن محمّد بن النعمان في (إرشاده) في سبب غزوة الأحزاب: أنّ جماعة من اليهود؛ منهم: سلام بن أبي الحقيق النضيري، وحيّ بن أخطب، وكنانة بن الربيع، وهوذة بن قيس الوابلي، وأبو عمارة الوابلي في نفر من بني وابلة خرجوا حتّى قدموا مكّة فصاروا إلى أبي سفيان صخر بن حرب لعلمهم بعداوته للنبيّ ﷺ وتسرّعه إلى قتاله، فذكروا له ما نالهم منه، وسألوه المعونة لهم على قتاله. فقال لهم أبو سفيان: أنا لكم حيث تحبّون، فاخرجوا إلى قريش فادعوهم -إلى أن قال: وخرجت قريش؛ وقائدها إذ ذاك أبو سفيان صخر بن حرب، وخرجت غطفان؛ وقائدها عيينة بن حصن في بني فزارة، والحرث بن عوف في بني مرة، ووبرة بن طريف في قومه من أشجع -إلى أن قال: فانتدبت فوارس من قريش للبراز؛ منهم: عمرو بن عبد ودّ بن أبي قبيس بن عامر بن لؤي بن غالب، وعكرمة بن أبي جهل، وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان...[٢].

«ثمّ قالﷺ: يا أيّتها الشجرة إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر وتعلمين

---

(١) شرح الخوئي ٥: ٣٣٠.

(٢) الإرشاد للمفيد: ٥٠.

أنّي رسول الله فانقلعي بعروقك حتّى تقفي بين يديّ بإذن الله» وروى (إثبات المسعودي) حديثاً له ﷺ آخر في خفض الشجرة له ﷺ حتّى لقط من ثمارها ما أراد، فقال: كانت في دار أبي طالب نخلة منعوتة بكثرة الحمل موصوفة بالرقة وعذوبة الطعم، شهيّة المضغ، يعقب طعمها رائحة طيّبة عطرية كرائحة الزعفران المذاب بالعسل، كثيرة اللّحا، قليلة السّحا، دقيقة النّوى. فكان النبيّ ﷺ يأتي إليها كلّ غداة مع أتراب له، منهم: أبو سفيان ابن الحرث بن عبد المطلب ابن عمه، وأبو سلمة بن عبد الأسد، ومشروح بن ثويبة، فيلتقطون ما يتساقط تحتها من ثمرها بهبوب الرياح ووقوع الطير ونقره، وكانت فاطمة بنت أسد لا ترى النبيّ ﷺ يسابق أترابه على البسر والبلح والرطب في أوانه، وكان الغلمة يبادرون لذلك وهو يمشي بينهم وعليه السكينة والوقار بتواضع وابتسام، ويتعجّب من حرصهم وعجلتهم، فكان إن وجد شيئاً ساقطاً بعدهم أخذه، وإلّا انصرف بوجه منبسط طلق وبشر حسن. فكانت فاطمة تعجب من شدّة حيائه وطيب شأنه ورقّة قلبه وسرعة دمعته وكثرة رحمته، فربّما جمعت له من ثمر النخلة قبل مجيئهم، فإذا أقبل قدمته إليه، فيحب أن يأكله معها. قالت فاطمة: ودخل عليّ أترابه يوماً وأنا مضطجعة، ولم أره معهم. فقلت: أين محمّد؟ قالوا: مع عمّه أبي طالب وراءنا، فسكنت نفسي قليلاً، ولقط الغلمان ما كان تحت النخلة، وجاء بعدهم محمّد ﷺ فلم ير تحتها شيئاً، فصار إليها ووقف تحتها ـ وكانت باسقة ـ فأومأ بيده إليها، فانثنت بعراجينها حتّى كادت تلحق بثمارها الأرض، فلقط منها ما أراد، ثمّ رفع يده وأومأ إليها فرجعت، وحسبني راقدة. قالت: وكنت مضطجعة. فلمّا رأيت ذلك استطير في روعي، ولم أملك نفسي، فأتيت أبا طالب فخلوت به، فقلت له: كان من أمر محمّد كيت وكيت. فقال: مهلاً يا فاطمة

لا تذكري من هذا شيئاً فإنّه حلم وأضغاث. فقلت: كلّا والله بل هو يقين في يقظة لا في نوم[١].

«والّذي» هكذا في (المصرية) والصواب: (فوالّذي) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية)[٢].

«بعثه بالحقّ لانقلعت بعروقها، وجاءت ولها دويّ» في (النهاية) الدويّ: صوت ليس بالعالي، كصوت النحل ونحوه[٣].

«شديد وقصف كقصف» أي: صوت كصوت.

«أجنحة الطير حتّى وقفت بين يدي» أي: قدّام.

«رسول الله صلى الله عليه وآله مرفرفة» قال الجوهري: رفرف الطائر: إذا حرّك جناحيه حول الشيء يريد أن يقع عليه[٤].

«وألقت بغصنها الأعلى على رسول الله صلى الله عليه وآله وبعض أغصانها على منكبي وكنت عن يمينه صلى الله عليه وآله» وكان ذلك شاهد إمامته عليه السلام، كما لنبوّته صلى الله عليه وآله، ولمّا قال عليه السلام: ما أحد من قريش جرت عليه المواسي إلّا نزلت فيه آية. قيل له: فأيّ آية نزلت فيك؟ قال: قوله تعالى: ﴿أفمن كان على بيّنة من ربّه ويتلوه شاهد منه...﴾[٥] محمّد على بيّنة من ربّه، وأنا شاهد منه تاليه[٦].

وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله له في المتواتر: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى

---

(١) الاثبات للمسعودي: ١١٤.

(٢) لا توجد (الفاء) في شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٥٦، وشرح ابن ميثم ٤: ٣٠٨.

(٣) النهاية لابن الأثير ٢: ١٤٣ مادة (دوا).

(٤) صحاح اللغة للجوهري ٤: ١٣٦٧ مادة (رفرف).

(٥) هود: ١٧.

(٦) أخرجه ابن أبي خاتم وابن مردويه وأبو نعيم في المعرفة عنهم الدرّ المنثور ٣: ٣٢٤، والفرات الكوفي في تفسيره: ٦٤، والعياشي في تفسيره ٢: ١٤٢ ح١٣، والحسكاني في شواهد التنزيل ١: ٢٨٠ ح٣٨٤، وأبو علي الطوسي في أماليه ١: ٣٨١ المجلس ١٣، ومعناه روي كثيراً.

إلّا أنّه لا نبيّ بعدي[1]. وقد حكى الله تعالى منازل هارون من موسى في قوله جلّ اسمه: ﴿هارون أخي * أشدد به أزري * وأشركه في أمري * كي نسبّحك كثيراً * ونذكرك كثيراً * إنّك كنت بنا بصيراً﴾[2].

«فلمّا نظر القوم إلى ذلك» أي: مجيء الشجرة إليه.

«قالوا علوّاً واستكباراً» عن قبول الحقّ.

«فمرها فليأتك نصفها، ويبقى نصفها» هكذا في النسخ[3]، وكأنّ فيها سقطاً، وأنّ الأصل: فمرها فلترجع إلى مكانها. فأمرها فرجعت، فقالوا: فمرها فليأتك نصفها ويبقى نصفها. كما لا يخفى.

«فأمرها بذلك فأقبل إليه نصفها كأعجب إقبال، وأشدّه دوّياً» وصوتاً[4].

«فقالوا كفراً وعتوّاً فمر هذا النصف فليرجع إلى نصفه» في مكانه الأوّل.

«كما كان» منضماً بنصفه الآخر.

«فأمره صلى الله عليه وآله فرجع» كما كان، وروى الجزري في (كامله) وفي (أُسده)، والبلاذري في (أنسابه)، والكراجكي في (كنزه)[5] حديث الشجرة بطريق آخر أخصر، والظاهر كونه قضيّة أُخرى؛ قال الأوّل في (كامله): ومن المستهزئين بالنبيّ صلى الله عليه وآله ركانةُ بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب، كان شديد العداوة، لقي النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال: يابن أخي، بلغني عنك أمر، ولست بكذاب، فإن صرعتني، علمت أنّك صادق ـ ولم يكن يصرعه أحد ـ فصرعه النبيّ صلى الله عليه وآله ثلاث مرّات ودعاه النبيّ صلى الله عليه وآله إلى الإسلام، فقال: لا أسلم حتّى تدعو هذه الشجرة. فقال لها

---

(١) هذا الحديث المتواتر المعروف بحديث المنزلة مرّ تخريجه في العنوان ١٣ من هذا الفصل.

(٢) طه: ٣٠ ـ ٣٥.

(٣) كذا في نهج البلاغة ٢: ١٥٩، وشرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٥٦، وشرح ابن ميثم ٤: ٣٠٨.

(٤) أسقط الشارح هنا شرح فقرة «فكادت تلتّف برسول الله صلى الله عليه وآله».

(٥) الكامل لابن الأثير ٢: ٧٥، وأسد الغابة ٢: ١٨٨، وأنساب الأشراف ١: ١٥٥، وكنز الفوائد للكراجكي: ٩٤.

النبيّ صلى الله عليه وآله: أقبلي، فأقبلت تخدّ الأرض. فقال ركانة: ما رأيت سحراً أعظم من هذا، مرها فلترجع فأمرها، فعادت، فقال: هذا سحرٌ عظيم[١].

ورواه البلاذري، والكراجكي مثله، وزادا: فذهب ركانة إلى قومه فقال: يا بني عبد مناف ساحروا بصاحبكم أهل الأرض، فوالله ما رأيت أسحر منه قط. ثمّ أخبرهم بالّذي رأى والّذي صنع[٢].

وقال في (أُسده): إنّ ركانة طلب من النبيّ صلى الله عليه وآله أن يريه آية ليسلم، وقريب منهما شجرة ذات فروع وأغصان، فأشار إليها النبيّ صلى الله عليه وآله، قال لها: أقبلي بإذن الله. فانشقت باثنتين، فأقبلت على نصف شقّها وقضبانها حتّى كانت بين يديّ النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال له ركانة: أريتني عظيماً، فمرها فلترجع. فأخذ عليه النبيّ صلى الله عليه وآله العهد لئن أمرها فرجعت ليسلمن. فأمرها، فرجعت حتّى التأمت مع شقّها الآخر، فلم يسلم ثمّ أسلم بعد. قال: وكان يقال لأبيه عبد يزيد: المحض ـ لا قذى فيه ـ لأنّ أُمّه الشفاء بنت هاشم بن عبد مناف، وأباه هاشم بن المطلب[٣].

ولعترته عليهم السلام أحاديث في الشجرة قريبة من حديثه صلى الله عليه وآله؛ منها ما رواه محمّد بن يعقوب الكليني، عن عليّ ابن إبراهيم بن هاشم القمّي، عن أبيه، عن محمّد بن فلان الواقفي، قال: كان لي ابن عمّ يقال له: الحسن بن عبد الله، كان زاهداً وكان من أعبد أهل زمانه، وكان يتّقيه السلطان لجدّه في الدين واجتهاده، وربّما استقبل السلطان بكلام صعب يعظه، ويأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر، وكان السلطان يحتمله لصلاحه، ولم تزل هذه حالته حتّى

---

(١) الكامل لابن الأثير ٢: ٧٥.

(٢) أنساب الأشراف ١: ١٥٥، وكنز الفوائد: ٩٤.

(٣) أُسد الغابة ٢: ١٨٧، ١٨٨.

كان يوم من الأيّام، إذ دخل عليه أبو الحسن موسى عليه‌السلام وهو في المسجد، فرآه فأومأ إليه، فأتاه، فقال له: يا أبا عليّ ما أحبّ إليّ ما أنت فيه وأسرّني إلّا أنّه ليست لك معرفة، فاطلب المعرفة. قال: جعلت فداك، وما المعرفة؟ قال: اذهب فتفقّه، واطلب الحديث. قال: عمّن؟ قال: عن فقهاء أهل المدينة، ثمّ اعرِض عليّ الحديث. قال: فذهب فكتب، ثم جاءه فقرأه عليه فأسقطه كلّه، ثمّ قال له: اذهب فاعرف المعرفة. وكان الرجل معيّناً بدينه، فلم يزل يترصّد أبا الحسن عليه‌السلام حتّى خرج إلى ضيعة له فلقيه في الطريق، فقال له: جعلت فداك إنّي أحتجّ عليك بين يدي الله فدلّني على المعرفة. فأخبره بأمر أمير المؤمنين عليه‌السلام وما كان بعد النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله وأخبره بأمر الرجلين، فقبل منه ثم قال له: فمن كان بعد أمير المؤمنين عليه‌السلام؟ قال: الحسن عليه‌السلام ثمّ الحسين عليه‌السلام حتّى انتهى إلى نفسه، ثمّ سكت. قال: فقال له: جعلت فداك فمن هو اليوم؟ قال: إن أخبرتك تقبل. قال: بلى جعلت فداك. قال: أنا هو. قال: فشيء استدلّ به. قال: اذهب إلى تلك الشجرة ـ وأشار بيده إلى أُم غيلان ـ فقل لها: يقول لكِ موسى بن جعفر: أقبلي. قال: فأتيتها فرأيتها والله تخدّ الأرض خدّاً حتّى وقفت بين يديه. ثمّ أشار إليها، فرجعت. قال: فأقرّ به عليه‌السلام ثمّ لزم الصمت والعبادة. فكان لا يراه أحد يتكلّم بعد ذلك[1].

وروي مسنداً عن الصادق عليه‌السلام: أنّ الحسن عليه‌السلام خرج في بعض عمره، ومعه رجل من ولد الزبير كان يقول بإمامته، فنزلوا في منهل من تلك المناهل تحت نخل يابس قد يبس من العطش، ففرش للحسن عليه‌السلام تحت نخلة، وفرش

---

(١) الكافي للكليني ١: ٣٥٢ ح٧ والبصائر للصفار: ٢٧٤ ح٦، والإرشاد للمفيد: ٢٩٢، وإعلام الورى للطبرسي: ٣٠١، ورواية الأخيرين من طريق الكليني لكن اسناد الكليني علي بن إبراهيم عن أبيه عن محمّد عن محمّد بن فلان الواقفي، ومحمّد الذي يروي إبراهيم عنه هو ابن أبي عمير. وروى الكليني الحديث من طريق آخر. قال محمّد بن يحيى وأحمد بن محمّد عن محمّد بن الحسن عن إبراهيم بن هاشم مثله.

للزبيري بحذاه تحت نخلة أُخرى. قال: فقال الزبيري، ـ ورفع رأسه : لو كان في هذه النخل رطب لأكلنا منه. فقال له الحسن عليه السلام : وإنّك لتشتهي الرطب. فقال الزبيري: نعم. قال: فرفع عليه السلام يده إلى السماء، فدعا بكلام لم يفهمه، فاخضرّت النخلة ثمّ صارت إلى حالها فأورقت وحملت رطباً. فقال الجمّال الّذي اكتروا منه: سحر والله. قال: فقال الحسن عليه السلام : ويلك ليس بسحر، ولكن دعوة ابن نبي مستجابة. قال: فصعدوا إلى النخلة فصرموا ما كان فيه فكفاهم[1].

وروى مسنداً عن أبي هاشم الجعفري قال: صلّيت مع أبي جعفر الجواد عليه السلام في مسجد المسيّب، وصلّى بنا في موضع القبلة سواء، وذكر أنّ السدرة الّتي في المسجد كانت يابسة ليس عليها ورق، فدعا بماء، وتهيأ تحت السدرة، فعاشت السدرة وأورقت وحملت من عامها[2].

«فقلت أنا: لا إله إلّا الله فإنّي أوّل مؤمن بك يا رسول الله، وأوّل من أقرّ بأنّ الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تعالى تصديقاً بنبوّتك» هكذا في (المصرية) والصواب: (لنبوّتك) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّيّة)[3].

«وإجلالاً لكلمتك» يا أيّتها الشجرة، إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر فتعلمين أنّي رسول الله فانقلعي بعروقك حتّى تقفي بين يدي بإذن الله.

«فقال القوم كلّهم: بل ساحر كذّاب عجيب السحر خفيف فيه» يأتي بالسحر سريعاً؛ قال الكراجكي في (كنزه): اعلم أنّ المتمحّلين من الكفّار في إبطال نبوّة نبيّنا قد أدّاهم الحرص في الإنكار إلى وجوب الإذعان والإقرار، وساقهم الجبر والقضاء إلى لزوم التسليم والرضا، فلا خلاص لهم من ثبوت الحجّة عليهم،

---

(١) الكافي للكليني ١: ٤٦٢ ح٤، والصفار في البصائر: ٢٧٦ ح١٠.

(٢) الكافي للكليني ١: ٤٩٧ ح١٠، والمناقب لابن شهر آشوب ٤: ٣٩٦.

(٣) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٥٦، وشرح ابن ميثم ٤: ٣٠٩ «بنبوتك» أيضاً.

وهم راغمون، ولا محيص لهم من وجوب تصديقه وهم صاغرون، وذلك أنّهم لم يجدوا طريقاً يسلكون في إنكار حقّه من النبوّة، والدفع لما أتى به من الرسالة إلّا بأن أقرّوا له ببلوغه من كلّ درجة في الفضل منيفة، ومرتبة في الكمال والعقل شريفة، ما قد قصّر عنه جميع خلق الله، وبدون ذلك تجب له الرياسة، والتقدّم على الكافّة، ولا يجوز أن تتوجّه التهمة لمنافاتها لما أقرّوا به في موجب العقل والحكمة. وبيان ذلك: أنّهم إذا سمعوا القرآن الوارد على يده الّذي قد جعله علماً على صدقه، ورأوا قصور العرب عن معارضته وعجزهم من الإتيان بمثله، قالوا: إنّه كان قد فاق جميع البلغاء في البلاغة، وزاد على سائر الفصحاء في قصّر عن مساواته في ذلك الناس كافّة، ففضّلوه بهذا على الخلق أجمعين وقدّموه على العالمين.

وإذا تأمّلوا ما في القرآن من أخبار الماضين، وأعاجيب السالفين، وذكر شرائع الأنبياء المتقدّمين، قالوا: قد كان أعرف الناس بأخبار الناس، وأعلمهم بجميع ما حدث، وكان في سالف الأزمان قد أحاط بنبأ الغابرين، وحفظ جميع علوم الماضين. ففضّلوه بهذه الرتبة على الخلق أجمعين.

وإذا رأوا ما تضمّنه القرآن من عجيب الفقه والدين، وبديع عبادات المكلّفين، وترتيب الفرائض وانتظامها، وحدود الشريعة وأحكامها، قالوا: قد كان أحكم أهل زمانه، وأفضلهم وأبصرهم بأنواع الحكمة، وأعلمهم، ولم يكن خلق في ذلك يساويه، ولا بشر يدانيه. ففضّلوه بذلك أيضاً على الخلق أجمعين، وأوجبوا له التقدّم على العالمين.

وإذا علموا ما في القرآن من الأخبار بالغائبات وتقديم الأعلام بمستقبل الكائنات وسمعوا ما تواترت به الأخبار من إنبائه لكثير من الناس بما في نفوسهم وإظهاره في الأوقات لمغيّب مستورهم، قالوا: قد كان أعرف الناس

بأحكام النجوم، وأبصرهم بما تدلّ عليه في مستأنف الأُمور، وإن لم يظهر معرفته بها لأُمّته ونهاهم عن الاطلاع فيها لينتظم له حال نبوّته، وإنّه كان معوّلاً عليها، مستنداً في أُموره إليها وقوله لا يخرم، وإخباره بالشيء لا يختلف، يعلم الحوادث والضمائر، ويطّلع على الخبايا والسرائر، ولا تخفى عنه أوقات المساعد والمناحس، ولم يكن أحد يعثّره في ذلك، ففضّلوه بهذا على الخلق أجمعين، وأوجبوا له التقدّم على العالمين.

فإذا قيل لهم: ما تقولون في المأثور من معجزاته، والمنقول من آياته الخارقة للعادة الّتي أقام بها الحجّة؟ قال المسلمون منهم لذلك، المتعاطون لإخراج معناه: كان أعرف الناس بخواصّ الموجودات وأسرار الطبائع، الحيوان والحوادث، فيظهر من ذلك للناس ما يتحيّر له من رآه لقصوره عن إدراك سببه ومعناه، ففضّلوه بهذا أيضاً على الخلق أجمعين، وأوجبوا له التقدّم على العالمين.

وقد سمعنا في بعض الأحاديث: أنّ أحد السحرة قال لموسى عليه السلام: إنّ هذه العصا من طبعها أن تسعى إذا أُلقيت، وتتشكل حيواناً إذا رميت خاصية لها بسبب فيها. فقال له موسى عليه السلام: فخذها أنت وارمها، فأخذها الساحر، ورماها، فما تغيّرت عن حالها، فأخذها موسى ورماها، فصارت حيّة تسعى. فقال الساحر: ليس في العصا سرّ وإنّما السرّ في من ألقاها، آمنت بإله موسى.

أفترى، لو أخذ أحد من المشركين الحصى الّذي سبّح في كفّ النبيّ صلى الله عليه وآله فتركه في يده أكان يسبّح أيضاً فيها؟ أترى أحدهم لو أشار بيده إلى الشجرة الّتي أشار إليها النبيّ صلى الله عليه وآله فأتت لكانت تأتيه أيضاً إذا أومأ إليها؟ وإنّ هذه الأشياء تفعل بالطبع كما يفعل حجر المغناطيس في الحديد الجذب، كلّا ما يتصوّر هذا عاقل.

وإذا نظروا إلى حسن تمام أمر النبيّ ﷺ وانتظام مراده الّذي قصده، وأنّه نشأ بين قوم يتجاذبون العزّ والمنعة، ويتنافسون في التقدمة والرفعة، ويأنفون من العار والشنعة، ولا يعطون لأحد إمرةً وطاعة، فلم يزل بهم حتّى قادهم إلى أمره وساقهم إلى طاعته، واستعبدهم بما لم يكونوا عرفوه، وأمرهم بهجران ما ألفوه، إلى أن صاروا يبذلون أنفسهم دون نفسه ويسلّمون لقوله، ويأتمرون لأمره من غير أن كان له ملك خافوه، ولا مال أمّلوه، ففتح بهم البلاد، وأذعن له ملوك العباد، ونفذ أمره في الأنفس والأموال، والحلائل والأولاد.

قالوا: إنّما تمّ له ذلك لأنّه فاق العالمين بكمال عقله، وحسن تدبيره ورأيه، ولم يكن ذلك في أحد غيره، ففضّلوه بهذا أيضاً على الخلق أجمعين، وأوجبوا له التقدّم على العالمين.

وإذا سمعوا المشتهر من عدله ونصفته، وحسن سيرته في أُمّته ورعيّته، وأنّه لا يكلّف أحداً شيئاً في ماله، وإذ حصلت المغانم فرّقها في أُمّته، وقنع من عيشه بدون كفايته، هذا مع سخاوته وكرمه، وإيثاره على نفسه، ووفائه بوعده، وصدق لهجته، واشتهاره منذ كان بأمانته، وشريف طريقته، وحسن عفوه ومسامحته، وجميل صبره وحلمه، قالوا: كان أزهد الناس، وأعلاهم قدراً في العدل والإنصاف، ولا طريق إلى إنكار إحاطته بالفضائل الكرام، والمناقب التوام، ففضّلوه في جميع هذه الأُمور على الخلق أجمعين، وأوجبوا له التقدم على العالمين.

فإذا قيل لهم: فهذه العلوم العظيمة متى أدركها، وفي أيّ زمان جمعها وتلقّطها، وأيّ قلب يعيها ويحفظها، وهل رئي بشر قط يحيط بجميع الفضائل، ويتقدّم العالمين كافة في سائر المناقب، ويكون أوحد الخلق في كمال العقل

والتميز، وثاقب الرأي والتدبير مع نزاهة النفس وجلالتها، وشرفها وزهدها، وفضلها وجودها وبذلها؟ قالوا: كانت له سعادات فلكية، وعطايا نجومية، فأفاق بها على جميع البريّة. قيل لهم: فمن كان بهذا الوصف العظيم، والمحلّ الجليل كيف يستجيز عاقل مخالفته أو يسوغ له مباينته، وبمن يقتدى أفضل منه، ومتى يكون مصيباً في الانصراف عنه، بل كيف لا يرضى بعقل أعقل الناس، ويأخذ العلم من أعلم الناس؛ ويقتبس الحكمة من أحكم الناس؟ وما الفرق بينكم في قولكم: إنّ هذه العطايا التي حصلت له إنّما كانت فلكية ونجومية وبيننا إذ قلنا: إلهية ربّانية؟ وبعد فكيف يستجيز من يكون بهذا العقل الكامل، والفضل الشامل، والورع الظاهر، والزهد البارع، والشرف العريق، واللسان الصدوق أن يكذب على خالق السماوات والأرضين، فيقول للناس: أنا رسول ربّ العالمين؛ ويدّعي هذا المقام الجليل، ويكون الأمر بخلاف ما يقول؟ وكيف تلائم صفاته التي سلّمتموها لهذه الحال التي ادّعيتموها؟ فدعوا المناقضة والمكابرة، واثبتوا على ما أقررتم به في المناظرة، فكلامكم لازم لكم، وقولكم حجّة عليكم، قد أقررتم بالحقّ وأنتم راغمون والتجأتم إلى ما هربتم منه وأنتم صاغرون.

واعلموا أنّ من باين المسعود كان منحوساً، ومن خالف العاقل العالم كان جاهلاً غبياً، ومن كذّب الصادق كان هو في الحقيقة كاذباً، والحمد لله مقيم الحجّة على من أنكرها، وموضع الحقّ لمن آثرها[1].

«**وهل يصدّقك في أمرك إلّا مثل هذا؟ يعنوني**» أي: يقصدونني، استخفافاً به عليه السلام؛ ونظيره: ما رواه الطبري عن ابن عبّاس، عنه عليه السلام قال: لمّا نزلت هذه

---

(١) كنز الفوائد للكراجكي: ٨٨ ـ ٩١ والنقل بتصرف لفظي يسير.

الآية: ﴿وانذر عشيرتك الأقربين﴾[1]، دعاني النبيّ ﷺ فقال: يا عليّ إنّ الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، فضقت بذلك ذرعاً، وعرفت أنّي متى أباديهم بهذا الأمر أر منهم ما أكره، فصمتّ عليه حتّى جاءني جبرئيل، فقال: «يا محمّد الّا تفعل ما تؤمر به يعذّبك ربّك». فاصنع لنا صاعاً من طعام، واجعل عليه رِجل شاة، واملأ لنا عسّاً من لبن، ثمّ اجمع لي بني عبد المطلب حتّى أُكلمهم، وأُبلّغهم ما أمرت به. ففعلت ما أمرني به ثمّ دعوتهم له، وهم يومئذٍ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً فيهم أو ينقصونه، وفيهم أعمامه أبو طالب، وحمزة، والعبّاس، وأبو لهب. فلمّا اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الّذي صنعت لهم، فجئت به، فلمّا وضعته تناول النبيّ ﷺ حذية من اللحم فشقّها بأسنانه، ثمّ ألقاها في نواحي الصحفة، ثمّ قال: خذوا بسم الله. فأكل القوم حتّى مالهم بشيء حاجة، وما أرى إلّا موضع أيديهم، وايم الله الّذي نفس عليّ بيده، إن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدّمت لجميعهم. ثمّ قال: اسق القوم. فجئتهم بذلك العسّ فشربوا منه حتّى رووا منه جميعاً، وايم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله. فلمّا أراد النبيّ ﷺ أن يكلّمهم، بدره أبو لهب إلى الكلام، فقال: لقد سحركم صاحبكم. فتفرّق القوم، ولم يكلّمهم النبيّ ﷺ، فقال: الغد يا عليّ إنّ هذا الرجل سبقني إلى ما سمعت من القول، فتفرّق القوم قبل أن أُكلّمهم، فعد لنا بمثل ما صنعت، ثمّ اجمعهم إليّ. ففعلت ثمّ جمعتهم، ثمّ دعاني بالطعام فقرّبته لهم، ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا حتّى ما لهم بشيء حاجة، ثمّ قال: اسقهم. فجئتهم بذلك العسّ فشربوا منه. ثمّ تكلّم النبيّ ﷺ فقال: يا بني عبد المطلب إنّي والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا قد جئتكم به، فأيّكم يوازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي

---

(١) الشعراء: ٢١٤.

وخليفتي فيكم؟ فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلت أنا ـ وأنا لأحدثهم سناً وأرمصهم عيناً، وأعظمهم بطناً وأحمشهم ساقاً: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه. فأخذ برقبتي، ثمّ قال: إنّ هذا أخي ووصيي، وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوه. فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع، وروى أيضاً خبراً آخر عنه عليه السلام بمعناه[1].

ولو لم يكن لأمير المؤمنين عليه السلام في استخلاف النبيّ صلى الله عليه وآله له إلّا هذه القضيّة وهذه القصّة، لكفى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ثمّ كما نقل عليه السلام عنه صلى الله عليه وآله هذه الآية، نقل أبوه أبو طالب عنه صلى الله عليه وآله آيتين أُخريين، فرووا أنّ أبا جهل جاء مرّة إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وهو ساجد، وبيده حجر يريد أن يرضخ به رأسه، فلصق الحجر بكفّه، فلم يستطع ما أراد[2]. فقال أبو طالب في ذلك:

أفيقوا بني عمّنا وانتهوا	عن الغيّ من بعض ذا المنطق

إلى أن قال:

وأعجب من ذاك في أمركم	عجائب في الحجر الملصق
بكفّ الّذي قام من خبثه	إلى الصابر الصادق المتقي
فأثبته الله في كفّه	على رغمة الخائن الأحمق

وروى محمّد بن سعد في (طبقاته): أنّ قريشاً لمّا تكاتبت على بني هاشم ألّا ينكحوهم ولا ينكحوا إليهم، ولا يبيعوهم ولا يبتاعوا منهم، ولا يخالطوهم في شيء، ولا يكلّموهم حين أبوا أن يدفعوا إليهم النبيّ صلى الله عليه وآله مكثوا في شعبهم ثلاث سنين محصورين. ثمّ أطلع الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله على أمر

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٦٢، ٦٣ والنقل بتصرف يسير.

(٢) تفسير القمي ٢: ٢١٢ والمناقب لابن شهر آشوب ١: ٧٥ وغيرهما.

صحيفتهم وأنّ الأرضة قد أكلت ما كان فيها من جور وظلم، وبقي ما كان فيها من ذكر الله، فجاءهم أبو طالب فقال لهم: إنّ ابن أخي قد أخبرني ـ ولم يكذّبني قط ـ أنّ الله قد سلّط على صحيفتكم الأرضة، فإن كان صادقاً نزعتم عن سوء رأيكم، وإن كان كاذباً دفعته إليكم فقتلتموه أو استحييتموه. قالوا: قد أنصفتنا... ففتحوها فإذا هي كما قال النبيّ ﷺ (قد أكلت الأرضة كلّها إلّا ما كان من ذكر الله فيها) فسقط في أيديهم ونكسوا على رؤوسهم...[1].

ورووا عن سراقة بن جعشم أنّ النبيّ ﷺ لمّا خرج من مكّة مهاجراً إلى المدينة جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن ردّه عليهم ـ وذكر حديث طلبه وما أصاب فرسه إلى أن قال: قال سراقة بعد رجوعه لأبي جهل:

أبا حكم والله لو كنت شاهداً   لأمر جوادي إذ تسوخ قوائمه
علمت ولم تشكك بأنّ محمّداً   رسول ببرهان فمن ذا يقاومه
عليك بكفّ القوم عنه فإنّني   أرى أمره يوماً ستبدو معالمه
بأمر يودّ الناس فيه بأسرهم   بأنّ جميع الناس طرّاً يسالمه[2]

ومن معجزاته المتعلّقة بقريش ممّا دعا النبيّ ﷺ عليهم ما قاله البلاذري في (فتوحه): إنّ معاوية لمّا كان يوم الفتح أسلم، فكتب للنبيّ ﷺ فدعاه يوماً وهو يأكل فأبطأ. فقال: لا أشبع الله بطنه. فكان يقول: لحقتني دعوته[3].

وما قاله ابن قتيبة في (معارفه): إنّ خالد بن أسيد الأُموي أسلم يوم فتح مكّة وكان فيه تيه شديد فقال النبيّ ﷺ: اللّهمّ زده تيهاً، فكان ذلك

---

(١) الطبقات لابن سعد ١ ق ١: ١٤٠ والنقل بتقطيع.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب في ١: ٧١، وإعلام الورى للطبرسي: ٢٤.

(٣) فتوح البلدان: ٤٥٩.

في ولده إلى اليوم[١].

وما قاله ابن قتيبة أيضاً في (معارفه): أنّ حزن بن أبي وهب جدّ سعيد بن المسيب المخزومي أتى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال له: أنت سهل. فقال: بل أنا حزن - ثلاثاً - قال: فأنت حزن. قال سعيد: فما زلنا نعرف تلك الحزونة فينا[٢].

وكانت معجزاته صلى الله عليه وآله تنقل لمسيلمة، فطلبوا منه الإتيان بمثلها، فيأتي بضدّها؛ ففي (الطبري): أتت مسيلمة امرأة من بني حنيفة تكنّى بأُمّ هيثم، فقالت: إنّ نخلنا لسحق، وإنّ آبارنا لجرز، فادع الله لمائنا ولنخلنا كما دعا محمّد لأهل هزمان. فقال (مسيلمة لنهار وكان أتى النبيّ صلى الله عليه وآله): يا نهار ما تقول هذه؟ فقال: إنّ أهل هزمان أتوا محمّداً صلى الله عليه وآله فشكوا بعد مائهم، وكانت آبارهم جرزاً، ونخلهم أنّها سحق، فدعا لهم فجاشت آبارهم وانحنت كلّ نخلة قد انتهت حتّى وضعت جرانها لانتهائها، فحكّت به الأرض حتّى أنشبت عروقاً ثمّ قطعت من دون ذلك فعادت فسيلاً مكمّماً ينمى صاعداً. قال: كيف صنع بالآبار؟ قال: دعا بسجل فدعا لهم فيه، ثمّ تمضمض بفم منه ثمّ مجّه فيه، فانطلقوا به حتّى فرّغوه في تلك الآبار، ثمّ سقوه نخلهم. ففعل المنتهى ما حدّثتك، وبقي الآخر إلى انتهائه. فدعا مسيلمة بدلو من ماء، فدعا لهم فيه ثمّ تمضمض منه ثمّ مجّ فيه، فنقلوه فأفرغوه في آبارهم، فغارت مياه تلك الآبار، وخوى نخلهم، وإنّما استبان ذلك بعد مهلكه[٣].

وفيه أنّه قال نهار لمسيلمة: برّك على مولودي بني حنيفة. فقال له: وما التبريك؟ قال: كان أهل الحجاز إذا ولد فيهم المولود أتوا به محمّداً فحنّكه،

(١) المعارف لابن قتيبة: ٢٨٣.

(٢) المعارف لابن قتيبة: ٤٣٧ والنقل بتصرف يسير.

(٣) تاريخ الطبري ٢: ٥٠٦ سنة ١١.

ومسح رأسه. فلم يؤتَ مسيلمة بصبي فحنّكه ومسح رأسه إلّا قرع ولثغ، واستبان ذلك بعد مهلكه[١].

وفيه: قالوا له: تتبّع حيطانهم كما كان محمّد يصنع، فصلّ فيها. فدخل حائطاً من حوائط اليمامة فتوضّأ، فقال نهار لصاحب الحائط: ما يمنعك من وضوء الرحمن، فتستقي به حائطك حتّى يروى وينيل، كما صنع بنو المهريّة. أهل بيت من حنيفة، كان رجل من المهريّة قدم على النبيّ صلى الله عليه وآله فأخذ وضوءه، فنقله معه إلى اليمامة، فأفرغه في بئره ثمّ نزع وسقاه، وكانت أرضه تهوم، فرويت وجزأت، فلم تلف إلّا خضراء مهتزّة. ففعل (صاحب الحائط ما وصف له نهار في وضوء مسيلمة) فعادت يباباً لا ينبت مرعاها[٢].

وفيه: وأتاه رجل فقال: ادع الله لأرضي فإنّها مسبخة، كما دعا محمّد لسلمى على أرضه. فقال: ما يقول يا نهار؟ فقال: قدم عليه سلمى، وكانت أرضه سبخة فدعا له وأعطاه سجلاً من ماء ومجّ له فيه، فأفرغه في بئره ثمّ نزع فطابت وعذبت. ففعل مثل ذلك. فانطلق الرجل ففعل بالسجل كما فعل سلمى، فغرقت أرضه، فما جفّ ثراها ولا أدرك ثمرها[٣].

٤٣
الحكمة (١٦)

وسُئل عليه السلام عن قول الرسول صلى الله عليه وآله:

غَيِّرُوا الشَّيْبَ، وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ؛ فقَال عليه السلام:

إنَّما قالَ ذلِكَ والدِّينُ قُلٌّ، فأَمَّا الآن وقَد اتَّسَعَ نِطَاقُهُ، وَضَرَبَ

(١) تاريخ الطبري ٢: ٥٠٧ سنة ١١.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٥٠٦، ٥٠٧ سنة ١١.

(٣) تاريخ الطبري ٢: ٥٠٧ سنة ١١.

بِجِرَانِهِ، فَامْرُؤٌ وما اختارَ.

قول المصنّف «وسئل عن قول الرسول ﷺ» هكذا في (المصرية)، والصواب: (وسئل عن قول النبيّ ﷺ) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[1].

«غيّروا الشيب ولا تشبّهوا باليهود» في (معارف ابن قتيبة): جاؤوا بأبي قحافة (أبي أبي بكر) يوم فتح مكّة إلى النبيّ ﷺ وهو شيخ كبير، رأسه كالثغامة البيضاء، فأسلم، فقال النبيّ ﷺ: غيّروا شيبته[2].

وفي (الأساس): كأنّ رأسه ثغامة، وهي شجرة بيضاء الزهر والثمر كأنّ جمّاعتها هامة شيخ[3].

«فقال عليه السلام: إنّما قال ذلك والدّين قلّ» قلّ بالضمّ والكسر القلّة، يقال: الحمد لله على القلّ والكثر. والقِل والكثر، وقال الشاعر:

وقد يقصر القلّ الفتى دون همّه ... وقد كان لولا القلّ طلّاع أنجد[4]

ونظيره ما في الخبر عن الباقر والصادق عليهما السلام: سئلا عن رمَل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في الطواف، فقالا: إنّه فعل ذلك في غزوة الحديبية لُيرى قريش تجلّده، وتجلّد أصحابه. قال الباقر عليه السلام: ومن أجل ذلك يرمل الناس ـ أي العامّة ـ غفلة عن أنّ فعله صلى الله عليه وآله وسلم كان موقّتاً. قال عليه السلام: وإنّي لأمشي مشياً، وكان أبي يمشي مشياً[5].

وكذا في (الروضة) ما عن النبيّ ﷺ الفرق بين المسلمين والمشركين

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٢٤٩، وشرح ابن ميثم ٥: ٢٤٧ «الرسول» أيضاً.

(٢) المعارف لابن قتيبة: ١٦٧، والنقل بالمعنى.

(٣) أساس البلاغة للزمخشري: ٤٥ مادة (ثغم).

(٤) لسان العرب لابن منظور ٨: ٢٣٧ مادة (طلع).

(٥) علل الشرائع للصدوق: ٤١٢ ح١، ٢ عن الباقر والصادق عليهما السلام، وفي الباب عن ابن عباس.

التلحي بالعمائم، إنّما قال ذلك في أوّل الإسلام[1].

وروي أنّ الباقر عليه السلام سئل عن أكل لحم الحمر الأهلية، فقال: إنّما نهى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عنها وعن أكلها يوم خيبر، وانّما نهى عن أكلها في ذلك الوقت لأنّها كانت حمولة الناس، وإنّما الحرام ما حرّم الله في القرآن[2].

«فأمّا الآن وقد اتّسع نطاقه» النطاق: ما يشدّ على الوسط.

«وضرب بجرانه» قال الجوهري: جران البعير: مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره[3].

واتساع نطاق الدين والإسلام كناية عن فسحته. وضرب الجران: كناية عن استقراره وعدم تزلزله.

«فامرؤ وما اختار» من تغيير الشيب وعدمه؛ قال ابن أبي الحديد: فصار الخضاب مباحاً غير مندوب[4].

قلت: غاية ما يدلّ عليه كلامه عليه السلام: رفع الإيجاب، وأمّا عدم الاستحباب فلا.

وعن الصادق عليه السلام: نفقة درهم في الخضاب أفضل من نفقة درهم في سبيل الله. إنَّ فيه أربع عشرة خصلة: يطرد الريح من الأُذنين، ويجلو الغشاء من البصر، ويلين الخياشيم، ويطيب النكهة، ويشدّ اللثة، ويذهب بالغشيان، ويقلّ وسوسة الشيطان، وتفرح به الملائكة، ويستبشر به المؤمن، ويغيظ به

---

(١) الفقيه للصدوق ١: ١٧٣ ح٦٨ وقول الشارح في الروضة خطأ.

(٢) الكافي للكليني ٦: ٢٤٥ ح١٠، وعلل الشرائع للصدوق: ٥٦٣ ح١، ٣ بطريقين، والتهذيب للطوسي ٩: ٤١ ح١٧١، والاستبصار ٤: ٧٣ ح١.

(٣) صحاح اللغة للجوهري ٥: ٢٠٩١ مادة (جرن).

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٢٤٩.

الكافر، وهو زينة، وهو طيب، وبراءة في قبره، ويستحيي منه منكر ونكير[١].

ويمكن الاستدلال لبقاء استحبابه بما روي أنّ قوماً دخلوا على الحسين عليه السلام فرأوه مختضباً بالسواد، فسألوه عن ذلك، فمدّ يده إلى لحيته ثمّ قال: أمر النبيّ صلى الله عليه وآله في غزاة غزاها أن يختضبوا بالسواد، ليقووا به على المشركين[٢].

هذا، وقالوا: أوّل من اختضب بالسواد من أهل مكّة عبد المطلب بن هاشم، كان رجل من حمير خصّه بذلك من اليمن وزوّده بالوسمة[٣].

٤٤
من الخطبة (٢٣٣)

ومن كلام له عليه السلام وهو يلي غسل رسول الله صلى الله عليه وآله وتجهيزه:

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَقَدِ انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَالَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالْأَنْبَاءِ وَأَخْبَارِ السَّمَاءِ . خَصصْتَ حَتَّى صِرْتَ مُسْلِياً عَمَّنْ سِوَاكَ ، وَعَمَمْتَ حَتَّى صَارَ النَّاسُ فِيكَ سَوَاءً ، وَلَوْلَا أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ ، وَنَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ ، لَأَنْفَدْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّؤُونِ ، وَلَكَانَ الدَّاءُ مُمَاطِلاً ، وَالْكَمَدُ مُحَالِفاً ، وَقَلَّا لَكَ وَلَكِنَّهُ مَالَا يُمْلَكُ رَدُّهُ ، وَلَا يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ . بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، اذْكُرْنَا عِنْدَ رَبِّكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ .

أقول: قال ابن أبي الحديد: قال محمّد بن حبيب في (أماليه): لمّا كشف عليه السلام الإزار عن وجهه صلى الله عليه وآله بعد غسله، انحنى عليه فقبّله مراراً، وبكى

---

(١) أخرجه الصدوق في الخصال: ٤٩٧ ح ٢ عن الصادق، عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله، وأخرجه بطريق آخر عن النبيّ صلى الله عليه وآله الكليني في الكافي ٦: ٤٨٢ ح١٢، والصدوق في الفقيه ١: ٧٠ ح٦١، و ٤: ٢٦٧، والخصال: ٤٩٧ ح١، وثواب الأعمال: ٣٨ ح٣، واللفظ للكليني.

(٢) الكافي للكليني ٦: ٤٨١ ح٤.

(٣) رواه شاذان بن جبرئيل ضمن حديث سيف بن ذي يزن في الفضائل: ٤٣.

طويلاً، وقال: بأبي أنت وأُمّي، طبت حيّاً، وطبت ميّتاً، انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت أحد سواك من النبوّة والإنباء وأخبار السماء ـ إلى قوله ـ ماء الشؤون وبعده؛ ولكن أتى ما لا يدفع، أشكو إليك كمداً وإدباراً مخالفين، وداء الفتنة، فإنّها قد استعرت نارها، وداؤها الداء الأعظم. بأبي أنت وأُمّي اذكرنا عند ربّك، واجعلنا من بالك وهمك.

وقال: ثمّ نظر عليه السلام إلى قذاة في عينه، فلفظها بلسانه. ثمّ ردّ الإزار على وجهه، وكان عليّ عليه السلام يقول بعد ذلك: ما شممت أطيب من ريحه، ولا رأيت أضوأ من وجهه حينئذ، ولم أره يعتاد فاه ما يعتاد أفواه الموتى[(١)].

قلت: وفي (أمالي المفيد): أبو نصر المقري البصير، عن عبد الله بن يحيى القطان، عن أحمد بن الحسين بن سعيد القرشي، عن أبيه، عن الحسين بن مخارق، عن عبد الصمد بن علي، عن أبيه، عن ابن عبّاس قال: لمّا توفّي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم تولّى غسله عليّ بن أبي طالب عليه السلام والعبّاس معه، والفضل بن العبّاس. فلمّا فرغ عليّ عليه السلام من غسله كشف الإزار عن وجهه، ثمّ قال: بأبي أنت وأُمّي طبت حيّاً، وطبت ميّتاً، انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت أحد ممّن سواك من النبوّة والإنباء ـ إلى أن قال ـ ثمّ أكبّ عليه فقبّل وجهه، ومدّ الإزار عليه[(٢)].

وروى في (الروضة) خطبته عليه السلام المعروفة بالوسيلة، وفيها: وما من رسول سلف، ولا نبيّ مضى، إلّا وقد كان مخبراً أُمّته بالمرسل الوارد من بعده، ومبشّراً برسول الله صلى الله عليه وآله وموصياً قومه باتّباعه ومحلّه عند قومه ليعرفوه بصفته، وليتّبعوه على شريعته، ولئلّا يضلّوا فيه من بعده، فيكون من هلك، وضلّ بعد وقوع الإعذار والإنذار عن بيّنة، وتعيين حجّته، فكانت

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٩٤ والنقل بتقديم وتأخير.

(٢) أخرجه المفيد في أماليه: ١٠٢ ح ٤ المجلس (١٢).

الأُمم في رجاء من الرسل، وورود من الأنبياء، ولئن أُصيبت بفقد نبيّ بعد نبيّ علم عظم مصائبهم، وفجائعها بهم، فقد كانت على سعة من الأمل، ولا مصيبة عظمت، ولا رزية جلّت كالمصيبة برسول الله صلى الله عليه وآله لأنّ الله ختم به الإنذار والإعذار، وقطع به الاحتجاج والعذر بينه وبين خلقه، وجعله بابه الّذي بينه وبين عباده، ومهيمنه الّذي لا يقبل إلّا به، ولا قربة إليه إلّا بطاعته، وقال في محكم كتابه: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولّى فما أرسلناك عليهم حفيظاً﴾[1]، فقرَن طاعته بطاعته، ومعصيته بمعصيته، فكان ذلك دليلاً على ما فوّض إليه، وشاهداً له على من اتّبعه وعصاه[2].

قول المصنّف «وهو يلي غسل رسول الله صلى الله عليه وآله وتجهيزه» هكذا في (المصريّة وابن أبي الحديد)[3] وليست كلمة (وتجهيزه) في (ابن ميثم، والخطّية)[4].

قوله عليه السلام: «بأبي أنت وأُمّي لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك» حيث كان خاتم الأنبياء، وأشرف ولد آدم.

بمن نضرب الأمثال أم من نقيسه ... إليك وأهل الدهر دونك والدهر

هذا، ولبعضهم في الصاحب إسماعيل بن عباد:

مضى نجل عباد المرتجى ... فمات جميع بني آدم

أواري بقبرك أهل زمان ... فيرجح قبرك بالعالم

ولآخر في أبي تمّام حبيب بن أوس الطائي الشاعر المعروف:

وغدا القريض ضئيل شخص باكيا ... يشكو رزيّته إلى الأقلام

---

(١) النساء: ٨٠.

(٢) الكافي للكليني ٨: ٢٥ ح ٤ كتاب (الروضة).

(٣) توجد هذه الكلمة في شرح ابن أبي الحديد ٣: ١٨٧، وأيضاً في شرح ابن ميثم ٤: ١١٨.

(٤) المصدر نفسه.

وتأوّهت غـرر القـوافـي بـعده ورمى الزمـان صـحيحها بسقام
أودى مـثقّفها ورائـد صـعبها وغـدير روضـتها أبـو تـمّام

أيضاً:

فجع القـريض بـخاتم الشـعراء وغدير روضتها حبيب الطـائي
مـاتا مـعاً فـتجاورا فـي حـفرة وكـذاك كـانا قـبلُ فـي الأحـياء

«من النبوّة والانباء وأخبار السماء» روى (المناقب): عن الصادق عليه السلام: إنّ جبرئيل عليه السلام قال للنبيّ صلى الله عليه وآله وقت وفاته: يا محمّد هذا آخر نزولي إلى الدّنـيا، إنّما كنت أنت حاجتي منها[1].

هذا، وفي (زيادات حجّ التهذيب) عن عمر بن يزيد: ذكرت لأبي عبدالله عليه السلام أنّ صاحبتي حاضت، ولم تقرب القبر، ولا المسجد ولا المنبر، وميقات جمّالنا قبل أن تطهر. قال: مرها لتغتسل ثمّ لتأت مقام جبرئيل عليه السلام، فإن جبرئيل عليه السلام كان يجيء فيستأذن على النّبيّ صلى الله عليه وآله فإن كان على حال لا ينبغي له أن يأذن له قام في مكانه حتّى يخرج إليه، وإن أذن له دخل عليه. قال: قلت له: وأين المكان؟ قال: كان بحيال الميزاب الّذي إذا خرجت من الباب الذي يقال له (باب فاطمة عليها السلام) بحذاء القبر...[2] في دعائها ثمة لطهارتها كما علّمها فصارت طاهرة، وزارت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

«خصصت حتّى صرت مسلياً عمّن سواك» في (الكافي): عن عمرو بن سعيد الثقفي قال: قال الباقر عليه السلام: إن أصبت بمصيبة في نفسك أو في مالك أو في ولدك فاذكر مصابك بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فإنّ الخلائق لم يصابوا بمثله قطّ[3]. وعنه عليه السلام:

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب ١: ٢٣٧، والطبقات لابن سعد ٢ ق٢: ٤٨.

(٢) التهذيب للطوسي ٥: ٤٤٥ ح١٩٩.

(٣) الكافي للكليني ٣: ٢٢٠ ح٢، وقد جمع أحاديث هذا الباب الشيخ الحر في وسائل الشيعة ٢: ٩١١ الباب ٧٩ والمحدث النوري في مستدرك الوسائل ١: ١٤٢ الباب ٦٧.

أمـــن بـــعد تكــفين النــبيّ ودفــنه
بأثــوابــه آســى عــلى هــالكٍ ثــوى
رزيـــنا رســول الله فــينا فــلن نــرى
لذلك عـــدلاً مـــا حــيينا مــن الورى
وكــان لنــا كــالحصن مــن دون أهــله
لهــم مــعقل حــرز حــريز مــن العـدى
وكـــنّا بـــه شــمّ الأنــوف بــنجوة
عــلى مــوضع لا يســتطاع ولا يــرى
فيا خير مـن ضـمّ الجـوانـح والحشـى
ويـا خـير مـيت ضـمّه التـرب والثـرى
كأنّ أُمـــور النــاس بــعدك ضــمّنت
ســفينة مــوج البــحر والبــحر قـد طـما
وضــاق فـضاء الأرض عـنهم بـرحـبه
لفــقد رســول الله إذ قــيل قــد قـضى
فـــيا حـــزناً إنّـــا فـــقدنا نــبيّنا
على حـين تـمّ الديـن واشـتدّت القـوى
فـــقد نـــزلت بــالمسلمين مــصيبة
كصدع الصفا لا شعب للصدع في الصفا
فـــلن يســتقل النــاس تــلك مــصيبة
ولن يجبر العـظم الّـذي مـنهم وهـى[1]

وعن سيّدة النساء ـ صلوات الله عليها ـ فيه صلّى الله عليه وآله :

---

(١) أورد الأبيات باختلاف يسير صاحب ديوان علي عليه السلام فيه: ١٠.

كنت السواد لمقلتي تبكي عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أحاذر[1]

وحيث إنّه ﷺ كان مسلياً عن سواه لعظم مصيبته وصغر باقي المصائب في جنب مصيبته، كان السلوّ عنه مشكلاً لأهل بيته، ولذا جاءهم التسلية من الله تعالى؛ روى (الكافي) في (باب التعزية): عن الحسين بن المختار، وعن الصادق عليه السلام قال: لمّا قبض النبيّ ﷺ جاءهم جبرئيل عليه السلام، والنبيّ ﷺ مسجّى، وفي البيت عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فقال: السلام عليكم يا أهل بيت الرحمة ﴿كلّ نفس ذائقة الموت وإنّما توفّون أُجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأُدخل الجنّة فقد فاز وما الحياة الدّنيا إلّا متاع الغرور﴾[2]، إنّ في الله تعالى عزاء من كلّ مصيبة، وخلفاً من كلّ هالك، ودركاً لما فات، فبالله فثقوا، وإيّاه فارجوا، فإنّ المصاب من حرم الثواب، هذا آخر وطئي من الدّنيا. قالوا: فسمعنا الصوت ولم نرَ الشخص.

وروي قريباً منه عن هشام بن سالم عنه عليه السلام أيضاً، وعن عبد الله بن الوليد عن الباقر عليه السلام[3]: جاءت التسلية من الله تعالى لأهل بيته لأمرين: أحدهما: عظم مصيبته، وثانيهما: خوف انتقام الأعداء من أفعال النبيّ ﷺ منهم بعد فقده، ومن أبيات ذاك الرجس النجس يزيد بن معاوية في ذلك:

لست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل

---

(١) أورد البيتين ابن شهر آشوب في مناقبه ١: ٢٤٢.

(٢) آل عمران: ١٨٥.

(٣) أخرج الأحاديث الثلاثة الكليني في الكافي ٣: ٢٢١، ٢٢٢ ح٥، ٤، ٨، وأخرج هذا المعنى ابن سعد في الطبقات ٢ ق٢: ٥٩، والعياشي بثلاث روايات في تفسيره ١: ٢٠٩، ٢١٠ ح١٦٦ ـ ١٦٨، والصدوق بروايتين في كمال الدين: ٣٩١، ٣٩٢ ح٥، ٧ وأماليه: ٢٢٦ ح١١ المجلس ٤٦ وأبو جعفر الطوسي في أماليه ٢: ٢٧٣ المجلس ١٧ وفي بعضها تصريح بكون المنادي جبرئيل عليه السلام، وفي بعضها الخضر عليه السلام، وفي بعضها لم يصرّح باسمه.

روى (الكافي) في [باب مولد النبيّ ﷺ] عن الباقر عليه السلام قال: لمّا قبض النبيّ ﷺ بات آل محمّد عليهم السلام بأطول ليلة حتّى ظنّوا أن لا سماء تظلّهم، ولا أرض تقلّهم، لأنّ النبيّ ﷺ وتر الأقربين والأبعدين في الله، فبينا هم كذلك إذ أتاهم آتٍ لا يرونه، ويسمعون كلامه، فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، إنّ في الله عزاء من كلّ مصيبة، ونجاة من كلّ هلكة، ودركاً لما فات ﴿كلّ نفس ذائقة الموت وإنّما توفّون أُجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأُدخل الجنّة فقد فاز وما الحياة الدّنيا إلّا متاع الغرور﴾[1] إنّ الله اختاركم، وفضّلكم وطهّركم، وجعلكم أهل بيت نبيّه، واستودعكم علمه، وأورثكم كتابه، وجعلكم تابوت علمه، وعصا عزّه، وضرب لكم مثلاً من نوره، وعصمكم من الزلل، وآمنكم من الفتن، فتعزوا بعزاء الله، فإنّ الله لم ينزع منكم رحمته، ولن يزيل عنكم نعمته، فأنتم أهل الله عزّوجلّ الّذين بهم تمت النعمة، واجتمعت الفرقة، وائتلفت الكلمة، وأنتم أولياؤه، فمن تولّاكم فاز، ومن ظلم حقّكم زهق؛ مودّتكم من الله واجبة في كتابه على عباده المؤمنين، ثمّ الله على نصركم إذا يشاء قدير، فاصبروا لعواقب الأُمور فإنّها إلى الله تصير، قد قبلكم الله من نبيّه وديعة، واستودعكم ولياءه المؤمنين في الأرض، فمن أدّى أمانته آتاه الله صدقه. فأنتم الأمانة المستودعة، ولكم المودّة الواجبة، والطاعة المفروضة، وقد قبض النبيّ ﷺ وقد أكمل لكم الدين، وبيّن لكم سبيل المخرج فلم يترك لجاهل حجّة. فمن جهل أو تجاهل أو أنكر أو نسي أو تناسى فعلى الله حسابه، والله من وراء حوائجكم واستودعكم الله، والسلام عليكم. فسئل عليه السلام ممّن أتاهم التعزية؟ فقال: من الله تبارك وتعالى[2].

---

(١) آل عمران: ١٨٥.

(٢) الكافي للكليني ١: ٤٤٥ ح١٩.

ويأتي نظيره عند قوله عليه السلام: «بأبي أنت»[١].

ومرّ في رواية (أمالي محمّد بن حبيب) في نقل ابن أبي الحديد أنّه عليه السلام خاطب النبيّ صلى الله عليه وآله بعد تغسيله قائلاً: أشكو إليك كمداً وإدباراً مخالفين وداء الفتنة، فإنّها قد استعرت نارها، وداؤها الداء الأعظم[٢].

هذا، وعزّى البحتري أبا الحسن عبد الملك بن صالح العبّاسي في ابنه بالنبيّ صلى الله عليه وآله وأقاربه، فقال:

إذا شئت أن تستصغر الخطب فالتفت
إلى سلفٍ بالقاع أهمل نائمه

وفيه المصطفى وعليّه
وعبّاسه وجعفراه وقاسمه

ومراده بجعفريه: حمزة وجعفر.

«وعممت حتّى صار الناس فيك سواء» في وصول المصيبة إليهم، ولا اختصاص فيها بأقاربه، فبنو هاشم أُصيبوا بسيّدهم، وباقيهم بنبيّهم.

عمّت مصيبته فعمّ هلاكه فالناس فيه كلّهم مأجور

ومثله أهل بيته الأئمّة المعصومون عليهم السلام مصيبتهم ليست مختصة بأقاربهم، بل تعمّ جميع المؤمنين والشيعة؛ وعن الصادق عليه السلام قال: ليس لكم أن تعزّونا، ولنا أن نعزّيكم، إنّما لكم أن تهنّونا ـ يعني بنيل الإمامة ـ لأنّكم تشاركوننا في المصيبة[٣].

وللحسين عليه السلام خصوصية من باقي الأئمة عليهم السلام، وكما انقطعت بوفاة

---

(١) يأتي في تكملة هذا العنوان.

(٢) نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣: ١٩٤، وقد مرّ في بدء هذا العنوان.

(٣) الفقيه للصدوق ١: ١١٨ ح ٥.

جدّه أخبار السماء من الأرض، انقطع بوفاته الأثر من خمسة أصحاب الكساء. فكانت وفاته كوفاة جميعهم كما أفصحت عن ذلك أُخته ليلة وفاته[١]، وقد سئل الصادق عليه السلام: لِمَ يكون يوم وفاة الحسين عليه السلام يوم بكاء دون يوم وفاة جدّه وأبيه وأُمّه وأخيه؟ قال عليه السلام: لأنّه كان خلف جميعهم[٢].

ثمّ هذه العامية في وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً كانت من خصوصياته، ككونه مسلّياً عمّن سواه، ومن خصائصه صلى الله عليه وآله وسلم أنّه لم يكن لأحد غير أمير المؤمنين تغسيله، ولو كان غيره نظر إليه عمي، ولذا عصب عليه السلام عيني الفضل بن العباس الّذي كان يعاونه في مناولة الماء[٣].

ومن خصائصه صلى الله عليه وآله وسلم وجوب دفنه في مكانه الّذي قبض فيه، وعدم جواز الصلاة على جنازته جماعة، بل فرادى بدون إمام؛ فروى (الكافي) عن الصادق عليه السلام قال: أتى العبّاس أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا علي إنّ الناس قد اجتمعوا أن يدفنوا النبيّ صلى الله عليه وآله في البقيع المصلّى، وأن يؤمّهم رجل منهم. فخرج أمير المؤمنين عليه السلام إلى الناس فقال: يا أيّها الناس إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إمام حيّاً وميّتاً، وقال: إنّي أدفن في البقعة التي أُقبض فيها...[٤].

وروى محمّد بن سعد كاتب الواقدي في (طبقاته) قال: لمّا وضع النبيّ صلى الله عليه وآله على السرير قال عليّ عليه السلام: ألّا يقوم عليه أحد لعلّه يؤمّ، هو إمامكم حيّاً وميّتاً. فكان يدخل الناس رسلاً رسلاً فيصلون عليه صفّاً صفّاً ليس لهم إمام، ويكبّرون وعليّ عليه السلام قائم بحيال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: سلام عليك أيّها

---

(١) انظر خطبة زينب عليها السلام المشهورة. رواها ابن شهر آشوب في مناقبه ٤: ١١٥، وابن طاووس في اللهوف: ٦٤.

(٢) علل الشرائع للصدوق: ٢٢٥ ح١، والنقل بتلخيص.

(٣) الطبقات لابن سعد ٢ ق١: ٦١، والمناقب لابن شهر آشوب ١: ٢٣٩.

(٤) أخرجه الكليني في الكافي ١: ٤٥١ ح٣٧، والخزاز في كفاية الأثر: ١٢٥، والمفيد في الإرشاد: ١٠٠، ورواه ابن شهر آشوب في مناقبه ١: ٢٣٩، وقريباً منه ابن سعد في الطبقات ٢ ق٢: ٧٠.

النبيّ ورحمة الله وبركاته، اللّهمّ إنّا نشهد أن قد بلّغ ما أُنزل إليه، ونصح لأُمّته، وجاهد في سبيل الله حتّى أعزّ الله دينه، وتمّت كلمته، اللهمّ فاجعلنا ممّن يتّبع ما أُنزل الله إليه، وثبّتنا بعده، واجمع بيننا وبينه، فيقول الناس: آمين آمين. حتّى صلّى عليه الرجال ثمّ النساء ثمّ الصبيان[١].

ومن المضحك أنّ العامة رووا أنّ النبيّ ﷺ اقتدى في حياته بأبي بكر، وبرجال آخرين[٢] فمع عدم جواز الإمامة على جنازته كيف يجوز الإمامة على شخصه في حياته، وقد صرّح عليه السلام بأنّه إمام النّاس حيّاً وميّتاً؟!

ومن خصائصه ﷺ كيفية صلاة جنازته. فروى (الكافي) عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: سمعت النبيّ ﷺ يقول في صحّته وسلامته: إنّما أُنزلت هذه الآية: ﴿إنّ الله وملائكته يصلّون على النبيّ يا أيُّها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً﴾[٣] في الصلاة عليّ بعد قبض الله لي[٤].

وروي عن الباقر عليه السلام: صلّت عليه الملائكة والمهاجرون والأنصار، فوجاً فوجاً[٥].

ولا يبعد اختصاصه ﷺ في الصلاة عليه بكونه قبلة من أي جانب قاموا، وتوجّهوا إليه كالكعبة في المسجد الحرام؛ فروى (الكافي) عن أبي مريم الأنصاري قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: كيف كانت الصلاة على النبيّ ﷺ؟ قال: لمّا غسّله أمير المؤمنين عليه السلام وكفّنه، سجّاه ثمّ أدخل عليه عشرة فداروا حوله، ثمّ وقف أمير المؤمنين عليه السلام في وسطهم، فقال: ﴿إنّ الله

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢ ق٢: ٧٠.

(٢) سنن الترمذي ٢: ١٩٦، ١٩٧ ح٣٦٢، ٣٦٣، وسنن النسائي ٢: ٧٩ وغيرهما.

(٣) الأحزاب: ٥٦.

(٤) الكافي للكليني ١: ٤٥١ ح٣٨، والنقل بتصرّف.

(٥) الكافي للكليني ١: ٤٥١ ح٣٨.

وملائكته يصلّون على النبيّ يا أيّها الّذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً﴾[١] فيقول القوم كما يقول، حتّى صلّى عليه أهل المدينة وأهل العوالي[٢].

وما رواه كاتب الواقدي عن أمير المؤمنين عليه السلام في ما مرّ من دعائه عليه السلام وتأمين الناس لدعائه، الظاهر كونه زائداً على أصل الصلاة عليه، وإنّما أصلها تلاوة الآية كما عرفته في خبرين.

وله صلى الله عليه وآله وسلم خصائص أُخرى ذكرها العامّة والخاصّة. وقد ذكر القرآن حرمة نكاح أزواجه[٣]، وإباحة هبة المؤمنات أنفسهنّ له[٤]، وغيرها في نكاحه وطلاقه.

وفي (نوادر صيام الفقيه): ونهى النبيّ صلى الله عليه وآله عن الوصال في الصيام، وكان صلى الله عليه وآله يواصل، فقيل له في ذلك. فقال صلى الله عليه وآله: إنّي لستُ كأحدكم، إنّي أظلّ عند ربي فيطعمني ويسقيني، وروى مثله في صحاح العامّة[٥].

وفي (السيرة والطبري والكتب الصحابية): إنّ أبا شريح الخزاعي قال لعمرو بن سعيد أو عمرو بن الزبير: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: إن أحد ترخّص للقتال في مكّة بقتال النبيّ صلى الله عليه وآله فقولوا له: إنّ الله أذن لرسوله، ولم يأذن لك، وإنّما أذن

---

(١) الأحزاب: ٥٦.

(٢) الكافي للكليني ١: ٤٥٠ ح٣٥، ومناقب ابن شهر آشوب ١: ٢٣٩ وقريباً منه أمالي المفيد: ٣١ ح٥ المجلس ٤.

(٣) انظر قوله تعالى: ﴿...وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيماً﴾ الأحزاب: ٥٣.

(٤) انظر قوله تعالى: ﴿وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين﴾ الأحزاب: ٥٠.

(٥) أخرجه الصدوق في الفقيه ٢: ١١١ ح٨، وأخرجه أصحاب الصحاح البخاري، ومسلم، والترمذي، وأبو داود، عن عبد الله بن عمر وأنس بن مالك وعائشة وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري، جمع طرقهم واختلاف ألفاظهم ابن الأثير في جامع الأصول ٧: ٢٤٩، ٢٥٠ ح٤٥٦٠ ـ ٤٥٦٤.

لي ساعة من نهار، وقد عادت كحرمتها بالأمس[١].

وفي (الطبري) أيضاً: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان يكره في أُحد الخروج من المدينة، وقال رجال: اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنّا جبنّا، فدعا بدرعه فلبسها فندموا، وقالوا: نشير عليه، والوحي يأتيه. فقالوا: اصنع ما رأيت؟ فقال: ما ينبغي لنبيّ أن يلبس لأمته فيضعها حتّى يقاتل[٢].

وفي (الطبري) أيضاً: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أمر في فتح مكّة بقتل نفر سمّاهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة، منهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح لأنّه كان أسلم فارتدّ مشركاً، ففرّ إلى عثمان ـ وكان أخاه من الرضاعة ـ فغيّبه حتّى أتى به النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فاستأمن عثمان له النبيّ صلى الله عليه وآله، فذكر أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله صمت طويلاً ثمّ قال: نعم. فلمّا انصرف به عثمان قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لمن حوله من أصحابه: أما والله لقد صمتّ طويلاً ليقوم إليه بعضكم، فيضرب عنقه. فقال رجل من الأنصار: هلّا أومأت؟ فقال صلى الله عليه وآله: إنّ النبيّ لا يقتل بالإشارة[٣].

«ولولا أنّك أمرت بالصبر» في المصائب.

«ونهيت عن الجزع» في الرزايا؛ وفي الخبر كلّ جزع وبكاء مكروه إلّا على الحسين عليه السلام[٤].

«لأنفدنا» أي: أفنينا.

«عليك ماء الشؤون» قال الجوهري: الشؤون وهي مواصل قبائل الرأس وملتقاها، منها تجيء الدموع، واحدها الشأن[٥].

---

(١) السيرة لابن هشام ٤: ٤٣، وتاريخ الطبري الطبري ٤: ٢٥٧ سنة ٦٠، وأُسد الغابة لابن الأثير ٥: ٢٢٦، والاصابة لابن حجر ٤: ١٠٢، والمغازي للواقدي ٢: ٨٤٥، وغيرهم.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ١٨٩ سنة ٣ وغيره، والنقل بتلخيص.

(٣) تاريخ الطبري ٢: ٣٣٥ سنة ٨ وغيره، والنقل بتلخيص.

(٤) الأمالي للطوسي ١: ١٦٣ المجلس ٦.

(٥) صحاح اللغة للجوهري ٥: ٢١٤١ مادة (شأن).

عن سيّدة النساء عليها السلام فيه صلى الله عليه وآله:

فسوف نبكيك ما عشنا وما بقيت لنا العيون بتهمال له سكب

ولدعبل كما في المقاتل في الرضا عليه السلام:

ولولا التأسي بالنبيّ وأهله لأسبل من عيني عليه شؤون

ومما قيل في المعنى:

سأبكيك ما تنفد العين ماؤها ويشفى مني الدمع ما أتوجع

أيضاً:

فكيف أبقى على ماء الشؤون وما أبقى العزام على صبري ولا جلدي

«**ولكان الداء مماطلاً**» أي: مديداً؛ قال في (الأساس) مطل حديدة البيضة: مدّها؛ قال العجّاج:

بمرهفات مطلت سبائكا تقضّ أمّ الهام والترائكا[1]

«**والكمد**» أي: الحزن المكتوم.

«**محالفاً**» أي: حليفاً، وأليفاً؛ وفي السير: إنّ إلياس بن مضر ـ أحد أجداد النبيّ صلى الله عليه وآله ـ توفّي يوم خميس، فكانت امرأته خندف تبكي عليه كلّ يوم خميس غدوة إلى الليل، ولم تقم حيث مات أبداً، ولم تظلها سقف حتّى هلكت[2].

وفي اليعقوبي: لمّا مات (خندف) خرجت سائحة في الأرض، حتّى هلكت حزناً[3]، وقيل في بكائها من الطلوع إلى الغروب في يوم الخميس:

إذا مونس لاحت خراطيم شمسه

بكت غدوة حتّى ترى الشمس تغرب[4]

ومونس اسم الخميس.

---

(١) أساس البلاغة للزمخشري: ٤٣٢ مادة (مطل).

(٢ ـ ٤) تاريخ اليعقوبي ١: ٢٢٨.

وقال متمّم بن نويرة في أخيه مالك ـ الذي قتله خالد بن الوليد غدراً من قبل أبي بكر طمعاً في امرأته ـ مراثٍ كثيرة[١]، وكان متمّم من الباكين كثيراً على أخيه سأله عمر عن بكائه، فقال: بكيت أخي حولاً ـ وكان إحدى عينيه ذاهبة ـ حتّى أسعدت عيني الذاهبة عيني الصحيحة[٢]، وقال لعمر: ما رأيت ناراً قط إلّا كدت أنقطع أسفاً على أخي، لأنّه كان يوقد ناره إلى الصبح مخافة أن يأتيه ضيف، ولا يعرف مكانه. وقال لعمر: كان وجه أخي كأنّه فلقة قمر[٣].

وقالت الخنساء في أخيها صخر ـ وهي كمتمم ومهلهل أخي كليب من الراثين المعروفين في إخوتهم:

فلولا كثرة الباكين حولي ... على إخوانهم لقتلت نفسي
وما يبكون مثل أخي ولكن ... أعزّ النفس عنه بالتأسّي
يذكّرني طلوع الشمس صخراً ... وأذكره لكلّ غروب شمس

كان تذكرها له عند الطلوع لغارته، وعند الغروب لضيافته.

«وقلّا» أي: مطال الداء، ومحالفة الكمد.

«لك» قال ابن دريد في (جمهرته): أخبرني الغنوي باسناده قال: مرّ أعرابيّ بالنبيّ صلى الله عليه وآله وهو يُدفن، فقال:

ألّا جعلتم رسول الله في سفط ... من الألوّة أصدى ملبساً ذهباً[٤]

وقال: الألوة: العود الّذي يتبخّر منه[٥].

---

(١) نقل قتل مالك بن نويرة وكيفيته الطبري في تاريخه ٢: ٥٠٢، ٥٠٣ سنة ١١ واليعقوبي في تاريخه ١: ١٣٠، وأبو القاسم الكوفي في الاستغاثة: ٩.

(٢) الطبقات لابن سعد ٣ ق١: ٢٧٥، والكامل لابن الأثير ٢: ٣٥٩ سنة ١١.

(٣) الكامل لابن الأثير ٢: ٣٥٩ سنة ١١.

(٤) جمهرة اللغة لابن دريد ١: ١٨٨.

(٥) المصدر نفسه.

هذا، وقال لبيد في خيه لأُمّه أربد:

فودّع بالسلام أبا حريز وقل وداع أربد بالسلام

وقال البحتري في رثاء أبي سعيد:

نستقصر الأكباد وهي قريحة ونذمّ فيض الدمع وهو سجام

«ولكنّه» أي: الموت.

«ما لا يملك ردّه، ولا يستطاع دفعه» وعنه عليه السلام:

الموت لا والداً يُبقي ولا ولداً هذا السبيل إلى أن لا ترى أحدا

كانّ النبيّ ولم يخلد لأُمّته لو خلّد الله خلقاً قبله خلدا

للموت فينا سهام غير خاطئة من فاته اليوم سهم لم يفته غدا[1]

«بأبي أنت وأُمّي اذكرنا عند ربّك، واجعلنا من بالك» أي: ممّن تبالي به ويكون عندك مهمّاً، أو ممّن يكون في خاطرك لا منسيّاً؛ وفي (تاريخ اليعقوبي): سمعوا صوتاً من البيت، يسمعون الصوت ولا يرون الشخص، فقال: السلام ورحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنّه حميد مجيد ﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾[2]، ﴿كلّ نفس ذائقة الموت وإنّما توفّون أُجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأُدخل الجنّة فقد فاز وما الحياة الدّنيا إلّا متاع الغرور﴾[3]، ﴿لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعنّ من الّذين أُوتوا الكتاب من قبلكم ومن الّذين أشركوا أذىً كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإنّ ذلك من عزم الأُمور﴾[4] إنّ في الله خلفاً من كلّ هالك، وعزاء من كلّ مصيبة، عظّم الله أُجوركم، والسلام ورحمة الله. فقيل لجعفر بن

(١) نقل الأبيات صاحب ديوان علي عليه السلام فيه: ٤٨.

(٢) الأحزاب : ٣٣.

(٣) آل عمران: ١٨٥.

(٤) آل عمران: ١٨٦.

محمّد عليه السلام: من كنتم ترونه؟ فقال: جبرئيل عليه السلام[١].

ومرّ في قوله عليه السلام «خصصت حتّى صرت مسلياً عن سواك» نظيره عن (الكافي)[٢]، ويأتي في فصل الإمامة الخاصّة قوله عليه السلام: «لقد قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله وإنّ رأسه لعلى صدري، ولقد سالت نفسه في كفّي فأمررتها على وجهي، ولقد وليت غسله، والملائكة أعواني فضجّت الدار والأفنية ملأ يهبط، وملأ يعرج، وما فارقت سمعي هينمة منهم، يصلّون عليه حتّى واريناه في ضريحه»[٣].

وأمّا شرح وفاته صلى الله عليه وآله ففي (المناقب): قال ابن عباس والسدي، لمّا نزل قوله تعالى: ﴿إنّك ميّت وإنّهم ميّتون﴾[٤] قال النبيّ صلى الله عليه وآله: ليتني أعلم متى يكون ذلك؟ فنزلت سورة النصر، فكان (النبيّ صلى الله عليه وآله) يسكت بين التكبير والقراءة بعد نزولها فيقول: «سبحان الله، وبحمده استغفر الله وأتوب إليه» فقيل له في ذلك؟ فقال: أما إنّ نفسي نعت إليّ ـ إلى أن قال ـ ثمّ نزلت: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم...﴾[٥] ثمّ نزلت عليه بعرفة: ﴿...اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا...﴾[٦] ثمّ نزلت عليه بعد أحد وثمانين يوماً آيات الربا[٧]. ثمّ نزلت بعدها: ﴿واتّقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله...﴾[٨] وهي آخر آية نزلت من السماء،

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ١١٤.

(٢) مرّ في أوائل هذا العنوان.

(٣) يأتي في العنوان ٤ من الفصل الثامن.

(٤) الزمر: ٣٠.

(٥) التوبة: ١٢٨.

(٦) المائدة: ٣.

(٧) انظر الآيات ٢٧٥ ـ ٢٨١ من سورة البقرة.

(٨) البقرة: ٢٨١.

فعاش بعدها أحد وعشرين يوماً.

قال ابن جريج: تسع ليال. وقال ابن جبير ومقاتل: سبع ليال. ولمّا مرض مرضه الّذي توفي فيه، وذلك يوم السبت أو الأحد من صفر أخذ بيد عليّ عليه السلام وتبعه جماعة من أصحابه، وتوجّه إلى البقيع، ثمّ قال: السلام عليكم أهل القبور وليهنكم ما أصبحتم فيه ممّا فيه الناس، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أوّلها، إنّ جبرئيل كان يعرض عليّ القرآن كلّ سنة مرّة، وقد عرضه العام عليّ مرّتين، ولا أراه إلّا لحضور أجلي[1].

ورواية تهنية النبيّ لموتى البقيع بعدم بقائهم بعده حتّى يبتلوا بفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أوّلها ـ بمعنى كون الفتن الأُخرى نتيجة الفتن الأُولى حين وفاته ـ رواية قطعية رواها المؤالف والمخالف، وهي دالّة على أنّ الباقين بعده لم يكونوا مذعنين لما يأمرهم بعده في أمر خلافته، وكيف لا، وقد صدّوه عن وصيّته، وقد أكّد في خروجهم في جيش أُسامة مرّة بعد مرّة، وكلّما أفاق من الغشوة حتّى لعن المتخلّف عن ذلك، وقد تخلّفوا، ودالّة على أنّ ما فعلوه يوم السقيفة كان خطأً عظيماً، وخبطاً جسيماً لا تعدّ مفاسده، ولا تنقضي وخاماته.

ومرّت رواية محمّد بن حبيب في (أماليه) في نجوى أمير المؤمنين عليه السلام للنبيّ صلّى الله عليه وآله وقت تغسيله، وقوله له: أشكو إليك كمداً وإدباراً مخالفين، وداء الفتنة فإنّها قد استعرت نارها، وداؤها الداء الأعظم[2].

هذا، ومن المراثي الجيّدة رثاء أبي محمّد التميمي ليزيد بن مزيد الشيباني ابن أخي معن بن زائدة، وكان هارون الرشيد يستجيدها، وإذا

(١) المناقب لابن شهر آشوب ١: ٢٣٤، والنقل بتصرف يسير.

(٢) مرّ في بدء هذا العنوان.

سمعها بكى، وهي:

أحقاً أنّه أودى يزيد	تبيّن أيّها الناعي المشيد
أتدري من نعيت وكيف فاهت	به شفتاك كان بها الصعيد
أحامي المجد والإسلام أودى	فما للأرض ويحك لا تميد
تأمّل هل ترى الإسلام مالت	دعائمه وهل شاب الوليد
وهل مالت سيوف بني نزار	وهل وضعت عن الخيل اللبود
وهل تسقى البلاد عشار مزن	بدرّتها وهل يخضّر عود
أما هدّت لمصرعه نزار	بلى وتقوّض المجد المشيد
وحلّ ضريحه إذ حلّ فيه	طريف المجد ذي حسب جمود
أبعد يزيد تختزن البواكي	دموعاً أو تصان لها خدود
لتبكك قبّة الإسلام لمّا	وهت أطنابها ووهى العمود
ويبكك شاعر لم يبق دهر	له نسباً وقد كسد القصيد
فمن يدعو الإمام لكلّ خطب	ينوب وكلّ معضلة تؤود
ومن يحمي الخميس إذا تعايا	بحيلة نفسه البطل النجيد
فإن يهلك يزيد فكلّ حيّ	فريس للمنية أو طريد
ألم يعجب له أنّ المنايا	فتكن به وهن له جنود
قصدن له وكنّ يحدن عنه	إذا ما الحرب شبّ له وقود
لقد عزّى ربيعة أنّ يوماً	عليها مثل يومك لا يعود

إلّا أنّها إغراقات وجزافات شعرية، فالرجل إن كان شجاعاً كان قاتلاً للناس بغير الحقّ، وإن كان جواداً كان باذلاً للمال في غير الحقّ، وإنّما الكلام الحقّ ما قاله عليه السلام فيه صلى الله عليه وآله.

٤٥
الحكمة (٢٩٢)

وقال عليه السلام على قبر رسول الله صلى الله عليه وآله ساعة دفن:

إِنَّ الصَّبْرَ لَجَمِيلٌ إِلَّا عَنْكَ، وإِنَّ الجَزَعَ لَقَبيحٌ إِلَّا عَلَيْكَ، وإِنَّ المُصابَ بك لَجَلِيلٌ، وإِنَّهُ قَبْلَكَ وَبَعْدَكَ لجَلَلٌ.

أقول: في (تذكرة سبط ابن الجوزي) قال الشعبي: بلغني أنّ أمير المؤمنين عليه السلام وقف على قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وقال: إنّ الجزع ليقبح إلّا عليك، وإنّ الصبر ليجمل إلّا عنك، ثمّ قال:

ما فاض دمعي عند نازلة ... إلّا جعلتك للبكا سببا
وإذا ذكرتك سامحتك به ... مني الجفون ففاض وانسكبا
إنّي أجلّ ثرى حللت به ... أن لا أرى بثراه مكتئبا[1]

«إنّ الصبر لجميل إلّا عنك» عنه عليه السلام كما في (المناقب) في رثائه:

نفسي على زفراتها محبوسة ... ياليتها خرجت مع الزفرات
لا خير بعدك في الحياة وإنّما ... أخشى مخافة أن تطول حياتي[2]

وعن عمّته عاتكة فيه:

أعينيّ من ذا بعد ما فجعتما به ... تبكّيان الدهر من ولد آدم

«وإن الجزع لقبيح إلّا عليك» قال السروي: روي أنّ الصديقة عليها السلام ما زالت بعد أبيها معصبة الرأس، ناحلة الجسم، منهدّة الركن، باكية العين، محترقة القلب، يغشى عليها ساعة بعد ساعة، وتقول لولديها: أين أبوكما الّذي كان يكرمكما، ويحملكما مرّة بعد مرّة؟ أين أبوكما الّذي كان أشدّ الناس شفقة

---

(١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٦٧.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ١: ٢٤٠، وصاحب ديوان علي عليه السلام فيه: ٤٠.

عليكما، فلا يدعكما تمشيان على الأرض؟ ولا أراه يفتح هذا الباب أبداً ولا يحملكما على عاتقه كما لم يزل يفعل بكما. ثمّ مرضت...[1].

وفي الخبر: أنّها بكت حتّى تأذّى بها أهل المدينة، فقالوا لها: قد آذيتنا بكثرة بكائك. فكانت تخرج إلى مقابر الشهداء، فتبكي حتّى تقضي حاجتها، ثمّ تنصرف[2].

ومثله الحسين عليه السلام، الصبر جميل إلّا عنه، والجزع قبيح، إلّا عليه؛ بل في الخبر: وعلى مثل الحسين عليه السلام فلتلطم الخدود، ولتشقّ الجيوب، فإنّ الفاطميات لطمن عليه، وشققن عليه[3].

وروي أنّ السجاد عليه السلام بكى عليه حتّى خيف على عينيه، وكان إذا أخذ إناء ماء ليشرب بكى حتّى يملأها دماً، وقال: وكيف لا أبكي، وقد منع أبي من الماء الّذي كان مطلقاً للسباع والوحوش[4].

وروي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال ـ حين نظر إلى الحسين عليه السلام ـ: يا عبرة كلّ مؤمن[5].

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: لمّا قتل الحسين عليه السلام أقامت إمرأته الكلبية عليه مأتماً، وبكت وبكت النساء حتّى جفّت دموعهن وذهبت، فبينا هي كذلك إذ رأت جارية من جواريها تبكي ودموعها تسيل، فسألتها عن ذلك، فقالت: شربت شربة سويق. قال فأمرت بالطعام والأسوقة، وقالت: إنّما نريد

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٣٦٢.

(٢) الخصال للصدوق: ٢٧٢ ح ١٥ باب الخمسة.

(٣) التهذيب للطوسي ٨: ٣٢٥ ح ٢٣، والنقل بتصرف.

(٤) المناقب لابن شهر آشوب ٤: ١٦٦.

(٥) كامل الزيارات لابن قولويه: ١٠٨ ح ١.

بذلك أن نتقوّى على البكاء[1].

«وإنّ المصاب بك لجليل» عنه صلى الله عليه وآله: من أُصيب بمصيبة، فليذكر مصيبته بي فإنّها من أعظم المصائب.

هذا، وفي (عيون ابن قتيبة) قال ابن الكلبي: لمّا قبض النبيّ صلى الله عليه وآله سمع بموته نساء من كندة وحضرموت، فخضبن أيديهن وضربن بالدفوف، فقال رجل منهم لأبي بكر في أيّامه:

أبلِغ أبا بكر إذا ما جئته　　إنّ البغايا رمن أي مرام

أظهرن من موت النبي صلى الله عليه وآله شماتة　　وخضبن أيديهنّ بالعلام

فاقطع هديت أكفهن بصارم　　كالبرق أومض من متون غمام

فكتب أبو بكر إلى عامله ثمّة فأخذهن، وقطّع أيديهن[2].

هذا، ومما يدخل في الباب قول بعض الأُدباء نثراً: لقد رزئنا من فلان عالماً في شخص، وأُمّة في نفس، مضى والمحاسن تبكيه، والمناقب تعزّى فيه، والعيون لما قرّت به أسخنها ريب المنون، والصدور لمّا شرحت به قبضها فقد المقدور. فاح فتيت المسك من مآثره، كما يفوح العبير من محابره. هذه المكارم تبدي شجوها لفقده، وتلبس حدادها من بعده، وهذه المحاسن قامت نوادبها مع نوادبه، واقترنت مصائبها بمصائبه.

«وإنّه قبلك وبعدك لجلل» أي: هيّن؛ قال امرؤ القيس ـ لمّا قتل أبوه:

ألا كلّ شيء سواه جلل[3].

قالوا: نعي في أُحد إلى امرأة من الأنصار أخوها وأبوها وزوجها،

---

(١) الكافي للكليني ١: ٤٦٦ ح٩، والنقل بتلخيص.

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ٣: ١١٦.

(٣) لسان العرب لابن منظور ١١: ١١٧ مادة (جلل) وصدره: بقتل بني أسد ربّهم.

فسألت عن النبيّ ﷺ فقالوا: كما تحبّين. قالت: أرونيه. فلمّا نظرت إليه قالت: كلّ مصيبة بعدك جلل[١].

ويأتي جلل بمعنى: الجليل أيضاً؛ قال ابن وعلة الجرمي:

فلئن عفوت لأعفون جللاً ولئن سطوت لأوهنن عظمي

وفي معنى كلامه عليه السلام «وإنّه قبلك وبعدك لجلل» قول حسّان أيضاً في رثاء النبيّ ﷺ:

وما فقد الماضون مثل محمّد ولا مثله حتّى القيامة يفقد

هذا، وقالت الخنساء في أخيها صخر:

فلست أرزى بعده برزية فأذكره إلّا سلّت وتجلّت

وقال متمّم في أخيه مالك الّذي قيل فيه: فتىً ولا كمالك.

لعمري وما دهري بتأبين هالك ولا جزع مما أصاب فأوجعا

قال في شواهد (الكتاب) لسيبويه، أي: لا أرثي، ولا أبكي بعده هالكاً، ولا أجزع بعده من شيء[٢].

وقال اعرابي: إنّها والله مصيبة جعلت سواد الرؤوس بيضاً، وبياض الوجوه سوداً، وهوّنت المصائب، وشيّبت الذوائب.

ولبعضهم:

ألا ليمت من شاء بعدك إنّما عليك من الأقدار كنت أُحاذر

أيضاً:

وكنت عليه أحذر الموت وحده فلم يبق لي شيء عليه أُحاذر

---

(١) السيرة لابن هشام ٣: ٤٣ والمغازي للواقدي ١: ٣١٥ وتاريخ الطبري ٢: ٢١٠ سنة ٣ والمرأة: أمّ عامر الأشهلية.

(٢) المعروف أنّ كتاب شرح شواهد الكتاب تأليف أبي جعفر النحاس، ولم أجد البيت فيه.

٤٦
الحكمة (٤٧٣)

وقيل له عليه السلام: لو غيّرت شيبتك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام:

الخِضابُ زِينَةٌ وَنَحْنُ قَوْمٌ فِي مُصيبَةٍ.

يريد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله.

قول المصنّف: «وقيل له عليه السلام: لو غيّرت شيبتك يا أمير المؤمنين» وكأنّه عليه السلام لم يغيّر شيبته إلى آخر عمره ابتداء لما ذكر هنا، وأخيراً لما روى عبد الله بن سنان أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله خضب والحسين عليه السلام قد خضب، وأبو جعفر عليه السلام، ولم يمنع علياً عليه السلام إلّا قول النبيّ صلى الله عليه وآله: تخضب هذه من هذه[1].

وممّا قيل في الاعتذار عن ترك الخضاب قول شاعر:

وقائلة أتخضب فالغواني ... تطير من ملاحظة القتير

فقلت لها المشيب نذير عمري ... ولست مسوّداً وجه النذير

وقيل لحكيم: شبت وأنت شاب، فلِمَ لا تعالجه بالخضاب؟ فقال: إنّ الثكلى لا تحتاج إلى الماشطة (أراد ثكله بعمره).

«فقال عليه السلام: الخضاب زينة ونحن قوم في مصيبة» وفي الخبر: أنّ الحسين عليه السلام لمّا وضع الحسن عليه السلام في اللحد قال:

أأدهن رأسي أم أطيب محاسني ... ورأسك معفور وأنت سليب[2]

ولابدّ أنّ السجاد عليه السلام ترك الخضاب دائماً، لأنّه كان في مصيبة أبيه إلى آخر عمره.

---

(١) الكافي للكليني ٦: ٤٨١ ح٨ وله شاهد أخرجه الصدوق في علل الشرائع: ١٧٣ ح١ وقوله «تخضب هذه من هذه» إخبار النبيّ صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام بشهادته، وهو حديث مشهور مرّ تخريجه في العنوان ٨ من الفصل الخامس.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ٤: ٤٥، وفي النسخ «أأدهن رأسي أم أطيب محاسني».

«يريد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله» هكذا في (المصرية) ولكن في (ابن أبي الحديد)[1] بدل الجملة «برسول الله صلى الله عليه وآله» وفي (ابن ميثم)[2] «يعني برسول الله صلى الله عليه وآله» وفي (الخطّية) «يريد برسول الله صلى الله عليه وآله» وعلى نقل ابن أبي الحديد يكون «برسول الله صلى الله عليه وآله» جزء كلامه عليه السلام، وعلى نقل الآخرين من كلام الرواة الرضي ـ رضوان الله عليه ـ أو غيره، وكأنّ نقل ابن ابي الحديد أصحّ، ويكون تنكير (مصيبة) للتعظيم، وعلى نقل (ابن ميثم والخطّية) الصفة مقدّرة، وكيف كان فما في المصرية ليس بصحيح لأنّه كخلاف الإجماع المركّب.

٤٧
الحكمة (٨٨)

وحكى عنه أبو جعفر محمّد بن علي الباقر عليهما السلام أنّه قال:
كان في الأرْضِ أمانانِ مِنْ عَذَابِ اللّ هِ، وقَدْ رُفِعَ أحَدُهُما، فَدُونَكُمُ الآخَرَ فَتَمَسَّكُوا بِهِ، أمّا الأَمانُ الذِي رُفِعَ فَهُوَ رَسولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله، وأمّا الأمانُ الْباقي فالاسْتِغْفارُ، قال اللّهُ تعالى: ﴿ وما كَانَ اللّـهُ لِـيُعَذِّبَهُمْ وأَنْتَ فِيهِمْ ومَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[3].
وهذا من محاسن الاستخراج ولطائف الاستنباط.

قول المصنف: «وحكى عنه أبو جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليهما السلام» وقريب ممّا حكى عنه عليه السلام الباقر عليه السلام ما حكى الصادق عليه السلام لكن عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: إنّ لكم في حياتي خيراً، وفي مماتي خيراً، أمّا في حياتي فقد قال تعالى: ﴿وما كان الله ليعذّبهم وأنت فيهم﴾[4] وأمّا في مماتي فتعرض عليّ أعمالكم فأستغفر لكم[5].

(١ و ٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٤: ٥٢٢ لكن لفظ شرح ابن ميثم ٥: ٤٦٦ مثل المصريّة.

(٣ و ٤) الأنفال: ٣٣.

(٥) الكافي للكليني ٨: ٢٥٤ ح٣٦١ عن الصادق عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله وتفسير العياشي ٢: ٥٤ ح٤٥ وتفسير القمي

«أنّه قال كان في الأرض أمانان ... فهو رسول الله ﷺ» عن أبي سعيد الخدري أنّ عماراً قال للنبيّ ﷺ: وددت أنّك عمّرت فينا عمر نوح عليه السلام. فقال ﷺ: يا عمّار حياتي خير لكم، ووفاتي ليس بشرّ لكم، أمّا في حياتي فتحدّثون وأستغفر الله لكم، وأمّا بعد وفاتي فاتّقوا الله وأحسنوا الصلاة عليّ وعلى أهل بيتي فإنكم تعرضون عليّ بأسمائكم وأسماء آبائكم وقبائلكم، وإن يكن خيراً حمدت الله تعالى، وإن يكن سوءاً أستغفر الله لذنوبكم. فقال المنافقون والشكّاك والّذين في قلوبهم مرض: يزعم أنّ الأعمال تعرض عليه بعد وفاته بأسماء الرجال، وأسماء آبائهم وأنسابهم إلى قبائلهم، إنّ هذا لهو الافك. فأنزل الله تعالى: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾[1] فقيل له: ومن المؤمنون؟ فقال: عامة وخاصّة، أمّا الّذين قال الله تعالى والمؤمنون فهم آل محمّد ﷺ والأئمة منهم عليهم السلام[2].

وروى ابن ديزيل عن الحسن بن الربيع البجلي، عن أبي إسحاق الفزاري، عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك في قوله تعالى: ﴿فإمّا نذهبنّ بك فإنّا منهم منتقمون * أو نرينّك الّذي وعدناهم فإنّا عليهم مقتدرون﴾[3] قال: أكرم الله تعالى نبيّه ﷺ أن يريه في أُمّته ما يكره، رفعه إليه وبقيت النقمة[4].

«وأمّا الأمان الباقي فالاستغفار» قال تعالى: ﴿ولو أنّهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توّاباً رحيماً﴾[5]،

١: ٢٧٧ عن الباقر عليه السلام عن النبيّ ﷺ.

(١) التوبة: ١٠٥.

(٢) محاسبة النفس لابن طاووس: ١٨.

(٣) الزخرف: ٤١ ـ ٤٢.

(٤) أخرجه ابن ديزيل عنه شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٥٥ وابن مردويه والبيهقي في الشعب عنهما الدر المنثور ٦: ١٨ عن حميد عن أنس.

(٥) النساء: ٦٤.

﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثمّ يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾[١].

«قال الله تعالى» في الأنفال في الآية (٣٣).

﴿وما كان الله ليعذّبهم وأنت فيهم وما كان الله معذّبهم وهم يستغفرون﴾ وقبل الآية: ﴿وإذ قالوا اللهمّ إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾[٢] وبعد الآية: ﴿ومالهم ألّا يعذّبهم الله وهم يصدّون عن المسجد الحرام﴾[٣].

وفي تفسير الآية روايات؛ إحداها: ما أشار إليه المصنّف، والثانية: ما في (تفسير القميّ) أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لقريش: إنّ الله بعثني أن أقتل جميع ملوك الدّنيا، وأجرّ الملك اليم، فأجيبوني إلى ما أدعوكم إليه تملكوا بها العرب وتدين لكم بها العجم، وتكونوا ملوكاً في الجنّة. فقال أبو جهل: اللّهمّ إن كان هذا الّذي يقوله محمّد ﴿هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾[٤] حسداً للنبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ قال: كنّا وبنو هاشم كفرسي رهان نحمل إذا حملوا، ونطعن إذا طعنوا، ونوقد إذا أوقدوا. فلمّا استوى بنا وبهم الركب قال قائل منهم: منّا نبيّ، لا نرضى بذلك أن يكون في بني هاشم، ولا يكون في بني مخزوم. ثمّ قال: غفرانك اللّهم. فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿وما كان الله ... وهم يستغفرون﴾[٥] حين قال: «غفرانك اللّهمّ» فلّما همّوا بقتل النبيّ صلى الله عليه وآله وأخرجوه من مكّة قال الله تعالى: ﴿وما لهم ألّا يعذّبهم الله وهم يصدّون عن

---

(١) النساء: ١١٠.

(٢) الأنفال: ٣٢.

(٣) الأنفال: ٣٤.

(٤) الأنفال: ٣٢.

(٥) الأنفال: ٣٣.

المسجد الحرام وما كانوا أولياءه...﴾[١] يعني قريشاً ما كانوا أولياء مكّة ﴿إنْ أولياؤه إلّا المتّقون﴾[٢] أنت وأصحابك يا محمّد. فعذّبهم الله بالسيف يوم بدر فقُتلوا[٣].

والثالثة: ما رواه (الكافي) في خبر مضمونه: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا بيّن مناقب أمير المؤمنين عليه السلام غضب الحارث الفهري، وقال: ﴿اللّهمّ إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ فأنزل تعالى مقالته، وأنزل آية: ﴿وما كان الله ليعذّبهم وأنت فيهم وما كان الله معذّبهم وهم يستغفرون﴾ فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: وإمّا تبت وإمّا رحلت؟ فقال: بل أرحل. فلمّا صار بظهر المدينة أتته جندلة، فرضت هامته، ثمّ أنزل: ﴿سأل سائل بعذاب واقع * للكافرين ليس له دافع﴾[٤].

وروى قريباً منه الثعلبي في (تفسيره) كما نقله عنه سبط ابن الجوزي في (تذكرته) إلّا أنّه روى أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا قال يوم الغدير للناس: من كنت مولاه فعليّ مولاه، قال الحارث: اللّهمّ إن كان ما يقول محمّد حقّاً... إلى آخره مثله[٥].

هذا، وروى (الكافي) في خطب التوحيد عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصف النبيّ صلى الله عليه وآله: اصطفاه بالتّفضيل، وهدى به من التّضليل، اختصّه لنفسه، وبعثه إلى خلقه برسالاته وبكلامه، يدعوهم إلى عبادته وتوحيده، والإقرار

(١ و ٢) الأنفال: ٣٤.

(٣) تفسير القمي ١: ٢٧٦.

(٤) الكافي للكليني ٨: ٥٨ ح١٨، والآيتان (١ ـ ٢) من سورة المعارج.

(٥) أخرجه الثعلبي في تفسيره عنه تذكرة الخواص: ٣٠ وفرات الكوفي بثلاث طرق في تفسيره: ١٨٩، ١٩٠ والحسكاني بثلاث طرق في شواهد التنزيل ٢: ٢٨٦، ٢٨٨ ح١٠٣٠، ١٠٣٣، ١٠٣٤ ورواه الطبرسي في مجمع البيان ١٠: ٣٥٢.

بربوبيّته، والتّصديق بنبيّه، بعثه على حين فترة من الرسل، وصدف عن الحقّ، وجهالة بالربّ، وكفر بالبعث والوعيد، فبلّغ رسالاته، وجاهد في سبيله، ونصح لأُمّته، وعبده حتّى أتاه اليقين[١].

وروى الخطيب في عبد الوهاب ـ كاتب عيسى بن المقتدر ـ مسنداً عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصف النبيّ صلى الله عليه وآله قال: لم يكن بالطّويل الممعط ولا القصير المتردد، وكان ربعة ولم يكن بالجعد القطط، ولا السبط، كان جعداً رجلاً ولم يكن بالمطهمّ، ولا المكلثم كأنّ في الوجه تدويراً، أبيض مشرباً، أدعج العينين، أهدب الأشفار، جليل المشاش والكتد، ذا مسربة، شثن الكفّين والقدمين، إذا مشى تقلّع كأنّما يمشي في صبب، وإذا التفت التفت جميعاً، بين كتفيه خاتم النبوّة، وهو خاتم النّبيين، أجرأ النـاس صدراً، وأصدق النـاس لهجة، وأوفاهم بذمة، وألينهم عريكة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبّه، يقول ناعته: لم أرَ قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وآله[٢].

---

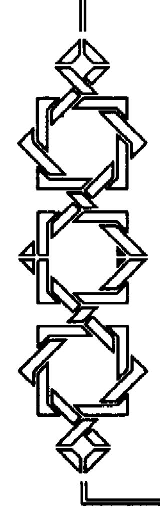
(١) لم أعثر عليها في كتاب التوحيد من الكافي، وقريب منه ضمن خطبة في الكافي ٨: ١٧٤ كتاب الروضة.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١١: ٣٠ ومرّ تخريجه من طرق أُخرى في العنوان ٥ من هذا الفصل.



الفصل السابع

في الإمامة العامّة





١
من الحكمة (١٤٧)

في جزء كلامه عليه السلام لكميل:

اللهُمَّ بَلَى، لَا تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلّهِ بحُجَّةٍ، إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً، وَإِمَّا خَائِفاً مَغْمُوراً، لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ اللّهِ وَبَيِّنَاتُهُ.

وَكَمْ ذَا وَأَيْنَ؟ أُولَئِك وَاللّهِ الْأَقَلُّونَ عَدَداً، وَالْأَعْظَمُونَ قَدْراً، يَحْفَظُ اللّهُ بِهِمْ حُجَجَهُ وَبَيِّنَاتِهِ حَتَّى يُودِعُوهَا نُظَرَاءَهُمْ، وَيَزْرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ. هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ الْبَصِيرَةِ، وَبَاشَرُوا رَوْحَ الْيَقِينِ، وَاسْتَلَانُوا مَا اسْتَوْعَرَهُ الْمُتْرَفُونَ، وَأَنِسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ وَصَحِبُوا آلدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَى، أُولَئِكَ خُلَفَاءُ اللّهِ فِي أَرْضِهِ، وَالدُّعَاةُ إِلَى دِينِهِ. آهِ آهٍ شَوْقاً إِلَى رُؤْيَتِهِمْ!

انصَرِفْ يَا كُمَيْلُ إِذَا شِئْتَ.

أقول: كلامه عليه السلام هذا لكميل متواتر، رواه من العامّة ابن عبد ربّه في

(عقده) عن أيّوب بن سليمان، عن عامر بن معاوية، عن أحمد بن عمران الأخفش، عن الوليد بن صالح الهاشمي، عن عبد الله بن عبد الرّحمن الكوفي، عن أبي مخنف، عن كميل عنه عليه السلام[1]، وأبو هلال العسكري في (ديوان معانيه)، عن أبي أحمد العسكري، عن الهيثم بن أحمد، عن علي بن حكيم الآذري، عن الرّبيع بن عبد الله المدني، عن عبد الله بن الحسن، عن محمّد بن علي، عن آبائه، عن كميل، عنه عليه السلام[2]، وسبط ابن الجوزي في (تذكرته) مسنداً عن أبي حمزة، عن عبد الرحمن بن محمّد، عن كميل، عنه عليه السلام[3].

ومن الخاصّة الكليني، والصدوق، وابن أبي شعبة الحلبي، والشيخان، والنعماني؛ روى الأوّل من (الكافي) بإسنادين عن الحسن بن محبوب، عن أبي أُسامة وهشام بن سالم، عن أبي حمزة، عن أبي إسحاق عمّن يثق به من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام: أنّه عليه السلام قال: اللهمَّ إنّك لا تخلي أرضك من حجّة لك على خلقك[4].

وروى مسنداً عن أبي حمزة، عن أبي إسحاق، عن الثقة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام سمعوه يقول في خطبة له: اللهمَّ وإنّي لأعلم أنّ العلم لا يأرز كلّه، ولا ينقطع موادُّه، وأنّك لا تخلي أرضك من حجّة لك على خلقك ظاهر ليس بالمطاع، أو خائف مغمور كيلا تبطل حججك، ولا يضلّ أولياؤك بعد إذ هديتهم، بل أين هم وكم أُولئك الأقلّون عدداً، والأعظمون عند الله جلّ ذكره قدراً، المتّبعون لقادة الدّين الأئمّة الهادين، الذين يتأدّبون بآدابهم، وينهجون نهجهم؟ فعند ذلك يهجم بهم العلم على حقيقة الايمان، فتستجيب أرواحهم

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه ٢: ٦٩.

(٢) ديوان المعاني للعسكري ١: ١٤٦.

(٣) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٤١.

(٤) الكافي للكليني ١: ١٧٨ ح٧.

لقادة العلم، ويستلينون من حديثهم ما استوعر على غيرهم، يأنسون بما استوحش منه المكذِّبون، وأباه المسرفون. أُولئك أتباع العلماء، صحبوا أهل الدّنيا بطاعة الله تبارك وتعالى، أولياؤه، ودانوا بالتّقية عن دينهم والخوف من عدوّهم، فأرواحهم معلّقة بالمحل الأعلى، فعلماؤهم وأتباعهم خرس صمت في دولة الباطل، منتظرون لدولة الحقّ، وسيحقّ الله الحقّ بكلماته ويمحق الباطل. ها ها طوبى لهم على صبرهم على دينهم في حال هدنتهم، ويا شوقاه إلى رؤيتهم في حال ظهور دولتهم، وسيجمعنا الله وإيّاهم في جنّات عدن، ﴿ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذريّاتهم﴾[١].

وروى أيضاً بالأسناد أنّه عليه السلام خطب على منبر الكوفة، وحفظ عنه فقال: اللهمَّ إنّه لابدّ لك من حجج في أرضك، حجّة بعد حجّة على خلقك، يهدونهم إلى دينك ويعلّمونهم علمك، كيلا يتفرّق أتباع أوليائك، ظاهر غير مطاع أو مكتتم يترقّب، إن غاب عن النّاس شخصهم في حال هدنتهم فلم يغب عنهم قديم مبثوث علمهم، وآدابهم في قلوب المؤمنين مثبتة، فهم بها عاملون. ويقول عليه السلام في هذه الخطبة في موضع آخر: في من هذا ولهذا يأرز العلم، إذا لم يوجد له حملة يحفظونه، ويروونه كما سمعوه من العلماء ويصدّقون عليهم فيه، اللهمّ فإنّي لأعلم أنّ العلم لا يأرز كلّه، ولا ينقطع موادّه، وأنّك لا تخلي أرضك من حجّة لك على خلقك، ظاهر ليس بالمطاع أو خائف مغمور، كيلا تبطل حججك ولا يضلّ أولياؤك بعد إذ هديتهم، بل أين هم، وكم هم أُولئك الأقلّون عدداً الأعظمون عند الله قدراً[٢]؟

ورواه الثاني في (إكماله) بأحد عشر إسناداً عن عبد الرّحمن بن جندب،

---

(١) الكافي للكليني ١: ٣٣٥ ح٣، والآية ٢٣ من سورة الرعد.

(٢) الكافي للكليني ١: ٣٣٩ ح١٣.

عن كميل، عنه عليه السلام، وبإسنادين عن فضيل بن خديج، عن كميل، عنه عليه السلام، وبإسناد عن أبي صالح، عن كميل، عنه، وبآخر عن أبي إسحاق عن الثقة، عنه صلى الله عليه وآله، وقال: ولهذا الحديث طرق كثيرة[1].

ورواه الثّالث في (تحفه)، والرابع في (إرشاده)، والخامس في (أماليه)، وإسناده عن المفيد، عن الصدوق، عن أبيه، عن ماجيلويه، عن محمّد بن علي الصيرفي، عن نصر بن مزاحم، عن عمر بن سعد، عن فضيل بن خديج، عن كميل، عنه عليه السلام[2].

ورواه الأخير في (غيبته) مثل خبر شيخه الكليني، وزاد قبل قوله: «فمن هذا ولهذا يأرز العلم، إذا لم يوجد له حملة...» يأنسون بما يستوحش منه المكذّبون، ويأباه المسرفون بالله. كلام يكال بلا ثمن، من كان يسمعه بعقله فيعرفه ويؤمن به ويتّبعه وينهج نهجه فيصلح به. ثمّ يقول...[3]

«اللهمّ بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة» قال البحتري:

وهل خلا الدّهر أولاه وآخره ... من قائم بهدى مذ كوّن البشر

في (الأغاني) قال خالد بن صفوان: أوفدني يوسف بن عمر إلى هشام بن عبد الملك ـ إلى أن قال ـ: قال خالد بن صفوان لهشام: إنّ ملكاً من الملوك قبلك خرج في عام مثل عامك هذا إلى الخورنق والسدير في عام قد بكر وسميّه وتتابع وليّه، وأخذت الأرض زينتها على اختلاف ألوان نبتها في ربيع مونق، فهو في أحسن محضر، وأحسن مختبر، بصعيد كأنّ ترابه قطع، وقد كان أعطى فتاء السنّ، مع الكثرة والغلبة والقهر، فنظر فأبعد النّظر، ثمّ قال

---

(١) أخرجه الصدوق بأحد عشر طريقاً عن عبد الرحمن، وبطريقين عن فضيل، وبطريق واحد عن أبي صالح، وبطريق واحد عن أبي إسحاق عن ثقة من أصحابنا في كمال الدين: ٢٨٩ ح٢، و: ٣٠٢ ح١٠.

(٢) تحف العقول لابن شعبة: ١٧٠، والارشاد للمفيد: ١٢٢، والأمالي لأبي علي الطوسي: ٢٠.

(٣) الغيبة للنعماني: ٨٧.

لجلسائه: لمن مثل هذا هل رأيتم مثل ما أنا فيه، وهل أُعطي أحد مثل ما أُعطيت؟ وكان عنده رجل من بقايا حملة الحجّة والمضيّ على أدب الحقّ ومنهاجه ـ ولم تخلُ الأرض من قائم لله بحجّة في عباده ـ فقال: أيّها الملك إنّك سألت عن أمر، أفتأذن لي في الجواب عنه؟...»[1].

وقال منصور بن حازم من أصحاب أبي عبد الله الصادق عليه السلام لقوم من العامّة: ألستم تعلمون أنّ رسول الله كان هو الحجّة من الله على خلقه، فحين ذهب الرّسول من كان الحجّة بعده؟ فقالوا: القرآن. قال: ننظر في القرآن فإذا يخاصم به المرجئ والحروري والزّنديق الّذي لا يؤمن حتّى يغلب خصمه، فعرف أنّ القرآن لا يكون حجّة إلّا بقيّم ما قال فيه كان حقّاً، فمن قيّم القرآن؟ قالوا: كان عبد الله بن مسعود وفلان وفلان يعلمون. قال: يعلمون كلّه. قالوا: لا. قال لهم: لم نجد أحداً يقال يعرف ذلك كلّه إلّا علي، وإذا كان الشّيء بين قوم وقال هذا: لا أدري لمن هو، وقال هذا: لا أدري، وقال آخر: أدري أنّه لي؛ فهو له، فأشهد أنّ علياً عليه السلام كان قيّم القرآن، وكانت طاعته مفروضة، وكان حجّة بعد النّبيّ صلى الله عليه وآله على النّاس كلّهم، وأنّه ما قال في القرآن فهو حقّ، وأشهد أنّ علياً عليه السلام لم يذهب حتّى ترك حجّة من بعده كما ترك الرّسول حجّة من بعده[2].

قال ابن أبي الحديد بعد نقل العنوان: وهذا يكاد يكون تصريحاً بمذهب الإمامية، إلّا أنّ أصحابنا يحملونه على أنّ المراد به الأبدال الّذين وردت الأخبار النّبويّة عنهم أنّهم في الأرض سائحون، فمنهم من يُعرف ومنهم من

---

(١) لم أجده في الأغاني.

(٢) الكافي للكليني ١: ١٨٨ ح١٥، ومعرفة الرجال للكشي، اختياره: ٤٢٠ ح٧٩٥، وروى صدره الكليني في الكافي ١: ١٦٨ ح٢ والنقل بتصرف يسير.

لا يُعرف، وأنّهم لا يموتون حتّى يودعوا السرّ، وهو العرفان عند قوم آخرين يقومون مقامهم...»[١].

قلت: قد عرفت أنّ الكلام كالمتواتر عنه عليه السلام ودلالته أيضاً صريحة، وهل حمل أصحابه إلّا تحكّم؟ ومن هؤلاء الأبدال الذين قال ابن أبي الحديد هل جنّ أو ملك؟ ﴿إن هي إلّا أسماء سمّيتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان...﴾[٢]. ولِمَ لم يحملوا أخبار الأبدال على أهل بيته الأئمّة الاثني عشر عليه وعليهم السلام، كما هو القاعدة في حمل المجمل على المفصّل، والمشكوك على المتيقّن؟ وما يفعلون بقوله عليه السلام بعد: «إمّا ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً»، فأيّ بدل من أبدالهم كان ظاهراً مشهوراً، وأيّهم كان خائفاً مغمورا، ﴿...فإنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾[٣]؟

وكيف، وكلامه عليه السلام يشمل الأنبياء؟ فإنّ تعبيره عليه السلام: «لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة»، ومعلوم أنّ الأنبياء من القائمين لله بحجّة بلا خلاف، فلابدّ أن يراد بالحجّة الأنبياء ومن كان بمنزلتهم من أوصيائهم، ولم يكن بعد نبيّنا صلى الله عليه وآله من يكون مثله في العصمة، ومن يقوم به الحجّة سوى الأئمّة الاثني عشر بإجماع الأُمّة.

وروى ابن قتيبة في (عيونه) مسنداً عن إبراهيم بن عبد الرّحمن قال: قال النّبيّ صلى الله عليه وآله: يحمل هذا العلم من كلّ خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين[٤].

وقال محمّد بن علي بن بابويه في (إكماله) في قوله تعالى: ﴿...إنّما أنت

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٣١٣.

(٢) النجم: ٢٣.

(٣) الحج: ٤٦.

(٤) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢: ١١٩.

منذر ولكلّ قوم هاد﴾[١]: دليل على أنّه لم تخلُ الأرض من هداة في كلّ قوم، وكلّ عصر تلزم العباد الحجّة لله تعالى من الأنبياء والأوصياء، فالهداة من الأنبياة والأوصياء لا يجوز انقطاعهم ما دام التّكليف من الله تعالى لازماً للعباد[٢].

وقال أيضاً في قوله تعالى: ﴿وإذ قال ربّك للملائكة إنّي جاعل في الأرض خليفة...﴾[٣]: دليل على أنّ الحكمة في الخليفة أبلغ من الحكمة في الخليقة، فلذلك ابتدأ به لأنّه سبحانه حكيم، والحكيم من يبدأ بالأهم دون الأعم، وذلك تصديق قول الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام، حيث يقول: «الحجّة قبل الخلق، ومع الخلق وبعد الخلق»[٤]. ولو خلق الله تعالى الخليقة خلوّاً من الخليفة لكان قد عرّضهم للتّلف إلى أن قال: ومن زعم أنّ الدّنيا تخلو ساعة من إمام لزمه أن يصحّح مذهب البراهمة في إبطالهم الرّسالة، ولولا أنّ القرآن نزل بأنّ محمّداً صلى الله عليه وآله خاتم الأنبياء لوجب كون رسول في كلّ وقت، فلمّا صحّ ذلك ارتفع معنى كون الرّسول بعده، وبقيت الصورة المستدعية للخليفة في العقل[٥].

هذا، وفي (تاريخ خلفاء السيوطي) في خلفائهم الذين ينصبونهم ويجعلونهم حجّة بينهم وبينه تعالى، كما كان الوثنيّون ينحتون بأيديهم وثناً، ثمّ يجعلونه إلهاً يعبدونه ليقرّبهم إلى الله زلفى، أو الّذين يغلبونهم بالسيف فيأخذون منهم البيعة، ويخلعون من كان خليفتهم قبل، ويأمرونهم

---

(١) الرعد: ٧.

(٢) كمال الدين للصدوق: ٦٦٧.

(٣) البقرة: ٣٠.

(٤) الكافي للكليني ١: ١٧٧ ح٤، وكمال الدين للصدوق: ٢٢١ ح٥، و: ٢٣٢ ح٣٦.

(٥) كمال الدين للصدوق: ٤، والكافي للكليني ١: ١٧٧ ح٤.

بلعنه، فيصير بعد ساعة وليّ الله لهم عدوّ الله وعدوّ الله حجّة الله. وقصة الخوارج مع أصحاب المهلّب بعد قتل ابن الزّبير واستيلاء عبد الملك على العراق في ذلك معروفة ـ بعد ذكر قتل هولاكو في سنة (٦٥٦) للمستعصم آخر العبّاسيين في العراق: «ثمّ دخلت سنة سبع وخمسين بعد ستّمائة والدّنيا بلا خليفة»[1]. وقال بعد ذكر نصبهم بمصر خليفة في سنة (٦٥٩): «وكان مدّة انقطاع الخلافة ثلاث سنين ونصفاً»[2].

قلت: ولم يبق حتّى يرى انقطاع خلافتهم إلى الأبد.

وفيه أيضاً في عنوان (في مدّة الخلافة في الاسلام) بعد نقل خبر جابر بن سمرة عن النّبيّ ﷺ: لا يزال هذا الأمر عزيزاً ينصرون على من ناواهم عليه اثني عشر خليفة كلّهم من قريش ـ أخرجه الشيخان وغيرهما وله طرق وألفاظ ـ إلى أن قال ـ: قال القاضي عياض: لعلّ المراد بالاثني عشر في هذه الأحاديث وما شابهها: أنّهم يكونون في مدّة عزّة الخلافة، وقوّة الإسلام، واستقامة أُموره، والاجتماع على من يقوم بالخلافة، وقد وجد هذا في من اجتمع عليه النّاس إلى أن اضطرب أمر بني أُميّة ووقعت بينهم الفتنة زمن الوليد بن يزيد، فاتّصلت بينهم إلى أن قامت الدولة العباسية فاستأصلوا أمرهم.

ثمّ قال: قال شيخ الاسلام ابن حجر في شرح البخاري: كلام القاضي عياض أحسن ما قيل في الحديث وأرجحه لتأييده بقوله في بعض طرق الحديث الصحيحة: «كلّهم يجتمع عليه الناس». وإيضاح ذلك أنّ المراد بالاجتماع: انقيادهم لبيعته، والّذي وقع أنّ الناس اجتمعوا على أبي بكر ثمّ

---

(١) تايخ الخلفاء للسيوطي: ٤٧٥.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٤٧٦.

عمر ثمّ عثمان ثمّ عليّ، إلى أن وقع أمر الحكمين في صفّين فتسمّى معاوية يومئذٍ بالخلافة، ثمّ اجتمع الناس على معاوية عند صلح الحسن، ثمّ اجتمعوا على ولده يزيد، ولم ينتظم للحسين أمر بل قُتل قبل ذلك، ثمّ لمّا مات يزيد وقع الاختلاف إلى أن اجتمعوا على عبد الملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير، ثمّ اجتمعوا على أولاده الأربعة: الوليد ثمّ سليمان ثمّ يزيد ثمّ هشام، وتخلّل بين سليمان ويزيد، عمر بن عبد العزيز. فهؤلاء سبعة بعد الخلفاء الراشدين والثاني عشر هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك، اجتمع النّاس عليه لمّا مات عمّه هشام، فولّي نحو أربع سنين، ثمّ قاموا عليه فقتلوه، وانتشرت الفتن وتغيّرت الأحوال من يومئذٍ. ولم يتّفق أن يجتمع النّاس على خليفة بعد ذلك، لأنّ يزيد بن الوليد الّذي قام على ابن عمّه الوليد بن يزيد لم تطل مدّته، بل ثار عليه قبل أن يموت ابن عمّ أبيه مروان بن محمّد بن مروان، ولمّا مات يزيد ولّي أخوه إبراهيم فقتله مروان، ثمّ ثار على مروان بنو العبّاس إلى أن قُتل، ثمّ كان أوّل خلفاء بني العبّاس السفاح، ولم تطل مدّته مع كثرة من ثار عليه، ثمّ ولي أخوه المنصور فطالت مدّته لكن خرج عنهم المغرب الأقصى باستيلاء المروانيّين على الأندلس، واستمرّت في أيديهم متغلّبين عليها إلى أن تسمّوا بالخلافة بعد ذلك، وانفرط الأمر إلى أن لم يبق من الخلافة إلّا الاسم في البلاد، بعد أن كان يخطب للخليفة في جميع الأقطار من الأرض شرقاً وغرباً ويميناً وشمالاً ممّا غلب عليه المسلمون، ولا يتولّى أحد في بلد من البلاد كلّها الإمارة على شيء منها إلّا بأمر الخليفة. ومن انفراط الأمر أنّه كان في المائة الخامسة بالأندلس وحدها ستّة أنفس كلّهم يتسمّى بالخلافة، ومعهم صاحب مصر العُبيدي، والعبّاسي ببغداد خارجاً عمّن كان يدّعي الخلافة في أقطار الأرض من العلوية والخوارج ـإلى أن قال ـ: وقيل: إنّ المراد وجود اثني عشر خليفة في جميع مدّة الإسلام إلى يوم القيامة يعملون بالحقّ وإن لم تتوال أيّامهم، ويؤيّد

هذا ما أخرجه مسدّد في مسنده الكبير عن أبي، الخلد أنّه قال: «لا تهلك هذه الأمّة حتّى يكون منها اثنا عشر خليفة كلّهم يعمل بالهدى ودين الحقّ، منهم رجلان من أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله» وعلى هذا فالمراد بقوله: «ثمّ يكون الهرج» أي: الفتن المؤذنة بقيام الساعة من خروج الدّجّال وما بعده.

وقال السيوطي بعد نقل كلامه: وعلى هذا فقد وجد من الاثني عشر خليفة: الخلفاء الأربعة والحسن ومعاوية وابن الزبير وعمر بن عبد العزيز، هؤلاء ثمانية، ويحتمل أن يضمّ إليهم المهتدي من العباسيين، لأنّه فيهم كعمر بن عبد العزيز في بني أمية، وكذلك (الظاهر) لما أوتيه من العدل وبقي الاثنان المنتظران، أحدهما المهدي لأنّه من آل بيت محمّد صلى الله عليه وآله[1].

قلت: كذب شيخ إسلامهم في كون أمير المؤمنين عليه السلام ممّن اجتمع عليه الناس كيزيد، كيف وخالفه أمّ مؤمنيهم وحواريهم وصاحبه وابن عمرو وسعد والمغيرة وسعيد بن العاص وجمع آخر، وسمّوا أيّامه عليه السلام أيّام فتنة؟

وأغرب صاحب الكتاب في جعل معاوية وابن الزّبير من الّذين يعملون بالهدى ودين الحقّ، فمحاربتهما وسبّهما لأمير المؤمنين عليه السلام هل هو من الهدى ودين الحق؟! ولعمر الله دين الدّهريّة والوثنيّة أقرب الى العقول من دين إخواننا السّنة.

«إمّا ظاهراً مشهوراً» كأمير المؤمنين عليه السلام وأبنائه العشرة من الحسن السبط إلى الحسن العسكري صلوات الله عليهم؛ وورد أنّ رجلاً من أهل الشام ورد على جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام فقال: إنّي صاحب كلام وفقه وفرائض، وقد جئتك لمناظرة أصحابك. فقال عليه السلام له: كلامك من كلام النّبيّ صلى الله عليه وآله أو من عندك؟ فقال: بعضه من كلامه وبعضه من عندي. فقال عليه السلام:

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ١٠ ـ ١٢.

فأنت إذن شريك النّبيّ ﷺ؟ قال: لا. قال: فسمعت الوحي عن الله تعالى؟ قال: لا. قال: فتجب طاعتك كالنّبيّ ﷺ؟ قال: لا. فقال: هذا خصم نفسه قبل أن يتكلّم. ثمّ أمره عليه السلام أوّلاً بالكلام مع حمران بن أعين ومؤمن الطاق وهشام بن سالم وقيس الماصر من أصحابه، فكلّموه فغلبوا عليه. ثم قال عليه السلام له: كلّم هذا الغلام ـ مشيراً إلى هشام بن الحكم ـ وكان أوّل ما اختطّت لحيته. فقال الشامي: سلني يا غلام في إمامة هذا ـ يعني الصادق عليه السلام ـ فغضب هشام حتّى ارتعد. فقال له: أخبرني يا هذا أربّك أنظر لخلقه أم هم لأنفسهم؟ فقال الشامي: بل ربّهم أنظر لهم. قال هشام: ففعل الربّ بنظره لخلقه في دينهم ماذا؟ قال: كلّفهم، وأقام لهم حجّة ودليلاً على ما كلّفهم، وأزاح في ذلك عللهم. فقال هشام: فما هذا الدّليل الذي نصبه لهم؟ قال الشامي: هو النّبيّ ﷺ. قال هشام: فبعده مَنْ؟ قال الشّامي: الكتاب والسنّة. قال هشام: فهل نفعنا اليوم الكتاب والسنّة في ما اختلفنا فيه حتّى يرفع عنّا الاختلاف ويمكّننا من الاتّفاق؟ قال: نعم. قال هشام: فلِمَ اختلفنا نحن، وأنت جئتنا من الشام وخالفتا وتزعم أنّ الرّأي طريق الدّين، وأنت مقرّ بأنّ الرّأي لا يجمع على القول الواحد المختلفين. فسكت الشامي كالمفكّر، فقال له الصادق عليه السلام: مالك لا تتكلّم؟ قال: إن قلت: إنّا ما اختلفنا كابرت، وإن قلت: إنّ الكتاب والسنّة يرفعان عنّا الاختلاف أبطلت، لأنّهما يحتملان الوجوه، وإن قلت: قد اختلفنا وكلّ واحد منّا يدّعي الحق، فلم ينفعنا إذن الكتاب والسّنّة، ولكن لي عليه مثل ذلك. فقال عليه السلام: سله تجده مليّاً. فقال لهشام: من أنظر للخلق ربّهم أم أنفسهم؟ فقال: بل ربّهم. فقال: فهل أقام لهم من يجمع كلمتهم، ويرفع اختلافهم، ويبيّن لهم حقّهم من باطلهم؟ قال: نعم. قال: من هو؟ قال: أما في ابتداء الشريعة فالنّبيّ ﷺ، وأمّا بعده فغيره. فقال الشامي: من غيره القائم مقامه في حجّته؟ قال هشام: في وقتنا هذا أم قبله؟ قال الشامي: بل في وقتنا هذا. قال هشام: هذا الجالس ـ وأشار إلى

الصادق عليه السلام ـ الّذي تشدّ إليه الرحال، ويخبرنا بأخبار السماء وراثة عن أب عن جدّ. فقال: وكيف لي بعلم ذلك؟ قال: سله عمّا بدا لك. قال: قطعت عذري، فعليّ السؤال. فقال له الصادق عليه السلام: أنا أكفيك المسألة يا شامي؛ أُخبرك عن سيرك وسفرك خرجت يوم كذا، وكان في طريقك كذا، ومررت على كذا، ومرّ بك كذا. فأقبل الشامي يقول كلّما وصف له شيئاً من أمره: صدقت والله. ثمّ قال الشامي: أسلمت لله السّاعة. فقال الصادق عليه السلام: بل آمنت بالله الساعة، إنّ الاسلام قبل الايمان وعليه يتوارثون ويتناكحون، وعلى الايمان يثابون. قال الشامي: صدقت، فأنا الساعة أشهد ألا إله إلّا الله وأنّ محمّداً صلى الله عليه وآله رسوله وأنّك وصيّ الأوصياء[1].

«أو خائفاً مغموراً» كالقائم المنتظر عليه السلام، قال الصادق عليه السلام ـ كما في خبر إسحاق بن عمّار ـ للقائم غيبتان: إحداهما قصيرة، والأُخرى طويلة، والغيبة الأُولى لا يعلم بمكانه فيها إلّا خاصّة شيعته، والأُخرى لا يعلم بمكانه فيها إلّا خاصّة مواليه[2].

وقال عليه السلام أيضاً لسدير الصيرفي: إنّ في صاحب هذا الأمر شبهاً من يوسف. فقال سدير: كأنّك تذكر حياته وغيبته؟ فقال عليه السلام: وما تنكر من ذلك؟ هذه الأُمّة أشباه الخنازير. إنّ إخوة يوسف عليه السلام كانوا أسباطاً أولاد الأنبياء، تاجروا يوسف وبايعوه وخاطبوه وهم إخوته وهو أخوهم، فلم يعرفوه حتّى قال: ﴿...أنا يوسف وهذا أخي...﴾[3] فما تنكر هذه الأُمّة الملعونة أن يفعل الله تعالى بحجّته في وقت من الأوقات كما فعل بيوسف. إنّ يوسف كان إليه ملك

---

(١) الاحتجاج للطبرسي: ٣٦٤.

(٢) الكافي للكليني ١: ٣٤٠ ح١٩، والغيبة للنعماني: ١١٣ بطريقين.

(٣) يوسف: ٩٠.

مصر، وكان بينه وبين والده مسيرة ثمانية عشر يوماً، فلو أراد أن يعلمه لقدر على ذلك، لقد سار يعقوب وولده عند البشارة تسعة أيّام من بدوهم إلى مصر، فما تنكر هذه الأمّة أن يفعل الله تعالى بحجّته كما فعل بيوسف، أن يمشي في أسواقهم ويطأ بسطهم حتّى يأذن الله تعالى في ذلك له كما أذن ليوسف ﴿قالوا أإنّك لأنت يوسف قال أنا يوسف﴾[1].

ولما أنشد دعبل الخزاعي أبا الحسن الرضا قصيدته التي أوّلها:

مدارس آيات خلت من تلاوة

إلى أن انتهى إلى قوله:

خروج إمام لا محالة خارج يقوم على اسم الله والبركات
يميّز فينا كلّ حقّ وباطل ويجزي على النّعماء والنّقمات

بكى الرّضا عليه السلام بكاءً شديداً، ثمّ رفع رأسه إليه، وقال له: يا خزاعي نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين، فهل تدري من هذا الإمام ومتى يقوم؟ فقال: لا يا مولاي، إلّا أنّي سمعت بخروج إمام منكم يطهّر الأرض من الفساد، ويملؤها عدلاً. فقال عليه السلام: يا دعبل الإمام بعدي محمّد ابني، وبعد محمّد ابنه علي، وبعد عليّ ابنه الحسن، وبعد الحسن ابنه الحجّة القائم المنتظر في غيبته المطاع في ظهوره، لو لم يبق من الدّنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله تعالى ذلك اليوم حتى يخرج فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً[2].

وعن أبي خالد الكابلي قال: دخلت على سيّدي عليّ بن الحسين عليه السلام ـ إلى أن قال ـ قلت له: روي لنا عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّ الأرض لا تخلو من

---

(١) الكافي للكليني ١: ٣٣٦ ح ٤، وكمال الدين للصدوق: ٣٤١ ح ٢١ وعلل الشرائع: ٢٤٤ ح ٣، والغيبة للنعماني: ١٠٨، ١٠٩، والآية ٩٠ من سورة يوسف.

(٢) كمال الدين للصدوق: ٣٧٢ ح ٦، وعيون الأخبار ٢: ٢٦٩ ح ٣٥، وكفاية الأثر للخراز: ٢٧١.

حجّة لله جلّ وعزّ على عباده. فمن الحجة والإمام بعدك؟ فقال: ابني محمّد، واسمه في التوراة باقر، إنّه يبقر العلم بقراً، هو الحجّة والإمام بعدي، ومن بعد محمّد ابنه جعفر، واسمه عند أهل السماء الصادق. فقلت له: يا سيدي فكيف صار اسمه الصادق وكلّكم صادقون؟ قال: فإنّ الخامس من ولده الّذي اسمه جعفر يدّعي الإمامة اجتراءً على الله وكذباً عليه، فهو عند الله جعفر الكذاب المفتري على الله المدعي لما ليس له بأهل، المخالف لأبيه والحاسد لأخيه، ذاك الذي يكشف سرّ الله عند غيبة وليّ الله. ثمّ بكى عليه السلام بكاءً شديداً، ثمّ قال: كأنّي بجعفر الكذّاب وقد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمر ولي الله، والمغيّب في حفظ الله، وعلى التوكيل بحرم أخيه، جهلاً منه بولادته وحرصاً على قتله إن ظفر به، طمعاً في ميراث أبيه حتّى يأخذه بغير حقّه...[1].

وفي (حلية أبي نعيم) في محمّد بن الحنفيّة مسنداً عنه عن أبيه عليه السلام عن النّبيّ صلى الله عليه وآله قال: المهدي منّا أهل البيت، يصلحه الله تعالى في ليلة -أو قال- في يومين[2].

وروى (الحلية) أيضاً عن عمرو بن ثابت قال: قال محمّد بن الحنفيّة: ترون أمرنا لهو أبين من هذه الشمس، فلا تعجلوا ولا تقتلوا أنفسكم[3].

وروى (الحلية) في محمّد بن عليّ الباقر مسنداً عنه عليه السلام قال: إنّ الله تعالى يلقي في قلوب شيعتنا الرّعب، فإذا قام قائمنا وظهر مهدينا كان الرّجل أجرأ من ليث، وأمضى من سنان[4].

وفي (مقاتل أبي الفرج) في عنوان الحسن بن عليّ عليه السلام روى بأسانيد

---

(١) كمال الدين للصدوق: ٣١٩ ح ٢ بطريقين، والاحتجاج للطبرسي: ٣١٧ والنقل بتصرف يسير.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم ٣: ١٧٧.

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم ٣: ١٧٥.

(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم ٣: ١٨٤.

عنه عليه السلام عن أبيه عن النّبيّ صلى الله عليه وآله قال: إنّ الدّنيا تسع البرّ والفاجر حتّى يبعث الله امام الحقّ من آل محمّد صلى الله عليه وآله[1].

وممّا يدل على أنّ مراده عليه السلام بالخائف المغمور: القائم المنتظر صلوات الله عليه شهرة ذلك من أيّام الصحابة والتابعين؛ قال الجاحظ في (بيانه): كتب مسلمة بن عبد الملك إلى يزيد بن المهلّب (لمّا خرج على يزيد بن عبد الملك): «إنّك ـ والله ـ ما أنت بصاحب هذا الأمر؛ صاحب هذا الأمر مغمور موتور، وأنت مشهور غير موتور»[2].

والمغمور: المخفي في الجمع، من قولهم: دخلت في غمار النّاس. أي: كثرتهم وزحمتهم، وهو في مقابل المشهور كما يفهم من كلام مسلمة.

«لئلّا تبطل حجج الله وبيّناته» وفي روايتي الكليني المتقدّمتين: «كيلا تبطل حججك ولا يضلَّ أولياؤك بعد إذ هديتهم»[3].

«وكم ذا وأين أُولئك» وفي رواية (العقد): «وكم رأينا»[4]. وفي روايتي الكليني المتقدّمتين «بل أين هم وكم هم»[5]. وكيف كان فروى (الكافي) عن الأصبغ قال: أتيت أمير المؤمنين عليه السلام فوجدته متفكّراً ينكت في الأرض، فقلت: يا أمير المؤمنين مالي أراك متفكّراً تنكت في الأرض، أرغبة منك فيها؟ فقال: لا والله ما رغبت فيها، ولا في الدّنيا يوماً قطّ، ولكنّي فكّرت في مولود يكون من ظهر الحادي عشر من ولدي، هو المهدي الّذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، تكون له غيبة وحيرة يضلّ فيها أقوام ويهتدي فيها

---

(١) المقاتل لأبي الفرج: ٤٤ ضمن حديث.

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ٢: ٢٦٨.

(٣) الكافي ١: ٣٣٥، ٣٣٩ ولفظ الثانية «حجّتك».

(٤) لفظ العقد الفريد ٢: ٦٩ مثل المصرية ايضاً إلّا أن «أُولئك» لم يتكرّر فيه.

(٥) الكافي للكليني ١: ٣٣٥، ٣٣٩ ولفظ الأُولى «أين هم وكم».

آخرون ـ إلى أن قال ـ: وأنّى لك بهذا الأمر يا أصبغ؟ أُولئك خيار هذه الأمّة مع خيار أبرار هذه العترة[١].

«أُولئك والله الأقلّون عدداً والأعظمون قدراً» هكذا في (الخطية)، ولكن في (ابن أبي الحديد)[٢]: «والأعظمون عند الله قدراً» ومثله (المصرية)؛ قال الرضا عليه السلام: قال النّبيّ صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام: لا يحفظني فيك إلّا الأتقياء الأبرار الأصفياء، وما هم في أُمّتي إلّا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود في الليل الغابر[٣].

«يحفظ الله بهم حججه وبيّناته» هكذا في (المصرية)، والصواب: (بهم يحفظ الله حججه وبيّناته) كما في (ابن ميثم والخطّية) وكذا (ابن أبي الحديد)[٤].

«حتّى يودعوها نظراءهم ويزرعوها في قلوب أشباههم» وفي رواية الكليني الأُولى المتقدّمة بدل الكلام: «المتّبعون لقادة الدّين الأئمّة الهادين الّذين يتأدّبون بآدابهم وينهجون نهجهم»[٥]. لكن مقتضى المقام أنّ يكون ما في (الكافي) زائداً على نقل المصنّف لإتمامه، وحينئذٍ فسقط من كلّ منهما إن صحّت النّسخ إحدى الجملتين.

وكيف كان فروى النعماني في (غيبته) عن عبد الملك بن أعين قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: إنّ احتمال أمرنا ليس معرفته وقبوله، إنّ احتمال أمرنا هو صونه وستره عمّن ليس من أهله فأقرئهم السلام ورحمة الله ـ يعني الشيعة ـ

---

(١) الكافي للكليني ١: ٣٣٨ ح٧.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٤: ٣١١، وشرح ابن ميثم ٥: ٣٢٢ أيضاً.

(٣) عيون الأخبار للصدوق ٢: ١٣٠ ح١٧.

(٤) كذا في شرح ابن ميثم ٥: ٣٢٢، لكن لفظ شرح ابن أبي الحديد ٤: ٣١١ «يحفظ الله بهم».

(٥) الكافي ١: ٣٥٥.

وقل: قال لكم: رحم الله عبداً استجرّ مودّة الناس إلى نفسه وإلينا، بأن يُظهر لهم ما يعرفون، ويكفّ عنهم ما يكرهون[١].

وفي رواية الصفار في (بصائره) عن معمّر بن خلّاد قال: سمعت الرّضا عليه السلام يقول: أسرّ الله سرّه إلى جبرئيل وأسرّه جبرئيل إلى محمّد صلى الله عليه وآله وأسرّه محمّد صلى الله عليه وآله إلى علي عليه السلام وأسرّه عليّ عليه السلام إلى مَنْ شاء واحداً بعد واحد صلوات الله عليهم[٢].

«هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة، وباشروا روح اليقين» روى الصدوق في (إكماله) أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال لابنه الحسين عليه السلام: التاسع من ولدك يا حسين هو القائم بالحقّ المظهر للدّين، والباسط للعدل. فقال الحسين عليه السلام: يا أمير المؤمنين وإنّ ذلك لكائن؟ فقال عليه السلام: إي والّذي بعث محمّداً صلى الله عليه وآله بالنبوّة واصطفاه على جميع البرية، ولكن بعد غيبة وحيرة، فلا يثبت فيها على دينه إلّا المخلصون المباشرون لروح اليقين، الّذين أخذ الله تعالى ميثاقهم بولايتنا وكتب في قلوبهم الايمان وأيّدهم بروح منه[٣].

«واستلانوا» أي: عدوا ليّناً.

«ما استوعره» أي: وجده وعراً غليظاً.

«المترفون» الّذين أطغتهم النعمة.

«وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون» قال الصادق عليه السلام: أقرب ما يكون العباد من الله عزّوجلّ وأرضى ما يكون عنهم إذا افتقدوا حجّة الله عزّوجلّ فلم يظهر لهم ولم يعلموا بمكانه، وهم في ذلك يعلمون أنّه لم تبطل حجّة الله، وقد

---

(١) أخرجه النعماني في الغيبة: ٢١ عن عبد الأعلى بن أعين وعبد الملك خطأ.

(٢) هذا حديث أبي بصير عن الباقر عليه السلام أخرجه الصفار في البصائر: ٣٩٧ ح٤، وأمّا حديث معمّر بن خلّاد فأخصر من هذا وقد أخرجه في: ٣٩٧ ح٣.

(٣) كمال الدين للصدوق: ٣٠٤ ح١٦.

علم أنّ أولياءه لا يرتابون، ولو علم أنّهم يرتابون ما غيّب عنهم حجّته طرفة عين، ولا يكون ذلك إلّا على رأس شرار النّاس[1].

وقال السجادعليه السلام: تمتدّ الغيبة بولي الله ـإلى أن قال ـ: إنّ أهل زمان غيبته القائلين بإمامته والمنتظرين لظهوره أفضل من أهل كلّ زمان، لأنّ الله أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله بالسيف، أُولئك المخلصون حقّاً وشيعتنا صدقاً، والدّعاة إلى دين الله تعالى سرّاً وجهراً[2].

«وصحبوا الدّنيا بأبدان أرواحها معلّقة بالمحلّ الأعلى» روى (الكافي) عن جابر عن أبي جعفرعليه السلام قال: في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح القدس، وروح الايمان، وروح الحياة، وروح القوّة، وروح الشهوة؛ فبروح القدس يا جابر عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى. ثمّ قال: يا جابر إنّ هذه الأربعة الأرواح يصيبها الحدثان إلّا روح القدس، فإنّها لا تلهو ولا تلعب[3].

«أُولئك خلفاء الله في أرضه والدّعاة إلى دينه» قال ابن بابويه في قوله تعالى: ﴿...إنّي جاعل في الأرض خليفة...﴾[4]: إنّ القضيّة في الخليفة باقية إلى يوم القيامة، ومن زعم أنّ الخليفة أراد به النّبوّة فقد أخطأ من وجه، وذلك أنّ الله تعالى وعد أن يستخلف من هذه الأمّة خلفاء راشدين، كما قال تعالى: ﴿...وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الّذين من قبلهم وليمكنّن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدّلنّهم من

---

(١) كمال الدين للصدوق: ٣٣٧، ٣٣٩ ح ١٠، ١٦، ١٧ بثلاث طرق، والنقل بتقطيع.

(٢) كمال الدين للصدوق: ٣١٩ ح ٢ ضمن حديث.

(٣) الكافي للكليني ١: ٢٧٢ ح ٢.

(٤) البقرة: ٣٠.

بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً...﴾[١]. ولو كانت قضية الخلافة قضية النبوّة أوجب حكم الآية أن يبعث الله عزّوجلّ نبيّاً بعد محمّد صلى الله عليه وآله[٢].

وروى: أنّ أحمد بن إسحاق دخل على العسكري عليه السلام يريد أن يسأله عن خلفه، فقال عليه السلام له مبتدئاً: يا أحمد إنّ الله تعالى لم يُخلِ الأرض منذ خلق آدم ولا يخليها إلى أن تقوم الساعة من حجّة على خلقه، به يدفع البلاء عن أهل الأرض، وبه ينزّل الغيث، وبه يُخرج بركات الأرض...[٣].

«آه آه» قال الجوهري قولهم: أوه من كذا، ساكنة الواو، إنّما هو توجع؛ قال الشاعر:

فأوه لذاكر ما إذا ما ذكرتها ... ومن بعد أرض بيننا وسماء

وربّما قلبوا الواو ألفاً. فقالوا: آه من كذا[٤].

«شوقاً إلى رؤيتهم» لم ينحصر إظهار الاشتياق إليهم عليهم السلام به عليه السلام، فقد أظهر جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً الاشتياق إليهم، حتّى إنّه أمر جابر الأنصاري بإبلاغه سلامه صلى الله عليه وآله إلى آخر من يدركه منهم؛ ففي (تذكرة سبط ابن الجوزي): ذكر المدائني عن جابر الأنصاري أنّه أتى أبا جعفر محمّد بن علي إلى الكتّاب وهو صغير، فقال له: رسول الله صلى الله عليه وآله يسلّم عليك. فقيل لجابر: وكيف هذا؟ فقال: كنت جالساً عند النّبيّ صلى الله عليه وآله والحسين عليه السلام في حجره وهو يداعبه، فقال: يا جابر يولد له مولود اسمه عليّ، إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: ليقم سيّد العابدين. فيقوم ولده، ثمّ يولد له ولد اسمه محمّد فإن أدركته يا

---

(١) النور: ٥٥.

(٢) كمال الدين للصدوق: ٥.

(٣) كمال الدين للصدوق: ٣٨٤ ح١.

(٤) صحاح اللغة للجوهري ٦: ٢٢٢٥ مادة (اوه).

جابر فأقرئه منّي السّلام[١].

«انصرف إذا شئت» وفي اسناد «إذا شئت فقم» وتعليق أمر الانصراف بمشيئة الطرف في مثله من جميل الخطاب، وحسن الآداب؛ ونظيره أنّ أبا العيناء ـوكان أعمى ـ قال: ما رأيت أقوم على أدب من ابن أبي داود، وذلك أني ما خرجت من عنده قطّ فقال: يا غلام خذ بيده، بل كان يقول: يا غلام اخرج معه.

وممّا يناسب المقام في قوله عليه‌السلام: «انصرف» ما في (بيان الجاحظ): أنّ رجلاً من العسكر عدا بين يدي المأمون، فقال له بعض من يسير بقربه: يقول لك الخليفة: اركب. فقال المأمون: لا يقال لمثل هذا اركب. إنّما يقال لمثل هذا: انصرف[٢].

٢
الخطبة (٨٦)

ومن خطبة له عليه‌السلام:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ ٱللهَ لَمْ يَقْصِمْ جَبَّارِي دَهْرٍ قَطُّ إِلَّا بَعْدَ تَمْهِيلٍ وَرَخَاءٍ، وَلَمْ يَجْبُرْ عَظْمَ أَحَدٍ مِنَ ٱلْأُمَمِ إِلَّا بَعْدَ أَزْلٍ وَبَلاَءٍ، وَفِي دُونِ مَا ٱسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ عتْبٍ وَمَا ٱسْتَدْبَرْتُمْ مِنْ خَطْبٍ مُعْتَبَرٌ. وَمَا كُلُّ ذِي قَلْبٍ بِلَبِيبٍ، وَلَا كُلُّ ذِي سَمْعٍ بِسَمِيعٍ، وَلَا كُلُّ نَاظِرٍ بِبَصِيرٍ.

فَيَا عَجَباً! وَمَا لِيَ لَا أَعْجَبُ مِنْ خَطَاءِ هَذِهِ ٱلْفِرَقِ عَلَى ٱخْتِلَافِ حُجَجِهَا فِي دِينِهَا، لَا يَقْتَصُّونَ أَثَرَ نَبِيٍّ، وَلَا يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيٍّ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ، وَلَا يَعِفُّونَ عَنْ عَيْبٍ، يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ، وَيَسِيرُونَ فِي

---

(١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ٣٣٧.

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ٢: ٢٨٥.

الشَّهَوَاتِ. المَعْرُوفُ فِيهِمْ مَا عَرَفُوا، وَالْـمُنْكَرُ عِـنْدَهُم مَـا أَنْكَـرُوا. مَفْزَعُهُمْ فِي المُعْضِلاَتِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ، وَتَعْوِيلُهُمْ فِي المُـهِمَّاتِ عَـلَى آرَائِهِمْ، كَأَنَّ كُلَّ آمْرِئٍ مِنْهُمْ إِمَامُ نَفْسِهِ، قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِيما يَرَى بِعُرى ثِقَاتٍ، وَأَسْبَابٍ مُحْكَمَاتٍ.

أقول: رواه الكليني في (روضته) مسنداً عن الصادق عليه السلام قـال: خـطب أمير المؤمنين عليه السلام بالمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على النّبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ قال: أمّا بعد، فإنّ الله تعالى لم يقصم جبّاري دهر إلّا من بعد تمهيل ورخاء، ولم يجبر كسر عظم من الأُمم إلّا بعد أزل وبلاء. أيّها الناس في دون ما استقبلتم من عطب واستدبرتم من خطب معتبر، وما كلُّ ذي قلب بـلبيب، ولا كـلّ ذي سمع بسميع، ولا كلّ ذي ناظر عين ببصير. عباد الله أحسنوا في ما يـعنيكم النّظر فيه، ثمّ انظروا إلى عرصات من قد أقاده الله بعمله، كانوا على سنّة من آل فرعون أهل ﴿جنّات وعيون * وزروع ومقام كريم﴾[1]، ثمّ انظروا بما ختم الله لهم بعد النّضرة والسرور والأمر والنّهي، ولمن صبر منكم العاقبة في الجنان ـ والله ـ مخلّدون، ولله عاقبة الأمور. فيا عجباً ومالي لا أعجب من خطأ هـذه الفرق على اختلاف حججها في دينها، لا يقتفون أثر نبيّ، ولا يقتدون بـعمل وصيّ، ولا يؤمنون بغيب، ولا يعفّون عن عيب. المعروف فـيهم مـا عـرفوا، والمنكر عندهم ما أنكروا، وكلُّ امرئ منهم إمام نفسه، أخذ منها في ما يرى بعرى وثيقات، وأسباب محكمات، فلا يزالون بجور، ولن يزدادوا إلّا خطأً، لا ينالون تقرّباً، ولن يزدادوا إلّا بعداً مـن الله عـزّوجلّ. أنس بـعضهم بـبعض، وتصديق بعضهم لبعض. كلّ ذلك وحشةً ممّا ورث النّبيُّ الأُميّ صلى الله عليه وآله ونفوراً ممّا أدّى إليهم من أخبار فاطر السّماوات والأرض. أهـل حسـرات، وكـهوف

---

(١) الدخان: ٢٥ ـ ٢٦.

شبهات، وأهل عشوات، وضلالة وريبة. من وكله الله إلى نفسه ورأيه فهو مأمون عند من يجهله، غير المتّهم عند من لا يعرفه. فما أشبه هؤلاء بأنعام قد غاب عنها رعاؤها...[١].

ورواه المفيد في (إرشاده) عن مسعدة بن صدقة عن الصادق عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: أمّا بعد، فإنّ الله تعالى لم يقصم جبّاراً قطّ إلّا بعد تمهيل ورخاء، ولم يجبر كسر عظم أحد من الأُمم إلّا بعد أزل وبلاء. أيّها الناس وفي دون ما استقبلتم من خطب واستدبرتم من عصر معتبر، وما كلّ ذي قلب بلبيب، ولا كلُّ ذي سمع بسميع، ولا كلّ ذي ناظر عين ببصير، ألا فأحسنوا النظر ـ عباد الله ـ في ما يعنيكم، ثمّ انظروا إلى عرصات من أباده الله بعمله، كانوا على سنّة من آل فرعون أهل ﴿جنّات وعيون * وزروع ومقام كريم﴾. فها هي عرصة المتوسّمين، ﴿وإنّها لبسبيل مقيم﴾[٢]، تنذر من نابها من الثّبور بعد النّضرة والسرور، ومقيل من الأمن والحبور، ولمن صبر منكم العاقبة، ولله عاقبة الأُمور. فواهاً لأهل العقول، كيف أقاموا بمدرجة السّيول، واستضافوا غير مأمون رئيساً لهذه الأُمّة الجائرة في قصدها الراغبة عن رشدها؟ لا يقتفون أثر نبي، ولا يقتدون بعمل وصيّ، ولا يؤمنون بغيب، ولا يرعوون من عيب. كيف، ومفزعهم في المبهمات إلى قلوبهم، وكلّ امرئ منهم إمام نفسه، أخذ منها في ما يرى بعرى ثقات. لا يألون قصداً، ولن يزدادوا إلّا بعداً، لشدّة أُنس بعضهم ببعض، وتصديق بعضهم بعضاً حياداً كلّ ذلك عمّا ورث الرّسول، ونفوراً عمّا أدّى إليه من فاطر السماوات والأرضين العليم الخبير. فهم أهل عشوات كهوف شبهات، قادة حيرة وريبة. من وكل إلى

---

(١) الكافي للكليني ٨: ٦٣ ح ٢٢ كتاب الروضة.

(٢) الحجر: ٧٦.

نفسه فاغرورق في الأضاليل. هذا وقد ضمن الله قصد السبيل ﴿...ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيا من حيّ عن بيّنة وإنّ الله لسميع عليم﴾[١]. فيا ما أشبهها أُمّة صدّت عن ولاتها ورغبت عن رعاتها...[٢].

ونقل الخوئي أيضاً الأوّل وأشار إلى الثاني[٣].

«امّا بعد، فإنّ الله» هكذا في (المصرية) وزاد (ابن ميثم والخطّية)[٤] «سبحانه».

«لم يقصم» قال الجوهري: قصمت الشيء قصماً: إذا كسرته حتّى يبين[٥].

«جبّاري دهر قطّ إلّا بعد تميل» هكذا في (المصرية)، والصواب: (تمهيل) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية) ويصدّقه الرّوضة والإرشاد[٦].

«ورخاء» وهو ضدّ الشدّة، وعدم قصمه تعالى للجبّارين إلّا بعد تمهيل ورخاء هو سنّته عزّوجلّ؛ قال تعالى: ﴿فلما نسوا ما ذكّروا به فتحنا عليهم أبواب كلّ شيء حتّى إذا فرحوا بما أُوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون﴾[٧].

وبتمهيله جلّ وعلا يغترّ الجبّارون ويزيدون جبّاريتهم؛ وفي (أغاني أبي الفرج) قال أبو عبيدة: حدّثني أبو الهذيل العلّاف قال: صعد خالد القسري

---

(١) الأنفال: ٤٢.

(٢) الإرشاد للمفيد: ١٥٥.

(٣) شرح الخوئي ٣: ٦١.

(٤) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٣٣، والكافي ٨: ٦٤، والإرشاد: ١٥٥، لكن لفظ شرح ابن ميثم ٢: ٣٠٥ «فإن الله» و «تميل» أيضاً.

(٥) صحاح اللغة للجوهري ٥: ٢٠١٣ مادة (قصم).

(٦) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٣٣، والكافي ٨ : ٦٤، والإرشاد: ١٥٥، لكن لفظ شرح ابن ميثم ٢: ٣٠٥ «فإن الله» و «تميل» أيضاً.

(٧) الأنعام: ٤٤.

المنبر، فقال: إلى كم يغلب باطلنا حقّكم؟ أما آن لربّكم أن يغضب لكم؟ وكان زنديقاً أُمّه نصرانية، فكان يولّي النصارى والمجوس على المسلمين، ويأمرهم بامتهانهم وضربهم، وكان أهل الذمّة يشترون الجواري المسلمات ويطؤهنّ، فيطلق لهم ذلك، ولا يغيّر عليهم[1].

«ولم يجبر» الجبر: إصلاح العظم المكسور؛ ويعبّر عنه في الفارسيّة بقولهم: (شكست وبست).

«عظم أحد من الأُمم إلّا بعد أزل» أي: ضيق.

«وبلاء» فكما لم يهلك الجبّارين إلّا بعد مدّة طويلة لم يقوّ المقهورين إلّا بعد شدّة عريضة؛ ما قال عليه السلام ذلك ـ أي: عدم قصم الجبّارين، وعدم إغاثة المقهورين ـ إلّا بعد مدّة، تمثيلاً لحاله عليه السلام وحال المتقدّمين عليه ﴿سنّة الله في الّذين خلوا من قبل ولن تجد لسنّة الله تبديلاً﴾[2].

ويشهد لكلامه عليه السلام في الجبّارين والمستضعفين قوله تعالى في فرعون وأصحابه وموسى وقومه: ﴿وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك قال سنقتّل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنّا فوقهم قاهرون * قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتّقين * قالوا أُوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعدما جئتنا قال عسى ربّكم أن يُهلك عدوّكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون * ولقد أخذنا آل فرعون بالسّنين ونقص من الثمرات لعلّهم يذّكّرون * فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيّئة يطّيّروا بموسى ومن معه ألا إنّما طائرهم عند الله ولكنّ أكثرهم لا يعلمون *

---

(١) الأغاني لأبي الفرج ٢٢: ١٦.

(٢) الأحزاب: ٦٢.

وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين * فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدّم آيات مفصّلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين * ولمّا وقع عليهم الرّجز قالوا يا موسى ادع لنا ربّك بما عهد عندك لئن كشفت عنّا الرّجز لنؤمننّ لك ولنرسلنّ معك بني إسرائيل * فلمّا كشفنا عنهم الرّجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون * فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليّم بأنّهم كذّبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين * وأورثنا القوم الّذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمّت كلمة ربّك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمّرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون﴾[1].

«وفي دون» أي: أقلّ.

«ما استقبلتم من عتب» أي: العتاب.

«وما استدبرتم» هكذا في (المصرية)، والصواب: (واستدبرتم) كما في (ابن ميثم والخطّية)[2].

«من خطب» أي: الأمور العظيمة.

«معتبر» مبتدأ لقوله: «وفي دون». يقال لك: في هذا الأمر عبرة ومعتبر. ومراده عليه السلام أنّ في الأقلّ ممّا استقبلهم هو عليه السلام وزوجته سيّدة النساء صلوات الله عليها وباقي بني هاشم، من العبّاس والفضل بن عبّاس وغيرهما، وشيعته من سلمان وأبي ذر والمقداد وعمّار وحذيفة ونظرائهم من عتابهم في ما فعلوا، من تقديم الثلاثة عليه عليه السلام وتركهم لمن هو بمنزلة نفس الرّسول صلى الله عليه وآله في العصمة والطهارة والعلم بالكتاب والسنّة ـ كما هو حقّه ـ والإرشاد إلى

---

(١) الأعراف: ١٢٧ ـ ١٣٧.

(٢) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٣٣، وشرح ابن ميثم ٢: ٣٠٥ مثل المصرية أيضاً.

أحكام الشريعة كما شرعها النّبيّ ﷺ من الله تعالى، ورفعهم للأجانب الّذين بالضدّ من ذلك، وممّا استدبرهم من مفاسد تقديم أُولئك، لا سيّما في أيّام ثالثهم ما يوجب عبرتهم واعترافهم بخطئهم ورجوعهم عن عملهم.

«وما كلّ ذي قلب بلبيب» صاحب لبٍّ يميّز بين القشر واللبّ، ولذا قال تعالى: ﴿...قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنّما يتذكّر أُولو الألباب﴾[1].

«ولا كلّ ذي سمع بسميع» يعمل بما سمع؛ قال تعالى: ﴿ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تُسمع الصمّ ولو كانوا لا يعقلون﴾[2]، ﴿أم تحسب أنّ أكثرهم يسمعون أو يعقلون إنْ هم إلّا كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً﴾[3].

«ولا كلّ ناظر» هكذا في (المصرية)، والصواب: (ولا كلّ ذي ناظر) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية)[4].

«ببصير» يفرّق بين الحقائق وغيرها؛ قال تعالى: ﴿...فإنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصّدور﴾[5]. ومراده عليه السلام أنّه وإن كان في دون ما استقبلوه وما استدبروه ما يوجب اعتبارهم وفهمهم خطأهم، في تركهم أهل بيت نبيّهم ﷺ إلّا أنّه لمّا كان أكثر النّاس لا يعقلون ولا يميّزون بين الحقّ والباطل كما قال تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولنّ الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾[6]، وقال عزّوجلّ في موضع:

---

(١) الزمر: ٩.

(٢) يونس: ٤٢.

(٣) الفرقان: ٤٤.

(٤) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٣٣ ، لكن في شرح ابن ميثم ٢: ٣٠٥ «لا كل ناظر» أيضاً.

(٥) الحج: ٤٦.

(٦) لقمان: ٢٥.

﴿...ولكنّ أكثرهم لا يعلمون﴾[1]، وفي آخر: ﴿...وهم لا يشعرون﴾[2] بقي أكثرهم في تيههم ولم يهتدوا لسبيلهم، وإنّما رجع إليه عليه السلام جمع معدود.

قال الكشي: قال الفضل بن شاذان: إنّ من السابقين الّذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام أبا الهيثم بن التيهان، وأبا أيّوب، وخزيمة بن ثابت (أي: ذو الشهادتين) وجابر بن عبد الله، وزيد بن أرقم، وأبا سعيد الخدري، وسهل بن حنيف، والبراء بن مالك، وعثمان بن حنيف، وعبادة بن الصامت. ثمّ ممّن دونهم قيس بن سعد بن عبادة، وعدي بن حاتم، وعمرو بن الحمق، وعمران بن الحصين، وبريدة الأسلمي، وبشرٌ كثير[3].

«فيا عجباً ومالي لا أعجب من خطأ هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها لا يقتصون» قال الجوهري: قصّ أثره: أي تتبّعه[4].

قال تعالى: ﴿...فارتدّا على آثارهما قصصا﴾[5]. وكذلك: (اقتص أثره، وتقصص أثره).

«أثر نبيّ ولا يقتدون بعمل وصيّ» بل يتّبعون أهواءهم وآراءهم؛ روى الأصبغ عنه عليه السلام قال: ما بال أقوام غيّروا سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وعدلوا عن وصيّه، لا يتخوّفون أن ينزل بهم العذاب؟ ثمّ تلا هذه الآية: ﴿ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفراً وأحلّوا قومهم دار البوار...﴾[6]. ثمّ قال عليه السلام: نحن النّعمة التي أنعم الله بها على عباده، وبنا يفوز من فاز يوم القيامة[7].

---

(1) الأنعام: 37.

(2) الزخرف: 66.

(3) معرفة الرجال للكشي ـ اختياره: 38 ح78.

(4) صحاح اللغة للجوهري 3: 1051 مادة (قصّ).

(5) الكهف: 64.

(6) إبراهيم: 28.

(7) الكافي للكليني 1: 217 ح1.

وروى أبو هارون عن أبي عقيل قال: كنّا عند أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: لتفترقنّ هذه الأمّة على ثلاث وسبعين فرقة، والّذي نفسي بيده، إنّ الفرق كلّها ضالّة إلّا من اتّبعني وكان من شيعتي[١].

وعن الصادق عليه السلام قال لأحد أصحابه: أتدري لِمَ أُمرتم بالأخذ بخلاف ما تقول العامّة؟ قال: لا. قال: إنّ عليّاً عليه السلام لم يكن يدين الله بدين إلّا خالف عليه الأُمّة إلى غيره إرادةً لإبطال أمره، وكانوا يسألون أمير المؤمنين عليه السلام عن الشيء الذي لا يعلمونه، فإذا أفتاهم جعلوا له ضدّاً من عند أنفسهم ليلبسوا على النّاس[٢].

وعن الكاظم عليه السلام قال: ما رأيت الناس أخذوا عن الحسن والحسين عليهما السلام إلّا الصلاة بعد العصر وبعد الغداة في طواف الفريضة[٣].

وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال ابن عبّاس: وايم الله، أنْ لو قُدّم من قَدّم الله، وأُخّر من أَخّر الله ما عالت فريضة[٤].

وعن سعيد بن أبي الخضيب البجلي: كنت مع ابن أبي ليلى مزامله حتّى جئنا إلى المدينة، فبينا نحن في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله إذ دخل جعفر بن محمّد، فقلت لابن أبي ليلى: أما تقوم بنا إليه؟ فقال: وما نصنع عنده؟ قلت: نسائله ونحدّثه. فقال: نعم. فقمنا إليه فسألني عن نفسي وأهلي، ثمّ قال: من هذا معك؟ فقلت: ابن أبي ليلى قاضي المسلمين. فقال له: تأخذ مال هذا فتعطيه هذا،

---

(١) الأمالي للمفيد: ٢١٢ ح٣ المجلس ٢٤، والغارات للثقفي ٢: ٥٨٥، ويأتي تخريجه من طرق أُخرى في العنوان ١٧ من هذا الفصل.

(٢) علل الشرائع للصدوق: ٥٣١ ح١.

(٣) الكافي للكليني ٤: ٤٢٤ ح٥، والتهذيب للطوسي ٥: ١٤٢ ح١٤٤، والاستبصار ٢: ٢٣٦ ح٣.

(٤) الكافي للكليني ٧: ٧٩ ح٣، والفقيه للصدوق ٤: ١٨٧ ح٣، وعلل الشرائع: ٥٦٨ ح٤، والتهذيب للطوسي ٩: ٢٤٨ ح٦، والفرائض لأبي الشيخ، وسنن البيهقي عنهما منتخب كنز العمال ٤: ٢٠٧ ضمن حديث طويل.

وتقتل، وتفرّق بين المرء وزوجه، لا تخاف في ذلك أحداً؟ قال: نعم. قال: فبأيّ شيء تقضي؟ قال: بما بلغني عن النّبيّ صلى الله عليه وآله وعن عليّ، وعن أبي بكر وعمر. قال: فبلغك عن النّبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: إنّ أقضاكم عليّ؟ قال: نعم. قال: فكيف تقضي بغير قضاء علي، وقد بلغك هذا؟ فما تقول إذا جيء بأرض من فضة وسماء من فضّة، ثمّ أخذ النّبي صلى الله عليه وآله بيدك فأوقفك بين يدي ربّك فقال: يا رب إنّ هذا قضى بغير ما قضيت. قال: فاصفرّ وجه ابن أبي ليلى حتّى عاد مثل الزّعفران، ثمّ قال لي: التمس لنفسك زميلاً، والله لا أُكلّمك من رأسي كلمة أبداً[1].

وورد أنّ سفيان الثوري مع قرشي مكّي ذهبا إلى الصادق عليه السلام فوجداه ركب دابّته، فقال سفيان: يا أبا عبد الله حدّثنا بحديث خطبة النّبيّ صلى الله عليه وآله في مسجد الخيف. قال: دعني حتّى أذهب في حاجتي، فإنّي قد ركبت، فإذا جئت حدّثتك. فقال: أسألك بقرابتك من النّبي صلى الله عليه وآله لما حدّثتني. فنزل، فقال سفيان: مر لي بدواة وقرطاس حتى أثبته. فدعا به، ثمّ قال: اكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم.

خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد الخيف.

نضّر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها، وبلّغها من لم تبلغه. يا أيّها الناس ليبلّغ الشاهد الغائب، فربّ حامل فقه ليس بفقيه، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه. ثلاث لا يغلّ عليهنّ قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة لأئمّة المسلمين، واللزوم لجماعتهم، فإن دعوتهم محيطة من ورائهم المؤمنون إخوة تتكافا دماؤهم، وهم يد على من سواهم، ويسعى بذمّتهم أدناهم.

---

(١) الاحتجاج للطبرسي: ٣٥٣.

فكتبه سفيان وعرضه على أبي عبد الله عليه السلام. قال القرشي: فركب أبو عبدالله، وجئت أنا وسفيان، فلمّا كنّا في بعض الطريق قال لي سفيان: كما أنت حتّى أنظر في هذا الحديث، فقلت له: قد والله ألزمَ أبو عبد الله رقبتك شيئاً لا يذهب أبداً. فقال: وأيّ شيء ذلك؟ فقلت له: ثلاث لا يغلّ عليهنّ قلب امرئ مسلم... «إخلاص العمل لله» قد عرفناه، «والنصيحة لأئمّة المسلمين» من هؤلاء الأئمّة الذين يجب علينا نصيحتهم؟ معاوية بن أبي سفيان ويزيد بن معاوية ومروان بن الحكم؟! وقوله «واللزوم لجماعتهم». فأي الجماعة؟ مرجئ يقول: من لم يصلّ، ولم يصمّ، ولم يغتسل من جنابة، وهدم الكعبة ونكح أُمّه فهو على إيمان جبرئيل وميكائيل، أو قدريّ يقول: لا يكون ما شاء الله تعالى ويكون ما شاء إبليس، أو حروري يتبرأ من علي بن أبي طالب ويشهد عليه بالكفر، أو جهمي يقول: إنّما هي معرفة الله وحده ليس الإيمان شيء غيرها؟! قال سفيان: ويحك، فأيّ شيء يقولون؟ قلت: يقولون: إنّ عليّ ابن أبي طالب والله الإمام الذي يجب علينا نصيحته، ويقولون: «ولزوم جماعتهم» أهل بيته. قال: فأخذ سفيان الكتاب فخرقه. قال: لا تُخبر به أحداً[١].

وعن عبد الكريم بن عتبة الهاشمي: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام بمكّة إذ دخل عليه أُناس من المعتزلة فيهم عمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء، وحفص ابن سالم مولى ابن هبيرة، وناس من رؤسائهم، وذلك حدثان قتل الوليد واختلاف أهل الشام بينهم، فتكلّموا وأكثروا وخبطوا فأطالوا، فقال أبو عبدالله: قد أكثرتم عليّ فأسندوا أمركم إلى رجل منكم يتكلّم بحجّتكم ويوجز. فأسندوا أمرهم إلى عمرو بن عبيد، فتكلّم فأبلغ وأطال، فكان في ما قال: إنّ

(١) الكافي للكليني ١: ٤٠٣ ح ٢، وأخرج الخطبة بلا ذكر قصّة الكليني في الكافي ١: ٤٠٣ ح١، والقمي في تفسيره ٢: ٤٤٧، والصدوق في الخصال: ١٤٩ ح ١٨٢ باب الثلاثة، والمفيد في أماليه: ١٨٦ ح ١٣ المجلس ٢٣.

أهل الشام قتلوا خليفتهم، وضرب الله بعضهم ببعض، وشتّت أمرهم، فنظرنا فوجدنا رجلاً له دين وعقل ومروّة وموضع ومعدن للخلافة، وهو محمّد بن عبد الله بن الحسن، فأردنا أن نجتمع عليه فنبايعه ثمّ نظهر معه، فمن كان بايعنا فهو منّا وكنّا معه، ومن اعتزلنا كففنا عنه، ومن نصب لنا جاهدناه، ونصبنا له على بغيه، وردّه إلى الحقّ وأهله، وقد أحببنا أن نعرض ذلك عليك فتدخل معنا، فإنّه لا غنى بنا عن مثلك لموضعك وكثرة شيعتك.

قال: فلمّا فرغ عمرو قال أبو عبد الله لهم: أكلّكم على مثل ما قال عمرو؟ قالوا: نعم. فحمد الله تعالى وأثنى عليه، وصلّى على النّبيّ ﷺ ثمّ قال: إنّما نسخط إذا عصي الله، فأمّا إذا أُطيع رضينا. أخبرني يا عمرو لو أنّ هذه الأمّة قلّدتك أمرها، وولّتكه بغير قتال ولا مؤونة، وقيل لك: ولّها من شئت فمن كنت تولّيها؟ قال: كنت أجعلها شورى بين المسلمين. قال: بين كلّهم؟ قال: نعم. قال: بين فقهائهم وخيارهم؟ قال: نعم. قال: قريش وغيرهم؟ قال: نعم. قال: والعرب والعجم؟ قال: نعم. قال: اخبرني يا عمرو أتتولّى أبا بكر وعمر أم تتبرأ منهما؟ قال: أتولّاهما. قال: فقد خالفتهما، فإن كنت تتبرّأ منهما فإنّه يجوز لك الخلاف عليهما، وإن كنت تتولّاهما فقد خالفتهما؛ قد عمد عمر إلى أبي بكر فبايعه، ولم يشاور فيه أحداً، ثمّ ردّها أبو بكر عليه ولم يشاور فيه أحداً، ثمّ جعلها عمر شورى بين ستّة وأخرج منها جميع المهاجرين والأنصار غير أُولئك السّتّة من قريش، وأوصى فيهم شيئاً لا أراك ترضى به أنت ولا أصحابك، إذ جعلتها شورى بين جميع المسلمين. قال: وما صنع؟ قال: أمر صهيباً أن يصلّي بالنّاس ثلاثة أيّام، وان يشاور أُولئك السّتّة ليس معهم أحد إلّا ابن عمر يشاورونه، وليس له من الأمر شيء، وأوصى من بحضرته من المهاجرين والأنصار: إن مضت ثلاثة أيّام قبل أن يبايعوا رجلاً منهم أن يضربوا أعناق أُولئك السّتّة جميعاً، فإن اجتمع أربعة قبل أن تمضي ثلاثة أيّام

وخالف اثنان أن يضربوا أعناق الاثنين. أفترضون بهذا أنتم في ما تجعلون من الشورى في جماعة المسلمين؟ قالوا: لا.

ثمّ قال: يا عمرو دع ذا. أرأيت لو بايعت صاحبك الّذي تدعوني إلى بيعته، ثمّ اجتمعت لكم الأمّة فلم يختلف عليكم رجلان، فأفضيتم إلى المشركين الذين لا يسلمون ولا يؤدّون الجزية، أكان عندكم وعند صاحبكم من العلم ما تسيرون فيه بسيرة النّبيّ صلى الله عليه وآله في المشركين في حروبه؟ قال: نعم. قال: فتصنع ماذا؟ قال: ندعوهم إلى الاسلام، فإن أبوا دعوناهم إلى الجزية. قال: وإن كانوا مجوساً ليسوا بأهل كتاب؟ قال: سواء. قال: وإن كانوا مشركي العرب وعبدة الأوثان؟ قال: سواء.

قال: أخبرني عن القرآن هل تقرؤه؟ قال: نعم. قال: اقرأ ﴿قاتلوا الّذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحقّ من الذين أوتوا الكتاب حتّى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾[1]، فاستثناء الله تعالى واشتراطه ﴿من الذين أُوتوا الكتاب﴾، فهم والذين لم يؤتوا الكتاب سواء؟ قال: نعم. قال: عمّن أخذت ذا. قال: سمعت النّاس يقولون.

قال: فدع ذا. فإنّ هم أبوا الجزية فقاتلتهم فظفرت عليهم، كيف تصنع بالغنيمة؟ قال: أُخرج الخمس، وأُقسم أربعة أخماس بين من قاتل عليه. قال: فأخبرني عن الخمس من تعطيه؟ فقرأ ﴿واعلموا انّما غنمتم من شيء فإنّ لله خمسه وللرّسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل...﴾[2]. قال: الّذي للرسول من تعطيه؟ ومن ذو القربى؟ قال: قد اختلف فيه الفقهاء؛ فقال

---

(١) التوبة: ٢٩.

(٢) الأنفال: ٤١.

بعضهم: قرابة النّبيّ ﷺ وأهل بيته، وقال بعضهم: الخليفة. وقال بعضهم: قرابة الذين قاتلوا عليه من المسلمين. قال: فأيّ ذلك تقول أنت؟ قال: لا أدري.

قال: فأراك لا تدري، فدع ذا. أرأيت الأربعة الأخماس تقسمها بين جميع من قاتل عليها؟ قال: نعم. قال: فقد خالفت النّبيّ ﷺ في سيرته، بيني وبينك فقهاء المدينة ومشيختهم، فسلهم فإنّهم لا يختلفون في أنّ النّبيّ ﷺ إنّما صالح الأعراب على أن يدعهم ولا يهاجروا على أن دهمه من عدوّهم أن يستفزّهم فيقاتل بهم، وليس لهم في الغنيمة نصيب، وأنت تقول: بين جميعهم. فقد خالفت النّبي ﷺ في كلّ ما قلت في سيرته من المشركين.

ومع هذا ما تقول في الصدقات؟ فقرأ: ﴿إنّما الصّدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها...﴾[1] إلى آخر الآية. قال: فكيف تقسّمها؟ قال: أُقسّمها على ثمانية أجزاء، فأُعطي كلّ جزءٍ من الثمانية جزءاً. قال: وإن كان صنف منهم عشرة آلاف، وصنف رجلاً أو رجلين أو ثلاثة، جعلت لهذا الواحد ما جعلت للعشرة آلاف؟ قال: نعم. قال: وتجمع صدقات أهل الحضر وأهل البوادي فتجعلهم فيها سواء؟ قال: نعم. قال: فقد خالفت النّبيّ ﷺ في سيرته، فكان يقسّم صدقة أهل البوادي في أهل البوادي، وصدقة أهل الحضر في أهل الحضر، ولا يقسّمه بينهم بالسّوية، وإنّما يقسّمه على قدر ما يحضره منهم. فإن كان في نفسك شيء فالقَ فقهاء المدينة فإنّهم لا يختلفون في أنّ النّبي ﷺ كان كذا يفعل.

ثمّ أقبل عليه السلام على عمرو فقال له: اتّق الله يا عمرو، وأنتم أيّها الرّهط فاتّقوا الله، فإنّ أبي حدّثني ـ وكان خير أهل الأرض وأعلمهم بكتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ ـ أنّ النبيّ ﷺ قال: من ضرب النّاس بسيفه، ودعاهم إلى نفسه،

---

(١) التوبة: ٦٠.

وفي المسلمين من هو أعلم منه فهو ضالّ متكلّف[١].

وروى الخطيب في ليث بن الفرج عن النّبيّ صلى الله عليه وآله قال: ليضربنّ النّاس أكباد الإبل في طلب العلم فلا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة...[٢] ومراده صلى الله عليه وآله بعالم المدينة الأئمّة من أهل بيته، والدّليل عليه قوله صلى الله عليه وآله: «عالم المدينة» دون علماء المدينة، وفي كلّ زمان لم يكن أكثر من إمام.

وشاهد عدم اقتفائهم أثر النبي كما ذكره عليه السلام ما قالوه في أبي الغادية الجهني قاتِل عمّار؛ قال ابن عبد البرّ في (استيعابه): سمع من النّبيّ صلى الله عليه وآله قوله: لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض. وكان محبّاً في عثمان، وهو قاتل عمّار بن ياسر. وكان إذا استأذن على معاوية وغيره يقول: قاتل عمّار بالباب! وكان يصف قتله له إذا سئل عنه لا يباليه، وفي قصّته عجب عند أهل العلم، روى عن النّبي صلى الله عليه وآله ما ذكرنا أنّه سمعه منه، ثمّ قتل عمّاراً[٣].

قلت: وأعجب من أمر أبي الغادية أمر جميع هؤلاء المدّعين للدّين، والعلم واليقين، يجمعون بين القول بجلالة عمّار، وولاية عثمان، فالرّجل وإن اتّبع هواه إلّا أنّه حمله محبّته لعثمان على ترك قول النّبيّ صلى الله عليه وآله سلماً من الجمع من التّضاد والقول بالمحال.

وكذلك من قدّم منهم فعل عمر على قول النّبيّ صلى الله عليه وآله، فرأى رجل منهم معاوية على منبر النّبي صلى الله عليه وآله يخطب فسلّ سيفه وذهب إليه ليقتله، فقيل له: لِمَ؟ قال: لأنّي سمعت النّبي صلى الله عليه وآله يقول: «إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه»[٤]. فقالوا له: أتدري من ولّاه؟ قال: لا. قالوا: عمر. قال: سمعاً وطاعة لعمر.

---

(١) الكافي للكليني ٥: ٢٣ ح١، والاحتجاج للطبرسي: ٣٦٢.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب ١٣: ١٦.

(٣) الاستيعاب ٤: ١٥١.

(٤) حديث النّبي صلى الله عليه وآله أورده من عدّة طرق الفيروزآبادي في السبعة من السلف: ١٩٩ ـ ٢٠١.

وإذا كانوا لا يتّبعون أثر نبيّهم، فلا غرو أن لا يقتدوا بعمل وصيّه ـ وكونه عليه السلام وصيّه صلى الله عليه وآله وأوّل مؤمن بالله أمر متواتر، وحاجّ به ابنه الحسين عليه السلام يوم الطفّ ـ ففي (الطبري) قال الحسين عليه السلام لهم: ألست ابن بنت نبيّكم وابن وصيّه وابن عمّه وأوّل المؤمنين بالله والمصدّق لرسوله بما جاء به من عند ربّه؟[1].

ومع تواتره أنكرته أمّهم؛ روى مسلم والبخاري أنّه ذُكر عند عايشة أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله أوصى إلى عليّ، قالت: ومتى أوصى، ومن يقول ذلك؟ قيل: إنّهم يقولون. قالت: من يقوله؟ لقد دعا بطست ليبول، وأنّه بين سحري ونحري فمات وما شعرت[2].

فتراها تدّعي موت النّبيّ صلى الله عليه وآله مكشوف العورة حين البول لتنكر جعله له وصيّاً! ويقال لها: وقولك: «متى أوصى أنّه مات بين سحري ونحري» هل يلزم أن تكون الوصاية حين خروج الرّوح حتّى يستلزم ما ادّعيت عدم وصايته؟ مع أنّ قولها بموت النّبيّ صلى الله عليه وآله بين سحرها ونحرها من أكاذيبها وبهتانها، فكون رأسه صلى الله عليه وآله حين موته في حجر أمير المؤمنين عليه السلام متواتر[3]، ولقد صرّح ابن عبّاس بافتراء عايشة في ادّعائها ذلك[4].

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: لو استطاعوا أن ينكروا قرابتي من النّبي صلى الله عليه وآله لأنكروها إلّا أنّهم لا يستطيعون ذلك[5].

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٢٢ سنة ٦١ ضمن خطبة.

(٢) صحيح البخاري بطريقين ٢: ١٢٥ و٣: ٩٥، وصحيح مسلم ٣: ١٢٥٧ ح١٩، وسنن النسائي ٦: ٢٤٠، ومسند أحمد ٦: ٣٢، وطبقات ابن سعد ٢ ق٢: ٤٩ بطريقين.

(٣) مسند أحمد ٦: ٣٠٠ وخصائص النسائي: ١٣٠ بطريقين، وأخرجه ابن عساكر بثلاث طرق في ترجمة علي عليه السلام ٣: ١٨، ١٩ ح١٠٣٨ ـ ١٠٤٠ عن أمّ سلمة، وروى أيضاً عن عائشة وعلي عليه السلام وابن عباس وغيرهم.

(٤) الطبقات لابن سعد ٢ ق٢: ٥١.

(٥) أخرجه الكليني في الرسائل عنه كشف المحجّة: ١٨٠ ضمن كتاب طويل له عليه السلام، والنقل بتصرف.

وأقول: إنّهم وإن لم يستطيعوا أن ينكروا ذلك تصريحاً إلّا أنّهم عبّروا عنه عليه السلام وعن عترته بما جعلوهم كالأجنبي عنه صلى الله عليه وآله؛ فقال أبو حمزة الخارجي ـ والخوارج إحدى الفرق التاركة للوصيّ تبعاً للأوّل والثاني ـ في ذمّ شيعته وشيعة عترته في خطبته: «قد قلّدوا أهل بيت من العرب وزعموا أنّ موالاتهم تغنيهم».

«ولا يؤمنون بغيب» في (تفسير القمي) في قوله تعالى: ﴿...هدىً للمتّقين * الّذين يؤمنون بالغيب...﴾[1] أي: بالبعث والنشور والوعد والوعيد[2].

وروى يحيى بن أبي القاسم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الغيب هو الحجّة الغائب[3].

وشاهد ذلك قوله تعالى: ﴿ويقولون لولا أُنزل عليه آية من ربّه فقل إنّما الغيب لله فانتظروا إنّي معكم من المنتظرين﴾[4].

«ولا يعفّون عن عيب» قال ابن أبي الحديد: روي «يعفون» من العفو، و«يعفّون» من العفّة[5].

قلت: الصواب الثاني، فإنّ عدم العفو ترك فضل، وهو عليه السلام في مقام بيان أنّ كلّ عملهم رذل، فلابدّ أن يراد أنّهم لا يكفّون عن الفحص عن العيوب.

وروى محمّد بن يعقوب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ أبا بكر وعمر أتيا أُمّ سلمة فقالا لها: إنّك قد كنت عند رجل قبل النّبي، فكيف هو من ذلك في

---

(١) البقرة: ٢ ـ ٣.

(٢) تفسير القمي ١: ٣٠.

(٣) كمال الدين للصدوق: ٣٤٠ ح ٢٠ في ذيل حديث.

(٤) يونس: ٢٠.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٣٣.

الخلوة؟ فقالت: ماهو إلّا كسائر الرّجال. ثمّ خرجا عنها، فقامت إليه مبادرةً فرقاً أن ينزل أمر من السماء فأخبرته، فغضب النّبيّ صلى الله عليه وآله حتّى تربّد وجهه والتوى عرق الغضب بين عينيه، وخرج وهو يجرّ رداءه حتى صعد المنبر، وبادرت الأنصار بالسّلاح، وأمر بخيلهم أن تحضر، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: ما بال أقوام يتّبعون عيبي؟ والله لأكرمكم حسباً، وأطهركم مولداً، لا يسألني أحد منكم عن أبيه إلّا أخبرته. فقام إليه رجل فقال: من أبي؟ فقال: فلان الراعي...[1].

«يعملون في الشّبهات» كما قال تعالى: ﴿...فأمّا الّذين في قلوبهم زيغ فيتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله...﴾[2].

«ويسيرون في الشّهوات» روى (الكافي) أنّه عليه السلام قال: إنّ الناس آلوا بعد النّبيّ صلى الله عليه وآله إلى ثلاثة ـ إلى أن قال ـ: وجاهل مدّع للعلم لا علم له، معجب بما عنده، قد فتنته الدّنيا...[3].

وقال تعالى: ﴿...أضاعوا الصّلاة واتّبعوا الشهوات فسوف يلقون غيّاً﴾[4].

«المعروف عندهم» والصواب: (فيهم) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[5].

«ما عرفوا، والمنكر عندهم ما أنكروا» عن أبي عبد الله عليه السلام قال النّبي صلى الله عليه وآله: كيف بكم إذا فسدت نساؤكم، وفسق شبابكم، ولم تأمروا بالمعروف،

---

(١) الكافي للكليني ٥: ٥٦٥ ح٤١.

(٢) آل عمران: ٧.

(٣) الكافي للكليني ١: ٣٣ ح١.

(٤) مريم: ٥٩.

(٥) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٣٣، لكن في شرح ابن ميثم ٢: ٣٠٥ «عندهم» أيضاً.

ولم تنهوا عن المنكر؟ فقيل له: ويكون ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم، وشرّ من ذلك، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟ قيل: يا رسول الله ويكون ذلك؟ قال: نعم، وشرّ من ذلك، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً؟[1]

«مفزعهم في المعضلات» أي: المشكلات.

«إلى أنفسهم، وتعويلهم» أي: اعتمادهم.

«في المهمّات» هكذا في (المصرية)، والصواب: (في المبهمات) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[2].

«إلى آرائهم» الباطلة، ونظرياتهم الخاطئة، ومع أنّهم رأوا فاروقهم يقول مراراً: «معضلة ولا أبا حسن لها»[3]. حتّى صار كالمثل السائر، وأقرّ عند وفاته بأنّه عليه السلام لو ولّيها ليحملنّهم على المحجّة البيضاء[4]، يعرضون عنه ويجعلون أنفسهم في قباله، بل يسعون في اضمحلال أمره.

«كأنّ كلّ امرئ منهم إمام نفسه» كان عند أبي عبد الله جعفر بن محمّد عليه السلام جماعة فيهم هشام بن الحكم وهو شاب، فقال عليه السلام: ألا تخبرني كيف صنعت بعمرو بن عبيد وكيف سألته؟ قال: جعلت فداك، إنّي أجلّك ولا يعمل لساني بين يديك. فقال عليه السلام: إذا أمرتكم بشيء فافعلوه. قال هشام: بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البصرة، وعظم ذلك عليّ، فخرجت إليه

---

(١) أخرجه الحميري في قرب الاسناد: ٢٦ عن الصادق عن أبيه عن الباقر عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله، وأخرجه رزين في الجمع عنه جامع الأصول ١٠: ٤١٢ ح٧٤٨٥ عن عليّ عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله.

(٢) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٣٣ وشرح ابن ميثم ٢: ٣٠٥ مثل المصرية أيضاً.

(٣) هذا حديث مشهور أخرجه الخوارزمي في مناقبه: ٥١، ومقتل الحسين ١: ٤٥، وجمع آخر بفرق بين الألفاظ مرّ تخريجه في شرح فقرة «والفضائل الجمّة» من خطبة الرضي.

(٤) رواه ابن عساكر بطريقين في ترجمة عليّ عليه السلام ٣: ١٠٦ ح١١٣٦، ١١٣٧ وغيره بفرق بين الألفاظ.

ودخلت البصرة في يوم الجمعة، فإذا أنا بحلقة كبيرة، وإذا أنا بعمرو بن عبيد عليه شملة سوداء متّزر بها من صوف، وشملة مرتدياً بها، والناس يسألونه، فاستفرجت النّاس فأفرجوا لي، ثمّ قعدت في آخر القوم على ركبتي، ثمّ قلت: أيّها العالم أنا رجل غريب أتأذن لي أسألك عن مسألة؟ فقال: نعم. قلت: ألك عين؟ قال: أي شيء هذا من السؤال؟ فقلت: هكذا مسألتي. فقال: يا بني سل، وإن كانت مسألتك حمقاء. فقلت: أجبني فيها. فقال لي: سل. فقلت: ألك عين؟ قال: نعم. قلت: فما ترى بها؟ قال: الألوان والأشخاص. فقلت: ألك أنف؟ قال: نعم. قلت: فما تصنع بها؟ قال: أشمّ بها الرائحة. قلت: ألك فم؟ قال: نعم. قلت: وما تصنع به؟ قال: أعرف به طعم الأشياء. قلت: ألك لسان؟ قال: نعم. قلت: وما تصنع به؟ قال: أتكلّم به. قلت: ألك أُذن؟ قال: نعم. قلت: وما تصنع بها؟ قال: أسمع بها الأصوات. قلت: ألك يد؟ قال: نعم. قلت: وما تصنع بها؟ قال: أبطش بها. قلت: ألك قلب؟ قال: نعم. قلت: وما تصنع به؟ قال: أُميّز به كلّ ما ورد على هذه الجوارح. قلت: أفليس في هذه الجوارح غنى عن القلب؟ قال: لا. قلت: وكيف ذلك، وهي صحيحة سليمة؟ قال: يا بني إنّ الجوارح إذا شكّكت في شيء شمّمته أو رأته أو ذاقته أو سمعته أو لمسته ردّته إلى القلب فيصحّح اليقين، ويبطل الشك. فقلت: إنّما أقام الله القلب لشك الجوارح؟ قال: نعم. قلت: فلابدّ من القلب، وإلّا لم تستقم الجوارح؟ قال: نعم. فقلت: يا أبا مروان إنّ الله تعالى لم يترك جوارحك حتّى جعل لها إماماً يصحّح الصحيح، ويبقن ما شك فيه، ويترك هذا الخلق كلّهم في حيرتهم وشكّهم واختلافهم لا يقيم لهم إماماً يردّون إليه شكّهم وحيرتهم؟ قال: فسكت ولم يقل شيئاً. ثمّ التفت إليّ، فقال: أنت هشام؟ قلت: لا. قال: أجالسته؟ قلت: لا. قال: فمن أين أنت؟ قلت: من الكوفة. قال: فأنت إذن هو. ثمّ ضمّني إليه وأقعدني في مجلسه، ومانطق حتّى قمت. فضحك أبو عبدالله عليه السلام وقال: من علّمك هذا؟ فقال: شيء جرى على لساني.

فقال: هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم وموسى[١].

وقال أبو الحسن الرّفا لابن رامين الفقيه: إنّ النبي ﷺ لمّا خرج من المدينة ما استخلف عليها أحداً؟ قال: بلى، استخلف علياً. قال: وكيف لم يقل لأهل المدينة اختاروا فإنّكم لا تجتمعون على الضلال؟ قال: خاف عليهم الخلف والفتنة. قال: فلو وقع بينهم فساد لأصلحه عند عودته؟ قال: هذا أوثق. قال: أفاستخلف أحداً بعد موته؟ قال: لا. قال: فموته أعظم من سفره، فكيف أمن على الأمّة بعد موته ما خافه في سفره وهو حيّ عليهم؟! فقطعه[٢].

وسأل بعض الإمامية يحيى بن أكثم عن قول النّبيّ ﷺ حيث أخذ بيد عليّ عليه السلام وأقامه للنّاس، فقال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه»[٣] أبأمر من الله تعالى ذلك أم برأيه؟ فسكت عنه، فقيل له في ذلك، فقال: إن قلت: برأيه نصبه للناس خالفت قوله تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى﴾[٤] وإن قلت: بأمر الله تعالى ثبتت إقامته. قال: فلِمَ خالفوه واتّخذوا ولياً غيره[٥].

وقال أبو عليّ المحمودي لأبي الهذيل: أليس من دينك أنّ العصمة والتوفيق لا يكونان لك من الله إلّا بعمل تستحقه به؟ قال: نعم. قال: فقوله تعالى: ﴿...اليوم أكملت لكم دينكم...﴾[٦]؟ قال: قد أكمل لنا الدّين. فقال: ما تصنع بمسألة لا تجدها في الكتاب والسنّة، وقول الصحابة، وحيلة الفقهاء؟ قال: هات. قال: خبّرني عن عشيرة كلّهم عنّين وقعوا في طهر واحد بامرأة

---

(١) الكافي للكليني ١: ١٦٩ ح٣ والاحتجاج للطبرسي: ٣٦٧، والنقل بتصرف يسير.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ١: ٢٥٨.

(٣) هذا حديث الغدير، يأتي تخريجه في شرح فقرة «ولهم خصائص» في العنوان ٤ من هذا الفصل.

(٤) النجم: ٣.

(٥) المناقب لابن شهر آشوب ١: ٢٥٢، والسائل هو حمران بن أعين.

(٦) المائدة: ٣.

وهم مختلفو العنّة؛ فمنهم من وصل إلى بعض حاجته، ومنهم من قارب بحسب الإمكان منه، أفي خلق الله اليوم من يعرف حدّ الله في كلّ رجل منهم ومقدار ما ارتكب من الخطيئة فيقيم عليه الحدّ في الدّنيا ويطهّره منه في الآخرة؟ فأفحم[1].

«قد أخذ منها بعرى ثقات وأسباب محكمات» الأصل فيه قوله تعالى: ﴿...فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها...﴾[2].

٣
من الخطبة (١٢٩)

وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الوالِي عَلَى ٱلْفُرُوجِ وَالدِّماءِ وَالمَغَانِمِ وَٱلْأَحْكَامِ وَإِمَامَةِ المُسْلِمِينَ ٱلْبَخِيلُ، فَيَكُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ، وَلَا ٱلْجَاهِلُ، فَيُضِلَّهُمْ بِجَهْلِهِ، وَلَا الجَافي، فَيَقْطَعَهُمْ بِجَفَائِهِ، وَلَا ٱلْحَائِفُ لِلدُّوَلِ، فَيَتَّخِذَ قَوْماً دونَ قَوْم، وَلَا المُرتَشِي فِي ٱلْحُكْمِ، فَيَذْهَبَ بِالْحُقُوقِ وَيَقِفَ بِهَا دون المَقَاطِعِ، وَ لَا المُعَطِّلُ لِلسُّنَّةِ، فَيُهْلِكَ ٱلْأُمَّةَ.

أقول: رواه ابن الجوزي في (مناقبه) وسمّاه الخطبة المنبريّة، نقله البحار وفي آخره: «ولا المعطّل للسّنن فيؤدّي ذلك إلى الفجور، ولا الباغي فيدحض الحقّ، ولا الفاسق فيشين الشّرع»[3]. وكلامه عليه السلام هذا دالّ على اشتراط العصمة في الإمام كما عليه الإماميّة؛ قال المسعودي: قال أهل الإمامة: نعت الإمام في نفسه أن يكون معصوماً من الذنوب، لأنّه إن لم يكن

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب ١: ٢٤٩.

(٢) البقرة: ٢٥٦.

(٣) بحار الأنوار للمجلسي ٧٧: ٢٩٤ ح٣.

معصوماً لم يؤمن أن يدخل في ما يدخل فيه غيره من الذّنوب، فيحتاج إلى أن يقام عليه الحدّ كما يقيمه هو على غيره، فيحتاج الإمام إلى إمام إلى غير نهاية، ولم يؤمن عليه أيضاً أن يكون في الباطن فاسقاً فاجراً كافراً. وأن يكون أعلم الخليقة، لأنّه إن لم يكن عالماً لم يؤمن عليه أن يقلب شرائع الله وأحكامه، فيقطع من يجب عليه الحدّ ويحدّ من يجب عليه القطع،ويضع الأحكام في غير المواضع التي وضعها الله تعالى. وأن يكون أشجع الخلق، لأنّهم يرجعون إليه في الحرب، فإن جبن وهرب يكون قد باء بغضب من الله. وأن يكون أسخى الخلق، لأنّه خازن المسلمين وأمينهم، فإن لم يكن سخياً تاقت نفسه إلى أموالهم وشرهت إلى ما في أيديهم، وفي ذلك الوعيد الشديد بالنار. وذكروا خصالاً كثيرة ينال بها أعلى درجات الفضل لا يشاركه فيها أحد، وأنّ ذلك كلّه وُجد في عليّ بن أبي طالب وولده، في السّبق إلى الايمان والهجرة والقرابة والحكم بالعدل والجهاد في سبيل الله والورع والزّهد، وأنّ الله قد أخبر عن بواطنهم وموافقتها لظواهرهم بقوله عزّوجلّ ووصفه لهم في ما صنعوه من الإطعام للمسكين واليتيم والأسير، وإنّ ذلك لوجهه خالصاً لا أنّهم أبدوه بألسنتهم فقط، وأخبر عن أمرهم في المنقلب وحسن الموئل في المحشر، ثمّ في إخباره عزّوجلّ عمّا أذهب عنهم من الرّجس وفعل بهم من التطهير...»[1].

وقال هشام بن الحكم لمحمّد بن أبي عمير لمّا سأله عن وجه اشتراط عصمة الإمام: إنّ جميع الذنوب لها أربعة أوجه لا خامس لها: الحرص والحسد والغضب والشهوة، فهذه منفيّة عنه لا يجوز أن يكون حريصاً على هذه الدّنيا وهي تحت خاتمه، لأنّه خازن المسلمين، فعلى ماذا يحرص؟ ولا يجوز أن يكون حسوداً، لأنّ الإنسان إنّما يحسد من فوقه، وليس فوقه أحد،

(١) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٢٢٤.

فكيف يحسد من هو دونه؟ ولا يجوز أن يغضب لشيء من أُمور الدّنيا إلّا أن يكون غضبه لله عزّوجلّ، فإنّ الله تعالى قد فرض عليه إقامة الحدود وأن لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا رأفة في دينه حتّى يقيم حدود الله تعالى. ولا يجوز أن يتّبع الشهوات ويؤثر الدّنيا على الآخرة، لأنّ الله عزّوجلّ حبّب إليه الآخرة كما حبّب إلينا الدّنيا، فهو ينظر إلى الآخرة كما ننظر إلى الدّنيا، فهل رأيت أحداً ترك وجهاً حسناً لوجه قبيح، وطعاماً طيّباً لطعام مرّ، وثوباً ليّناً لثوب خشن، ونعمة دائمة باقية لدنيا زائلة فانية؟[1]

«وقد علمتم أنّه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدّماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل» إنّما قال عليه السلام: قد علمتم أنّه لا ينبغي ما ذكر مع كون أكثر أصحابه غير مستبصر، وغير متعبّد بطريقته وطريقة أهل بيته، من كون الإمام كالنّبيّ، إحالةً لهم على الفطرة التي فُطر الناس عليها، فقد كانوا قد يقرّون بمقتضى الفطرة اضطراراً؛ ففي (الأغاني) عن حبيب المهلّبي عن عمر بن شبّة عن خلّاد الأرقط قال: كان الشّراة والمسلمون يتوافقون ويتساءلون بينهم عن أمر الدين وغير ذلك على أمان وسكون، فتواقف يوماً عبيدة بن هلال اليشكري وأبو حزابة التّميمي وهما في الحرب، فقال عبيدة: يا أبا حزابة إنّي سائلك عن أشياء، أفتصدّقني في الجواب عنها؟ قال: نعم، إن تضمّنت لي مثل ذلك. قال: قد فعلت. قال: سل عمّا بدا لك. قال: ما تقول في أئمّتكم؟ قال: يبيحون الدّم الحرام والفرج الحرام. قال: فكيف فعلهم في المال؟ قال: يُجبونه من غير حلّه وينفقونه في غير حقّه. قال: فكيف فعلهم في اليتيم؟ قال: يظلمونه ماله وينيكون أُمّه. قال: ويلك يا أبا حزابة، أفمثل هؤلاء تتّبع؟

---

(١) رواه الصدوق في الخصال: ٢١٥ ح٣٦ باب الأربعة، ومعاني الأخبار: ١٣٣ ح٣، وعلل الشرائع: ٢٠٤ ح٢ والأمالي: ٥٠٥ ح٥ المجلس ٩٢.

قال: قد أجبت، فاسمع سؤالي ودع عنك عتابي على رأيي. قال: قل. قال: أيّ الخمر أطيب، خمر السّهل أم الجبل؟ قال: ويلك أتسأل مثلي عن هذا؟ قال: أوجبت على نفسك أن تجيب...[١].

وقال المبرّد في (كامله) بعد ذكر قتال المهلّب للخوارج من قبل ابن الزّبير وقتل عبد الملك لمصعب بن الزّبير: ثمّ أتى الخوارج خبر قتله بمسكن، ولم يأتى المهلّب وأصحابه، فتوافقوا يوماً على الخندق، فناداهم الخوارج ما تقولون في مصعب؟ قالوا: إمام هدى. قالوا: فما تقولون في عبد الملك؟ قالوا: ضالّ مضلّ. فلمّا كان بعد يومين أتى المهلّب قتل مصعب، وأنَّ أهل الشام اجتمعوا على عبد الملك، وورد عليه كتاب عبد الملك بولايته، فلمّا توافقوا ناداهم الخوارج ما تقولون في مصعب؟ قالوا: لا نخبركم. قالوا: فما تقولون في عبد الملك؟ قالوا: إمام هدى. قالوا: يا أعداء الله، بالأمس ضالّ مضلّ واليوم مام هدى! يا عبيد الدّنيا عليكم لعنة الله...[٢].

فيقال للخوارج: إنّ ما فعله أصحاب المهلّب وإن كان خلاف الفطرة التي فطر النّاس عليها إلّا أنّه لازم تولّيكم صدّيقكم وفاروقكم، فأنتم السفهاء حيث تجمعون بين ولايتهما وإنكار مثل ذلك.

وفي (كامل المبرّد) كتب نافع إلى عبد الله بن الزّبير يدعوه إلى أمره: أمّا بعد، فإنّي أُحذّرك من الله ﴿يوم تجد كلُّ نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تودّ لو أنّ بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذّركم الله نفسه...﴾[٣]. -إلى أن قال- وقد حضرت عثمان يوم قُتل، فلعمري لئن كان قتل مظلوماً فقد

---

(١) لم أجده في الأغاني.

(٢) الكامل للمبرد ٨ : ٥٢.

(٣) آل عمران: ٣٠.

كفر قاتلوه وخاذلوه، ولئن كان قاتلوه مهتدين ـ وإنّهم لمهتدون ـ لقد كفر من يتولّاه وينصره ويعضده؛ ولقد علمت أنّ أباك وطلحة وعليّاً كانوا أشدّ الناس عليه، وكانوا في أمره من بين قاتل وخاذل، وأنت تتولّى أباك وطلحة وعثمان، وكيف ولاية قاتل متعمّد ومقتول في دين واحد؟ ولقد ملك عليّ بعده فنفى الشّبهات وأقام الحدود وأجرى الأحكام مجاريها وأعطى الأُمور حقائقها في ما عليه وله، فبايعه أبوك وطلحة ثمّ خلعاه ظالمين له، وإنّ القول فيك وفيهما لكما قال ابن عبّاس: إن يكن عليّ في وقت معصيتكم ومحاربتكم له كان مؤمناً لقد كفرتم بقتال المؤمنين وأئمّة العدل، ولئن كان كافراً كما زعمتم وفي الحكم جائراً لقد بؤتم بغضب من الله لفراركم من الزّحف...»[1].

فيقال لنافع: إنّ الجمع بين هذه الأضداد لازم تولّي صدّيقكم وفاروقكم ومن فروعه، فكيف تقول أنت بالملزوم والأصل، ولا تقول باللّازم والفرع؟

وممّا يشهد لاشتراط العصمة في الإمامة أنّه لو لم يشترط لزم تعطّل حدود الله لاشتراك الامام مع المأموم في الارتكاب؛ ولمّا بعث الرّشيد هرثمة بن أعين والياً على خراسان، على أن يأخذ عليّ بن عيسى الذي كان والياً قبله بما ظلم الناس وردّ حقوقهم إليهم، قام رجل إلى هرثمة وقال له: إنّ هذا الفاجر أخذ منّي درقة ثمينة لم يملك أحد مثلها، فاشتراها على كره منّي ولم أرد بيعها بثلاثة آلاف درهم، ولم آخذ لها ثمناً إلى هذه الغاية، فقذف أُمّي، فخذ لي بحقّي من مالي وقذفه أُمّي. فقال: لك بيّنة؟ قال: نعم، جماعة حضروا كلامه. فأحضرهم فأشهدهم على دعواه، فقال هرثمة (لعليّ بن عيسى): وجب عليك الحدّ. قال: ولِمَ؟ قال: لقذفك أُمّ هذا. قال: من هذا فقّهك؟ قال: هذا دين المسلمين. قال: فأشهد أنّ أمير المؤمنين (أي الرشيد) قد قذفك غير مرّة، وأشهد أنّك

---

(١) الكامل للمبرد ٧: ٢٣٨.

قذفت بنيك ما لا أحصي مرّة، فمن يأخذ هؤلاء منك ومن يأخذ لك من مولاك؟ فالتفت هرثمة إلى صاحب الدّرقة. فقال: أرى لك أن تطالب هذا الشيطان بدرقتك أو ثمنها، وتترك مطالبته بقذف أُمّك. ذكر ذلك في (الطبري)[1].

وفيه أيضاً: أنّ هارون كتب بخطّ يده إلى عليّ بن عيسى: هذا يا بن الزّانية رفعت من قدرك...[2].

ولو لم تكن الإمامة من قبل الله تعالى كالنبوّة ـ كما عليه الإمامية ـ لزم أن تكون ملعبة بيد النّاس، وتكون أئمّة النّاس مثل آلهة بني حنيفة الّذين كانوا يصنعون إلهاً من تمر وسمن، ويأكلونها عام المجاعة.

ولمّا قطع الرّاشد العبّاسي الخطبة في بغداد لمسعود السلطان الغزنوي وأراد محاربته، وسار مسعود إلى بغداد، وانهزم الرّاشد وفرّ إلى الموصل، جمع مسعود القضاة والفقهاء، وتقدّم إليهم لعمل محضر في خلع الرّاشد، فعملوا محضراً ذكروا ما ارتكبه من أخذ الأموال وأشياء أُخر، فأفتوا أن من هذه صفته لا يصلح أن يكون إماماً، فخلعوه وبايعوا المقتفي.

فهل الرّاشد حسب لم يكن أمره برشيد؟ فكلّهم كانوا كذلك، لا سيّما ذو نوريهم حتّى اضطرّوا إلى قتله.

وذكروا أنّ هشام بن عبد الملك قال لغيلان: أنت الذي تزعم أنّ الله لم يولّني ولم يرض ما أنا فيه؟ فقال له غيلان: وهل رأيت أميناً يولّي الخائنين أمانته، أم رأيت مصلحاً يولّي المفسدين، أم رأيت كريماً يدعو إلى أمر ثمّ يصدّ عنه، أم رأيت حكيماً يقضي بما يعيب أم يعيب بما يقضي، أم رأيت حكيماً يكلّف فوق الطاقة؟

قوله عليه السلام **«على الفروج والدّماء»** لما غدر خالد بن الوليد بمالك بن نويرة

(١ و ٢) تاريخ الطبري ٦: ٥١٨، ٥١٤ سنة ١٩١.

وقتله وزنى بامرأته، قال عمر لأبي بكر: إنّ سيف خالد فيه رهق ـ وأكثر عليه في ذلك ـ فقال: يا عمر تأوّل فأخطأ، فارفع لسانك عن خالد، فإنّي لا أشيم سيفاً سلّه الله على الكافرين. وودّى مالكاً وكتب إلى خالد أن يقدم عليه، ففعل ودخل المسجد وعليه قباء وقد غرز في عمامته أسهماً، فقام إليه عمر فنزعها وحطمها، وقال له: قتلت امرأ مسلماً ثمّ نزوت على امرأته، والله لأرجمنّك بأحجارك. وخالد لا يكلّمه، يظنّ أنّ رأي أبي بكر مثله ـ إلى أن قال ـ: فخرج خالد وعمر جالس، فقال: هلمّ إليّ يا بن أمّ سلمة، فعرف عمر أنّ أبا بكر قد رضي عنه فلم يكلّمه، وكان خالد يعتذر في قتله لمالك: إنّ مالكاً قال له: ما أخال صاحبكم إلّا قال كذا وكذا. فقال له خالد: أو ما تعدّه لك صاحباً؟ ثمّ ضرب عنقه. ذكر ذلك الجزري في (كامله)[1].

وفي قول عمر لأبي بكر: «إنّ سيف خالد فيه رهق» تعريض واستهزاء من عمر لأبي بكر في حديث وضعه لخالد، إنّه سيف الله، لذبّه عن سلطنته.

ولعمري إنّه لمضحك، كيف يقتل سيف الله عباد الله ظلماً!

وقتل خالد رجلين آخرين مسلمين في وقعة مضيخ بني البرشاء؛ قال الجزري أيضاً: كان مع الهذيل عبد العزّى بن أبي رهم أخو أوس مناة، ولبيد ابن جرير ـ وكانا أسلما ومعهما كتاب أبي بكر بإسلامهما ـ فقُتلا في المعركة، فبلغ ذلك أبا بكر وقول عبد العزّى (حين قتل):

أقول إذ طرق الصّباح بغارة ... سبحانك اللهمّ ربّ محمّد

سبحان ربّي لا إله غيره ... ربّ البلاد وربّ من يتورّد

فوداهما وأوصى بأولادهما، فكان عمر يعتدّ بقتلهما وقتل مالك بن

---

(١) الكامل لابن الأثير ٢: ٣٥٨ سنة ١١، وتاريخ الطبري ٢: ٥٠٣ سنة ١١.

نويرة على خالد، فيقول أبو بكر: كذلك يلقى من نازل أهل الشرك[١].

وفي (تاريخ أعثم الكوفي) في غزوة دبا أيّام أبي بكر: «إنّ عكرمة بن أبي جهل قتل أكثر أعيانهم، وأسر بعضهم، واتّخذ نساءهم أرقّاء، وبعث بأربعمائة رقيقاً، وثلاثمائة إبلاً إلى المدينة، فسُر الصّديق من هذا الفتح وأراد قتل الأُسراء، فشفع لهم الفاروق، وقال له: إنّهم يتشهدون بالتّوحيد والرّسالة ويصلّون، فتركهم أولى. فأمر الصدّيق بحبسهم، وبقوا أيّامه في الحبس، فلما قام الفاروق بالأمر أمر بإطلاقهم، فرجع بعضهم إلى أوطانهم، وبعضهم سكن البصرة»[٢].

قوله عليه السلام: «والمغانم والأحكام، وإمامة المسلمين البخيل» قال حميد بن ثور في ابن الزبير أيّام قيامه:

قدني من نصر الخبيبين قدى ليس الإمام بالشّحيح الملحد

وقال آخر فيه:

رأيت أبا بكر ـ أي ابن الزبير ـ وربّك غالب

على أمره يبغي الخلافة بالتّمر

وقال عمر للزّبير بعد أن ذكره في ستّة الشورى، ولعلّها لو أفضت إليك ظلت يومك تلاطم بالبطحاء على مدّ من الشعير، والإمام كالنّبي يجمعهما عنوان الولاية.

وفي (الطبري) لمّا فرغ النّبيّ صلى الله عليه وآله من ردّ سبايا حنين إلى أهلها ـ ركب واتّبعه النّاس يقولون: يا رسول الله أقسم علينا فيئنا الإبل والغنم، حتّى ألجؤوه إلى شجرة، فاختطفت الشجرة عنه رداءه، فقال: ردّوا عليّ ردائي أيّها

(١) الكامل لابن الأثير ٢: ٣٩٧ سنة ١٢، وتاريخ الطبري ٢: ٥٨١ سنة ١٢.

(٢) الفتوح لابن الأعثم ١: ٧٤، والنقل بالمعنى.

الناس، فوالله لو كان لي عدد شجر تهامة نعماً لقسمتها عليكم. ثمّ مالقيتموني بخيلاً، ولا جباناً، ولا كذّاباً[١].

«فيكون في أموالهم نهمته» في (الكامل) أمر القاهر في سنة (٣٢١) بتحريم الغناء وببيع الجواري المغنّيات على أنّهن سواذج لا يعرفن الغناء، وكان مشتهراً بالسّماع، وكان أمره ذلك وسيلة ليأخذ مغنّيات النّاس بأرخص الأثمان، فوضع من يشتري له كلّ حاذقة في الغناء رخيصاً[٢].

وفيه: وأمر القاهر في تلك السّنة أيضاً بقتل أبي السّرايا بن حمدان وإسحاق النوبختي، مع كون إسحاق هو الذي أشار على الناس باستخلافه، وسبب قتلهما حقده عليهما، لأنّه كان قبل خلافته أراد شراء مغنيتين فزادا في الثمن عليه، فحقد فاستدعاهما للمنادمة فتزيّنا وتطيّبا، فلمّا حضرا أمر بإلقائهما إلى بئر في الدّار، فتضرّعا وبكيا، فلم يلتفت إليهما، وألقاهما فيه وطمّها عليهما[٣].

وفي (خلفاء ابن قتيبة): أعطى عثمان عمّه الحكم بن أبي العاص طريد رسول الله مائة ألف درهم من بيت مال المسلمين، وأقطع (مهزوراً) ـ موضع سوق المدينة الّذي تصدّق به النّبي صلى الله عليه وآله على المسلمين ـ الحارث بن الحكم أخا مروان، وأقطع مروان فدك التي هي صدقة النّبي صلى الله عليه وآله، وافتتح إفريقية ووهب جميع خمسها لمروان أيضاً[٤].

«ولا الجاهل» قال عليّ بن ميثم لأبي الهذيل: ألست تعلم أنّ إبليس ينهى

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٣٥٨ سنة ٨.

(٢) الكامل لابن الأثير ٨: ٢٧٣ سنة ٣٢١، والنقل بتصرف في اللفظ.

(٣) الكامل لابن الأثير ٨: ٢٩٥ سنة ٣٢٢، والنقل بتصرف في اللفظ، وقول الشارح «في تلك السنة» خلط بين سنة ٣٢١ و٣٢٢.

(٤) هذه الأمور روايات مشهورة جاء قريب منها في خلفاء ابن قتيبة ١: ٣٢، لكن لم أظفر على هذا اللفظ فيه.

عن الخير كلّه، ويأمر بالشرّ كلّه؟ فقال: نعم. فقال: أفيجوز أن يأمر بالشّرّ كلّه وهو لا يعرفه، وينهى عن الخير كلّه وهو لا يعرفه؟ قال: لا. فقال له: قد ثبت أنّ إبليس يعلم الشّرّ كلّه والخير كلّه. قال: أجل. قال: فأخبرني عن إمامك الذي تأتمّ به بعد الرّسول صلى الله عليه وآله هل يعلم الخير كلّه، والشرّ كلّه؟ قال: لا. قال: فإبليس أعلم من إمامك إذن. فانقطع أبو الهذيل[1].

وسئل أبو بكر عن قوله تعالى: ﴿وفاكهة وأبّاً﴾[2]، فقال: أي سماء تظلّني أم أي أرض تقلّني إن قلت في كتاب الله بما لا أعلم؛ أمّا الفاكهة فنعرفها، وأمّا الأبّ فالله أعلم به. فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فقال: سبحان الله أما علم أنّ الأبّ هو الكلأ والمرعى، وأنّ قوله تعالى: ﴿وفاكهة وأبّاً﴾ اعتداد من الله تعالى بإنعامه على خلقه بما غذّاهم، وخلقه لهم ولأنعامهم...[3].

أشار عليه السلام إلى أنّ درجة جهله كانت بحيث لم يتفطّن لتفسير القرآن للأبّ في قوله تعالى بعدُ: ﴿متاعاً لكم ولأنعامكم﴾[4].

وكذلك سئل أبو بكر عن الكلالة فقال: أقول فيها برأيي، فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأ فمن نفسي ومن الشيطان. فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فقال: ما أغناه عن الرّأي في هذا المكان، أما علم أنّ الكلالة هم الإخوة والأخوات من قبل الأب والأمّ، ومن قبل الأب على انفراده، ومن قبل الأمّ أيضاً على حدتها؟ قال تعالى: ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أُخت

---

(١) رواه المرتضى في الفصول المختارة: ٦.

(٢) عبس: ٣١.

(٣) حديث جهل أبي بكر معنى الأبّ والكلالة مشهور، لكن مع هذا الذيل عن علي عليه السلام أخرجهما المفيد في الارشاد: ١٠٧.

(٤) عبس: ٣٢.

فلها نصف ما ترك...﴾[1]، وقال تعالى: ﴿...وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أُخت فلكلّ واحد منهما السّدس...﴾[2]، أشار عليه‌السلام إلى أنّ درجة جهله كانت بحيث لا تفرّق بين المنصوص وغير المنصوص.

«فيضلّهم بجهله» فجرَ رجلٌ بمجنونة فأمر عمر بجلدها، فقال أمير المؤمنين عليه‌السلام: أما علم أنّ النّبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله قال: رفع القلم عن المجنون حتّى يفيق؟! إنّها مغلوبة على عقلها ونفسها. فقال عمر: لقد كدت أن أهلك في جلدها[3].

وأمر عمر أيضاً برجم حامل زنت، فقال عليه‌السلام له: هب إنّ لك سبيلاً عليها، أيّ سبيل لك على ما في بطنها، والله تعالى يقول: ﴿ولا تزر وازرة وزر أُخرى...﴾؟[4] فقال عمر: لا عشت لمعضلة لا تكون لها. فما أصنع بها؟ قال: احتط عليها حتّى تلد، فإذا ولدت ووجدت لولدها من يكفله، أقم عليها الحدّ[5].

وأُتي عمر أيضاً بامرأة قد ولدت لستّة أشهر فهمّ برجمها، فقال له أمير المؤمنين عليه‌السلام: إنّ الله تعالى قال: ﴿...وحمله وفصاله ثلاثون شهراً...﴾[6] وقال جلّ وعلا: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة...﴾[7] فإذا تمّمت المرأة الرّضاعة سنتين وكان حمله وفصاله

---

(١) النساء: ١٧٦.

(٢) النساء: ١٢.

(٣) رواه أبو داود بأربع طرق في سننه ٤: ١٤٠، ١٤١ ح٤٣٩٩ ـ ٤٤٠٢، وأحمد بطريقين في مسنده ١: ١٤٠، ١٥٤، وابن شاذان في الايضاح: ١٠٠، والمفيد في الإرشاد: ١٠٩، والاختصاص: ١١١، والقاضي النعمان في الدعائم ٢: ٤٥٦ ح١٦٠٧، وأشار إليه البخاري في صحيحه ٤: ١٧٦ وغيرهم.

(٤) فاطر: ١٨.

(٥) مسند زيد: ٣٣٥، والايضاح لابن شاذان: ٩٩، والإرشاد للمفيد: ١٠٩، والاختصاص: ١١١، والذريعة للمرتضى ٢: ٧٦٥، والدعائم للقاضي النعمان ٢: ٤٥٣ ح١٥٨٤ وغيرها.

(٦) الأحقاف: ١٥.

(٧) البقرة: ٢٣٣.

ثلاثين، كان الحمل منها ستّة أشهر. فخلّى عمر سبيلها[١].

وأمر عمر أيضاً برجم امرأة شهد عليها جمع أنّ رجلاً يطؤها في بعض المياه، فقالت: «اللهمّ إنّك تعلم أنّي بريئة». فغضب عمر وقال: وتجرّحين الشهود أيضاً. فقال أمير المؤمنين عليه السلام ـ وكان شاهداً ـ ردّوها واسألوها فلعلّ لها عذراً، فردّت وسئلت عن حالها، فقالت: كان لأهلي إبل، فخرجت في إبل أهلي وحملت معي ماءً ولم يكن في إبل أهلي لبن، وخرج معي خليطنا وكان في إبله لبن، فنفد مائي فاستسقيته فأبى أن يسقيني حتّى أُمكّنه من نفسي فأبيت، فلمّا كادت نفسي أن تخرج أمكنته من نفسي كرهاً. فقال عليه السلام: الله أكبر ﴿...فمن اضطرّ غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه...﴾[٢]. فخلى عمر سبيلها[٣].

ونكح شيخ كبير امرأة فحملت فأنكره، وزعم أنّه لم يصل إليها، فسألها عثمان هل افتضّك؟ قالت: لا. فقال: أقيموا عليها الحدّ. فقال أمير المؤمنين عليه السلام ـ وكان شاهداً ـ: إنّ للمرأة سمين: سم للحيض، وسم للبول. فلعلّ الشيخ سال ماؤه في سم المحيض فحملت. فسئل الشيخ، فقال: قد كنت أنزل الماء في قبلها من غير وصول إليها بالافتضاض. فقال عليه السلام: الحمل له والولد ولده، وأرى عقوبته على الإنكار. فصار عثمان إلى قضائه وتعجّب منه[٤].

وروى الخطيب في الهياج بن بسطام مسنداً عن أبي سعيد الخدري قال:

---

(١) رواه ابن أبي حاتم والبيهقي في سننه، وعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر عنهم الدر المنثور ١: ٢٨٨، و ٦: ٤٠، وابن شاذان في الايضاح: ٩٨، والمفيد في الارشاد: ١١٠، والقاضي النعمان في الدعائم ١: ٨٦، وغيرهم وروى نحو ذلك بين عليّ عليه السلام وعثمان وبين ابن عباس وعمر وبينه وعثمان.

(٢) البقرة: ١٧٣.

(٣) الفقيه للصدوق ٤: ٢٥ ح ٤٠، وتفسير العياشي ١: ٧٤ ح ١٥٥ والإرشاد للمفيد: ١١٠، والتهذيب للطوسي ١٠: ٤٩ ح١٨٦ وغيرهم.

(٤) الارشاد للمفيد: ١١٢، والمناقب لابن شهر آشوب ٢: ٣٧٠.

خطبنا عمر فقال: إنّي لعليَّ أنهاكم عن أشياء تصلح لكم، وآمركم بأشياء لا تصلح لكم، وأنّ من آخر القرآن نزولاً آية الربا، وأنّه قد مات النّبيّ ﷺ ولم يبيّنها لنا، فدعوا ما يريبكم إلى ما لا يريبكم...[١].

قلت: إنّ النبيّ ﷺ قال في مرض موته: «ايتوني بدواة أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعدي أبداً» فقلتَ أنت أيّها الفاروق: «إنّ الرجل ليهجر، يكفينا كتاب الله»[٢] فكيف تقول في خطبتك: مات النبيّ ولم يبيّن لنا آية الرّبا؟[٣] وعلى قولك بقي دينه ناقصاً، فكيف قال تعالى: ﴿...اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً...﴾[٤]، وإذا لا تعرف الصلاح من الفساد، كيف تأمر وتنهى؟

وروى في عثمان بن سعيد عن ابن مسعود أنّ عمر خطب بالجابية فقال: إنّ الله يضلّ من يشاء ويهدي من يشاء. فقال: قسّ من تلك القسوس: ما يقول أميركم هذا؟ قالوا: يقول: إنّ الله يضلّ من يشاء، ويهدي من يشاء. فقال القسّ: «برقشت، الله أعدل أن يضلّ أحداً». فبلغ ذلك عمر فبعث إليه فقال: بل الله أضلّك، ولولا عهدك لضربت عنقك[٥].

ورواه الأعثم في (تاريخه)[٦]: ﴿أُفّ لكم ولما تعبدون من

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب ١٤: ٨٠.

(٢) أخرجه البخاري بطرق في صحيحه ١: ٣٢، و٤: ٧، ٢٧١، ومسلم في صحيحه ٣: ١٢٥٩ ح٢٢، وأحمد بطريقين في مسنده ١: ٣٢٤، ٣٣٦، وابن سعد في الطبقات ٢ ق٢: ٣٧، والجوهري في السقيفة: ٧٣، وغيرهم عن ابن عبّاس، وروي أيضاً عن عليّ عليه السلام وسلمان وأبي ذر والمقداد وجابر وعمر.

(٣) رواه ابن ماجه في سننه ٢: ٧٦٤ ح٢٢٧٦، وأحمد في مسنده ١: ٣٦، ٤٩، وابن جرير بطريقين وابن الضريس وابن المنذر وابن مردويه عنهم الدر المنثور ١: ٣٦٥.

(٤) المائدة: ٣.

(٥) تاريخ بغداد للخطيب ١١: ٢٩٠.

(٦) الفتوح لابن الأعثم ١: ٢٩٨.

دون الله...﴾[١]، اتّخذوا إماماً عاراً على الاسلام يطعن به النصارى فيه، والقرآن وإن تضمّن هذا اللفظ لكن لم يقتصر عليه، بل بيّن المراد به. فقال بعده: ﴿وما يضلّ به إلّا الفاسقين * الّذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه...﴾[٢].

«ولا الجافي فيقطعهم بجفائه» ذكروا أنّ عمر قال للزّبير ـ بعد جعله أحد ستّة الشورى ـ: أنت مؤمن الرّضا كافر الغضب، يوماً إنساناً ويوماً شيطان، فليت شعري من يكون للنّاس إماماً يوم تكون شيطاناً، ومن يكون يوم تغضب اماماً، وما كان الله ليجمع لك أمر هذه الأمّة وأنت على هذه الصفة.

قلت: يقال لهذا الرّجل: العيب الذي ذكرت للزبير مشترك بينه وبين صاحبك، فقد قال صاحبك على المنبر حين ولّي الأمر: «إنّ لي شيطاناً يعتريني»[٣].

وكذلك هو مشترك بينه وبينك؛ قال الجزري في (كامله): ارتدّ أبو شجرة ابن عبد العزّى السلمي، وهو ابن الخنساء في من ارتدّ من سليم، وقال:

صحا القلب عن ميٍّ هواه وأقصرا

إلى أن قال:

فروّيت رمحي من كتيبة خالد وإنّي لأرجو بعده أن أعمّرا

ثمّ إنّه أسلم، فلمّا كان زمن عمر قدم المدينة فرأى عمر وهو يقسم في المساكين، فقال: أعطني فإنّي ذو حاجة. فقال: ومن أنت؟ قال: أنا أبو شجرة. قال: أي عدوّ الله لا والله، ألست الذي تقول: «فروّيت رمحي...»؟ وجعل يعلوه

(١) الأنبياء: ٦٧.

(٢) البقرة: ٢٦ ـ ٢٧.

(٣) نقله الطبري في تاريخه ٢: ٤٦٠ سنة ١١، وابن راهويه في مسنده، وأبو ذر الهروي في الجامع عنهما منتخب كنز العمال ٢: ١٦١، وابن قتيبة في الامامة والسياسة ١: ١٦ وغيرهم ضمن خطبة له بعد البيعة.

بالدّرّة في رأسه، فسبقه عدواً إلى ناقته، وقال:

ضنّ علينا أبو حفص بنائله وكلّ مختبط يوماً له ورق[(١)]

وقد أجاب الزبير نفسه عمر بأنّه ليس أعيب منه، فقال له: ولّيتها أنت ولسنا دونك في قريش، ولا في السّابقة، ولا في القرابة.

«ولا الخائف للدّول فيتّخذ قوماً دون قوم» روت العامّة عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: خلا عمر لبعض شأنه، وقال: امسك على الباب. فطلع الزّبير فكرهته حين رأيته، فأراد أن يدخل، قلت: هو على حاجة. فلم يلتفت إليّ وأهوى ليدخل، فوضعت يدي في صدره، فضرب أنفي فأدماه. ثمّ رجع. فدخلت على عمر، فقال: ما بك؟ قلت: الزبير. فأرسل الى الزّبير، فلمّا دخل جئت فقمت لأنظر ما يقول له، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ أدميتني للناس. فقال الزبير ـ يحكيه ويمطّط في كلامه ـ أدميتني، أتحتجب عنّا يا بن الخطّاب؟ فوالله ما احتجب منّي النّبي ولا أبو بكر. فقال عمر كالمعتذر: إنّي كنت في بعض شأني. قال أسلم فلمّا سمعته يعتذر إليه يئست من أن يأخذ لي بحقّي منه. وخرج الزبير، فقال عمر: إنّه الزبير، وآثاره ما تعلم[(٢)].

وكان عمر منع طلحة والزّبير من الخروج من المدينة لجهاد فارس والروم، ولئلّا يحدث لهما خيال قيام، مع كون استيلائه على الأمر بحيث أمر أن يضرب عنق أمير المؤمنين عليه السلام بعده لو أبى عن قبول دستوره في شوراه، ليصل الأمر إلى عثمان ثمّ إلى معاوية وباقي بني أُميّة، لينتقموا من النّبيّ صلى الله عليه وآله باستيصال أهل بيته، فقال يزيد في أبياته:

لست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل

---

(١) الكامل لابن الأثير ٢: ٣٥١ سنة ١١، وتاريخ الطبري ٢: ٤٩٣ سنة ١١، والنقل بتصرف في اللفظ.

(٢) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ١٠٥ شرح الخطبة ٢٢٦.

بل كان تسلّطه واستيلاؤه قبل سلطنته وسلطنة صاحبه لتحالفه مع قريش أعداء النّبي صلى الله عليه وآله، بحيث منع النّبي صلى الله عليه وآله من الوصيّة، ولم يكترث هو كصاحبه بأمر النّبي صلى الله عليه وآله مرّة بعد مرّة بتجهيز جيش أُسامة مع لعنه المتخلّف عنه[1].

وأيّ شيء كان يحدث من طلحة والزبير وقت غاية اقتداره حتّى حظر عليهما هذه الفريضه العظيمة، لولا رعاية السياسة الملوكيّة والاهمال لجانب مقتضيات الشريعة، وأمير المؤمنين -صلوات الله عليه- لمّا استأذنه الرجلان طلحة والزبير للخروج إلى مكّة باسم العمرة مع قطعه بإرادتهما الغدرة خلّاهما مع شدّة اضطراب أمره[2]، لأنّهما أرادا أن يتّخذهما والياً بلا استحقاق، وما كان عليه السلام ﴿متّخذ المضلّين عضداً﴾[3]، وإن صار أمرهما سبباً لأمر معاوية، وأمر معاوية لأمر الخوارج، وصيرورة الأمر إلى ما صار إليه.

«**ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع**» كان عمر يعطي عايشة وحفصة في كلّ سنة عشرة آلاف درهم، ويمنع أهل بيت النّبي صلى الله عليه وآله خمسهم الذي عيّنه الله لهم في كتابه، وبيّنه الرسول صلى الله عليه وآله في سنّته، وكان يفضّل الأشراف على غيرهم في العطاء تأليفاً لهم على خلاف الكتاب والسّنّة.

«**ولا المعطّل للسّنّة فتهلك الأمّة**» قد عطّل عمر حدّ الله تعالى في المغيرة بن

---

(١) أمر النّبي صلى الله عليه وآله بتجهيز جيش أُسامة أخرجه ابن هشام في السيرة ٤: ٢١٩، والواقدي في المغازي ٢: ١١١٩، وابن سعد في الطبقات ٢ ق٢: ١٣٧، والطبري في تاريخه ٢: ٤٣١ سنة ١١. ولعن النبيّ صلى الله عليه وآله من تخلف عن جيشه. أخرجه الجوهري في السقيفة: ٧٥ مسنداً، ورواه الشهرستاني في الملل والنحل ١: ٢٩، والكوفي في الاستغاثة: ٢٥، والقاضي النعمان في الدعائم ١: ٤١ مجرداً.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٤٦٥ سنة ٣٦، ومروج الذهب للمسعودي ٢: ٣٥٧، وتاريخ اليعقوبي ٢: ١٨٠.

(٣) الكهف: ٥١.

شعبة المعلوم النفاق بالاتفاق لكونه من أعوانه، ولقّن الشاهد الرابع الامتناع من أداء الشهادة عليه، وقال: لذاك الشاهد بأنّه ينفس على مثله من المهاجرين الأوّلين، مع أنّ إمامهم الثالث عثمان لمّا نقموا عليه توليته المنافقين ـ كالوليد ابن عقبة الذي صلّى الصبح بالناس أربعاً سكراناً ـ اعتذر بأنَّ عمر أيضاً كان يولّي المغيرة، وكان منافقاً وأمين أُمّتهم عبد الرحمن بن عوف، قال للمغيرة ـ لما بويع عثمان وقال له المغيرة: لو بويع غيرك ما بايعناه ـ أنت منافق، لو كان بويع غيره كنت تقول له أيضاً ذلك. وصار إبقاء عمر للمغيرة سبباً لهلاك الأُمّة بحمله معاوية على استخلاف ابنه يزيد، مع أنَّ مثل مروان وزياد كانا أيضاً منكرين لتولية يزيد؛ حمله المغيرة على ذلك لئلّا يعزله عن حكومة الكوفة، فانجرَّ الأمر إلى أنّ الخليفة يرتكب ما فيه الحدّ ويجرون الحدّ على الناس، فلمّا بلغ يزيد أنَّ مسور بن مخرمة النوفلي كان يقول: يزيد يشرب الخمر. كتب إلى والي المدينة أن يجلده الحدَّ، فجلده الوالي فقال مسور:

أيشربها صرفاً بفكّ ختامها ... أبو خالد ويجلد الحدَّ مسور

وبالجملة أين الإمام الذي خليفة النّبيّ ﷺ الذي هو خليفة الله، وأين أُولئك الجفاة الأجلاف من أوّلهم إلى آخرهم؛ أما قال تعالى: ﴿...لا ينال عهدي الظالمين﴾[1]؟

ومن الأمثال: متى كان حكم الله في كرب النّخل[2]. وإنّما تصدّوا للسلطنة، وقد قال تعالى: ﴿قل اللّهمَّ مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممّن تشاء...﴾[3]

---

(١) البقرة: ١٢٤.

(٢) المستقصى للزمخشري ٢: ٣٤٠.

(٣) آل عمران: ٢٦.

٤
من الخطبة (٢)

ومنها يعني آل النبيّ عليهم السلام:

هُمْ مَوْضعُ سِرِّهِ، ولَجَأُ أمْرِهِ، وَعَيْبَةُ عِلْمِهِ، ومَوْئِلُ حُكْمِهِ، وكُهُوفُ كُتُبِه، وَجِبَالُ دِينِهِ، بِهِمْ أَقَامَ انْحِنَاءَ ظَهْرِهِ، وأَذْهَبَ ارْتِعَادَ فَرَائِصِه.

ومنها: يعني قوم آخرين المنافقين:

زَرَعُوا الفُجُورَ، وَسَقَوْهُ الغُرُورَ، وحَصَدُوا الثُّبُورَ. لَا يُقَاسُ بآلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ أَحَدٌ، وَلَا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَداً. هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ، وَعِمَادُ الْيَقِينِ، إليهم يَفِيءُ الغَالِي، وَبِهِمْ يُلْحَقُ التَالِي، وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الوِلَايَةِ، وَفيهِمْ الوَصِيَّةُ والوِرَاثَةُ. الآنَ إِذْ رَجَعَ الحقُّ إِلَى أَهْلِهِ، وَنُقِلَ إِلَى مُنْتَقَلِهِ.

أقول: قال الجاحظ ـ كما نقل عنه (ينابيع مودّة الحنفي) ـ: إنّ الخصومات نقضت العقول السليمة، وأفسدت الأخلاق الحسنة، من المنازعة في فضل أهل البيت على غيرهم، فالواجب علينا طلب الحق واتّباعه، وطلب مراد الله في كتابه وترك التعصّب والهوى، وطرح تقليد السلف، والأساتيذ والآباء. واعلم أنّ الله لو أراد أن يسوّي بين بني هاشم وبين النّاس لما اختصّهم بسهم ذوي القربى، ولما قال: ﴿وانذر عشيرتك الأقربين﴾[١]، وقال: ﴿وإنّه لذكر لك ولقومك وسوف تُسألون﴾[٢]. فإذن كان لقومه ما ليس لغيرهم؛ فكلّ من كان أقرب منه صلى الله عليه وآله كان أرفع قدراً، ولو سوّاهم الله بالنّاس لما حرّم عليهم الصدقة، وما هذا التحريم إلّا لكرامتهم على الله وطهارتهم، ولهذا قال عليّ كرّم الله وجهه

---

(١) الشعراء: ٢١٤.

(٢) الزخرف: ٤٤.

على منبر الجماعة: «نحن أهل بيت لا يقاس بنا أحد...»[١].

وقال محمّد بن جرير بن رستم الطبري في (مسترشده): قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له: «هلك من قارن حسداً، وقال باطلاً ووالى على عداوتنا، أو شكّ في فضلنا؛ إنّه لا يقاس بنا آل محمّد من هذه الأمّة أحد، ولا سُوّي بنا من جرت نعمتنا عليهم. نحن أطول الناس أغراساً، ونحن أفضل الناس أنفاساً، ونحن عماد الدين، بنا يلحق التالي، وإلينا يَفيء الغالي، ولنا خصائص حقّ الولاية، وفينا الوصيّة والوراثة، وحجّة الله عليكم؛ في حجّة الوداع يوم غدير خم، وبذي الحليفة، وبعده المقام الثالث بأحجار الزّيت، تلك فرائض ضيّعتموها، وحرمات انتهكتموها، ولو سلّمتم الأمر لأهله سلمتم، ولو أبصرتم باب الهدى رشدتم، اللهمَّ إنّي قد بصّرتهم الحكمة، ودللتهم على طريق الرحمة، وحرصت على توفيقهم بالتنبيه والتذكرة، ودللتهم على طريق الجنّة بالتبصّر والعدل والتأنيب، ليثبت راجع ويقبل، ويتّعظ مذكّر فلم يطع لي قول: اللهمّ إنّي أُعيد عليهم القول ليكون أثبت للحجّة عليهم. يا أيّها الناس اعرفوا فضل من فضّل الله، واختاروا حيث اختار الله، واعلموا أنّ الله قد فضّلنا أهل البيت بمنّه حيث يقول: ﴿...إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾[٢]. فقد طهّرنا الله من الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ومن كلّ دنيّة وكلّ رجاسة؛ فنحن على منهاج الحقّ، ومن خالفنا فعلى الباطل. والله لئن خالفتم أهل بيت نبيّكم لتخالفنّ الحق[٣].

وقال عليه السلام أيضاً ـ كما في تفسير علي بن إبراهيم القمي ـ: ولقد علم

(١) ينابيع المودة للقندوزي: ١٥٢ عن فضائل بني هاشم للجاحظ.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

(٣) المسترشد: ٩٠ ـ ٩١.

المستحفظون من أصحاب محمّد ﷺ أنّه قال: إنّي وأهل بيتي مطهّرون؛ فلا تسبقوهم فتضلّوا، ولا تتخلّفوا عنهم فتزلّوا، ولا تخالفوهم فتجهلوا، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم؛ هم أعلم الناس كباراً، وأحلم الناس صغاراً، فاتبعوا الحقّ وأهله حيث كان[١].

وروى الشيخان في (أماليهما) عن الأصبغ قال: دخل الحارث الهمداني على أمير المؤمنين عليه السلام في نفر من الشيعة، وكنت فيهم، فقال عليه السلام للحارث: كيف تجدك؟ قال: نال الدّهر منّي، وزادني أواراً اختصامُ أصحابك ببابك. فقال عليه السلام: وفيم خصومتهم؟ قال: فيك وفي الثلاثة من قبلك، فمن مفرط غال، ومفرّط قال، ومن متردّد مرتاب لا يدري أيقدم أم يحجم. فقال: حسبك يا أخا همدان ألا إنَّ خير شيعتي النّمط الأوسط، إليهم يرجع الغالي، وبهم يلحق التالي. فقال له الحارث: لو كشفت الرّين عن قلوبنا، وجعلتنا في ذلك على بصيرة من أمرنا. فقال عليه السلام: فإنّك امرؤ ملبوس عليك، إنّ دين الله لا يعرف بالرّجال، بل بآية الحق، فاعرف الحقّ تعرف أهله. يا حارث إنّ الحقّ أحسن الحديث، والصادع به مجاهد، وبالحقِّ أُخبرك، فأعرني سمعك، ثمّ خبِّر به من كان له حصافة من أصحابك، ألا إنّي عبد الله وأخو رسوله، وصدِّيقه الأكبر، صدّقته وآدم بين الرّوح والجسد، ثمَّ إنّي صدّيقه الأوّل في أمّتكم حقّاً، فنحن الأوّلون، ونحن الآخرون، ونحن خاصّته وخالصته، وأنا صنوه ووصيّه ووليّه وصاحب نجواه وسرّه، أوتيت فهم الكتاب وفصل الخطاب وعلم القرون والأسباب، واستودعت ألف مفتاح يفتح كلّ مفتاح ألف باب، يفضي كلّ باب إلى ألف ألف عهد، وأيّدت بليلة القدر نفلاً، وإنَّ ذلك يجري لي ولمن استحفظ من ذرّيتي ما جرى الليل والنهار. وأُبشرك يا حارث لتعرفني عند

---

(١) تفسير القمي ١: ٤، والغيبة للنعماني: ٢٩.

الممات، وعند الصراط، وعند الحوض، وعند المقاسمة. قال الحارث: وما المقاسمة؟ قال: مقاسمة النّار، أُقاسمها قسمة صحيحة، أقول: هذا وليّي فاتركيه، وهذا عدوّي فخذيه.

ثمّ أخذ عليه السلام بيده فقال: يا حارث أخذت بيدك كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيدي، فقال لي ـ وقد شكوت إليه حسد قريش والمنافقين ـ: إذا كان يوم القيامة أخذت بحبل الله وحجزته، وأخذت أنت بحجزتي، وأخذ ذريتك بحجزتك، وأخذ شيعتكم بحجزتكم فماذا يصنع الله بنبيّه، وماذا يصنع نبيّه بوصيّه؟ خذها إليك يا حارث قصيرة من طويلة، أنت مع من أحببت ولك ما اكتسبت ـ يقولها ثلاثاً ـ فقام الحارث يجرّ رداءه وهو يقول: ما أُبالي بعدها متى لقيت الموت أو لقيني. قال جميل بن صالح راوي الخبر عن أبي خالد الكابلي عن الأصبغ بن نباتة، وأنشدني أبو هاشم السيّد الحميري:

قول عليّ لحارث عجب	كم ثمّ اعجوبة له حملا
يا حار همدان من يمت يرني	من مؤمن أو منافق قبلا
يعرفني طرفه وأعرفه	بنعته واسمه وما عملا
وأنت عند الصّراط تعرفني	فلا تخف عثرة ولا زللا
أُسقيك من بارد على ظمأ	تخاله في الحلاوة العسلا
أقول للنّار حين توقف للعرض	دعيه لا تقربي الرّجلا
دعيه لا تقربيه أنّ له	حبلاً بحبل الوصيّ متّصلا[1]

قول المصنّف: «ومنها يعني آل النّبيّ» هكذا في (المصرية) ولكن في (ابن ميثم والخطية)[2]: «منها ويعني آل النّبيّ» وفي (ابن أبي الحديد)[3]:

---

(١) الامالي للمفيد: ٣ ح٣ المجلس ١، وأمالي الطوسي ٢: ٢٣٨ المجلس ١٢، والنقل بتصرف يسير.

(٢ و ٣) في شرح ابن ميثم ١: ٢٤٥، وشرح ابن أبي الحديد ١: ٤٥ مثل المصرية أيضاً.

«ومنها ويعني آل محمّد» فالواو ساقطة من (المصرية) قطعاً.

«عليه الصّلاة والسلام» هكذا في (المصرية)، ولكن في (ابن ميثم وابن أبي الحديد والخطية)[١]: «صلّى الله عليه وآله» وزاد الأخير و«سلّم»[٢].

قوله عليه السلام: «موضع سرّه» قال الصادق عليه السلام لخيثمة: نحن شجرة النّبوّة، وبيت الرّحمة، ومفاتيح الحكمة، ومعدن العلم، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، وموضع سرّ الله[٣].

«ولجأ أمره» قال الصادق عليه السلام: إنّ الناس في ليلة القدر في صلاة ودعاء ومسألة، وصاحب هذا الأمر في شغل تَنَزّل الملائكة إليه بأُمور السنة من غروب الشمس إلى طلوعها[٤].

وقال الباقر عليه السلام لأبي إسحاق النحوي: ونحن فيما بينكم وبين الله تعالى، ما جعل الله تعالى لأحد خيراً في خلاف أمرنا[٥].

«وعيبة علمه» أي: مخزنه؛ قال الصادق عليه السلام: نحن ولاة أمر الله، وخزنة علمه، وعيبة وحيه، ونحن الرّاسخون في العلم، ونحن نعلم تأويله[٦].

وفي (عيون ابن قتيبة) أتى رجل الحسن عليه السلام فسأله، فقال: إنّ المسألة لا تصلح إلّا في غرم فادح، أو فقر مدقع، أو حمالة مقطعة. فقال الرّجل: ما جئت إلّا

(١ و ٢) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١: ٤٥، وشرح ابن ميثم ١: ٢٤٥ مثل المصرية أيضاً، ولا يوجد فيهما زيادة.

(٣) الكافي للكليني ١: ٢٢١ ح٣، والبصائر للصفار: ٧٧ ح٦ في صدر حديث عن الصادق عليه السلام، و: ٧٧ ح٣ عن الباقر عليه السلام.

(٤) البصائر للصفار ٢٤٠ ضمن الحديث ٢.

(٥) أخرجه الكليني بطريقين في الكافي ١: ٢٦٥ ح١، والصفار بطريقين في البصائر: ٤٠٤ ح٤، ٥.

(٦) هذا تأليف حديثين: الأول حديث الصادق عليه السلام: «نحن ولاة أمر الله، وخزنة علم الله، وعيبة وحي الله» أخرجه في صدر حديث الصفار في البصائر: ١٢٥ ح٨، والكليني في الكافي ١: ١٩٢ ح١. والثاني حديث: «نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله» أخرجه الكليني في الكافي ١: ٢١٣ ح١، والصفار في البصائر: ٢٢٣ ح٥ عن الصادق عليه السلام، و: ٢٢٤ ح٧ عن الباقر عليه السلام.

في إحداهنّ. فأمر له بمائة دينار، ثمّ أتى الحسين عليه السلام فسأله، فقال له مثل مقالة أخيه، فردّ عليه كما ردّ على الحسن عليه السلام، فقال له: كم أعطاك؟ قال: مائة. فنقّص ديناراً كره أن يساوي أخاه، ثمّ أتى إلى ابن عمر فسأله، فأعطاه سبعة دنانير، ولم يسأله عن شيء، فقال له: إنّي أتيت الحسن والحسين عليهما السلام واقتصّ كلامهما وفعلهما به، فقال له عبد الله: ويحك، وأنّى تجعلني مثلهما، إنّهما غذّيا العلم[1].

وفي (عقد ابن عبد ربه) كتب ملك الروم إلى عبد الملك بن مروان: أكلت لحم الجمل الذي هرب عليه أبوك من المدينة، ولأغزينك جنوداً مائة ألف ومائة ألف. فكتب عبد الملك إلى الحجّاج أن يبعث إلى عليّ بن الحسين، ويتوعّده ويكتب إليه بما يقول، ففعل. فقال عليه السلام: إنّ لله عزّوجل لوحاً محفوظاً يلحظه كلّ يوم ثلاثمائة لحظة، ليس منها لحظة إلّا يحيي فيها ويميت ويعزّ ويذلّ، ويفعل ما يشاء، وإنّي لأرجو أن يكفينيك منها بلحظة واحدة. فكتب به الحجّاج إلى عبد الملك بن مروان، وكتب به عبد الملك إلى ملك الروم، فلمّا قرأه قال: ما خرج هذا إلّا من كلام النّبوّة[2].

«وموئل حكمه» قال أبو عبد الله عليه السلام: المعيب على أمير المؤمنين عليه السلام في شيء من أحكامه كالمعيب على الله تعالى وعلى رسوله، والرادّ عليه في صغيرة أو كبيرة على حدّ الشرك بالله. كان أمير المؤمنين عليه السلام باب الله الذي لا يؤتى إلّا منه، وسبيله الذي من سلك بغيره هلك، وبذلك جرت الأئمّة عليهم السلام واحداً بعد واحد، جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بهم، والحجّة البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثّرى[3].

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ٣: ١٤٠.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه ٢: ٦١، وفي بعض النسخ «عبد الله بن الحسن» بدل «علي بن الحسين».

(٣) الكافي للكليني ١: ١٩٦ ضمن الحديث ١، والنقل بتصرف.

«وكهوف كتبه» قال بريّة النصراني الذي أسلم هو وامرأته على يد الكاظم عليه السلام للصادق عليه السلام لمّا ابتدأ يقرأ الإنجيل له: أنّى لكم التوراة والإنجيل وكتب الأنبياء؟ قال: هي عندنا وراثة من عندهم، نقرؤها كما قرؤوها ونقولها كما قالوا. إنّ الله تعالى لا يجعل حجّة في أرضه يُسئل عن شيء فيقول: لا أدري[(١)].

وقال الباقر عليه السلام: إيّانا عنى الله تعالى في قوله: ﴿...قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾[(٢)].

وبعث محمّد بن عبدالله بن الحسن إلى الصادق عليه السلام يستدعيه إلى منزله فأبى عليه السلام، فضحك محمّد وقال: ما منعه من إتياني إلّا أنّه ينظر في الصحف. فقال عليه السلام: صدق، إنّي أنظر في ﴿الصّحف الأُولى * صحف إبراهيم وموسى﴾[(٣)]. وقال له: سل نفسك وأباك هل ذلك عندكما؟ فسكت[(٤)].

ولمّا قال أبو حنيفة: إنّ علمه في صدره من قياساته، وأنّ جعفر بن محمّد رجل صحفي. قال عليه السلام: نعم أنا صحفي عندي صحف إبراهيم وموسى[(٥)].

«وجبال دينه» قال أبو بصير للباقر عليه السلام: إنّ الحكم بن عتيبة يزعم أنّ شهادة ولد الزّنا تجوز. فقال: اللهمّ لا تغفر ذنبه، ما قال الله للحكم: ﴿إنّه لذكر

---

(١) أخرجه الكليني في الكافي ١: ٢٢٧ ح١ بفرق يسير، والصفار في البصائر: ١٥٦ ح٤، و: ٣٦ ح٢، والصدوق في التوحيد: ٢٧٥.

(٢) أخرجه الصفار في البصائر: ٢٣٤، ٢٣٦ ح١٢، ٢٠ عن الباقر عليه السلام، وهو في المصدر: ٢٣٤ ح٧. ورواه الطبرسي في مجمع البيان ٦: ٣٠١ عن الصادق عليه السلام، والآية ٤٣ من سورة الرعد.

(٣) الاعلى: ١٨ ـ ١٩.

(٤) البصائر للصفار: ١٥٨ ح١٢، والنقل بتلخيص.

(٥) علل الشرائع للصدوق: ٨٩ ح٥، والنقل بالمعنى.

لك ولقومك...﴾[1] فليذهب الحكم يميناً وشمالاً، فوالله لا يؤخذ العلم إلّا من أهل بيت نزل عليهم جبرئيل عليه السلام[2].

وقال عليه السلام له ولسلمة بن كهيل: شرّقا وغرّبا فلا تجدان علماً صحيحاً إلّا شيئاً خرج من عندنا أهل البيت[3].

«بهم أقام انحناء ظهره وأذهب ارتعاد فرائصه» فرائص جمع فريصة: اللحمة بين الجنب والكتف ترعد عند الفزع؛ قال الباقر عليه السلام: إنّ الأرض لا تبقى إلّا ومنّا فيها من يعرف الحقّ، فإذا زاد الناس قال: قد زادوا، وإذا نقصوا منه قال: قد نقصوا.

رواه الحسين بن أبي حمزة الثمالي عن أبيه عنه عليه السلام لعبد الحميد بن عواض الطائي، فقال له عبد الحميد: بالله الذي لا إله إلّا هو لسمعته أنا أيضاً منه عليه السلام[4].

هذا وجعل ابن أبي الحديد[5] الضمائر من قوله: «موضع سرّه ـ إلى ـ جبال دينه» راجعة إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله وفي: (ظهره) و (فرائصه) إلى الدّين في: «وجبال دينه»، وجعل الخوئي[6] الضمائر كلّها راجعة إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله، وكلّ منهما كما ترى. والصواب: كون الستّة الأُولى راجعة إلى الله تعالى، المذكور قبل هذا الكلام، والأخيرين إلى دينه.

---

(١) الزخرف: ٤٤.

(٢) الكافي للكليني ١: ٤٠٠ ح٥، والبصائر للصفار: ٢٩ ح٣، ومعرفة الرجال للكشي ـ اختياره: ٢٠٩ ح٣٧٠.

(٣) الكافي للكليني: ٣٩٩ ح٣، والبصائر للصفار: ٣٠ ح٤، ومعرفة الرجال للكشي ـ اختياره: ٢٠٩ ح٣٦٩.

(٤) أخرجه الصدوق في كمال الدين: ٢٢٢ ح١٢، وأخرج معناه هو في المصدر: ٢٢٨ ح٢١، والصفار بثلاث طرق في البصائر: ٣٥١، ٣٥٢ ح٥، ٦، ٩.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١: ٤٥.

(٦) شرح الخوئي ١: ٢٣٤.

قول المصنّف: «ومنها يعني قوماً آخرين» هكذا في (المصرية) وكذا في (الخطية)، لكن بدون الواو، وفي (ابن ميثم): «منها»[١] بدون زيادة، وفي (ابن أبي الحديد)[٢]: «منها في المنافقين». ثمّ قال ابن أبي الحديد: ليست إشارته عليه السلام إلى المنافقين كما ذكر الرضي، بل إلى من تغلّب عليه وجحد حقّه كمعاوية وغيره، ولعلّ الرّضي عرف ذلك وكنّى عنه[٣].

قلت: لا ريب أنّ إشارته عليه السلام بأيّ لفظ كان إلى الثلاثة، يوضحه قوله عليه السلام بعد: «لا يقاس بآل محمّد صلى الله عليه وآله من هذه الأمّة أحد» بطريق العموم، وكيف كان فالواو في (المصرية) زائدة قطعاً.

«زرعوا الفجور» لمّا بادرت الأوس إلى بيعة أبي بكر، لئلّا يصل الأمر إلى الخزرج، وبادر الأوس بشير بن سعد الخزرجي أبو النّعمان بن بشير وابن عمّ سعد بن عبادة في بيعة أبي بكر، لئلّا يصل الأمر إلى ابن عمّه حسداً منه له، قام الحباب بن المنذر وقال: يا معشر الأنصار أما والله لكأنّي بأبنائكم على أبواب أبنائهم، قد وقفوا يسألونهم بأكفّهم، ولا يسقون الماء.

«وسقوه الغرور» أي: ماءه؛ وفي (خلفاء ابن قتيبة) لمّا طعن عمر جعلوا يثنون عليه ويذكرون فضله، فقال: إنّ من غررتموه لمغرور، إنّي والله وددت أن أخرج منها كفافاً كما دخلت فيها[٤].

«وحصدوا الثّبور» قال ابن عمر لمّا بايع الناس أبا بكر: سمعت سلمان يقول: (كرديد ونكرديد) أما والله لقد فعلتم فعلة أطمعتم فيها أبناء الطلقاء، ولعناء رسول الله صلى الله عليه وآله، فلمّا سمعته يقول ذلك أبغضته، وقلت: لم يقل هذا إلّا

---

(١) لفظ شرح ابن ميثم ١: ٢٤٩ مثل المصرية أيضاً.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٤٥.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٤٦، والنقل بالمعنى.

(٤) الامامة والسياسة لابن قتيبة ١: ٢١.

بغضاً منه لأبي بكر. فأبقاني الله حتّى رأيت مروان بن الحكم يخطب على منبر النّبيّ صلّى الله عليه وآله فقلت: رحم الله أبا عبد الله، لقد قال ما قال بعلم عنده[١].

قلت: صحّة بيعة أبي بكر تستلزم صحّة بيعة يزيد بن معاوية الّذي استأصل أهل بيت النّبيّ صلّى الله عليه وآله وأنكر النّبوّة، وجعل أمر النّبيّ صلّى الله عليه وآله إرادة السلطنة دون إله ووحي منه، فقال:

لعبت هاشم بالملك فلا	خبر جاء ولا وحيٌ نزل
لست من خندف إن لم أنتقم	من بني أحمد ما كان فعل

«لا يقاس بآل محمّد صلّى الله عليه وآله من هذه الأمّة أحد» في أيّ درجة كان من الرياسة أو الدّيانة.

في (محاضرات الراغب) قال عمر بن عبد العزيز يوماً: من أشرف الناس؟ وقد كان قام من عنده عليّ بن الحسين عليه السلام، فقالوا: أنتم. فقال: كلّا، إنّ أشرف النّاس هذا القائم من عندي آنفاً، مَنْ أحبّ الناس أن يكونوا منه ولم يحبّ أن يكون من أحد[٢].

وروى الطبري في كتاب المنصور إلى محمّد بن عبد الله بن الحسن: وما ولد فيكم بعد وفاة النّبيّ صلّى الله عليه وآله أفضل من عليّ بن الحسين وهو لأمّ ولد، ولهو خير من جدّك حسن بن حسن، وما كان فيكم بعده مثل ابنه محمّد بن عليّ وجدّته أمّ ولد، ولهو خير من أبيك، ولا مثل ابنه جعفر وجدّته أمّ ولد، ولهو خير منك[٣].

وفي كتاب المأمون إلى أهل الآفاق ـ لمّا جعل الرّضا عليه السلام ولي عهده بعد

---

(١) رواه المرتضى في الشافي عنه كتاب الفتن من البحار: ٧٦، والطبرسي في الاحتجاج: ٧٦ بفرق في اللفظ.

(٢) رواه الراغب في المحاضرات، وابن الجوزي في مناقبه عنهما مناقب ابن شهر آشوب ٤: ١٦٧.

(٣) تاريخ الطبري ٦: ١٩٨ سنة ١٤٥.

ذكر اختياره له من بين جميع الناس ـ: أنّه فعل ذلك لمّا رأى من فضله البارع، وعلمه الذائع، وورعه الظاهر الشائع، وزهده الخالص النافع، وتخليته من الدّنيا، وتفرّده عن الناس، وقد استبان له منه ما لم تزل الأخبار عليه مطبقة، والألسن عليه متّفقة، والكلمة فيه جامعة، والأخبار واسعة، ولمّا لم نزل نعرفه به من الفضل يافعاً، وناشئاً، وحدثاً، وكهلاً، فلذلك عقد بالعهد والخلافة من بعده، واثقاً بخيرة الله تعالى في ذلك، إذ علم الله تعالى أنّه فعله ايثاراً له وللدين[1].

وروى (العيون) مسنداً عن عباد بن صهيب قال: قلت للصادق جعفر بن محمّد عليه السلام: أخبرني عن أبي ذر، أهو أفضل أم أنتم أهل البيت؟ فقال: يا بن صهيب كم شهور السنة؟ فقلت: اثنا عشر شهراً. فقال: وكم الحُرم؟ قلت: أربعة أشهر. قال: فشهر رمضان منها؟ قلت: لا. قال: فشهر رمضان أفضل، أم الأشهر الحرم؟ فقلت: بل شهر رمضان. قال: فكذلك نحن أهل البيت، لا يقاس بنا أحد[2].

وروى (غرر المرتضى) أنّ نفيعاً الأنصاري أراد حطّ موسى بن جعفر عليه السلام فقال له: من أنت؟ قال: يا هذا إن كنت تريد النسب فأنا ابن محمّد حبيب الله، ابن إسماعيل ذبيح الله، ابن إبراهيم خليل الله، وإن كنت تريد البلد فهو الذي فرض الله على المسلمين وعليك ـ إن كنت منهم ـ الحجّ إليه، وإن كنت تريد المفاخرة فوالله ما رضي مشركو قومي مسلمي قومك أكفّاء لهم، حتّى قالوا: يا محمّد اخرج إلينا أكفّاءنا من قريش ـ إلى أن قال ـ وانصرف بخزي[3].
فانصرف مخزياً.

---

(١) نقل كتاب المأمون بتمامه ابن الصباغ في الفصول المهمة: ٢٥٧ ، ٢٥٨.

(٢) أخرجه الصدوق في علل الشرائع: ١٧٧ ح ٢، لا في عيون الأخبار، وهو من سهو قلم الشارح.

(٣) أخرجه المرتضى في الغرر والدرر، وهو كتاب أماليه ١: ١٩٩ المجلس ١٩.

وقال الكميت:

عادلاً غيرهم من النّاس طراً   بـهم لا هـمام لي لا هـمام

وقال الأمير الميكالي: لايقاس المهاوي بالمراقي، ولا الأقدام بالتّراقي، ولا البحور بالسّواقي.

هذا، وقال أبو عبيدة: كان أبو قيس بن رفاعة يفد سنة إلى النّعمان بن المنذر اللخمي، وسنة إلى الحرث بن أبي شمر الغسّاني، فقال له الحرث يوماً ـوهو عنده ـ: بلغني أنّك تفضّل النعمان عليّ. قال: كيف أُفضّله عليك؟ أبـيت اللعن، فوالله لقفاك أحسن من وجهه، ولأُمّك أشرف من أبيه، ولأمسك أفضل من يومه، ولشمالك أفضل من يمينه، ولحرمانك أنفع من بذله، ولقليلك أكثر من كثيره.

«ولا يسوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً» وفيه عليه السلام أنزل تعالى قوله: ﴿...اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً...﴾[1]، وحيث إنّ المنعَم عليه لا يمكن أن يكون مساوياً للمنعِم، والنّبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته هم المنعمون، وباقي الناس المنعَم عليهم؛ قال تعالى: ﴿ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم...﴾[2].

وقال الفرزدق في قصيدته في عليّ بن الحسين عليه السلام:

أي الخلائق ليست في رقابهم   لأوّليـة هـذا أوله نـعم

من يعرف الله يعرف أوّليـة ذا   فالدين من بيت هذا ناله الأُمم

(١) نزول الآية في علي عليه السلام أخرجه ابن عساكر في ترجمة علي عليه السلام ٢: ٧٥ ح٧٥٧، وابن مردويه والخطيب عنهما الدر المنثور ٢: ٢٥٩، والحسكاني بطريقين في شواهد التنزيل ١: ١٥٦، ١٥٨ ح ٢١٠، ٢١٣، عن أبي هريرة، وفي الباب عن أبي سعيد وغيره، والآية ٣ من سورة المائدة.

(٢) الروم: ٢٨.

وقال المفيد: إنّ رجلاً قال للسّجّاد: أخبرني بماذا فضلتم الناس جميعاً وسدتموهم؟ فقال له: أنا أُخبرك بذلك، اعلم أنّ النّاس كلّهم لا يخلون من أن يكونوا أحد ثلاثة: إمّا رجل أسلم على يد جدّنا رسول الله صلى الله عليه وآله، فهو مولى لنا ونحن ساداته وإلينا يرجع بالولاء، أو رجل قاتلناه فقتلناه فمضى إلى النّار، أو رجل أخذنا منه الجزية عن يدٍ وهو صاغر، ولا رابع للقوم، فأيّ فضل لم نحزه وشرف لم نحصله بذلك[1].

وقال الخوئي: قال الصادق عليه السلام لأبي حنيفة: ما هو عندك في قوله تعالى: ﴿ثمّ لتُسألُنّ يومئذٍ عن النّعيم﴾[2]؟ قال الأمن في السرب وصحّة البدن والقوت الحاضر. فقال عليه السلام: يا أبا حنيفة لئن أوقفك الله يوم القيامة حتّى يسألك عن كلّ أكلة أكلتها أو شربة شربتها ليطولنّ وقوفك. قال: فما النعيم، جعلت فداك؟ قال: النعيم نحن الذين أنقذ الله الناس بنا من الضلالة، وبصّرهم بنا من العمى، وعلّمهم بنا من الجهل[3].

وقال ابن أبي الحديد: لا ريب أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله وأهله الأدنين من بني هاشم، لا سيّما عليّ عليه السلام، أنعموا على الخلق كافّة بنعمة لا يقدّر قدرها، وهي الدّعاء إلى الاسلام، والهداية إليه، فمحمّد صلى الله عليه وآله وإن كان هدى الخلق بالدعوة التي قام بها بلسانه ويده، ونصرة الله تعالى له بملائكته وتأييده، وهو السّيّد المتبوع، والمصطفى المنتخب الواجب الطاعة، إلّا أنّ لعليّ عليه السلام من الهداية أيضاً وإن كان ثانياً لأوّل، ومصلّياً على أثر سابق ما لايجحد، ولو لم يكن إلّا

(١) رواه المفيد في العيون والمحاسن عنه الفصول المختارة: ٧.

(٢) التكاثر: ٨.

(٣) لم أجده في مظانه في شرح الخوئي، ولكن رواه شرف الدين في كنز جامع الفوائد عنه البحار ٢٤: ٥٩ ح ٣٤، والعياشي في تفسيره عنه مجمع البيان ١٠: ٥٣٤، والراوندي في الدعوات عنه البحار ٢٤: ٤٩ وغيرهم، بل روى الخوئي في شرحه ١: ٢٤٢ رواية في هذا المعنى عن أبي خالد الكابلي.

جهاده بالسّيف أوّلاً وثانياً وما كان بين الجهادين من نشر العلوم وتفسير القرآن وإرشاد العرب إلى ما لم تكن له فاهمة ولا متصوّرة لكفى في وجوب حقّه وسبوغ نعمه عليه السلام.

فإن قيل: لا ريب في أنّ كلامه هذا تعريض بمن تقدّم عليه، فأيّ نعمة له عليهم؟ قيل: نعمتان: الأولى منهما الجهاد عنهم وهم قاعدون، فإنّ من أنصف علم أنّه لولا سيف عليّ عليه السلام لاصطلم المشركون من أشار إليه وغيرهم من المسلمين، وقد علمت آثاره في بدر، وأُحد، والخندق وخيبر وحنين، وأنَّ الشّرك فيها فغر فاه، فلولا أن سدّه بسيفه لالتحم المسلمين كافّة؛ والثانية علومه التي لولاها لحكم بغير الصواب في كثير من الأحكام، وقد اعترف له بذلك، والخبر مشهور: «لولا عليّ لهلك عمر» ـ إلى أن قال ـ واعلم أنَّ عليّاً عليه السلام كان يدّعي التقدّم على الكلّ، والشرف على الكلّ، والنعمة على الكلّ بابن عمّه صلوات الله عليه وبنفسه وبأبيه أبي طالب عليهما السلام، فإنَّ من قرأ علوم السّير عرف أنَّ الإسلام لولا أبو طالب لم يكن شيئاً مذكوراً...[1].

«هم أساس الدّين» فبني الإسلام على خمس: الصلاة، والزكاة، وصوم شهر رمضان، وحجّ بيت الله، والولاية، وهي أشدّها، فإنَّ تلك من الفروع، وهذه من الأُصول، وأيضاً فالأربعة الأُولى قد تسقط عن بعض، والولاية لا تسقط عن أحد في وقت[2].

وفي (الإرشاد) عن أمير المؤمنين عليه السلام: «ومن لا يحبّنا لا ينفعه إيمانه،

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٤٦.

(٢) أخرجه الكليني بأربع طرق في الكافي ٢: ١٨، ٢١ ح١، ٣، ٥، ٨، والبرقي في المحاسن: ٢٨٦ ح٤٢٩، والعياشي في تفسيره ١: ١٩١ ح١٠٩، والصدوق في الخصال: ٢٧٧ ح٢١ عن الباقر عليه السلام: «بني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحجّ والولاية. ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية» وللحديث طرق وألفاظ غير ذلك.

ولا يتقبّل عمله، وإن دأب في الليل والنّهار قائماً وصائماً»[١].

«وعماد اليقين» في رسالة للجاحظ نقلها (ينابيع الحنفي): هم معظّمون مكرّمون عند الناس بدون اختيارهم، والمؤمنون بتعظيمهم وتكريمهم واثقون وموقنون، فلهم سرّ كريم، وكمال جسيم، وشيم عجيب، وعرق طيب، وفضل مبين، ووقار متين، وعرق تام، وغصن باق، وأصل ثابت، وفرع نابت. فلهذا لم يكتفوا ولم يقنعوا بذلك التعظيم والتكريم، واشتغلوا بالتكاليف الشداد، والمحن الغلاظ، والعبادات الشاقة، والمجاهدات التّامة[٢].

«إليهم يفيء الغالي، وبهم يلحق التّالي» حيث إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله جعلهم في الحديث المتواتر عدل الكتاب، والسالك سبيلهم سالك سبيل الصواب، فقال للناس: إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض[٣].

«ولهم خصائص حقّ الولاية» على النّاس في محكم الآيات ومبرم الروايات، وقضيّة العقول والدّرايات؛ قال تعالى: ﴿إنّما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾[٤].

وقال الرّسول صلى الله عليه وآله لمجتمع الأمة بإجماعهم: «أولست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى. قال: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه»[٥].

---

(١) الإرشاد للمفيد: ١٢٩ في ذيل حديث.

(٢) ينابيع المودة للقندوزي: ١٥٥ عن فضائل بني هاشم للجاحظ.

(٣) هذا حديث الثقلين من الأحاديث المتواترة أخرجه جمع كثير، منهم: مسلم في صحيحه ٤: ١٨٧٣، ١٨٧٤ ح٣٦، ٣٧، والترمذي في سننه ٥: ٦٦٢، ٦٦٣ ح٣٧٨٦، ٣٧٨٨، وصاحب مسند زيد فيه: ٤٠٤، وصاحب صحيفة الرضا فيها: ٥٩ ح٨٣.

(٤) المائدة: ٥٥.

(٥) هذا حديث الغدير من الأحاديث المتواترة أخرجه جمع كثير من المصنفين عن مائة وعشرين من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله فيما أعلم، منهم ابن عساكر، أخرجه بطرق كثيرة في ترجمة عليّ عليه السلام ٣: ٥ ـ ٩٠ ح٥٠٣ ـ ٥٩٣.

وقال عبد الله بن جعفر ـ كما في (خلفاء ابن قتيبة) ـ لمّا أرسل معاوية إلى العبادله في بيعة ابنه يزيد: أمّا بعد، فإنّ هذه الخلافة أُخذ فيها بالقرآن ﴿...وأُولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله...﴾[1] وإنّ أُخذ فيها بسنّة رسول الله ﷺ فإنّ رسول الله أولى، وأيم الله لو ولّوه بعد نبيّهم لوضعوا الأمر موضعه لحقّه وصدقه، ولأُطيع الرّحمن، وعُصي الشيطان، وما اختلف في الأمّة سيفان[2].

وفي (عرائس الثعلبي) في بابه الخامس روى يزيد الرّقاشي عن أنس بن مالك قال: صلّى بنا النّبيّ ﷺ صلاة الفجر، فلمّا انفتل من الصلاة أقبل علينا بوجهه الكريم، فقال: يا معاشر المسلمين من افتقد الشمس فليستمسك بالقمر، ومن افتقد القمر فليستمسك بالزّهرة، ومن افتقد الزهرة فليستمسك بالفرقدين. فقيل: يا رسول الله وما الشمس وما القمر وما الزّهرة وما الفرقدان؟ فقال: أنا الشمس، وعليّ القمر، وفاطمة الزهرة، والحسن والحسين الفرقدان في كتاب الله تعالى لا يفترقان حتّى يردا عليّ الحوض[3].

«وفيهم الوصية» كونه عليه السلام وصيّ النّبي ﷺ من المتواترات، وقد نقل ابن أبي الحديد عن (جمل أبي مخنف) أشعاراً متضمّنة لكونه عليه السلام وصيّه ﷺ عن عبد الله بن أبي سفيان الهاشمي، وابن التّيهان، وعمر بن حارثة الأنصاري، ورجل أزدي، وغلام ضبي من عسكر عائشة، وعن سعد بن قيس الهمداني، وزياد بن لبيد الأنصاري، وحجر بن عدي الكندي، وخزيمة بن ثابت الأنصاري، وابن بديل الخزاعي، وعمرو بن أُحيحة،

---

(١) الأنفال: ٧٥.

(٢) الامامة والسياسة لابن قتيبة ١: ٧٣، والنقل بتصرف.

(٣) العرائس للثعلبي: ٩.

وزجر بن قيس الجعفي[1].

ونقل عن (صفين نصر بن مزاحم) أيضاً أشعاراً متضمّنة لكونه عليه السلام وصيّه صلى الله عليه وآله عن الأشعث بن قيس، وزحر بن قيس، وجرير بن عبد الله البجلي، وعبد الرّحمن بن ذؤيب الأسلمي، والمغيرة بن الحارث المطلبي، وابن عباس، وقال: إنّها بعض ما قيل في هذين الحربين، فأمّا ما عداهما فإنّه يجلّ عن الحصر[2].

قلت: ومما قيل في صفّين قول النّضر بن عجلان الأنصاري:

كيف التفرّق والوصيّ إمامنا ... لا كيف إلّا حيرة وتخاذلا

أيضاً:

وذروا معاوية الغويَّ وتابعوا ... دين الوصيِّ تصادفوه عاجلاً

ومن شواهده قول أمّ سنان المذحجية من وافدات معاوية:

أمّا هلكت أبا الحسين فلم تزل ... بالحقّ تعرف هادياً مهديا

فاذهب عليك صلاة ربّك ما دعت ... فوق الغصون حمامة قمريّا

قد كنت بعد محمّد خلفاً كما ... أوصى إليك بنا فكنت وفيّا

وممّا قيل في الطف كما في (الطبري) قول الحجّاج بن مسروق مؤذّن الحسين عليه السلام:

اليوم تلقى جدّك النبيّا ... ثمّ أباك ذا الندى عليّا

ذاك الذي نعرفه وصيّا[3]

---

(١) نقله ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٤٧ عن جمل أبي مخنف.

(٢) نقله ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٤٩ عن صفين نصر، وفي وقعة صفين نقل أشعار الأشعث: ٢٣، ٢٤، وأشعار جرير وعبد الرحمن والمغيرة بالترتيب في: ٤٨، ٣٨٢، ٣٨٥، لكن ما روى عن زحر بن قيس فيه: ١٨ مروي عن جرير، وما روى عن النعمان فيه: ٣٦٥ مروي عن النضر بن عجلان الأنصاري، وما روى عن عبد الله بن عباس فيه: ٤١٦ مروي عن الفضل بن عباس، وبين ألفاظ الأصل ورواية ابن أبي الحديد اختلاف كثير.

(٣) نقله بهذا اللفظ عن الطبري ابن شهر آشوب في مناقبه ٤: ١٠٣، وهو في تاريخ الطبري ٤: ٣٣٦ سنة ٦١ بغير

ويشهد له أيضاً كما في (الطبري) قول الحسين عليه السلام في مناشداته يوم الطف: ألستُ ابن بنت نبيّكم صلى الله عليه وآله وابن وصيّه؟[١]

وروى أحمد بن حنبل في (فضائله) ـ كما في (تذكرة سبط ابن الجوزي) عن أنس: قلنا لسلمان الفارسي: سل رسول الله صلى الله عليه وآله مَن وصيّه؟ فسأل سلمان رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: من كان وصيّ موسى؟ فقال: يوشع بن نون. قال: إنّ وصيّي ووارثي ومنجز وعدي عليّ بن أبي طالب عليه السلام[٢].

وقد قال الفضل بن العبّاس ـ وقد رووه من طرقهم ـ:

وكان وليَّ الأمر بعد محمّدٍ ... عليٌّ وفي كلِّ المواطن صاحبه
وصيّ رسول الله حقّاً وصهره ... وأوّل من صلّى وما ذمّ جانبه[٣]

وقال الباقر عليه السلام: إنّ أوّل وصيٍّ كان على وجه الأرض هبة الله بن آدم، وما من نبيّ مضى إلّا وله وصيّ، وإنّ عليّاً عليه السلام كان هبة الله لمحمّد، ووارث علم الأوصياء وعلم من كان قبله[٤].

قال ابن أبي الحديد بعد نقله الأبيات الّتي قيلت في الجمل وفي صفّين في كونه عليه السلام وصيّ النّبيّ صلى الله عليه وآله: لا ريب عندنا أنّ عليّاً عليه السلام كان وصيّ النّبيّ صلى الله عليه وآله وإن خالف في ذلك من هو منسوب عندنا إلى العناد، ولسنا نعني بالوصيّة النّصّ على الخلافة، ولكنّ أموراً أُخرى لعلّها إذا لمحت أشرف وأجلّ[٥].

قلت: فإن أراد بالخلافة مجرّد السلطنة الدّنيوية ـ وهو المفهوم من كلام

هذا اللفظ.

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٢٢ سنة ٦١ ضمن خطبة.

(٢) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ٤٣.

(٣) مناقب ابن شهر آشوب: ٥٢.

(٤) أخرجه الكليني في الكافي ١: ٢٢٤ ح ٢، والنقل بتقطيع، ورواه عن الباقر عليه السلام عن النّبي صلى الله عليه وآله.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١: ٤٦، ولكنه قبل نقل الأبيات لا بعده.

فاروقهم لمّا أراد بيعة صاحبه صدّيقهم في قوله له: «رضيك النّبي لديننا في تقديمك للصلاة بنا فكيف لا نرضاك لدنيانا» فجعل الخلافة سلطنة دنيويّة، ودون إمامة الجماعة الذين قالوا هم: «صلّ خلف كلّ برّ وفاجر» - فأي فضل لشيخيهم، فالسّلاطين في الدّنيا كثيرة؟ وإن أراد الخلافة الإلهية، فكيف تستلزم الوصاية الأشرف والأجلّ منها دونها، والخلافة لازم الوصاية، ولا يمكن انفكاك اللازم من الملزوم؟

وما يفعل بما اتّفقوا على روايته أنّه لمّا نزل: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾[1] جمع بني عبد المطّلب وكانوا أربعين، وقال لهم: أيّكم يوازرني على هذا الأمر يكن أخي ووصيّي ووزيري ووارثي وخليفتي بعدي. فلم يجبه أحد منهم، فقام عليّ عليه السلام -وهو أصغرهم يومئذٍ سنّاً- فقال: أنا أوازرك يا رسول الله. فقال له: اجلس فأنت أخي ووصيّي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي[2].

وزاد الجزري في (تاريخه): قال عليّ عليه السلام: فأخذ النّبيّ صلى الله عليه وآله برقبتي، ثمّ قال: إنّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا. فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع[3].

فجمع صلى الله عليه وآله بين الوصاية ولازمها وهو الخلافة.

---

(١) الشعراء: ٢١٤.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ١: ١١١، والنسائي في الخصائص: ٨٦، والطبري بطريقين في تاريخه ٢: ٦٢، ٦٣، وابن إسحاق في المغازي والبزار في مسنده، والبيهقي وأبو نعيم كلاهما في الدلائل عنهم الكاف الشاف ٣: ٣٤٠، وسعيد بن منصور في سننه، والطحاوي والضياء في المختارة عنهم منتخب كنز العمال ٥: ٤٢، ٤٣، وابن أبي حاتم وابن مردويه عنهما الدر المنثور ٥: ٩٧، وابن عساكر بستّ طرق في ترجمة عليّ عليه السلام ١: ٩٧ - ١٠٤ ح١٣٣ - ١٤٠، والحسكاني بطريقين في شواهد التنزيل ١: ٣٧١ ح٥١٤، و: ٤٢٠ ح٥٨٠.

(٣) الكامل لابن الأثير الجزري ٢: ٦٣.

ثمّ لو لم تكن الوصاية مستلزمة للخلافة، لِمَ أنكرتها عايشة مع تواترها؟ ولذا يقول الأزدي من أصحابه عليه السلام كما في (جمل أبي مخنف) لعايشة وقد نقله ابن أبي الحديد نفسه:

أعايش خلّي عن عليٍّ وعيبه　　بما ليس فيه إنّما أنت والده
وصيُّ رسول الله من دون أهله　　وأنتِ على ما كان من ذاك شاهده[1]

وقد قال أيضاً على نقله:

هذا عليّ وهو الوصي　　آخاه يوم النّجوة النّبيُّ
وقال هذا بعديَ الوليُّ　　وعاه واعٍ ونسى الشقيُّ[2]

وروى مسلم والبخاري أنّه ذُكر عند عائشة أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله أوصى إلى عليّ قالت: ومتى أوصى، ومن يقول ذلك؟ قيل: إنّهم يقولون. قالت: من يقوله؟ لقد دعا بطست ليبول وأنّه بين سحري ونحري، فمات وما شعرت[3].

ادّعت لإنكار وصايته أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله مات مكشوف العورة، ثمّ يقال لها: موته بين سحرك ونحرك في وقت بوله، أيّ ملازمة بينه وبين عدم وصايته إليه؟ فإنّه صلى الله عليه وآله جعله وصيّه وخليفته أوّل بعثته، كما عرفت في ما مرّ، وبعده إلى حين وفاته، حسبما دلّ عليه آثار أُخر، قبل تلك الساعة التي ادّعيت أنت في موته حين بوله بين سحرك ونحرك.

ولو لم تكن الوصاية مستلزمة للخلافة، كيف أنكرها شرحبيل وابن أبي أوفى؟

روى الجوهري في (سقيفته): أنّ طلحة بن مصرف قال لشرحبيل: إنَّ

(١ و ٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٤٨.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٢: ١٢٥، و٣: ٩٥، ومسلم في صحيحه ٣: ١٢٥٧ ح١٩ وغيرهما، مرّ نقله في العنوان ٢ من هذا الفصل.

الناس يقولون: إنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله أوصى إلى عليّ. فقال: أبو بكر يتأمّر على وصيّ رسول الله[١].

وروى مسلم والبخاري: أنّ طلحة بن مصرف قال لابن أبي أوفى: هل أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: لا. قال: فكيف أمر المسلمين بالوصيّة ولم يوصِ؟ قال: أوصى بكتاب الله. وقال طلحة بن مصرف: قال الهزيل بن شرحبيل: أبو بكر كان يتأمّر على وصيّ رسول الله[٢].

وقول ابن أبي الحديد: «وإن خالف في ذلك من هو منسوب إلى العناد» إن أراد به شرحبيل وابن أبي أوفى المتقدّمين فلعلّهما أنكراه لا عناداً، بل لكون التفرقة بين الملزوم واللازم خلاف العقل. نعم، أُمّ مؤمنيهم أنكرته عناداً أيضاً له عليه السلام، فمع خروجها عليه عليه السلام جرأةً على الله ورسوله كانت لا تستطيع أن تذكر اسم أمير المؤمنين عليه السلام بغضاً، كما صرّح به ابن عبّاس[٣]، ولمّا بلغها بيعة الناس له عليه السلام تمنّت سقوط السماء على الأرض[٤]، ولمّا بلغها قتله عليه السلام سجدت فرحاً ومدحت قاتله[٥]، مع تواتر قول النّبيّ صلى الله عليه وآله فيه عليه السلام: «اللهمّ والِ من والاه وعادِ من عاداه»[٦]، ولازمه كونها عدوّة الله.

ثمّ إذا لم يكن المراد من الوصاية الخلافة، فأيّ معنى لكونه وصيّه؟

---

(١) السقيفة للجوهري: ٤٩ وغيره.

(٢) حديث ابن أبي أوفى أخرجه البخاري في صحيحه ٢: ١٢٥، و٣: ٩٥، ومسلم في صحيحه ٣: ١٢٥٦ ح١٦، ١٧ وغيرهما، لكن مع هذا الذيل أخرجه ابن ماجه في سننه ٢: ٩٠٠ ح٢٦٩٦، والدارمي في سننه ٢: ٤٠٣ وغيرهم.

(٣) رواه البخاري بطرق في صحيحه ١: ٤٩، ١٢٢، ١٢٦، و ٢: ٩١، و٣: ٩٢، و٤: ١٢، ومسلم بطرق في صحيحه ١: ٣١١، ٣١٢ ح٩٠ ـ ٩٢ وغيرهما.

(٤) الامامة والسياسة لابن قتيبة ١: ٥٢ وتاريخ اليعقوبي ٢: ١٨٠.

(٥) روى سجودها أبو الفرج في المقاتل: ٢٧، وروى مدح قاتله هو في المصدر: ٢٦، والطبري في تاريخه ٤: ١١٥ سنة ٤٠.

(٦) هذا ذيل بعض ألفاظ حديث الغدير مرّ تخريجه في شرح فقرة «ولهم خصائص» في العنوان ٤ من هذا الفصل.

فإن قيل: إنّه كان وصيّاً في أمواله.

قلنا: إنّ صدّيقهم قال: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «نحن معاشر الأنبياء لا نورّث، ما تركناه صدقة»[١] فلم يكن له مال حتّى يكون وصيّاً في ماله.

قال الكراجكي: ومن عجيب أمرهم أنّهم إذا طرقتهم الحجج الجليّة في أنّ النّبي صلى الله عليه وآله لم يمض من الدّنيا إلّا عن وصيّة، وأنّه أوصى إلى أمير المؤمنين عليه السلام دون سائرهم، وسمعوا بمدح أمير المؤمنين عليه السلام بذلك في كلامه وحجاجه لخصومه، وذكره له في خطبة على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله، واحتجاج أهل بيته وشيعته من الأنصار بذلك في فضله، وما نظمته فيه الشعراء وسارت الرّكبان فيه. قالوا عند ذلك: لسنا نجحد أن عليّاً عليه السلام وصيّ الرّسول صلى الله عليه وآله، ولا ننكر ما قد اشتهر من شهادة القوم بوصيّته، ولكن النّبيّ صلى الله عليه وآله إنّما أوصى إليه بما كان له في يده يتملّكه ويحويه، ولم يوصِ إليه بأمر الأمّة كلّها، ولا تعدَّت وصيّته إليه أُمور تركته وأهله إلى غيرها. ثمَّ يدّعون بعد ذلك أنّ جميع ما خلّفه صدقة، وأنّه لا يورّث كما يورّث من سواه. فليت شعري، بماذا أوصى إذا كان جميع ما خلّفه صدقة، ولم يكن أوصى بحفظ الشريعة والقيام بأمر الأُمة؟ فإنَّ هذا ممّا يتحيّر فيه ذوو البصيرة[٢]

وكيف لا يكون وصيّه خليفته وهو بمنزلته؟

روى نصر بن مزاحم في (صفّينه) ـ وهو منهم ـ والخطيب الناصبي في (تاريخ بغداده) عن عقيصا قال: كنّا مع عليّ عليه السلام في مسيره إلى الشام، حتّى إذا كنّا بظهر الكوفة من جانب هذا السواد عطش النّاس واحتاجوا إلى الماء،

(١) أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه ٢: ١٨٥، ٣٠١، و٣: ١٧، ٥٥ و٤: ١٦٤، ومسلم بثلاث طرق في صحيحه ٣: ١٣٨٠، ١٣٨١ ح ٥٢ ـ ٥٤، وأبو داود بثلاث طرق في سننه ٣: ١٤٢ ح٢٩٦٨ ـ ٢٩٧٠ وغيرهم عن أبي بكر، وفي الباب عن عمر وعثمان وطلحة والزبير وعائشة وعبد الرحمن وسعد وأبي هريرة وغيرهم.

(٢) قاله الكراجكي في رسالة التعجب: ٤ والنقل بتقطيع.

فانطلق بنا عليّ عليه السلام حتّى أتى بنا على صخرة ضرس من الأرض كأنّها ربضة عنز، فأمرنا فاقتلعناها فخرج لنا ماء فشرب الناس منه وارتووا، ثمّ أمرنا فأكفأناها عليه وسار الناس حتّى إذا مضينا قليلاً، قال عليّ عليه السلام: أفيكم أحد يعلم مكان هذا الماء الذي شربتم منه؟ قالوا: نعم يا أمير المؤمنين. قال: فانطلقوا إليه فانطلق منّا رجال ركباناً ومشاة فاقتصصنا الطريق حتّى انتهينا إلى المكان الذي نرى أنّه فيه، فطلبناه فلم نقدر على شيء، حتى إذا عيل علينا انطلقنا إلى دير قريب منّا فسألناهم أين الماء الذي هو عندكم؟ قالوا: ما قربنا ماء. قلنا: بلى، إنّا شربنا منه. قالوا: أنتم شربتم منه؟ قلنا: نعم. قال صاحب الدير: ما بني هذا الدير إلّا بذلك الماء، وما استخرجه إلّا نبيّ، أو وصيّ نبيّ[1].

وروى بسند قوي عن جويرية: أنّه عليه السلام لمّا رجع من النهروان ووصل إلى بابل قال: إنّ هذه أرض ملعونة قد عذّبت في الدّهر ثلاث مرّات، ولا يحلّ لنبيّ ولا وصيّ نبيّ أن يُصلّي بها[2].

وروى ابن مردويه ـ وهو من حفّاظهم ـ عن النّبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: إنّ الله تعالى اختار من كلّ أُمّة نبيّاً واختار لكلّ نبيّ وصيّاً، فأنا نبيُّ هذه الأمّة، وعليٌّ وصيّي في عترتي وأهل بيتي وأُمّتي من بعدي[3].

وروى ابن المغازلي الشافعي عن النّبيّ صلى الله عليه وآله قال: انتهت الدعوة إليّ وإلى عليّ لم يسجد أحد منّا لصنم قطّ، فاتّخذني الله نبيّاً واتّخذ عليّاً وصيّاً[4].

---

(١) وقعة صفين لابن مزاحم: ١٤٤، وتاريخ بغداد للخطيب ١٢: ٣٠٥.

(٢) رواه شرف الدين في كنز جامع الفوائد عنه الفتن من البحار: ٥٧٣ مسنداً، والصدوق في الفقيه ١: ١٣٠ ح ١٢ مجرداً، والنقل بتقطيع.

(٣) أخرجه ابن مردويه في مناقبه عنه الطرائف ١: ٢٥، والخوارزمي عن طريق ابن مردويه في مناقبه: ٨٩ في ذيل حديث.

(٤) أخرجه ابن المغازلي في مناقبه: ٢٧٦ في ذيل الحديث ٣٢٢.

وحيث إنّ المراد من (الدعوة) في الخبر دعاء إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿...ومن ذريّتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾[1] فلازمه عدم صحّة خلافة شيخيهم اللّذين شاخا في عبادة الأصنام.

وروى ابن أبي الحديد نفسه في موضع من كتابه عن طرقهم أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: كنت أنا وعليّ نوراً بين يدي الله عزّوجلّ قبل أن يُخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلمّا خلق آدم قسّم ذلك فيه وجعله جزأين؛ فجزء أنا، وجزء عليّ، ثمّ انتقلنا حتّى صرنا في عبد المطّلب فكانت لي النّبوّة ولعليّ الوصيّة[2].

وقال ابن عبد ربّه في (عقده) ـ بعد ذكر فضائل أمير المؤمنين عليه السلام: وقال له النّبيّ صلى الله عليه وآله: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى غير أنّه لا نبيّ بعدي ـ وبهذا الحديث سمّت الشيعة عليّاً عليه السلام الوصي، وتأوّلوا فيه أنّه استخلفه على أُمّته إذ جعله منه بمنزلة هارون من موسى، لأنّ هارون كان خليفة موسى على قومه إذا غاب عنهم.

وقال السيّد الحميري:

إنّي أُدين بما دان الوصيّ به وشاركتُ كفّه كفّي بصفّينا[3]

ولمّا بعث أمير المؤمنين عليه السلام ابن عبّاس لمحاجّة الخوارج قالوا له ـ كما في (المسترشد) وغيره ـ: نقمنا على صاحبك خصالاً كلّها موبقة ـ إلى أن قال ـ: قال عليه السلام لهم: وأمّا قولكم: إنّي كنت وصيّاً فضيّعت الوصيّة، فأنتم

---

(١) البقرة: ١٢٤.

(٢) هذا حديث سلمان نقله ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٤٣٠ ح١٤ عن فردوس الديلمي بتمامه وعن مسند أحمد وفضائله بحذف ذيله، أما مسند أحمد فلم يوجد فيه، وأما الكتابان فروى عنهما تذكرة الخواص: ٤٦، وينابيع المودة: ١٠، وفي الباب عن علي عليه السلام وأبي ذر وجابر وأبي هريرة وعثمان.

(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه ٥: ٥٨.

كفرتم وقدَّمتم عليَّ غيري، وأزلتم الأمر عنّي، ولم أك أنا كفرت بكم، وليس على الأوصياء الدعاء إلى أنفسهم، وإنّما يدعو الأنبياء إلى أنفسهم، والوصي مدلول عليه مستغن عن الدعاء إلى نفسه، وقد قال تعالى: ﴿...ولله على الناس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً...﴾[1] فلو ترك الناس الحجّ لم يكن البيت ليكفر لأنّ الله تعالى قد نصّبه لهم علماً، وكذلك نصبتني علماً، حيث قال: يا عليّ أنت بمنزلة الكعبة يؤتى اليها، ولا تأتي[2].

«والوراثة» لمّا حجّ هارون الرشيد ونزل المدينة اجتمع إليه بنو هاشم وبقايا المهاجرين والأنصار، فقال لهم هارون: قوموا بنا إلى زيارة النّبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ نهض معتمداً على يد الكاظم عليه السلام حتّى انتهى إلى القبر، فقال: السّلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا ابن عمٍّ. افتخاراً له على القبائل الّذين حضروا معه، واستطالة عليهم بالنّسب، فنزع عليه السلام يده من يده ثمّ تقدّم فقال: السّلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبه. فتغيّر لون الرشيد، ثمَّ قال: إنّ هذا لهو الفخر الجسيم[3].

وقال المنصور للصادق عليه السلام: زعم أوغاد الشام وأوباش العراق أنّك حبر الدّهر وناموسه، وحجّة المعبود، وترجمانه، وعيبة علمه، وميزان قسطه، ومصباحه الذي يقطع به الطالب عرضة الظلمة إلى فضاء النور، وأنَّ الله لا يقبل من عامل جهل حقّك في الدُّنيا عملاً، ولا يرفع له يوم القيامة وزناً، فنسبوك إلى غير جدّك، وقالوا فيك ما ليس فيك. فقل، فإنّ أوّل من قال الحقّ لجدّك، وأوّل من صدّقه عليه أبوك، فأنت حريّ بأن تقتص آثارهما، وتسلك

---

(١) آل عمران: ٩٧.

(٢) المسترشد: ٨٦ ـ ٨٨.

(٣) الإرشاد للمفيد: ٢٩٧، وكامل الزيارات لابن قولويه: ١٨ ح٧، وتذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ٣٥٠ وغيرها، والنقل بالمعنى.

سبيلهما. فقال أبو عبدالله عليه السلام: أنا فرع من فروع الزّيتونة، وقنديل من قناديل بيت النّبوّة، وسليل الرسالة، وأديب السّفرة، وربيب الكرام البررة، ومصباح من مصابيح المشكاة التي فيها نور النور، وصفوة الكلمة الباقية في عقب المصطفين إلى يوم الحشر...(١).

وفي (خلفاء ابن قتيبة) قال الحسين عليه السلام لمعاوية لمّا دعاه إلى البيعة لابنه يزيد في جملة كلامه عليه السلام له: ومنعتنا عن آبائنا تراثاً، ولقد لعمر الله أورثنا الرّسول صلى الله عليه وآله ولادة ـ إلى أن قال ـ: فنظر معاوية إلى ابن عبّاس فقال: ما هذا يا بن عباس، ولما عندك أدهى وأمرّ؟ فقال ابن عبّاس: لعمر الله، إنّها لذرّية الرّسول، وأحد أصحاب الكساء، وفي البيت المطهّر(٢).

«**الآن إذ رجع الحقّ إلى أهله ونقل إلى منتقله**» قال ابن أبي الحديد: يبعد عندي أن تكون مقولة عقيب انصرافه عليه السلام من صفّين، لأنّه انصرف عنها وقتئذٍ مضطرب الأمر منتشر الحبل بواقعة التحكيم ومكيدة ابن العاص، وما تمّ لمعاوية عليه من الاستظهار؛ وما شاهد في عسكره من الخذلان، وهذه الكلمات لا تقال في مثل هذه الحال، وأخلق بها أن تكون قيلت في ابتداء بيعته قبل أن يخرج من المدينة إلى البصرة، وأنّ الرّضي نقل ما وجد وحكى ما سمع، والغلط من غيره(٣).

قلت: يتمّ ما قال لو كان قوله عليه السلام: «الآن» إشارة إلى حين الرّجوع من صفّين، ومن أين ذلك؟ والظاهر كونه ظرفاً لفعل مقدّر يقتضيه المقام كما في قوله تعالى: ﴿...الآن وقد عصيت قبلُ...﴾(٤). ولم يذكر الرّضي رحمه الله صدر الكلام

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي ١٠: ٢١٦ ح١٨ عن كتاب الاستدراك.

(٢) الامامة والسياسة لابن قتيبة ١: ١٨٦، ١٨٧.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٤٧.

(٤) يونس: ٩١.

حيث قال «منها» حتّى يتّضح المرام.

هذا، وقال ابن أبي الحديد أيضاً قوله عليه السلام: «إذ رجع الحقّ إلى أهله» يقتضي أن يكون فيها قبل: في غير أهله.

ونقول: إنّه عليه السلام كان أولى لا على وجه النّص، بل الأفضلية، لكنّه ترك حقّه لما علمه من المصلحة، وما تفرّس فيه هو والمسلمون من اضطراب الإسلام، وانتشار الكلمة لحسد العرب له وضغنهم عليه[١].

قلت: ما قاله مغالطة، فإنّ الاضطراب إنّما كان من قبل المتقدِّمين عليه وأتباعهم، فلو كان لك حقّ ومنعك منه جمع عدواناً وبغياً وحسداً وسكتّ اضطراراً، هل يكون ذلك دليلاً على صواب المانعين؟ بل كان تقدّم أُولئك سبباً لانقلاب العرب وارتدادهم، حيث رأوا الأمر في غير أهله.

قال الحطيئة:

أطعنا رسول الله ما كان حاضراً فوالهفتا ما بال دين أبي بكر

أيورثها بكراً إذا مات بعده فتلك ـ وبيت الله ـ قاصمة الظّهر

ولقد ردّت عليهم سيّدة نساء العالمين لما قالوا: إنّهم بادروا بإقامة أبي بكر خوف الفتنة بقولها: «﴿...ألا في الفتنة سقطوا وإنّ جهنّم لمحيطة بالكافرين﴾»[٢].

وأيّ فتنة كانت أفتن من فتنة عملهم من أخذ الحقّ من أهله، ونارها مشتعلة إلى يوم القيامة، ودخانها مظلم إلى يوم لا تنفع النّدامة؟ وكيف لا، وأحضروا النّار لإحراق أهل بيت العصمة؟!

ولو كانوا أقرّوا الحقّ في أهله لخضعت له العرب واعترفت.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٤٦، والنقل بالمعنى.

(٢) بلاغات النساء للبغدادي: ٢٥ ضمن خطبة لها عليها السلام، والآية ٤٩ من سورة التوبة.

قال أعثم الكوفي في (تاريخه) ـ في قصّة أهل حضرموت ـ: إنَّ زياد بن لبيد وسم إبلاً من شابّ من حضرموت بسمة الصّدقات وأرسلها في نعمها، فحضر الشاب وقال له: خلّ عن هذا أعطك خيراً منه. فما قبل منه، فذهب إلى حارثة بن سراقة الذي كان أحد كبراء تلك الدّيار، وقال له: أُريد أن تشفع لي في ذلك. فجاءه حارثة في ذلك فاعتذر بأنّه بعد وسمه بسمة الصّدقات لا يمكنه تبديلها، فغضب حارثة، وجاء إلى آبال الصدقة، وقال للشّاب: حلّ إبلك واذهب بها إلى بيتك، ولو تكلّم أحد نجيبه بالسّيف؛ كنّا مطيعاً لصاحب الرّسالة مادام كان حيّاً، فلمّا توفّي لو كان خليفته من أهل بيته كنّا مطيعين له، وأمّا ابن أبي قحافة فأنّى له الإمارة علينا؟ وأنشد شعراً في تولّيه لأهل البيت وتبرّيه من أبي بكر، وأرسل بذلك إلى زياد، فلمّا سمع ذلك زياد خاف وشخص إلى المدينة، وبعث من الطريق شعراً في تهديدهم، فقالت قبائل كندة: اجمعوا أطرافكم واحفظوا بلادكم، فإنَّ العرب لا ترضى بتقديم تيم، ولا يدعون سادات بطحاء أهل بيت النّبوّة ومستحقّي الخلافة، ولو كان ينبغي أن يكون الأمر خارجاً من بني هاشم لم يكن أحد أولى به منّا، لأنّ آباءنا كانوا ملوك الأرض ـ إلى أن قال ـ: فذهب زياد إلى بني زبيد وشكا إليهم من كندة، ودعاهم إلى طاعة أبي بكر، فقالوا له: يا زياد لِمَ تدعونا إلى طاعة رجل لم يوصِ الرّسول ﷺ أحداً بطاعته، ولم يذكر في أمره شيئاً؟ فقال لهم: صدقتم، ولكن اتّفقت جماعة المسلمين على تقديمه باجتهادهم. فقالوا له: لم يجتهدوا في تقديم أهل بيت نبيّهم، وكان هذا الأمر حقّاً لهم حيث يقول تعالى: ﴿...وأُولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله...﴾[1]. فقال لهم زياد: إنّ المهاجرين والأنصار كانوا أعلم منكم. قالوا: لا والله، بل حسدوا أهل بيت

---

(١) الأنفال: ٧٥.

نبيّهم وأخذوا الحقَّ من مستحقّه، ونحن نعلم يقيناً أنَّ الرّسول صلى الله عليه وآله لم يقبض حتّى عيّن خليفة له من أهل بيته...»[١].

وقول ابن أبي الحديد: «كان أولى لا على وجه النّصّ» مضحكٌ، فإنّه -غير نصّ الغدير الذي ليس نصّ أصرح منه، الذي أُلّف مجلّدات فيه، في ما ورد من طرقهم فيه- نصّ صلى الله عليه وآله عليه عليه السلام من ساعة بعثته -كما عرفت من تفسير قوله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾[٢]- إلى حين وفاته خصوصاً وعموماً قولاً وعملاً، ﴿...ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾[٣].

هذا، وممّا قيل في رجوع الحقّ إلى أهله -ولو كان ادّعاء- قول داود بن عليّ العباسي في أوّل موسم ملكوا: فالآن حين أخذ القوس باريها، وعادت النّبل إلى النّزعة، ورجع الملك في نصابه.

وقيل في خلع المستعين وبيعة المعتزّ -بعد خلع أخيه المنتصر له عن ولاية عهد أبيه المتوكّل-: فردّه الله إلى حاله، وردّها الله إلى حالها، ولم يكن أوّل عارية ردّت على رغم إلى آلها.

وفي (رسائل الصخري): أم أُهنّئ الملك -ثبّت الله أركانه، كما نضّر به مكانه- فقد آب إليه رونقه، وزال عن أمره رنقه.

هذا وقال ابن أبي الحديد في قوله عليه السلام: «ونقل إلى منتقله»: المنتقل: مصدر، وفي الكلام تقدير، والأصل موضع منتقله[٤].

قلت: بل المنتقل اسم مكان، ففي المزيد فيه المصدر الميمي، والمفعول واسم المكان واحد، فلا يحتاج إلى تكلّف تقدير.

---

(١) الفتوح لابن الاعثم ١: ٥٥ والنقل بالمعنى.

(٢) الشعراء: ٢١٤.

(٣) الحج: ٤٦.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١: ٤٦.

فهرس المطالب

